منظومة القيم
وعلاقتها بأسماء الله الحسنى

بطاقة فهرسة
أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟/ ؟؟؟؟؟ ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- ط١- القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ص، ١٧سم.

تدمك: ٩ ٦٣ ٠ ٤٧٨ ٩٧٧ ٩٧٨

-١

-٢

أ- العنوان

٩٢٢،٦٩

رقم الإيداع:؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟/٢٠١٧

الترقيم الدولي: 9 -063-478-977-978

دار المقطم للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريحان – عابدين – القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٢٧٩٥٨٢١٥ – ٢٧٩٤٦١٠٩ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٢٥٠٨٢٢٣٣ (٠٠٢٠٢)

منظومة القيم

وعلاقتها بأسماء الله الحسنى

إعداد

د/ مصطفى عبد الكريم محمد مراد كاسب

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية حصل بها الباحث على درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر في عام ٢٠١٣م بتقدير: مرتبة الشرف الأولى، وكان عنوانها: [القيم من خلال أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية].

شكر وتقدير

أتقدم بهما إلى الشيخين الجليلين والعالِمَيْن الكبيرين:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السيد راضي جبريل، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة، ورئيس القسم الأسبق، **وفضيلة الأستاذ الدكتور/ السيد إسماعيل علي سليمان**، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة. على حسن إشرافهما وسديد توجيهاتهما، وما خَصَّانِي به من أبوة حانية، وصبر جميل، وقد أفدت من توجيهاتهما في هذه الرسالة بصفة خاصة، وفى حياتي العلمية بصفة عامة، وأسألُ الله العليَّ العظيم أن يُبَارِكَ فيهما ويَنفعَ بعِلْمِهِما، وأن يَجزيهما خير الجزاء، وأن يَجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان أيضًا لشيخي وأستاذي علامة الأنام، شيخ الإسلام، نور الدنيا والدين: **فضيلة الأستاذ الدكتور/علي جمعة محمد**، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وأستاذ أصول الفقه بجامعة الازهر، ومفتي الديار المصرية السابق، على ما أولاني به من الرعاية والتوجيه بصفة عامة، وفي هذه الرسالة بصفة خاصة، وأسأل الله العلي العظيم أن يجزيه خير ما جزى به عالمًا عن أمة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن يرزقه تمام الصحة والعافية، وأن يحفظه من كل مكروه وسوء، وأن يُديم النفع به وبعلومه الباهرة، في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

***

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك اللّٰهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، اللّٰهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو عهد الله الأخير وكلمته الأخيرة إلى البشرية، حيث ختم الله سبحانه وتعالى الرسالة بنبيه سيدنا محمد ﷺ وانقطع وحي السماء، ووصفه بأنه: رسول الله وخاتم النبيين، فقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]؛ لذلك فإن القرآن الكريم سيظل كتابًا مفتوحًا وبحرًا لا ساحل له، ينهل منه كل أحد، ولا يحيط به أحد؛ إذ كيف يحيط المخلوق بمعنى كلام الخالق جلَّ وعلا.

والقرآن الكريم كتاب هداية، أنزله الله تعالى لأجل الاسترشاد والاهتداء به، وهو دستور هذه الأمة والمعجزة الخالدة عبر العصور والأزمان، ولـمَّا أدرك علماء الأمة هذه الحقيقة، عكفوا عليه يقرؤونه ويتعلمونه ويتدارسونه، ويتدبرون معانيه؛ وذلك لأن القرآن الكريم بما يتضمنه من أحكام هو دين الله عز وجل، كما أن: "نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تقوم إلا على الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم الخالق الحكيم"[2].

والقرآن الكريم أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون من جهة مدارسته، ومداومة البحث فيه، والكشف عن علومه ومبادئه، وإظهار إعجازه وأسراره، وتجلية محاسنه، والدفاع عن ساحته، ونفي الشكوك والريب عنه، فهو أحق ما شغلت به الأعمار وشغلت به الأزمان.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ٢/ ٦.

والقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تنفذ درره، لا يَخْلَق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، فكلما تمت منه عجيبة تجلى الله تعالى على هذا القرآن، فيذهب العلماء فيأتون بعجيبة جديدة.

ولتجلية هدايات القرآن الكريم قيامًا بواجب وقتنا تجاه كتاب ربنا: ينبغي علينا القيام بكثرة مدارسته ومداومة البحث فيه لإيجاد أدوات جديدة لتأصيل فهم القرآن الكريم، ومحاولة دراسته من زوايا جديدة ومختلفة.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنها مليئة بأسماء الله تعالى لتعريف العباد بخالقهم، وليس هذا فحسب، ولكن أيضًا للفت انتباههم إلى تجليات معاني هذه الأسماء على سلوكهم فيتأثروا بها وتتحقق فيهم الشخصية الربانية؛ فقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1]، والشاهد في قوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾، فقد نسبهم إلى الرب جلَّ وعلا، والشخص الرباني: هو العالمُ بربه، المصيبُ في أقواله وأفعاله، ومن جملة ما يتحصَّلُ به ذلك: التخلقُ بمعاني أسماء الله الحسنى والتأثُّرُ بها، وبهذا يتبين أن إبرازَ قضية أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم وبيانَ آثارِها من الأهمية بمكان.

وحاصل ما سبق: أن غاية إنزال القرآن الكريم إنما لبيان أسماء الله تعالى ومتعلقاتها؛ فمراد الله تعالى من خلقه والذي من أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب يتلخص في أمور ثلاثة:

أولها عبادته وتوحيده، وثانيها: عمارة الكون، وثالثها: تزكية النفس. والتوحيد هو المظلة التي يأتي تحتها العمران والتزكية.

والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى أن يُعَرِّفَ نفسه، ولكن العباد هم المحتاجون إلى معرفة الله، فتجلى الله تعالى بأسمائه الحسنى عليهم ليعرفوه ويتحقق معنى التوحيد؛ وذلك لأن الإنسان إذا عرف الله حق المعرفة وحده حق التوحيد وعبده حق العبادة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

جاء في «البرهان» للإمام الزركشي[١]: "قال الإمام الشَّافعيُّ[٢] ﷺ: جميعُ ما تَقُولُهُ الأُمَّةُ شرحٌ للسُّنَّة، وجميع السُّنَّة شَرْحٌ للقرآن، وجميعُ القرآن شَرْحُ أَسْمَاءِ الله الْحُسْنَى وصِفَاتِهِ العُلْيَا. زَادَ غَيْرُهُ: وجميعُ الأسماء الحسنى شَرْحٌ لاسْمه الأعْظَمِ"[٣].

كما أن: "مجموعة القيم المستفادة من أسماء الله الحسنى تمثل خصائص وصفات لها دلالات إيمانية تهدي إلى سواء السبيل، ويكون فيها الخير كل الخير للإنسانية جمعاء، فلو استطعنا أن نتفهم معانيها، ونؤمن بها باعتبارها حقائق، ونطبقها سلوكًا، وأن نجعلها فكرًا مدروسًا لأجيالنا، وأن تأخذ الدعوة لها مجراها الحق في غرس الإيمان الحقيقي بأهمية مدلولاتها باعتبارها قيم سلوكية بجانب أهميتها باعتبار أنها مدلولات لفظية محمولة على العبادة فقط، وتنصرف معانيها أيضًا إلى سلوك وتعامل؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يرتقي في مدارج القيمة والفضيلة إلا بتمثلها قولا وعملا، نكون بذلك قد أدينا واجبها حق الأداء وأدت إلينا هي حق العزة والبقاء"[٤].

وإني أحمد الله عز وجل أن وفقني إلى اختيار هذا البحث وهو بعنوان: (القيم من خلال أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية)، واللهَ تعالى أسأل أن ينفع به.

ويحسن بي أن أقدم بين يدي هذا البحث هذه المقدمة، وتتضمن أموراً هي:

* المقصود من عنوان البحث.

---

(١) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين الزركشي، المصري، الفقيه الشافعي، الأصولي، تُوفي سنة ٧٩٤هـ. من تصانيفه: «البرهان في علوم القرآن»، و«البحر المحيط» في أصول الفقه، و«المنثور» في قواعد الفقه. [راجع: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (١٦٧/٣)، وحسن المحاضرة، للسيوطي، (١/ ٤٣٧)، والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (١٣٣/٥)].

(٢) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، المُطَّلِبي، القُرَشي، أحد أئمة المذاهب الأربعة الأعيان، وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. من تصانيفه: «الأم»، و«الرسالة»، و«أحكام القرآن»، و«اختلاف الحديث» وغيرها. [راجع: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٣٩٢/٢)، وطبقات ابن السبكي (٧١/٢)، والأعلام، للزركلي (٢٦/٦)].

(٣) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٦.

(٤) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ٦١ بتصرف كبير.

* فكرة هذا البحث والجديد فيه، والدراسات السابقة التي تتعلق بموضوعه.

* سبب اختياري لموضوع البحث، والهدف من دراسته.

* منهجي في هذا البحث.

وفيما يلي بيان ذلك وتفصيله..

* * *

المقصود من عنوان البحث

(القيم) في العربية جمع قيمة، وأصلها الواو -أي أن أصلها قِوْمة فقلبت الواو ياء؛ لسكونها وكسر ما قبلها- ومادتها: (ق و م) التي تدل على انتصاب أو عزم.

يقول ابن منظور(١): "والقيمة ثمن الشيء بالتَّقْوِيم، تقول: تَقاوَمُوه فيما بينهم وإذا انْقادَ الشيء واستمرّت طريقته فقد استقام لوجه، ويُقال كم قامت ناقتُك أي كم بلغت وقد قامَتِ الأمةُ مائة دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار"(٢).

وفي معاجم اللغة نجد تعريفات أخرى للقيم بعضها قريب مما ذكره ابن منظور وبعضها بعيد أو مختلف عنه، ولعل أقرب الاستعمالات اللغوية للقيم بمعناها السائد الآن هو ما ذكره الفيروزابادي(٣) في «القاموس» حيث قال: "القيمة: -بالكسر- واحدة القيم، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء"(٤)، وكذلك ما ذكره الزمخشري(٥) في «الأساس» حيث قال: "قام على الأمر: دام وثبت. وأقام الشيء: أدامه. ما لفلان قيمة: ثبات ودوام على الأمر"(٦)، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته(٧).

---

(١) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل. الإمام اللغوي الحجة الثبت، تُوفي سنة ٧١١هـ. من أشهر تصانيفه: كتاب «لسان العرب»، وله أيضًا: «مختار الأغاني»، و«مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر»، و«مختصر تاريخ بغداد». [راجع: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٨/٤٩)، والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (٦/١٥)].

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (قوم)، ١٢/ ٤٩٦.

(٣) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، توفي سنة ٨١٧هـ. من أشهر تصانيفه: «القاموس المحيط» في اللغة، و«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز». [راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (١/٢٧٣)، والأعلام، للزركلي (٧/١٤٦)].

(٤) القاموس المحيط، للفيروزابادي، باب الميم، فصل القاف، ص: ١١٥٢. ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، أبو القاسم، الزمخشري، المولود سنة ٤٦٧هـ، والمتوفى سنة ٥٣٨هـ. من تصانيفه: «الكشَّاف» في تفسير القرآن، و«الفائق في غريب الحديث»، و«أساس البلاغة». [راجع: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي (١/ ٢٩٠)، وطبقات المفسِّرين، للسيوطي (ص: ١٢٠)].

(٦) أساس البلاغة، للزمخشري، مادة: (قوم)، ٢/ ٢٨٥.

(٧) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، ١/٧٧.

أما في الاصطلاح فيختلف تعريف القيمة باختلاف المجال الذي تستخدم فيه، سواء كان في الاقتصاد أو السياسة أو علم النفس والاجتماع أو التربية، ولعل ما نعنى به في هذا المقام هو جانب علم النفس والاجتماع والتربية؛ لذلك سوف نقتصر على ذكر تعريف القيمة في هذه المجالات فحسب.

فيرى علماء النفس الاجتماعي أن القيمة هي: "معيار اجتماعي ذو صيغة انفعالية قوية وعامة، تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله، ويتخذها هاديًا ومرشدًا"(١).

أما علماء التربية فيرون أن القيمة هي: "محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو من منزلة معينة بين هذين الحدين"(٢).

أما تعريف القيم الإسلامية في اصطلاح علماء المسلمين فهي: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تُمَكِّنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات والسلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"(٣).

ومما سبق يبدو جليًّا مدى التقارب بين القيم والأخلاق، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، ولكن إذا تعلقت القيم بشتى جوانب الحياة فإنا لا نكاد نلاحظ فارقًا بين الاثنين باعتبار أن الأخلاق تتصل بكافة جوانب الحياة.

---

(١) علم النفس الاجتماعي، للدكتور/ فؤاد البهي السيد، ص: ٩٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، للدكتور/ ماجد الكيلاني، ص: ٢٩٩ – بواسطة: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ١/ ٧٨.

(٣) القيم الإسلامية والتربية، للدكتور/ علي خليل مصطفى أبو العينين، ص: ٣٤.

ويمكن القول: إن الأخلاق تستند في أصلها إلى قيم للسلوك الفردي أو الاجتماعي، والفعل الخلقي هو في صميمه فعل قيمي[(١)].

وفي هذا البحث: القيمة ليست مجرد خُلق، بل هي معنى وفكرة يؤمن بها الشخص فتؤثر في سلوكه، ففيها ثلاثة جوانب؛ معرفي: وهو معرفة هذا الفكرة وحصولها في العقل، ووجداني: وهو الإيمان بها واعتقادها، وسلوكي: وهو تأثيرها في السلوك بشكل إيجابي إقدامًا وإحجامًا.

وأما المراد بـ**(أسماء الله الحسنى)**، أقول: أسماء: جمع اسم، واختلفوا في اشتقاقه؛ فذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من (وسم) بمعنى العلامة، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من (السمو) وهو العلو[(٢)].

والحسنى: على وزن فعلى، مؤنث الأحسن، أو مصدر كذكرى، ووصف به، والأحسن من الحسن، وهو الجمال، إلا أن الحسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال، والأخلاق، والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصورة.

والمقصود بأسماء الله الحسنى: الكلمات والألفاظ التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتدل على ذاته وتشير إليها، وكل كلمة من هذه الكلمات ولفظ من هذه الألفاظ يراد منه المعنى الأحسن والأكمل في حقه ﷻ؛ فكانت حسنى من هذه الجهة. ووجه الحُسن أيضًا في أسماء الله أنها دالَّةٌ على مسمى الله، فكانت حسنى؛ لدلالتها على أحسن وأعظم وأقدس مسمى ألا وهو الله عز وجل.

وأما بيان معنى كلمة **(وأثرها)** الواردة في التعريف فأقول: الأثر في اللغة: ما بقي من الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثَّر في الشيء: ترك فيه أثرًا[(٣)].

وفي «التعريفات» للشريف الجرجاني[(١)]: "الآثار: هي اللوازم المعللة بالشيء، والأثر: له ثلاثة معان؛ الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء"[(٢)].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ١/ ٨٤، ٨٥ بتصرف.

(٢) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش، ١/ ٢٣. والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات كمال الدين الأنباري، تحقيق: الشيخ/ محمد محي الدين عبد الحميد، ١/ ٦.

(٣) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (أثر)، ٤/ ٥ بتصرف.

والمناسب للمقام هنا من معاني الأثر: المعنيان الأول والثاني؛ فالمراد بـ**(الأثر)** في عنوان البحث: ما يُتَحَصَّلُ من ثمرات ونتائج من التخلق بمعاني أسماء الله تعالى، وينعكس بالإيجاب على شخصية الفرد والمجتمع والأمة، وأن هذه المعاني المتضمنة في القيم المستنبطة من أسماء الله تعالى تترك أثرًا حسنًا في السلوك الإنساني، إذا عرفها الإنسان وآمن بها، فالذي يعرف أن الله تعالى هو الرحمن الرحيم، وأن الرحمة قيمة عظيمة، فإن هذا ينعكس على سلوكه، فيتخلق بالرحمة، ويكون رحيمًا بالإنسان والحيوان والأكوان.

وأما المراد بـ**(الشخصية):** فهي في اللغة من مادة (شخص) التي تدل على ارتفاع في شيء. من ذلك الشّخص، وهو سوادُ الإنسان إذا بدا لك من بُعد. ثم يحمل على ذلك فيقال شَخَصَ من بلدٍ إلى بلد بمعنى خرج من بلد إلى آخر.

والشخصية: صفات تُمَيِّزُ الشَّخْص من غيره ويُقَال فلان ذو شخصية قويَّة ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل(٣).

وقريب من هذا ما عرَّف به علماء النفس الشخصية، حيث قالوا: إنها عبارة عن بِنْيَة داخلية ذات تنظيم فريد تنتظم فيها جميع الأجهزة العضوية والنفسية بحيث تحدد ما يُميِّز أو يمتاز به الشخص من سلوك وأفكار(٤).

وبناءً على ما سبق فإنه يمكننا أن نُعرِّف القيم من خلال أسماء الله الحسنى بأنها: مجموعة من المعاني والأفكار المستنبطة من أسماء الله الحسنى التي إذا آمن بها الشخص واعتقدها أثَّرت في سلوكه

=

(١) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، توفي سنة ٨١٦هـ. من تصانيفه: «التعريفات»، و«شرح مواقف الإيجي»، و«شرح السراجية» في الفرائض، و«الكبرى والصغرى في المنطق»، و«الحواشي على المطول للتفتازاني» في البلاغة. [راجع: الأعلام، للزركلي (٥/٧)، ومعجم المطبوعات، ليوسف سركيس (٦٧٨/٢)].

(٢) التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص: ٢٣.

(٣) تُراجع مادة (شخص) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٢٥٤. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص: ٤٧٥.

(٤) يُراجع: الشخصية: مفهومها. سلوكها. علاقتها بالتعلم، للدكتور/ توما جورج خوري، ص: ١٩. وعلم النفس العام، للدكتور/ عبد الرحمن العيسوي، ص: ١٥٨، ١٥٩.

بشكل إيجابي، وهي تشكل منهجًا في التعامل مع الخالق، ومع المخلوق، ومع الكون كله بما يعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات والأمم.

فكرة هذا البحث، والجديد فيه، والدراسات السابقة التي تتعلق بموضوعه:

تقوم فكرة هذا البحث على ربط قضية أسماء الله الحسنى بالسلوك من خلال استنباط قيم لها آثارها المتعددة وتصلح للتطبيق في مجالات متنوعة، والقيم المستنبطة ليست قيمًا مفردة بل هي منظومة مكتملة -على ما سنصل إليه في هذا البحث- تصلح لأن تكون منهجًا كاملا للحياة.

وربط القيم المستنبطة في هذا البحث بأسماء الله الحسنى ربط للقيم بأعلى سقف لمصادر القيم؛ فمصادر القيم متعددة؛ فالقرآن الكريم بقصصه يعد مصدرًا، والسيرة النبوية العطرة بتفاصيلها الكثيرة مصدر آخر، وسير الصحابة والتابعين والصالحين مصدر أيضًا، والأعراف الاجتماعية المنضبطة بأحكام الشرع وارتضاها الناس مصدر كذلك. إلا أن استنباط قيم من أسماء الله تعالى أراه المصدر الأعلى؛ إذ هي مستنبطة مباشرة من صفات الخالق جل وعلا، وفيها ربط للمخلوق بخالقه سبحانه وتعالى.

وعنوان هذا البحث: (القيم من خلال أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية)، وهو بهذا الاسم لم أر من سبق إليه من قبل، من وضع تعريف لمفرداته، واستخراج نماذج للقيم من أسماء الله الحسنى، بعد جمعها من القرآن الكريم -من خلال منهج الاستقراء، ووفق منهج سوف أبينه بشيء من التفصيل في التمهيد الذي يلي هذه المقدمة- ثم شرح هذه الأسماء، واستنباط قيم منها، وبيان بعض تطبيقاتها.

إلا أن فكرة التخلق بمعاني أسماء الله الحسنى تظل سارية في أذهان المتقدمين والمتأخرين؛ فنجد معظم من قام بالتعرض لأسماء الله الحسنى بالشرح والبيان يختمون الاسم الذي يقومون بشرحه ببيان حظ العبد من هذا الاسم وقد انتفعت بما كتبوه في هذا البحث، ومن هؤلاء -فيما أتيح لي من بحث واطلاع-، **من المتقدمين:**

١- الإمام الحجة أبو حامد الغزالي(١) (المتوفى: ٥٠٥هـ) في كتابه: «المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى».

٢- الإمام الفخر الرازي(٢) (المتوفى: ٦٠٦هـ) في كتابه: «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات».

٣- الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المفسر(٣) (المتوفى: ٦٧١هـ) في كتابه: «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، وقد وقعت لي من هذا الكتاب طبعتان مختلفتان، الأولى: نشر دار الصحابة بطنطا بمصر في مجلدين سنة: ١٩٩٥م، والثانية: نشر المكتبة العصرية ببيروت بلبنان في مجلد واحد سنة: ٢٠٠٥م، وانتفعت بكلتا الطبعتين، مع الإشارة لذلك عند العزو، ورمزت للأولى بـ: ط/ دار الصحابة، وللثانية بـ: ط/ المكتبة العصرية.

٤- العلامة الجمل(٤) (المتوفى: ١٢٠٤هـ) في حاشيته على تفسير الجلالين، والمسماة بـ: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية». حيث قام عند تفسيره قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، زين الدين، أبو حامد، الطوسي، الغزالي، الشافعي: حجة الإسلام. تُوفي سنة ٥٠٥هـ. من تصانيفه: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة»، و«إحياء علوم الدين»، و«المستصفى» في أصول الفقه، وغير ذلك. [راجع: طبقات ابن السبكي (١٩١/٦)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢٨٠/١)].

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري: فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري، توفي سنة ٦٠٦هـ. من تصانيفه: «المحصول»، و«أساس التقديس»، و«اللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات»، و«معالم أصول الدين». [راجع: طبقات ابن السبكي (٨١/٨)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٥٠٠/٢١)، والوافي بالوفيات، للصفدي (١٧٥/٤)].

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح – بإسكان الراء، أبو عبد الله، الأندلسي، القرطبي، الفقيه المالكي، أحد كبار المفسِّرين. المتوفى سنة ٦٧١هـ. من تصانيفه: «الجامع لأحكام القرآن»، و«التذكرة بأمور الآخرة»، و«الأسنى في شرح الأسماء الحسنى». [راجع: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون (٣١٧/١)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٩٢)].

(٤) هو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل توفي سنة ١٢٠٤هـ. من أهم تصانيفه: «الفتوحات الإلهية» حاشية على تفسير الجلالين، و«المواهب المحمدية بشرح لشمائل الترمذية»، وحاشية على =

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1] بشرح أسماء الله تعالى التسعة وتسعين في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام الترمذي في سننه، ثم إنه كلما انتهى من شرح كل اسم أعقبه ببيان حظ العبد من هذا الاسم، وفعل هذا في كل الأسماء.

ومن المعاصرين:

١- الأستاذ/ رياض أدهمي في كتابه: «الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى».

٢- الدكتور/ محمد الحمود النجدي في كتابه: «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى».

٣- الأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج في كتابه: «أسماء الله الحسنى.. الأصول القِيمِية والمعاني السلوكية في الإسلام».

٤- الأستاذ/ صفوان محمود حنوف في كتابه: «الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني».

ومن الرسائل الجامعية:

١- الآثار الوجدانية والسلوكية للإيمان بأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث/ عبد الحميد راجح الكردي، بجامعة آل البيت بالأردن، وقد اطلعت عليها مطبوعة على هيئة كتاب بدار المأمون بالأردن تحت عنوان: «أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم.. (آثارها الوجدانية والسلوكية)».

٢- «الدلالات التربوية في بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا»، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية، للباحث/ على خميس على آل رداد الغامدي، بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، وقد اطلعت عليها في هيئة رسالة جامعية، ولم أرها مطبوعة على هيئة كتاب.

=

شرح المنهج في فقه الشافعية. [راجع: الأعلام، للزركلي (١٣١/٣)، وهدية العارفين، لإسماعيل بن محمد أمين البابانى البغدادي (٤٠٦/١)].

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

ويُلاحظ على ما ذكرته من مؤلفات ما يلي:

أولا: قيام معظمهم بالشرح النظري لأسماء الله الحسنى بصورة قد يكون فيها توسعة، مع الاقتصاد في الجانب التطبيقي، بل إن منهم من كان يكتفي بذكر ذلك في اقتضاب شديد ببيان حظ العبد من الاسم.

ثانيًا: المداخل لشرح أسماء الله الحسنى وبيان آثارها في هذه المؤلفات مختلفة؛ فهناك من اعتمد رواية الإمام الترمذي(١) في سننه، واقتصر على الأسماء التسعة والتسعين المذكورة فيها؛ كالإمام الغزالي، والإمام الرازي، والعلامة الجمل. وأيضًا: الأستاذ/ رياض أدهمي في كتابه: "الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى"، والأستاذ/ صفوان محمود حنوف في كتابه: "الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني".

وهناك من اقتصر على بعض الأسماء كنماذج، ولم تتجاوز الخمسة عشر اسمًا، ودار العمل كلها عليها، وهو الباحث/ على خميس على آل رداد الغامدي، في رسالته: "الدلالات التربوية في بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا".

وهناك من توسَّع في الأسماء؛ فذكر ما ورد في القرآن الكريم صريحًا أو مشتقًا وأيضًا ما ورد في السنة النبوية المطهرة، والمثال الواضح على هذا الإمام القرطبي في كتابه: "الأسنى" بطبعتيه. وقريب منه: رسالة: "أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم.. (آثارها الوجدانية والسلوكية)" للباحث/ عبد الحميد راجح الكردي. إلا أنه اقتصر على ما ورد في القرآن الكريم فحسب. وهناك أيضًا الدكتور محمد الحمود النجدي في كتابه: "النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى"، إلا أنه يختلف عن الإمام القرطبي في ذكر الأسماء المشتقة؛ حيث إنه لم يذكرها.

ثالثًا: إن أقرب دراسة مما سبق من مؤلفات لبحثنا هذا -ولكن في الجانب التطبيقي فقط-، وذلك في الإشارة إلى القيم هو كتاب: "أسماء الله الحسنى.. الأصول القِيمِية والمعاني السلوكية في الإسلام" للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج. إلا أن فيه شيء من الإجمال في معظم الأحيان.

---

(١) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى مات بترمذ سنة ٢٧٩هـ. من تصانيفه: «الجامع الكبير» المعروف بـ«صحيح الترمذي»، و«الشمائل النبوية». [راجع: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٥٤/٢)، والأعلام، للزركلي (٣٢٢/٦)].

رابعًا: بقي أن أُشير إلى أن **ما انفرد به هذا البحث** هو: استنباط قيم من أسماء الله الحسنى واستخلاصها منها، وبيان كيفية ذلك، ثم شرح القيمة ببيان معناها، وورودها في النصوص الشرعية، وذكر تطبيقاتها وبيان آثارها والفوائد المتحصلة منها بصورة بها شيء من التفصيل لا الإجمال، ثم بناء منظومة لهذه القيم المستنبطة، مع الأخذ في الاعتبار أن ما سأذكره من قيم في هذا البحث إنما هو من قبيل النماذج المُعْتَمِدَة على التدبر والاستقراء وليس من قبيل الحصر، فهذا البحث يهدف إلى أن يكون لبنة جديدة في بناء العلوم الإسلامية، يتطلب من المتخصصين أن يُشمِّروا عن ساعد الجد لتأصيل هذا الباب، وأن يقوموا بواجبهم نحوه، وذلك باستخراج قيم أخرى جديدة من أسماء الله الحسنى وبيان تطبيقاتها في شتى مجالات الحياة حتى تتحول إلى واقع عملي نعيش به، فيكون في هذا تمديد لهذه الفكرة وإضافة إليها، **وأيضًا لا يفوتني التنبيه على أن:** التركيز في هذا البحث على الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم فحسب، ومن ثَمَّ استنبط القيم؛ وذلك للعلاقة الوثيقة بين هذا وبين الشُّعْبة الأكاديمية التي يُقدَّم من خلالها هذا البحث.

❊❊❊

(سبب اختياري لموضوع البحث، والهدف من دراسته):

لا شك أن أصل السعادة في الدنيا والآخرة تكمن في التمسك بكتاب الله تعالى، والعمل على خدمته، وإبراز وجوه إعجازه للعالمين، لذلك فإن **من أسباب اختياري لدراسة هذا الموضوع:**

١) إبراز قضية القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم باعتبارها من القضايا المهمة التي تحتاج إلى مزيد عناية من الباحثين؛ وذلك لتعلقها بأمرين غاية في الأهمية؛ أحدهما: التعرف على أسماء رب العالمين جل وعلا الواردة في القرآن الكريم، والثاني: ربط المعاني المستنبطة من هذه الأسماء بالسلوك والتربية من خلال مجموعة من القيم.

٢) اهتمامي وتفضيلي لهذا النوع من الأبحاث؛ لأن تعلقه الأقرب إلى التفسير الموضوعي، وفيه إظهار كتاب الله تعالى القرآن الكريم باعتباره كتاب هداية وإرشاد للبشرية، كما أن لهذا النوع من الأبحاث جانبين؛ نظري: وفيه الجمع وتأصيل المسألة. وتطبيقي: وفيه بيان الآثار والتطبيقات العملية في المجالات المختلقة مما له علاقة بواقع الحياة التي نعيشها. ويكون هذا البحث استكمالا لما

بدأته في مرحلة التخصص (الماجستير)؛ حيث كان البحث متعلقًا أيضًا بالتفسير الموضوعي، فكان عنوانه: (المبادئ العامة في القرآن الكريم)[(١)].

وهذه الدارسة تهدف إلى:

١) دراسة القرآن الكريم من زاوية مختلفة تكشف وجوه إعجازه باعتباره آخر الكتب السماوية، ومن ثم فهو لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، والقيام بإيجاد أدوات جديدة تساعد على فهمه وتجلية هداياته.

٢) التعرف على أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم سواء الصريحة منها أو المشتقة، وذلك وفق المنهج الذي اعتمدته في ذلك، وسيأتي. والقيام بشرحها وبيان معانيها اللغوية والشرعية من خلال كتب اللغة وكلام أهل التفسير، بالإضافة إلى غير ذلك من الكتب المعنية بشرح أسماء الله الحسنى.

٣) إظهار القيم العظيمة والمهمة المستنبطة من معاني أسماء الله الحسنى، وبيان آثارها على الفرد والمجتمع والأمة، واستلهام هذه القيم وترسيخها في النفوس مما يعين على بناء الشخصية الإسلامية وفق التصور الإسلامي، فتكون ربانية كما أراد خالقها.

٤) بيان بعض التطبيقات التفصيلية للقيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى في المجالات المختلفة -من خلال ما تم استنباطه من قيم في هذا البحث-؛ وذلك بعرض أفعال النبي القدوة ﷺ، والصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وسلفنا الصالح، ثم بيان كيف نفهم هذه القيم ونطبقها في واقعنا المعيش.

٥) أن تكون -هذه الدراسة- لبنة من لبنات مشروع حضاري كبير ينبغي أن يهتم به الباحثون المسلمون، وهو يهدف إلى العودة إلى القرآن الكريم لاستنباط مبادئ العلوم منه، خاصة ما يتعلق بجانب الأخلاق والقيم؛ فكثير من الباحثين يعتمدون في العلوم الحديثة كعلم النفس والاجتماع والتربية والقانون وغيرها النظريات الغربية وفي هذا خلل كبير، إذ إن هذه النظريات نشأت على

---

(١) كانت الرسالة بإشراف صاحبي الفضيلة: الأستاذ الدكتور/ محمد أمين أبو بكر، والأستاذ الدكتور/ محمود لطفي محمد جاد، وقد حَصُلتُ عليها بتقدير: ممتاز، كما أوصت لجنة المناقشة المُوَقَّرة بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات الأخرى، وقد طُبعت بدار المقطم بالقاهرة عام ٢٠١٥م، والحمد لله رب العالمين.

فرض عدم وجود إله، والعلماء المسلمون حين يأخذون هذه النظريات ويحاولون تطبيقها في البيئة الإسلامية يحصل من ذلك خلل كبير، وإصلاح هذا الخلل يبدأ بالعودة مرة أخرى إلى القرآن الكريم واستخراج العلوم منه، واستنباط القيم منه، وهذا ما يمكن تسميته بـ«إسلامية المعرفة».

منهجي في هذا البحث:

لقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة.

أما **المقدمة** فقد ضمت أمورًا أربعة:

* أولها: المقصود من عنوان البحث.

* ثانيها: فكرة هذا البحث والجديد فيه، والدراسات السابقة التي تتعلق بموضوعه.

* ثالثها: سبب اختياري لموضوع البحث، والهدف من دراسته.

* رابعها: منهجي في هذا البحث.

وأما **التمهيد**، فقد تضمن أمورًا مهمة تتعلق بالأسماء الحسنى:

* أولا: ورود مصطلح (الأسماء الحسنى) في القرآن الكريم.

* ثانيا: أسماء الله تعالى في السنة النبوية المطهرة.

* ثالثًا: أسماء الله تعالى.. أهي توقيفية أم اجتهادية؟

وأما **الباب الأول**، وهو يُمَثِّل (الجانب النظري) في البحث، فكان عنوانه: أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم (جمعها - تقسيماتها - بيان معانيها - ذكر نماذج من أسرار اقترانها في بعض الآيات القرآنية).

وقد ضمَّ ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في جمع أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم، وبيان تقسيماتها (مفردة، ومتقابلة، ومضافة ومركبة، ومشتقة).

الفصل الثاني: في شرح أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم، وقمت فيه بشرح الأسماء شرحًا ميسرًا وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والتفاسير الأصيلة، مع التركيز على إيضاح معاني الأسماء من أقرب طريق، والبعد عن المعاني المبهمة أو الموهمة.

الفصل الثالث: في ذكر نماذج من أسرار اقتران أسماء الله الحسنى في بعض آيات القرآن الكريم.

وأما **الباب الثاني**، وهو يُمَثِّل (الجانب التطبيقي) في البحث، فكان عنوانه: القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم (علاقتها بالأسماء - وذكر نماذج منها - وشرحها، وبيان آثارها وتطبيقاتها - وبناء منظومة القيم من خلالها).

وضمَّ أيضًا ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في علاقة القيم بأسماء الله الحسنى، وكيفية بناء القيم من الأسماء.

الفصل الثاني: في استنباط القيم من أسماء الله الحسنى، وذكر نماذج منها، وشرحها، وبيان آثارها وتطبيقاتها.

وقد قمت بشرح إحدي وعشرين قيمة، وعناوينها كالتالي:

« الرحمة / الرفق / الود / الستر / الصدق / الشكر / التواضع / الحكمة / التكافل / القوة / العزة / التوكل / الرضا / النصرة / الحلم / البر / السلام / العفو / النزاهة / الإبداع / المراقبة ».

الفصل الثالث: في بناء منظومة القيم من خلال ما تم استنباطه من القيم من أسماء الله الحسنى.

ثُمَّ كانت **الخاتمة**، وقد أوجزت فيها أهم ما انتهيت إليه في هذا البحث بصورة إجمالية من خلال مجموعة من النتائج والتوصيات.

وأخيرًا جاءت قائمة المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث، وأيضًا الفهرس العام الخاص به.

أما الخطوات التي سرت عليها في هذا البحث فقد كانت على النحو التالي:

١) تفسير الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة والتفسير.

٢) التركيز في شرح الأسماء وتفسيرها على خمسة تفاسير بصورة أساسية، مع الرجوع إلى غيرها إذا لم تتضح معاني الأسماء، وقد تكرر هذا الرجوع في البحث كثيرًا، وهذه التفاسير الخمسة هي:

تفسير الإمام أبي جعفر الطبري[(١)] «جامع البيان»؛ فهو عمدة في باب التفسير بالمأثور، لا ينبغي لمتعرض لموضوع متعلق بتفسير القرآن الكريم أن يَغْفُل عنه. وتفسير العلامة الآلوسي[(٢)] المُسمَّى «روح المعاني»؛ لأنه موسوعة تفسيرية ضخمة لعَلَمٍ مُحقِّقٍ من أعلام المفسرين المتأخرين. وتفسير الإمام الفخر الرازي «مفاتيح الغيب»، وتفسير الإمام القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»؛ وذلك لمزيد عنايتهما بأسماء الله الحسنى، فلكلٍّ منهما مؤلف مستقل في شرح أسماء الله الحسنى، وقد سبقت الإشارة إلي ذلك، فقصدت أن أتتبع كلامهما عن أسماء الله تعالى في ثنايا تفسيرهما للآيات التي وردت فيها أسماء الله الحسنى. وأخيرًا: تفسير الإمام الطاهر بن عاشور[(٣)] «التحرير والتنوير»؛ لأنه تفسير معاصر واضح العبارة، بعيدٌ عن التعقيدات والغوامض، مع علو شأن مؤلفة في جانب اللغة والبلاغة.

٣) الرجوع إلى الكتب المفردة في شرح الأسماء الحسنى للاستفادة منها في إيضاح معاني الأسماء؛ ككتاب «المقصد الأسنى» للإمام الغزالي، وكتاب «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات» للإمام الفخر الرازي، وكتاب «الأسنى» للإمام القرطبي، وكتاب «شأن الدعاء» للإمام الخطابي[(٤)]، وكتاب «المنهاج في شعب الإيمان» للإمام الحليمي[(٥)]، وغيرها.

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري: أبو جعفر، توفي سنة ٣١٠هـ. من تصانيفه: «أخبار الرسل والملوك» يُعرف بتاريخ الطبري، و«جامع البيان في تفسير القرآن». [راجع: الأعلام، للزركلي (٦/٦٩)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٩/١٤٧)].

(٢) هو: محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو الثناء ولد ببغداد وتوفي بها في سنة ١٢٧٠هـ من تصانيفه: «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني»، وحاشية على شرح القطر في النحو. [راجع: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (١٢/١٧٥)، والأعلام، للزركلي (٧/١٧٦)].

(٣) هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، توفي بتونس ١٢٨٤هـ، ومن تصانيفه: «التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، و«مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«حاشيته على شرح التنقيح للقرافي»، وحاشية على القطر في النحو. [راجع: الأعلام، للزركلي (٦/١٧٣)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (ص: ٣٩٢)].

(٤) هو: حمد -وقيل أحمد- بن محمد بن إبراهيم البستي، أبو سليمان، توفي سنة ٣٨٨هـ. من تصانيفه: «معالم السنن» شرح أبي داود، و«غريب الحديث»، و«أعلام الحديث» شرح البخاري. [راجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (١٤/١٢٩)، وطبقات ابن السبكي (٣/٢٨٢)].

(٥) هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حَلِيم، أبو عبد الله، الحَلِيمي، تُوفي سنة ٤٠٣هـ. من تصانيفه: «المنهاج في شعب الإيمان». [راجع: طبقات ابن السبكي (٤/٣٣٤)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٣٥٠)].

٤) الاقتصار على المعاني الصريحة والواضحة في تفسير الأسماء الحسنى، وعدم الالتفات إلى المعاني البعيدة والموهمة، وأحيانًا أسرد الأقوال الواردة في شرح الاسم دون ترجيح؛ وذلك لعدم المُرجِّح مع كونها جميعًا محتملة، فالاختلاف بينها من اختلاف التنوع لا التضاد.

وغالبًا ما أذكر معنى الاسم في حقه تعالى، ثم أؤيده بنقل أو نقلين من كلام العلماء، ثم أذكر إحالات على كتب أخرى، **وأحيانًا** أقتصر على الإحالات بتصرفٍ في كلام العلماء دون نقله بنصِّه؛ وذلك طلبًا للاختصار وعدم التكرار.

٥) قمت بضبط الآيات القرآنية الكريمة وعزوها إلى سورها.

٦) قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها المعتمدة، مع الحكم على الأحاديث المذكورة في غير الصحيحين البخاري ومسلم بأحكام الحُفَّاظ القدامى إن وُجِدَتْ.

٧) ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا البحث، عدا المشهورين من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكذا رجال الأسانيد في الأحاديث ما لم تدع الحاجة إلى ذلك، كما لم أُترجم أيضًا للأعلام المعاصرين.

ولا يفوتني أن أذكر تنبيهين مهمين:

الأول: أن طول بعض فصول هذا البحث عن الفصول الأخرى **سَبَبُهُ:** ما اقتضته طبيعة هذه الفصول، وأقصد الفصل الثاني من الباب الأول، وفيه شرح أسماء الله تعالى، وأيضًا الفصل الثاني من الباب الثاني، وفيه شرح القيم المستنبطة من الأسماء الحسنى.

والثاني: أن العلماء قد بَيَّنوا مقاصد التأليف[(١)] وذَكَرُوا أنها تحقق في سبعة مقاصد أو ثمانية، ومن أجلها تُصَنَّف المصنفات ألا وهي: اختراع مَعدوم، أو جَمع مُتَفَرِّق، أو إكمال ناقص، أو تَفصيل مُجمل، أو اختصار مُطَوَّل، أو تَرتيب مُختَلط، أو تَعيين مُبهَم، أو تَبيين خَطَأ[(٢)].

---

(١) استفدت هذا من أخينا فضيلة الشيخ/ أحمد ممدوح سعد الشافعي، في رسالته التي حصل بها على درجة الماجستير من قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية في عام ٢٠١١م، وكانت بعنوان: «العام عند الأصوليين: دراسة تطبيقية قانونية في ضوء المقاصد الشرعية» بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد كمال الدين إمام، (ص: ٣٣)، وقد حصل عليها بأعلى تقدير تمنحه الجامعة: جيد جدًّا مع مرتبة الشرف.

(٢) قيل: إن أول من ذكرها: الفيلسوف أرسطو، ثم تتابع علماء المسلمين على ذكرها والتنبيه عليها، وأنه إذا خلا التأليف عن أحدها فإنه -في الغالب- لا قيمة له؛ ويمكن إجمالها في: اختراع معنى وابتكار مبنى؛ كما قال ابن =

ونَظَمها بعضهم؛ فقال:

ألا فـــاعلَمنْ أنَّ التـــآليفَ سَـــبعةٌ لكـــلِّ لَبيـــبٍ في النَّـــصيحة خـــالصِ

فـــشَرْحٌ لإغـــلاق وتَـــصحيحُ مُخطـــئ وإبـــداعُ حَـــبْرٍ مُقْـــدِمٍ غـــير نـــاكِصِ

وترتيـــبُ مَنشـــورٍ وجَمـــعُ مُفَـــرَّقٍ وتقـــصيرُ تَطويـــلٍ وتَتمـــيمُ نـــاقِصِ(١)

وممن فَصَّل الكلام عليها المؤرِّخ الاجتماعي الإمام عبد الرحمن بن خلدون(٢)؛ فقال بعد أن ذكرها وشرحها: "فهذه جِماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها، وما سوى ذلك ففِعلٌ غير محتاج إليه، وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء" اهـ(٣).

والمأمول أن تكون بعض هذه المعاني قد جاءت في هذا البحث، فقد حاولت أن أجمع فيه ما تفرق في الكتب من المعاني مرتبًا، وأن أختصر في النقول ما ليس له ضرورة دون إخلال بسياق الكلام، كما

= العربي المالكي في «عارضة الأحوذي» (١/ ٤): "ولا ينبغي لحصيف أن يتصدى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى أو يبتدع وصفًا ومتنًا، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويدُ الورق والتحلي بحِلية السُّرَق" اهـ. وممن ذكرها ونبه عليها أيضًا: ابن حزم الأندلسي في رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها (٢/ ١٨٦)، وكتابه: «التقريب لحد المنطق» ٤/ ١٠٣، ١٠٤ -كلاهما ضمن مجموعة رسائل ابن حزم-، وأبو حيان الأندلسي في «شرح التسهيل» (١/ ١١)، -وهو الذي زاد ثامنها، وهو: تعيين المبهم-، وابن خلدون في مقدمة تاريخه (١/ ٧٣١- ٧٣٣)، وابن الوزير اليماني في «إيثار الحق على الخلق» (ص: ٢٧)، والتلمساني في «أزهار الرياض»، (٣/ ٣٤، ٣٥)، والشمس البابلي الشافعي، كما في «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٩)، وفيه أنه كان ينهى عن التأليف، ويقول: "التأليف في هذه الأزمان من ضياعة الوقت؛ فإن الإنسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن واشتغل بتفهيمه: فذاك من أَجَلّ النِّعَم، وأبقى لذِكرِ العِلم ونَشره. والتأليف في سائر الفنون مَفروغٌ منه"، وإذا بلغه أن أحدًا مِن علماء عصره أَلّف كتابًا يقول: "لا يؤلف أحد كتابًا إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها"، ثم ذكرها.

(١) ذكر هذه الأبيات الشهاب التلمسانيُّ في «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، ٣/ ٣٥، ولم ينسبها لأحد.

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن، أبو زيد، الحضرمي، الأشبيلي الأصل، التونسي، ثم القاهري، المالكي، المعروف، كانت وفاته في سنة ٨٠٨هـ. من تصانيفه: «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» وضِمْن هذا الكتاب مقدمته الشهيرة، و«شرح البُرْدة». [راجع: إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني (٢/٣٣٩)، والنجوم الزاهرة، لابن تَغْري بَرْدي (١٣/١٥٩)].

(٣) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٧٣٢.

حاولت استكمالَ ما أشار إليها المتقدمون في بعض المسائل، وأيضًا شرحَ بعض المعاني بما يُقرِّبُها إلى الأفهام، وبذلت ما في وسعي أن أقدم شيئًا جديدًا ولو يسيرًا في جهة الأفكار والمعاني والنتائج.

وقد اجتهدت قدر طاقتي مع قلة بضاعتي أن يخرج هذا البحث في صورة حسنة على وفق ما يقتضيه البحث العلمي، ولله دَرُّ القاضي الفاضل[١] القائل في إحدى مكاتباته: "لا يَكتُبُ إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أَحسن، ولو زِيد لكان يُستَحسَن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل. وهذا مِن أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النَّقصِ على جُملة البَشَر" اهـ[٢].

واللهَ الكريمَ أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يبارك فيه وينفع به؛ فهو حسبي ونعم الوكيل.

وعلى الله قصد السبيل ..

***

(١) هو: عبد الرحيم بن علي البيساني العسقلاني المصري الدار، قيل: لو جُمِعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد، وهو مجيد في أكثرها، ومنها: «تَرَسُّل القاضي الفاضل»، و«الدر النظيم في تَرَسُّل عبد الرحيم»، توفي سنة ٥٩٦هـ. [راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣٣٩/٢١، ٣٤٠)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٢٠١/١٨)، والأعلام، للزركلي (٣٤٦/٣)].

(٢) نقله القنوجي في «أبجد العلوم»، ١/ ١٣.

تمهيد

ويتضمن أمورًا مهمة تتعلق بالأسماء الحسنى:

أولا: ورود مصطلح (الأسماء الحسنى) في القرآن الكريم:

وفيه:

* سبب نزول آية سورة الأعراف.

* معنى الإلحاد في أسمائه تعالى.

ثانيًا: أسماء الله تعالى في السنة النبوية المطهرة:

وفيه..

* معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أَحْصَاهَا» في الحديث الشريف.

* هل الإحصاء يقتضى الحصر؟ وهل يُفهم من الحديث أن أسماء الله تعالى محصورة في عدد معين؟ وما الحكمة من العدد المذكور في الحديث؟

* حول الروايات التي ورد فيها سرد أسماء الله تعالى.

ثالثًا: أسماء الله تعالى.. أهي توقيفية أم اجتهادية؟

وفيه..

* الكلام عن المقدمات، وفيه مطلبٌ في الفرق بين الاسم والصفة.

* تحرير محل النزاع.

* الأقوال والمذاهب والآراء.

* الأدلة.

* المناقشة والترجيح.

* بيان أدلة الرأي المختار.

* مسألة إحصاء أسماء الله الحسني وإطلاقها عليه تعالى.. أهي عقدية أم فقهية؟

* أهم النتائج.

أولاً: ورود مصطلح (الأسماء الحسنى) في القرآن الكريم:

وصف الله تعالى أسماءه بالحسنى في أربعة مواضع في القرآن الكريم، هي:

في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾(١).

وفي سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢).

وفي سورة طه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾(٣).

وفي سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٤).

وقفات مهمة تتعلق بهذه الآيات الأربع:

سبب نزول آية سورة الأعراف:

ذكروا في سبب نزولها: أن رجلا دعا الله عز وجل في صلاته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون ربًّا واحدًا، فما بال هذا يدعو اثنين! فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا .. الآية﴾(٥).

فَفُهِم من هذا أن أسماءه تعالى كثيرة، والمسمى واحد وهو الله عز وجل.

معنى الإلحاد في أسمائه تعالى:

الإلحاد: الميل عن وسط الشيء إلى جانبه، ومن هذا المعنى تشتق باقي معاني الإلحاد وتُرد إليه، كالتعبير عن ترك القصد والاستقامة بالإلحاد، وغير ذلك، ولما كان وسط الشيء كأنه الحق

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٨.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٥) يُنظر: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢/ ٢٥٣. وذكر الإمام ابن جرير الطبري قريبًا من ذلك عند تفسير آية سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠] يُراجع: جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٧/ ٥٨٠.

والصواب، استتبع ذلك تسمية العدول عن الحق إلى الباطل بالإلحاد، فأطلق الإلحاد على الكفر والإفساد.

نقل الإمام الفخر الرازي عن بعض المحققين قولَهم بأن الإلحاد في أسمائه تعالى يقع على ثلاثة أوجه:

الأول: إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله، مثل أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة، ومن ذلك أنهم سموا أصنامًا لهم باللات والعزى والمناة، واشتقاق اللات من الإله، والعزى من العزيز، واشتقاق مناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب يلقب نفسه بالرحمن.

والثاني: أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه أبًا للمسيح، وقول جمهور النصارى أب وابن وروح القدس، ومثل أن الكرَّامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيهاً مستحقاً للذم، وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب.

والثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه فإنه ربما كان مسماه أمراً غير لائق بجلال الله فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء(١).

واختار الإمام الطاهر بن عاشور وجهًا آخر في بيان معنى الإلحاد، وهو أن يُنفى عن الله تعالى بعض أسمائه التي ثبتت له، حيث قال: "ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهرا من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته تعالى بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له، وهو الأحق بكمال مدلولها"(٢).

ثانيا: أسماء الله تعالى في السنة النبوية المطهرة:

جاء في صحيح الإمام البخاري(٣) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٥/ ٥٩. ويُنظر نحو هذا في: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٧/ ٣٢٨.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٩/ ١٨٩.

(٣) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله، البخاري، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. ألَّف كتابه: «الجامع الصحيح» الذي هو أوثق كتب الحديث. وله أيضًا: «التاريخ»، و«الضعفاء»، و«الأدب المفرد» =

اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

وفي رواية للإمام مُسْلِم(٢) في صحيحه: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»(٣).

ولنا هنا وقفات مهمة:

أولها: ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أَحْصَاهَا»؟

ذكر العلماء أن لفظ «أَحْصَاهَا» في الحديث يحتمل وجوهًا، ولم يُرجِّحوا وجهًا على آخر، والاختلاف فيها من اختلاف التنوع لا التضاد، وممن استوفى هذه الوجوه أو معظمها الحافظ ابن حجر(٤) في «الفتح»، ويُفهم من صنيعه -من سرد الأقوال بلا ترجيح، بل إيراده مناقشات في الرد على ترجيح بعضها- ما تقدَّم.

وفيما يلي تفصيل الوجوه في معنى الإحصاء الوارد في الحديث(٥):

=

وغيرها. [راجع: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي (٣/٩٥٨)، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٢/٣٢٢)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدًا، حديث رقم: (٦٩٥٧)، ٦/ ٢٦٩١.

(٢) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري، النيسابوري، المولود سنة ٢٠٤هـ، والمتوفى سنة ٢٦١هـ. من أشهر كتبه «صحيح مسلم»، الذي يلي صحيح البخاري من حيث الصحة، وله أيضًا: «العلل»، وكتاب «سؤالات أحمد»، وكتاب «أوهام المُحَدِّثين». [راجع: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٥/١٢١)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (٢/١٢٥)].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بابٌ في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم: (٢٦٧٧)، ٤/ ٢٠٦٢.

(٤) هو: أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل، شهاب الدين، الكناني العسقلاني، المصري الشهير بـ(ابن حَجَر)، تُوفي سنة ٨٥٢هـ. زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنَّفًا، ومنها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«الدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية»، و«تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» وغيرها. [راجع: حسن المحاضرة، للسيوطي (١/٣٦٣)، ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لابن فهد (١/٢١١)، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (٢/٣٦)].

(٥) استفدت في هذا كثيرًا من المراجع التالية: شأن الدعاء للخطابي تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٢٦: ٢٩. وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٥: ٢٢٧. وشرح النووي على مسلم، ١٧/ ٦،٥.

=

الوجه الأول: أن الإحصاء بمعنى العد، أي: يعدها حتى يستوفيها حفظًا ويدعو ربَّه بها، و يثني عليه بجميعها، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[١]. واستظهره الإمام الخطابي واستدل له بقوله ﷺ في الرواية الأخرى: «مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وبه فسَّر الإمام البخاري الحديث في صحيحه. واختاره الإمام النووي[٢]، وقال في شرح صحيح مسلم: "قال البخاري وغيره من المحققين: معناه، حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مُفَسَّرًا في الرواية الأخرى"[٣]، وقد مرَّت.

وقال في «الأذكار»: "معنى «أحصاها»: حفظها، هكذا فسره البخاري والأكثرون، ويؤيده أن في رواية في الصحيح: «مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»"[٤]، وقد مرَّت.

وممن قال بهذا الوجه أيضًا ابن عطية[٥] حيث قال في تفسيره: "ومعنى أحصاها: عدَّها وحفظها، وتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها"[٦].

=

والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ١/ ٥٢: ٥٥. ومعهم أيضًا: كتاب: «عقيدتنا»، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد ربيع جوهري، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة بجامعة الأزهر وعميدها السابق، ص: ٩١.

(١) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٢) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٧/ ٦. والإمام النووي هو: يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام، أبو زكريا، محيي الدين، النووي، الدمشقي، المولود تُوفي سنة ٦٧٦هـ. أكثر من التصانيف، ومنها: «الروضة»، و«المجموع»، و«شرح المهذب»، و«شرح صحيح مسلم»، و«كتاب الأذكار». [راجع: طبقات ابن السبكي (٨/ ٣٩٥)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٣)].

(٣) المرجع السابق، ١٧/ ٥.

(٤) الأذكار، للإمام النووي، ص: ١٩٤. ط: ابن حزم.

(٥) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، أبومحمد توفي سنة ٥٤١هـ، وقيل: ٥٤٦هـ. له: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". [راجع: الأعلام، للزركلي (٣/ ٢٨٢)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٦٠، ٦١)].

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٢/ ٤٨١.

وقد ناقش هذا الحافظ ابن حجر في «الفتح» فقال: "وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ «حَفِظَهَا» تعين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي "(١).

الوجه الثاني: أن المراد بالإحصاء: الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾(٢)، أي: لن تطيقوه، وكقول النبي ﷺ: «اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(٣).

فيكون المعنى: أن يطيق الأسماء الحسنى ويُحسن مراعاتها، ويعمل بمقتضاها، ويعتبرها، فيلزم نفسه بواجبها. فإذا قال: يا رحمن يا رحيم، تذكر صفة الرحمة، واعتقد أنها من صفات الله سبحانه، فيرجو رحمته و لا ييأس من مغفرته. وإذا قال: «السميع البصير» علمَ أنه يراه و يسمعه، وأنه لا تخفى عليه خافية، فيخافه في سره وعلنه ويراقبه في كافة أحواله.

و إذا قال: «الرزاق» اعتقد أنه المتكفل برزقه يسوقه إليه في وقته، فيثق بوعده، ويعلم أنه لا رازق له سواه ..إلى غير ذلك(٤).

الوجه الثالث: أن الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة والإحاطة، مأخوذٌ من الحصاةِ، وهي العَقْلُ، والعرب تقول: فلان ذو حَصَاةٍ، أي: ذو عقلٍ ومعرفةٍ وإحاطةٍ بالأمور.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٦.

(٢) سورة المُزَّمِّل، الآية: ٢٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: المحافظة على الوضوء، حديث رقم: (٢٧٧)، ١/ ١٠١. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (١/ ٤١): "هذا الحديث رجاله ثقات أثبات إلا أنه منقطع بين سالم وثوبان؛ فإنه لم يسمع منه بلا خلاف. لكن له طريق أخرى متصلة أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده، وأبو يعلى الموصلي، والدارمي في مسنده، وابن حبان في صحيحه من طريق حسان بن عطية أن أبا كبشة حدثه أنه سمع ثوبان".

وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٤٤٩)، ١/ ٢٢١. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجاه ولست أعرف له علة يعلل بمثلها مثل هذا الحديث إلا وهم من أبي بلال الأشعري وهم فيه على أبي معاوية". قال الذهبي في التلخيص: "على شرطهما، ولا علة له سوى وهم أبي بلال الأشعري". قلت: فالحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٤) راجع: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٢٧، ٢٨. وفتح الباري لابن حجر، ١١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

فيكون المعنى: أن من عرفها وأحاط بمعانيها، وآمن بها دخل الجنة[١].

الوجه الرابع: أن معنى الحديث: أن يقرأ القرآن حتى يختمه فيستوفي هذه الأسماء كلَّها في أضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة؛ وذلك لكونه مستوفيًا لها فمن تلاه ودعا بما فيه من الأسماء حصل له المقصود[٢].

وقد ضعَّف هذا الوجه الإمام النووي[٣].

ونُوقش هذا الوجه بأن من يَفعل هذا قد يفوته بعض الأسماء الواردة بالأحاديث النبوية الزائدة على القرآن الكريم[٤].

ثانيها: هل الإحصاء يقتضى الحصر؟ وهل يُفهم من الحديث أن أسماء الله تعالى محصورة في عدد معين؟ وما الحكمة من العدد المذكور في الحديث؟

الإحصاء والحصر:

ممَّا تَجْدُر الإشارة إليه هنا: أن هناك فرقًا بين الإحصاء والحصر، وقد سبق بيان المراد بالإحصاء الوارد في الحديث، ومُحَصَّلُ ذلك: أن على المسلم أن يجمع تسعة وتسعين اسمًا ويحفظها، ويعتقد أنها من أسماء الله تعالى وكمالاته، وأن يتخلق بما فيها على قدر طاقته البشرية، فهذا غاية ما يُطْلَب من المسلم ليَحْصُل له الثواب الموعود من دخول الجنة. وليس المراد من الحديث أن يقوم المسلم بحصر أسماء الله تعالى في تسعة وتسعين اسمًا بعينها وينفي أن غيرها من أسماء الله الحسنى ليتحقق له الوعد المذكور في الحديث.

هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الجمهور من علماء الأمة على أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في تسعة وتسعين اسمًا، وسيأتي توضيح ذلك.

وقد أشار لهذا فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير -رحمه الله تعالى-، حيث قال: "إن إحصاء الأسماء الحسنى غير حصرها، والمطلوب من المسلم هو إحصاء تسعة وتسعين اسما

---

(١) راجع: المرجعين السابقين.

(٢) راجع: المرجعين السابقين.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٧/ ٦.

(٤) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ١/ ٥٥.

بمعنى فهم معناها والإيمان بدلالتها على التقديس والتمجيد لله عز وجل، والالتزام بها في سلوكيات الحياة، والانطلاق منها إلى عمل الخير وخير العمل..

فدخول الجنة مرتبط بإحصاء تسعة وتسعين اسما وليس بحصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين اسمًا.

وعندما ألحق العلماء سرد تسعة وتسعين اسما بهذا الحديث الشريف كان ذلك على سبيل تقديم نموذج لهذا العدد ييسر للمسلم الإحصاء وليس الحصر "[1].

أما مسألة هل أسماء الله تعالى محصورة في عدد معين؟

فجوابها كما يلي:

ذهب جمهور العلماء إلى أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في عدد معين، وأن مقصود الحديث: أنَّ هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء في هذا العدد.

وقد نقل الإمام النووي اتفاق العلماء على ذلك، فقال: "اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي[2] عن

---

(١) بيانٌ للناس، حول كتاب أسماء الله الحسنى للدكتور/ محمود عبد الرازق الرضواني، تأليف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر، ص: ١٧، ١٨.

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بـ«ابن العربي»، الأندلسي المولود سنة ٤٦٨هـ، والمتوفى سنة ٥٤٣هـ. من تصانيفه: «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»، و«أحكام القرآن»، و«المحصول في علم الأصول»، و«مشكل الكتاب والسنة»، و«العواصم من القواصم». [راجع: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، (ص: ٢٨١)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (ص: ١٣٦)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٣٠)].

بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها[(١)]، والله أعلم "[(٢)].

وقال الإمام الخطابي في كتابه: «شأن الدعاء» في بيان ما يُفيده حديث: «إنَّ لله تِسْعَةً وتسْعِيْنَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَةَ»: "فيه إثباتُ هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه نفيُ ما عَداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكْر لهذه الأسماء؛ لأنها أشهر الأسماء، وأبينها معانيَ وأظهُرها، وجملةُ قَوْلِهِ: «إنَّ لله تِسْعَةً وتسْعِيْنَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَةَ» قضيةٌ واحدةٌ لا قضيتانِ، ويكون تمامُ الفائدةِ في خَبَرِ "إنَّ" في قوله: «مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الجنة»، لا في قولِهِ: "تسعةً وتسعينَ اسْمًا"، وإنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألفَ درهم أعدها للصَّدَقَةِ. وكقولك: إن لعمرو مائةَ ثوب مَنْ زارَهُ خَلَعَها عَلَيهِ. وهذا لا يدلُّ على أنه ليس عندهُ من الدراهم أكثر مِنْ ألفِ درهم، ولا مِنَ الثياب أكثر مِنْ مائةِ ثوبٍ، وإنما دِلالتُهُ: أن الذي أعده زيدٌ من الدراهم للصَّدقة ألف درهم، وأن الذي أرْصَدَه عمرو من الثياب للخَلْعِ مائة ثوب "[(٣)].

---

(١) كلام الإمام أبي بكر بن العربي في كتابه: «أحكام القرآن»، راجَعَ أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ٣/ ٥٨٠. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٧/ ٥. والحديث المذكور: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٧١٢)، ١/ ٣٩١. وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٧٢)، ٣/ ٢٥٣. واللفظ لابن حبان. قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" عن هذا الحديث: " صححه ابن حبان وغيره". يُنظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ٤/ ٣٢١. ط/١: مؤسسة قرطبة – مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. وقال نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": " رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، إلا أنه قال: «وذهاب غمي». مكان «همي». والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثَّقه ابن حبان". يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ١٠/ ١٣٦. وهو مروي عن ابن مسعود ﷺ، ونصُّه: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قالوا: يا رسول الله ، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟، قال: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ».

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٢٣، ٢٤.

وذهب الإمام ابن حزم الظاهري[1] إلى القول بأن العدد في الحديث للحصر، وإن الله عز وجل له تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحد، كما جاء التأكيد بذلك في إحدى روايات الحديث، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام: «مائة غير واحد» كذبًا، ومن أجاز هذا فهو كافر[2].

وقد ناقش الحافظ ابن حجر في "الفتح" هذا بأن ما قاله ليس بحجة؛ لأن الحصر المذكور إنما هو باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى أن الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك فقد أخطأ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد[3].

قلت: ومبنى المسألة على العدد المذكور في الحديث.. أَلَهُ مفهومٌ أم لا؟

والجمهور على الثاني، من أن العدد المذكور في الحديث ليس له مفهوم، وأن المراد ترتيب حصول الثواب الموعود وهو دخول الجنة على حصر تسعة وتسعين اسمًا من أسمائه تعالى وهي كثيرة.

والإمام ابن حزم على أن العدد المذكور في الحديث له مفهوم، ومن ثَمَّ لا تجوز الزيادة عليه، مع أنه غير قائلٍ بالمفهوم ولا يحتج به أصلا، فكيف يقول به هنا؟!

إذن بقي بيان الحكمة من تخصيص هذا العدد بالذكر في الحديث:

تكلم العلماء –ومنهم الإمام الفخر الرازي في شرح الأسماء[4]– عن سرِّ هذا العدد المخصوص بكلام طويل، وللعلماء في ذلك مسلكان؛ **الأول:** أن الحكمة من هذا العدد معقولة المعنى، ثم أخذوا يبحثون عنها، وذكروا لذلك تأويلات مختلفة، منها:

أنه إنما خص هذا العدد إشارة إلى أن الأسماء لا تؤخذ قياسًا.

وقيل: إن معاني الأسماء ولو كانت كثيرة جدًّا إلا أنها موجودة في التسعة والتسعين المذكورة.

---

(١) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، الظاهري، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ. من تصانيفه: «المحلى» في الفقه، و«الإحكام في أصول الأحكام» في أصول الفقه، و«طوق الحمامة» في الأدب. [راجع: النجوم الزاهرة، لابن تَغْري بَرْدي (٥/٧٥)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (١/٣٧)].

(٢) يُراجع: المُحَلَّى بالآثار للإمام ابن حزم الظاهري، ١/ ٥٠، ٥١. ط: دار الفكر – بيروت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٢٢١ بتصرف.

(٤) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ٥٠: ٥٤.

وقيل في الحكمة في ذلك: إن العدد زوج وفرد، والفرد أفضل من الزوج ومنتهى الأفراد من غير تكرار تسعة وتسعون لأن مائة وواحدًا يتكرر فيه الواحد، وإنما كان الفرد أفضل من الزوج لأن الوتر أفضل من الشفع، لأن الوتر من صفة الخالق والشفع من صفة المخلوق، والشفع يحتاج للوتر من غير عكس.

وقيل: الكمال في العدد حاصل في المائة؛ لأن الأعداد ثلاثة أجناس آحاد وعشرات ومئات، والألف مبتدأ لآحاد أخر فأسماء الله مائة استأثر الله منها بواحد وهو الاسم الأعظم فلم يطلع عليه أحدًا. فكأنه قيل: مائة لكن واحد منها عند الله.

وقيل: ليس الاسم الذي يكمل المائة مخفيًّا بل هو لفظ الجلالة، وقد جزم بعض العلماء بذلك، فقال: الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة، والذي يكمل المائة لفظ الجلالة (الله)، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١]، فالتسعة والتسعون لله فهي زائدة عليه وبه تكمل المائة[٢].

والمسلك الثاني: أن الحكمة في ذلك تعبدية لا يعقل معناها، ولم يُطْلِعْنَا الله تعالى عليها، ومن ثَمَّ ارتأى تفويض علم ذلك إليه سبحانه وتعالى؛ فهو كعدد الصلوات ونحوها، والله تعالى أعلم.

وقد اختار الإمام الفخر الرازي المسلك الثاني[٣]، وأميل إلى ما اختاره الإمام الفخر؛ إذ إن ما ذكروه من تأويلات هي من باب تقريب المعاني للعقول، ولكن ليس لها أدلة شرعية تستند إليها عند التحقيق.

ثالثها: حول الروايات التي ورد فيها سرد أسماء الله تعالى:

جاء سرد الأسماء من ثلاثة طرق:

الأولى: ما أخرجه الترمذي في سننه[٤]، وابن حبان[١] في صحيحه[٢]، والحاكم[٣] في مستدركه على الصحيحين[٤]، والبيهقي[٥] في سننه الكبرى[٦]. كلهم من طريق الوليد بن مسلم، قال: أخبرنا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) يُراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢١.

(٣) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ٥٠.

(٤) سنن الترمذي، كتاب: الدعوات، بابٌ منه، حديث رقم (٣٥٠٧)، ٥/ ٥٣٠.

شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ..».

قال الإمام الترمذي عقب ذكره هذا الحديث: "هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان ابن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح "(٧).

"ولم ينفرد به صفوان بن صالح -كما قال الترمذي-؛ فقد أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»(٨) من طريق موسى بن أيوب النصيبي، وهو ثقة عن الوليد بن مسلم. وهذه الطريق هي أحسن الطرق على ضعف فيها"(٩).

=

(١) هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، البستي. نسبته إلى (بُست) في سجستان توفي سنة ٣٥٤هـ. من مصنفاته: «المسند الصحيح» المشهور بـ«صحيح ابن حبان» في الحديث، و«روضة العقلاء» في الأدب، و«الثقات» في رجال الحديث. [راجع: الأعلام، للزركلي (٧٨/٦)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٤/ ٢٨٥)].

(٢) صحيح ابن حبان، حديث رقم (٨٠٨)، ٣/ ٨٨.

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطّهماني النيسابوريّ، الشهير بالحاكم، توفي سنة ٤٠٥هـ. من تصانيفه: «المستدرك على الصحيحين»، و«تاريخ نيسابور»، و«معرفة علوم الحديث»، وغيرها الكثير. [راجع: الإعلام، للزركلي، (٢٢٧/٦)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٦٠٨/٣)، طبقات ابن السبكي (١٥٥/٤)].

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، حديث رقم: (٤١)، ١/ ٦٢.

(٥) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي، نسبة إلى بيهق، وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور توفي سنة ٤٥٨هـ. من تصانيفه: «السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، و«الأسماء والصفات»، و«مناقب الشافعي»، وغيرها الكثير. [راجع: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (١/ ١٢٠، ١٢١)، وشذرات الذهب في أخبار مَنْ ذَهَبَ، لابن العماد الحنبلي (٢٤٨/٥، ٢٤٩)، والأعلام، للزركلي (١١٦/١)].

(٦) السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب: الأيمان، باب: أسماء الله عز وجل تناؤه، حديث رقم (١٩٦٠٢)، ١٠/ ٢٧.

(٧) سنن الترمذي، ٥/ ٥٣٠.

(٨) الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ١/ ٢٢: ٢٤.

(٩) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ١/ ٥٧، ٥٨.

وقال الحاكم بعد ذكره هذا الحديث في مستدركه: "هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، **والعلة فيه عندهما:** أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر أسامي فيه ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافًا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب، ثم نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين عن أيوب السختياني وهشام بن حسان جميعا عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بطوله".

علَّق الذهبي(١) في التلخيص بقوله: "لم يخرجا -يعني الشيخين- الأسامي لتفرد الوليد بها، وليس ذا بعلة؛ فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش".

ورد الحافظ ابن حجر في «الفتح» على هذا بقوله: "وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط؛ بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج"(٢).

الثانية: ما أخرجه ابن ماجه(٣) في سننه(٤) من طريق عبد الملك ابن محمد الصنعاني حدثنا زهير بن محمد التميمي حدثنا موسى بن عقبة حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به مع اختلاف في سرد الأسماء ونقص وتقديم وتأخير.

قال البوصيري(٥) في «الزوائد»: "لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه، والترمذي، مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب.

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله، شمس الدين الذهبي. توفي سنة ٧٤٨ هـ. من تصانيفه: «الكبائر»، و«تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء»، وغيرها. [راجع: النجوم الزاهرة، لابن تَغْري بَرْدي (١٠/١٨٢)، الأعلام، للزركلي (٥/٣٢٦)].

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢١٥.

(٣) هو: محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه توفي سنة ٢٧٣هـ. من أهم تصانيفه: «سنن ابن ماجه»، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله «تفسير القرآن» وكتاب في «تاريخ قزوين». [راجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (١٢/٢٥٨)، والأعلام، للزركلي (٧/١٤٤)].

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: أسماء الله عز وجل، حديث رقم (٣٨٦١)، ٢/ ١٢٦٩.

(٥) هو: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعيّ، تُوفي سنة ٨٤٠ هـ. من تصانيفه: «فوائد المنتقي لزوائد البيهقي»، و«زوائد ابن ماجه»، و«تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب =

قال: وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد"[١].

الثالثة: أخرجها الحاكم من طريق خالد بن مخلد القطواني ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به.

قال الحاكم: "عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة وإن لم يخرجاه".

فتعقبه الذهبي وعلَّق عليه في «التلخيص» بقوله: "بل ضعَّفوه"[٢]، يعني: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان.

-تعليقات الأئمة والعلماء على الروايات التي فيها سرد الأسماء:

قال الإمام البيهقي: "ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح"[٣].

وقال الإمام ابن كثير[٤] في تفسيره: "والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ: أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي: أنهم جمعوها من القرآن، والله أعلم"[٥].

=

والترهيب»، و«إتحاف المَهرة بزوائد المسانيد العشرة». [راجع: الضوء اللامع، للسخاوي (١/ ٢٥١)، والأعلام، للزركلي (١/ ١٠٤)].

(١) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، ٤/ ١٤٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، حديث رقم: (٤٢)، ١/ ٦٣.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ١/ ٣٢.

(٤) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري، ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير عماد الدين أبي الفداء كانت وفاته سنة ٧٧٤هـ، من تصانيفه: «تفسير القرآن العظيم»، و«البداية والنهاية» في التاريخ، و«اختصار علوم الحديث». [راجع: النجوم الزاهرة، لابن تَغْري بَرْدي (١١/ ١٢٣)، الأعلام، للزركلي (١/ ٣٢٠)].

(٥) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٣/ ٥١٥ بتصرف يسير.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: "واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر عن بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم؛ لأن كثيرًا من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونُقِلَ هذا عن كثير من العلماء"(١).

وقال أيضًا في «بلوغ المرام»: "والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة"(٢).

وقال الأمير الصنعاني(٣) في «سبل السلام»: "اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة"(٤).

فيتلخص مما سبق: أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث ولا يصح رفعها.

تنبيه مهم:

تبيَّن مما سبق أن الحديث الذي ورد فيه تعديد الأسماء التسعة وتسعين اسمًا المشتهرة وتعيينها لا يصح رفعه، ولكن لا بأس باعتماد هذا التعيين المذكور فيه، خاصة وأن الأمة قد تلقته بالقبول على مر العصور. بل جرى عمل العلماء والمتصدرين لشرح أسماء الله الحسنى غالبًا بالسير على ما في روايته من أسماء حتى مع مراعاة الترتيب الوارد فيها.

ولا مانع من أن يكون هذا الجمع من اجتهاد الوليد بن مسلم أو من نقله عن اجتهاد مشايخه. والوليد بن مسلم وإن كان عليه انتقاد في جانب الرواية إلا إنه إمام كبير في جانب الدراية(٥)، ويؤخذ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢١٥ بتصرف يسير جدًّا.

(٢) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، ١٨٣/٢.

(٣) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، أبو إبراهيم، المؤيد بالله، الصنعاني، المعروف كأسلافه بـ«الأمير»، تُوفي سنة ١١٨٢هـ من تصانيفه: «توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار»، و«سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام»، و«اليواقيت في المواقيت»، و«إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد». [راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١٣٣/٢)، وفهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي الكتاني (٥١٣/١)].

(٤) سبل السلام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، ٢/ ٥٥٤.

(٥) هو: الوليد بن مسلم، أبو العباس، الدمشقي، مولى بني أمية، الحافظ، صاحب الأوزاعي، توفي سنة ١٩٥هـ. له سبعون كتابًا في الحديث قد لا يبلغ أحدها مجلدًا. [راجع: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (١٤٧/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (٨٦/٣١)، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي (٩/ ٢١١)].

باجتهاده في مثل هذه الأمور باعتبار أنها من الفروع التي يُكتفى فيها بالظن وسوف أُبَيِّن هذا بشيء من التفصيل في عنوان مستقل حول: أسماء الله تعالى.. أهي توقيفية أم اجتهادية؟

أما القول بعدم قبول اجتهاده لضعفه في الحديث فهو مردود، وإلا لقلنا بعدم قبول اجتهادات الإمام أبي حنيفة الفقهية لضعفه في الحديث[١]، فهل لنا أن نقول بذلك؟!

وقد اجتهد علماء الأمة في تعيين هذه الأسماء التسعة وتسعين كما جاء في كتبهم، وهذه المحاولات منهم، كلها اجتهادات مقبولة، ويجوز للمسلم تقليد إحداها، ولا ينبغي أن يعلن أحدهم أنه اكتشف خطأ الأمة في اختيارها حديث الترمذي أو غيره من الطرق الأخرى، وأقصى ما يكون له أن يساهم بمساهمته كما فعل الأئمة ابن حجر، والقرطبي، وابن تيمية[٢]، وغيرهم، فهو بذلك وقع في إلغاء ما عوَّل عليه العلماء، ومن الأمور شديدة الوقع، أن يعمد المجتهد -إن كان مجتهدًا- لإلغاء ما قبله من أقوال، كما أنه ليس له أن يصوِّر للناس أنه جاء بجديد؛ فقد سلك قبله الأئمة هذا المسلك، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفهم.

إذن فحصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسمًا فقط، والقطع بأنها هي المعْنية بعينها في حديث رسول الله ﷺ محض خطأ وإن شذت طائفة فقالت به. فأسماء الله تعالى كلها حسنى، وهناك تسعة وتسعين اسمًا مندوب إحصاؤها.

(١) هو: النعمان بن ثابت بن كاوس بن هُرْمُز، المكنى بأبي حنيفة، وإليه يُنسب المذهب المشتهر، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ ونشأ بها، وتوفي سنة ١٥٠هـ. من تصانيفه: مسندٌ في الحديث، و«المخارج» في الفقه، وتنسب إليه رسالة «الفقه الأكبر» في الاعتقاد، ورسالة «العالم والمتعلم». وقد ضعَّفه في الحديث جمع من أهل العلم منهم: ابن المبارك والثوري ويحيي القطان وابن معين والبخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن عدي وابن حبان وغيرهم. [راجع: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر القرشي (٢٦/١)، والأعلام للزركلي (٣٦/٨) - ويُراجع: «المجروحين»، لابن حبان، (٦٠/٣: ٧٣). و«الجرح والتعديل»، لابن أبي حاتم، (٤٤٩/٨، ٤٥٠). و«تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي، (٤٤٤/١٥: ٤٨٥)].

(٢) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية مات معتقلًا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ له تصانيف كثيرة منها: «الفتاوى»، و«السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، و«درء تعارض العقل والنقل». [راجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (١٦٨/١)، والأعلام، للزركلي (١٤٤/١)].

وبما مر يتضح لنا أن أسماء الله الحسنى غير محصورة في التسعة والتسعين اسمًا الواردة في الحديث، وأن هناك طرقًا لتعيين هذا العدد لا يُنكر على من اتبع أيًّا منها، والله أعلم.

ثالثًا: أسماء الله تعالى.. أهي توقيفية أم اجتهادية؟

١- الكلام عن المقدمات، وفيه مطلبٌ في الفرق بين الاسم والصفة:

في الفرق بين الاسم والصفة؛ ذكرت في المقدمة معنى الاسم من حيث اللغة، وأنَّ له معنيين بناء على اختلاف اللغويين في أصل اشتقاقه، وهنا أُبيِّن معنى الاسم في اصطلاح المتكلمين، فأقول: الاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على الذات[(١)].

أما الصفة فتطلق لغة على الأمارة اللازمة للشيء[(٢)]. وعند المتكلمين: ما دل على معنى زائد عن الذات[(٣)].

فالفرق بينهما في زيادة دلالة الصفة على دلالة الاسم؛ إذ إن الصفة تدل على الذات وزيادة وصفية.

ولفظ الجلالة (الله) لا يدل إلا على الذات المقدسة نفسها دون معنى زائد، وذلك على القول بعدم اشتقاقه، وعلى قول من قال بأنه مشتق فإنه يدل على الذات وعلى معنى آخر معها يختلف باختلاف أصل اشتقاقه، سواء من الألوهية أو غيرها. وهناك من أسماء الله تعالى ما يدل على ذاته تعالى مع زيادة معنى آخر وهو اسم: (الرحمن). وباقي أسمائه تعالى تدل على الذات باعتبار الصفة؛ كـ(العالم، والقادر) ونحوهما.

---

(١) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٨. وشرح المقاصد، للإمام: سعد الدين مسعود التفتازاني، ٢/ ١٧١. وشرح جوهرة التوحيد، للإمام البيجوري، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠.

(٢) تُراجع مادة (وصف) في: مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ١١٥. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٥٢٥

(٣) يُنظر: شرح المقاصد، للإمام: سعد الدين مسعود التفتازاني، ٢/ ١٧١. وشرح جوهرة التوحيد، للإمام البيجوري، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠.

٢- تحرير محل النزاع:

اتفق العلماء على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تبارك وتعالى إذا ورد إذن الشرع، كما اتفقوا على عدم جوازه إذا ورد المنع.

واختلفوا فيما لم يرد به إذن ولا منع وكان الباري موصوفاً بمعناه، ولم يكن إطلاقه عليه مما يستحيل في حقه سواء على جهة التسمية أو الوصف.

٣- الأقوال والمذاهب والآراء:

اختلفت أقوال العلماء وتعددت آراؤهم ومذاهبهم في هذا المسألة، ونذكر أهمها فيما يلي:

القول الأول: المنع؛ وبه قال جمهور الأشاعرة، وابن حزم الظاهري، فذهبوا إلى القول بأنه لا يجوز إطلاق شيء من ذلك على الباري سبحانه وتعالى لا على وجه التسمية أو الوصف، فلا يثبت لله تعالى اسمًا ولا وصفًا إلا إذا ورد به توقيف من الشرع(١).

القول الثاني: الجواز؛ وهو قول المعتزلة والكرَّامية، وإليه مال القاضي أبو بكر الباقلاني(٢) من الأشاعرة، حيث قالوا: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله سبحانه جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى سواء على سبيل التسمية أو الوصف، ورد التوقيف به أو لم يرد، بشرط أن يدل على الكمال، وألا يكون موهمًا ما لا يليق به سبحانه وتعالى(٣).

---

(١) يُنظر: شرح المواقف، للإمام عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ٣/ ٣١٢، ٣١٣. وشرح المقاصد، للإمام سعد الدين مسعود التفتازاني، ٢/ ١٧١. وشرح جوهرة التوحيد، للإمام البيجوري، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠. والفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، ٢/ ١٢٤.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، المعروف بـ«القاضي أبي بكر الباقلاني»، ولد سنة ٣٣٨هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ. من مصنفاته: «الإنصاف»، و«مناقب الأئمة»، و«دقائق الكلام»، و«الملل والنحل»، وغيرها. [راجع: تاريخ بغداد، للخطيب (٣/٣٦٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/١٩٠)].

(٣) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٨. وشرح المواقف، للإمام عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ، ٣/ ٣١٢، ٣١٣. وشرح جوهرة التوحيد، للإمام البيجوري، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠. والباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، ص: ٥١٩. (رسالة دكتوراه مطبوعة)، ط: مطبعة الأمة، بغداد – العراق، ١٩٨٦م. وأشار إلى قول الباقلاني أيضًا فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد ربيع جوهري، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة بجامعة
=

القول الثالث: التفصيل؛ وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حامد الغزالي من التفصيل والتفرقة بين الاسم والوصف، فقال بجواز الإطلاق في جانب الوصف دون التسمية من غير توقف على توقيف الشارع، فما يرجع إلى الأسماء فالإطلاق فيه موقوف على الإذن، وما يرجع إلى الوصف فغير موقوف على الإذن، فيباح الصادق دون الكاذب -أي من الوصف-، وتابعه في ذلك الإمام الفخر الرازي واختاره(١).

القول الرابع: التوقف؛ وإليه ذهب إمام الحرمين الجويني أبو المعالي(٢)، حيث قال: "ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نَقْض فيه بتحليل ولا تحريم؛ فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد السمع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم من غير شرع، لكنا مثبتين حكما دون السمع "(٣).

١- الأدلة:

أدلة القول الأول:

استدل المانعون من جمهور الأشاعرة وغيرهم على المنع من إطلاق لفظ على الله سواء على جهة التسمية أو الوصف إلا بورود الإذن من الشرع بما يلي:

أنه لو جاز الإطلاق من غير إذن من الشارع لجاز إطلاق ألفاظ كثيرة عليه سبحانه وتعالى مرادفة للفظ العالِم: كالعارف والفقيه والداري والفهم والموقن والعاقل والفطن والطبيب واللبيب؛

=

الأزهر وعميدها السابق، في كتابه: «عقيدتنا»، ص: ٨٥. وخرَّج فضيلته كلام الباقلاني من كتابه «التمهيد»، ص: ٢٣٠، ولكنه لم يُشر إلى طبعته، ولم أقف على هذا الموضع فيما هو مطبوع بين يدي.

(١) يُنظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٥٤. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٨.

(٢) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، ركن الدين، أبو المعالي، الجويني، الملقب بـ«إمام الحرمين»، ولد سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ. من مصنفاته: «غياث الأمم في التياث الظلم»، و«البرهان»، و«الورقات»، و«نهاية المطلب في دراية المذهب» في فقه الشافعية. [راجع: طبقات ابن السبكي (١٦٥/٥)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٤٦٦)].

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور/ محمد يوسف موسى، والأستاذ/ علي عبد المنعم عبد الحميد، ص: ١٤٣. ونسب إليه القول بالتوقف: الإمام السعد التفتازاني في شرح المقاصد، ٢/ ١٧١. والإمام البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠.

لأن هذه الأسماء التي ذكرناها مرادفة للعالِم في اللغة، ولكن لـمَّا لم يجز ذلك علمنا أن الإطلاق موقوف على السمع والإذن[١]. ولأن العباد لا يستطيعون أن يُمَيِّزُوا بين ما يليق أن يوصف أو يسمى به تعالى وبين ما لا يليق، فيلزم أن يقتصروا على ما وصف به نفسه وسمَّاها به، وأن يقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه أدبًا مع الله تعالى[٢].

أدلة القول الثاني:

وهو قول المعتزلة وغيرهم والإمام أبي بكر الباقلاني من الأشاعرة، وقد اختلفت استدلالاتهم؛ فبنى المعتزلة قولهم على قاعدتهم المعروفة بالتحسين والتقبيح العقليين، وقالوا: بجواز إطلاق ما يستحسن العقل إطلاقه على الله تعالى ولا يستقبحه؛ لأن ما لم يكن قبيحًا عند العقل يكون جائزًا شرعًا[٣].

وأما دليل الإمام الباقلاني -كما يُفهم من كلامه الذي قرره العلماء - هو: أن الأصل عدم المنع بشرط أن يدل على الكمال وألا يوهم ما يستحيل في حقه تعالى، فإذا ورد منع مخصوص أو أوهم الإطلاق نقصًا قلنا بالمنع[٤]. وستأتي أمثلة لِما يُمنع إطلاقه على الله ﷻ لإيهامه النقص في حقه تعالى، وذلك في مناقشة أدلة الأشاعرة.

أدلة القول الثالث:

وهو قول الإمام أبي حامد الغزالي، واختيار الإمام الفخر الرازي، من عدم جواز الإطلاق باعتبار التسمية إلا بإذن، وعدم التوقف على إذن باعتبار الوصف، حيث استدلوا على ذلك بما يلي:

أن أسماء الله تعالى قديمة بمعنى أنه تعالى هو الذي أطلقها على نفسه، فلا يجوز لغيره أن يُسمِّيه بما لم يُسم به نفسه؛ فالتسمية من ولاية الشخص على نفسه أو على غيره كالوالد على ولده، فلو وضع

---

(١) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٨. والباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، ص: ٥١٩.

(٢) يُنظر: القول المفيد شرح الرسالة المسماة: وسيلة العبيد في علم التوحيد، لعلامة زمانه الشيخ: محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية سابقًا، ص: ٤٦.

(٣) يُنظر: الباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، ص: ٥١٩.

(٤) يُنظر: المرجع السابق بالتخريج نفسه. ومعه أيضًا: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٥٤.

غير الولي اسمًا لآخر ربما أنكره المُسمَّى وغضب، فإذا لم يكن لنا أن نسمي إنسانًا أي لا نضع له اسمًا، فكيف نضع لله تعالى اسمًا؟

إضافة إلى ذلك: فإن أسماء النبي ﷺ توقيفية بمعنى أنَّه لا يجوز لنا أن نُسَمِّيَه ﷺ باسمٍ لم يُسَمِّه الله به، ولا باسمٍ لم يُسمِّ به نفسه، وهي معدودة كما في الحديث؛ فعن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ»[1]. وليس لنا أن نزيد عن ذلك إلا في معرض الإخبار عنه ﷺ بأنه عالم أو مرشد أو هاد ونحو ذلك. فإذا كان وضعُ اسمٍ له ﷺ لم يسم به نفسه، ولا سمَّاه به ربه، ولا والده ممنوعًا ففي حق الله تعالى أولى.

أما إباحة الوصف في حقه تعالى؛ فلأنه خبر ومفهوم يطلق على الذات، فيُباح منه الصادق دون الكاذب؛ فالكذب حرام إلا بعارض، والصدق مباح إلا بعارض[2].

أدلة القول الرابع:

وهو التوقف، والذي قال به إمام الحرمين الجويني، فدليله واضح من كلامه، ومُحَصَّلُه: أن الخلاف يرجع إلى جواز الإطلاق شرعًا وعدم جوازه شرعًا، فالخلاف في حكم شرعي هو الجواز الشرعي أو المنع الشرعي، وذلك يتوقف على دليل سمعي من قِبَل الشارع يدل على الجواز أو المنع، ولمَّا لم يجد إمام الحرمين دليلا سمعيًّا، ولم يستخدم القياس الشرعي؛ لأنه لا يفيد إلا في الأحكام العملية لا الاعتقادية، توقف عن القول بالجواز أو المنع[3].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، حديث رقم: (٣٣٣٩)، ٣/ ١٢٩٩. ومسلم في كتاب: الفضائل، بابٌ في أسمائه ﷺ، حديث رقم: (٢٣٥٤)، ٤/ ١٨٢٨.

(٢) يُنظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٥٤. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ٢١.

(٣) نَصُّ كلَامِهِ في: الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور/ محمد يوسف موسى، والأستاذ/ علي عبد المنعم عبد الحميد، ص: ١٤٣. ومُحَصَّله في كتاب: الباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، ص: ٥١٩.

٢- المناقشة والترجيح:

* مناقشة أدلة القول الأول للأشاعرة: أنه لو جاز الإطلاق من غير إذن من الشارع لجاز إطلاق ألفاظ كثيرة عليه سبحانه وتعالى مرادفة للفظ العالِم: كالعارف والفقيه والداري والفهم والموقن والعاقل والفطن والطبيب واللبيب.

وهذا يُناقش -كما قال الإمام الباقلاني- بأن المانع من إطلاق هذه الألفاظ على الله تعالى ليس عدم ورود الإذن من الشارع، بل لأن هذه الألفاظ توهم أمورًا يمتنع ثبوتها في حقه تعالى.

وذلك لأن المعرفة اسم لعلم تَقَدَّمَتْهُ غفلة؛ لأن من أدرك شيئًا من الحاضر ثم غاب عنه ونسيه، ثم أدركه ثانيًا، أو علم أن هذا الذي أدركه ثانيًا هو عين الذي أدركه أولا، فهذا هو العلم المسمى معرفة.

وأما الفقه فهو عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وذلك يُشعر بسابقة جهل.

وأما الدراية فهي عبارة عن الشعور الذي يحصل بضرب من الحيلة، وهو تقديمهم الفكر والروية، وأصله مأخوذ من أدريت الصيد، إذا احتلت لاقتناصه.

وأما الفهم فهو صريح في سابقية الجهل.

وأما اليقين فهو مأخوذ من يقن الماء إذا اجتمع فيه، فهو اسم لعلم كان في الأول اعتقادًا ضعيفًا ثم اجتمعت الدلائل فتأكد الاعتقاد، وصار عِلمًا.

وأما العقل فهو مأخوذ من عقال الناقة، وهو العلم المانع من فعل ما لا ينبغي، وهذا إنما يتحقق في حق من تدعوه الدواعي إلى فعل ما لا ينبغي.

وأما الفطنة فهي عبارة عن سرعة الإدراك، وسرعة مسبوقة بجهل.

وأما الطب فهو مأخوذ من التجارب.

فمنع إطلاق هذه الألفاظ إنما كان لأجل معانيها التي لا تصح نسبتها إلى الله تعالى؛ لأنها توهم نقصًا(١).

---

(١) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٨: ٢٠. والباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، ص: ٥٢٠، ٥٢١. ونحو هذا أيضًا في: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٥٦.

إذن فمنع إطلاق لفظ مخصوص إنما كان لسبب ما، لا لأنه لم يرد به إذن من الشرع.

وأما القول بأن العباد لا يستطيعون أن يُمَيِّزُوا بين ما يليق أن يوصف أو يسمى به تعالى وبين ما لا يليق، فيلزم أن يقتصروا على ما وصف به نفسه وسمَّاها به، وأن يقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه أدبًا مع الله تعالى؛ فهو مناقش من وجهين:

أولهما: أن الله تعالى قد أمر عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنى، ثم لم يذكر لهم في نصٍّ محكم أسماءه وقال لهم: هذه أسمائي فلا تزيدوا عليها، بل ترك الأمر للاجتهاد، وهذا هو المفهوم من فعل الصحابة رضوان الله عليهم، ومن صنيع الأئمة والعلماء الذين صنفوا في أسماء الله الحسنى.

فهذا صحابي جليل يدعو ربه فيقول في دعائه: اللّٰهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فيقول النبي ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»(١).

وفي رواية الترمذي: عن أنس، قال: دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه: اللّٰهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهَ؟ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٢).

فهذا الصحابي دعا بأسماء لم يأت بعضها في القرآن أو السنة، ولم يسبق بشأنها توجيه من النبي ﷺ، ولم تأت بهذه الصورة المجتمعة في سياق من قبل، فيُقِرُّه النبي ﷺ ولم يُنكر عليه، بل بشَّره بأنه دعا باسم الله الأعظم. ولا يُقال: إن هذا كان وقت تشريع والنبي ﷺ معهم يرشدهم، أما الآن فلا؛ وذلك لأنه لم ترد في سياق الحديث أيُّ قرينة تشير إلى ذلك: حالية أو مقالية، فالحالية؛ كغضب من النبي ﷺ يصفه راوي هذا الحديث من تجرؤ هذا الصحابي على الله بدعائه بما لم يُعلِّمه الله تعالى ولا رسوله ﷺ إياه. والمقالية؛ كقوله ﷺ: أحسنت ولا تعد. كل هذا يُفهم منه عدم المنع من إطلاق ألفاظ

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: سجود القرآن، باب: الدعاء، حديث رقم (١٤٩٣)، ١/ ٤٦٩. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٨٥٨)، ١/ ٦٨٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجاه، وله شاهد على شرط مسلم"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: خلق الله مائة رحمة، حديث رقم: (٣٥٤٤)، ٥/ ٥٥٠. وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس".

على الله تعالى وإن لم يرد بها نصٌّ، ولكن بشرط أن يدل على كل كمال وألا يوهم نقصًا، بالإضافة إلى ضوابط أخرى ستأتي في الترجيح.

وثانيهما: أن العقل يدرك نوع كمال لله تعالى، وهو ما يليق به تعالى إجمالا، كما أنه ينفي عنه إجمالا كل نقص. ولهذا نظير في فعل السادة الأشاعرة أنفسهم؛ من تقسيماتهم لصفات الباري عز وجل وحصرها في عدد معين. مع أن هذا لم يرد به نص من الشرع. ولا مانع من هذا في خصوص الأسماء مع وضع ضوابط وشروط لجواز الإطلاق.

بالإضافة إلى هذا فهناك بعض الأمور الأخرى التي تصلح لمناقشة هذا الدليل، ستتضح عند الترجيح، وستأتي بالتفصيل.

* مناقشة أدلة **القول الثاني** للمعتزلة، والإمام الباقلاني:

أما دليل المعتزلة فهو مبنيٌّ على قاعدتهم المعروفة بالتحسين والتقبيح العقليين[1]، وهذا مناقَشٌ بأنَّا لا ننكر أن العقل يدرك نوع حسن وقبح، لكن فيما نحن فيه: يكون إدراكه بصورة إجمالية، بمعنى

(١) لتوضيح هذه القاعدة نقول: إن كلًّا من الحسن والقبح يأتي بثلاثة معان:-

الأول: الحسن بمعنى صفة الكمال والقبح بمعنى صفة النقص كحسن العلم والصدق والعدل والجود والشجاعة، وقبح أضدادها.

والثاني: الحسن والقبح بمعنى ملائمة الطبع ومنافرته، وعبر بعضهم بموافقة الغرض ومخالفته، وبعضهم باشتمال الفعل على المصلحة والمفسدة، ومآل المعاني الثلاثة واحد، فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه، وملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعتقاد النفع فيه، ومخالفه مفسدة له غير ملائم لطبعه، فالمراد بالطبع الطبيعة الإنسانية المائلة إلى جلب المنافع ودفع المضار، وليس المراد المزاج، حتى يرد أن الموافق للغرض قد يكون منافرًا للطبع كالدواء الكريه للمريض.

وأمثلة ذلك؛ كحسن إنقاذ الغريق، وقبح اتهام البريء، وكحسن قتل زيد بالنسبة إلى أعدائه، وقبحه بالنسبة إلى أوليائه، وكالعدل والظلم، فإن العدل كما أنه صفة كمال كذلك هو ملائم للطبع، والظلم كما أنه صفة نقص هو منافر للطبع بمعنى أن العدل مشتمل على المصلحة، والظلم مشتمل على المفسدة.

والحسن والقبح بهذين المعنيين محل اتفاق بين الفرق الإسلامية كلها في أن العقل يدركهما بالاستقلال، ولا يتوقف إدراكه لهما على ورود الشرع لاتصاف الفعل بهما في نفسه.

والثالث: الحسن بمعنى ترتب المدح عاجلا والثواب آجلا، والقبح بمعنى ترتب الذم عاجلا والعقاب آجلا؛ كحسن الطاعة لله تعالى وقبح المعصية له، والحسن والقبح بهذا المعنى هو محل الخلاف، هل هو شرعي أم عقلي، أي إنه هل للفعل في نفسه بقطع النظر عن ورود الشرع بحكم فيه صفة حسن أو قبح ذاتيين أو لصفة فيه توجبهما له، قد
=

أنه يثبت لله تعالى إجمالا كل كمال يليق بذاته، وينفي عنه كل نقص، أما تفصيليًّا؛ فالذي أختاره وأرجحه في هذا البحث بخصوصه: أنه لا بد من الاستناد إلى الشرع، وذلك من خلال وضع ضوابط لهذا الأمر، وستأتي بالتفصيل في الترجيح.

وأما دليل الإمام الباقلاني،و هو: أن الأصل عدم المنع بشرط أن يدل على الكمال وألا يوهم ما يستحيل في حقه تعالى، فإذا ورد منع مخصوص أو أوهم الإطلاق نقصًا قلنا بالمنع، فيُناقش بأن دلالة اللفظ وحدها على الكمال وعدم النقص لا تكفي في جواز الإطلاق على الله تعالى؛ بل لا بد من الاستناد إلى شرع، ويكون هذا من خلال وضع ضوابط لهذا الإطلاق، وسيأتي ذكرها.

* مناقشة أدلة **القول الثالث** للإمامين الغزالي والرازي:

القائل بعدم جواز الإطلاق باعتبار التسمية إلا بإذن، وعدم التوقف على إذن باعتبار الوصف.

أما القول بأن أسماء الله تعالى قديمة بمعنى أنه تعالى هو الذي أطلقها على نفسه، فلا يجوز لغيره أن يُسمِّيه بما لم يُسم به نفسه؛ فالتسمية من ولاية الشخص على نفسه أو على غيره كالوالد على ولده، فلو وضع غير الولي اسمًا لآخر ربما أنكره المُسمَّى وغضب، فإذا لم يكن لنا أن نسمي إنسانًا أي لا نضع له اسمًا، فكيف نضع لله تعالى اسمًا؟

=

يستقل العقل بإدراكها، فيعلم باعتبارهما حكم الله في ذلك الفعل من طلبه أو حظره، ويعلم ترتب الثواب أو العقاب عليه قبل ورود الشرع، أم ليس له صفة كذلك؟

قالت المعتزلة: نعم، الحسن والقبح عقليان وللفعل في نفسه جهة ذاتية محسنة أو مقبحة بغض النظر عن ورود الشرع.

وقالت الأشاعرة: لا،؛ فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، وليس للفعل صفة كذلك.

وأما الأشاعرة فلم يثبتوا للفعل قبل ورود الشرع لا الصفة التي تقتضي ورود الشرع بالطلب أو الحظر، ولا الطلب والحظر، فنفوا الحسن والقبح من الأصل.

يُنظر: تعليقات الشيخ محمد صالح الغرسي على شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجوري، ص: ٥١: ٥٣. والتحقيق التام في علم الكلام، للشيخ محمد الحسيني الظواهري، ص: ١٤١: ١٤٦. وللتوسع والاستزادة، يُراجع: غاية المرام في علم الكلام، للإمام سيف الدين الآمدي، تحقيق: الدكتور/ حسن الشافعي، ص: ٢٣٣: ٢٤٥. ونهاية السول شرح منهاج الوصول، للإمام: جمال الدين الإسنوي، ص: ٥٤: ٦٢.

فأقول: القول بأنه لا يجوز لأحد أن يُسمِّيه بما لم يُسم به نفسه مجرد دعوى لا دليل عليها، بل عكسه هو المفهوم من فعل الصحابة الكرام والعلماء والأئمة، وذلك بشروط وضوابط سبق بعضها وسيأتي مزيد آخر في الترجيح.

وأما القول بأن التسمية من ولاية الشخص على نفسه أو على غيره كالوالد على ولده. فغير مُسلَّم؛ لأن هذا في خصوص المولود لا في مطلق التسمية، بل إنه حتى في جانب المولود والبشر بصفة عامة قد يُتصور خلاف ذلك، **وحاصل ذلك:** أنَّا لو فرضنا أن أحدًا سمَّاه وَلِيُّهُ بعبد الله، ثم لقَّبه إخوانه وأصحابه بأبي محمد مثلا أو كنُّوه بشمس الدين، وليس في هذا ذم له بل فيه مدح، ثم شاع هذا عنه فصار كالعَلَمِ عليه، فهل يُنْكر هذا ويُمنع؟! بل إن هذا واقع تلقَّاه الناس بالقبول على مر الأزمان والعصور؛ والواقع لا يرتفع.

واللقب والكنية نوع تسمية يحصل بهما التمييز بين الأشخاص، وكم مِنْ الأئمة مَنْ اشتُهِروا بالألقاب أو الكُنى وعرفهم الناس بذلك بحيث إنه إذا ذُكروا بأسمائهم يكاد ألا يُعرفوا.

إذا تقرر هذا، فأقول: إن الشرع لم يمنع من إطلاق ما لم يطلقه الشارع الكريم على نفسه إلا ما أوهم نقصًا وخرج عن دائرة الكمال والتعظيم. هذا وهناك ضوابط أخرى ستأتي في هذه المسألة، فيزداد الأمر وضوحًا. وما مرَّ من فعل الصحابي وإقرار النبي ﷺ له يقتضي خلاف ما استدلوا به.

وأما القول بأن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم توقيفية بمعنى أنه لا يجوز لنا أن نسمي الرسول باسمٍ ما سمَّاه الله به، ولا باسمٍ ما سمَّى نفسه به، وهي معدودة كما في الحديث. فإذا كان وضعُ اسمٍ له صلى الله عليه وسلم لم يسم به نفسه، ولا سمَّاه به ربه، ولا والده ممنوعًا ففي حق الله تعالى أولى.

فأقول: نعم، أسماؤه ﷺ توقيفية، بخلاف أسمائه تعالى ففيها الخلاف المذكور، وتوجيه ذلك كما قال العلماء: إن الفرق في هذا الأمر بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين الخالق سبحانه وتعالى: أنه ﷺ بشر فربما تُسوهِل في شأنه فأطلق عليه ما لا يليق فسُدَّت الذريعة باتفاق، وأما مقام الألوهية فجليلٌ محترمٌ لا يُتَجَرَّأُ عليه، فلذلك قيل بعدم التوقيف.

ونظير هذا قول المالكية بقتل سابِّ النبي ﷺ ولو تاب بخلاف سابِّ الإله، وأيضًا ما قيل من جواز تَمَثُّل الشيطان في المنام بالإله دون النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك ما قيل: من حُرمة ندائه ﷺ بمجرد اسمه بخلاف الإله، وما ذاك إلا لحماية مقام النبوة ومزيد تبجيله(١).

أما إباحة الوصف في حقه تعالى؛ فلأنه خبر ومفهوم يطلق على الذات، فيُباح منه الصادق دون الكاذب؛ فالكذب حرام إلا بعارض، والصدق مباح إلا بعارض.

وأقول: وما وجه التفرقة بين الاسم والصفة في هذا المقام؟ أليس في هذا نوع إطلاق على الباري سبحانه وتعالى بما لم يرد به إذن، وما يجري في الصفة يجري في الاسم أيضًا.

فإن قيل: لا؛ لأن الاسم فيه معنى العلمية بخلاف الصفة. قلت: هذا غير مُسَلَّم؛ لأن المفهوم الذي تضمنه الصفة عندما يصل المتصف به إلى الغاية في الاتصاف به يَحِلُّ محل الاسم ويقوم مقامه ويَحْصُل به التمييز، فلا ينصرف العقل إلى غيره عندما يطلق عليه، وفي الكلام الذي سبق عن اشتهار الألقاب والكُنى وهما نوع تسمية ما يؤيد هذا.

فالأوصاف التي تضمنتها الصفات التي تطلق عليه سبحانه وتعالى ليس لها من الصفة إلا معناها من حيث اللغة وهي اسم في اصطلاح المتكلمين.

* مناقشة أدلة القول الرابع لإمام الحرمين الجويني القائل بالتوقف:

ودليله: **أن الخلاف يرجع إلى جواز الإطلاق شرعًا وعدم جوازه شرعًا، فالخلاف في حكم شرعي هو الجواز الشرعي أو المنع الشرعي، وذلك يتوقف على دليل سمعي من قِبَل الشارع يدل على الجواز أو المنع، ولـمَّا لم يكن هناك دليل سمعيٌّ، ولم نستخدم القياس الشرعي؛ لأنه لا يفيد إلا في الأحكام العملية لا الاعتقادية، قلنا بالتوقف عن القول بالجواز أو المنع.**

وهذا يُناقش بأنَّا نُسلم بأن الإطلاق وعدمه من الأحكام الشرعية التي يُحكم بها على فعل المكلف، وما دام الأمر كذلك فلا يشترط فيه القطعية بل يكتفى فيها بمجرد الظن، وهنا تختلف أنظار المجتهدين، فما يكون راجحًا عند بعضهم يكون مرجوحًا في نظر الآخرين، بشرط أن يكون الخلاف معتبرًا والاجتهاد منضبطًا.

---

(١) يُنظر: شرح الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ١٧. وحاشية العلامة محمد الأمير المالكي على شرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد، ص: ١٧، ١٨.

كما أن الأسماء تثبت بالكتاب والسنة والإجماع كسائر الأحكام، واختلفوا في القياس، والراجح عدم قبوله في جانب أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته.

وكلام إمام الحرمين نفسه بعد كلامه السابق يؤيد هذا؛ حيث قال: "ثم لا نشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به الشرع، ولكن ما يقتضي العمل -وإن لم يوجب العلم- فهو كاف. غير أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الرب ووصفه"(١). وستأتي في الترجيح نُقول وشواهد أخرى تؤيد هذا.

الترجيح وبيان الرأي المختار وأدلته:

هنا أصِلُ إلى بيان ما أراه راجحًا وأستدل عليه ببعض الأدلة والشواهد إضافة إلى ما سبق ذكره في المناقشات؛ فأقول: الذي أخْتَارُه هو التوسط؛ فأقول بما قال به الإمام أبو بكر الباقلاني مع وضع بعض الضوابط والشروط التي تضبط الأمر، ومن خلالها نستطيع أن نقوم بإحصاء أسماء الله الحسنى، وهذا هو ما سرت عليه في هذا البحث: فالذي يصح إطلاقه على الله تعالى من باب التسمية لا بد وأن تحقق فيه مجموعة من الشروط هي:

١- أن يدل على الكمال المطلق لله تعالى.

٢- ألا يوهم نقصًا في حقه تعالى.

٣- ألا يكون على سبيل المشاكلة(٢).

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور/ محمد يوسف موسى، والأستاذ/ علي عبد المنعم عبد الحميد، ص: ١٤٣.

(٢) المشاكلة نوع من المُحَسِّنات المعنوية في علم البديع من علوم البلاغة، يقصد بها: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]. والمراد: ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس (للمشاكلة)، ونحو: قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]. أي: أهملهم، ذَكَرَ الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته، ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقمع: أن أصحابًا له، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، ويقولون له، ماذا تريد أن نصنع لك طعامًا؟ وكان فقيرًا، ليس له كسوة تقية البرد، فكتب إليهم يقول:

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ... وأتى رسولهم إليَّ خصيصًا

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت أطبخوا لي جبةً وقميصًا

=

٤ – أن يكتفى بورود مادته في نصوص الشرع، ولا يشترط التصريح به علمًا.

فالشرطان الأولان شائعان ذكرهما الإمام الباقلاني وغيره، ولا خلاف أو إشكال فيهما. **أما الشرط الثالث؛** فحتى يخرج نحو: الماكر، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[(١)]، ونحوه مما ورد على سبيل المشاكلة. يقول العلامة أبو السعود[(٢)] في تفسيره: "والمكرُ من حيث إنه في الأصل حيلةٌ يُجلَب بها غيرُه إلى مَضرّة لا يمكن إسنادُه إليه سبحانه إلا بطريق المشاكلة"[(٣)].

ومن ثمَّ ارتأيت ألا يدخل في أسماء الله الحسنى ما جاء على جهة المشاكلة.

وأما الشرط الرابع، وهو الاكتفاء بورود المادة دون التنصيص على الاسم بعينه في هيئة العَلَمِيَّة؛ فقد ذكره فيما اطلعت عليه من العلماء الإمام البيجوري[(٤)] في شرحه لمتن جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم اللقَّاني[(٥)]؛ وذلك عند قول الناظم:

وَلَمْ تَكُـــــنْ نُبُـــــوَّةٌ مُكْتَـــــسَبَة ... ولَـــو رَقَـــى فِي الـــخَيْرِ أعْـــلى عَقِبَـــه

=

والمعنى: خيطوا لي جبة وقميصًا، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام. اهـ. يُنظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للأستاذ: أحمد إبراهيم الهاشمي، تحقيق: د/ يوسف الصميلي، ص: ٣٠٩.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤. وسورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، أبو السعودكانت وفاته في سنة ٩٨٢هـ. من تصانيفه: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» في تفسير القرآن. و«تهافت الأمجاد» في فروع الفقه الحنفي، ورسالة في المسح على الخفين. [راجع: طبقات المفسرين، للأدنه وي (ص: ٣٩٨)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٣٠١/١١)].

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢/ ٤٢.

(٤) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر. توفي بالقاهرة سنة ١٢٧٧هـ. من تصانيفه: حاشية على شرح متن أبي شجاع في فقه الشافعية، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، وحاشية على مختصر السنوسي في المنطق، وغيرها كثير. [راجع: الأعلام، للزركلي (٧١/١)، ومعجم المطبوعات، ليوسف سركيس (٥٠٧/٢)].

(٥) هو: إبراهيم بن حسن بن محمد بن هارون، أبو الإمداد اللقاني المصري المالكي، توفي سنة ١٠٤١هـ. من تصانيفه: «جوهرة التوحيد» وهي منظومة في العقائد، و«نصيحة الإخوان في شرب الدخان»، وحاشية على مختصر خليل، و«قضاء الوطر في نزهة النظر في توضيح تحفة الأثر»، و«منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى». [راجع: شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف (ص: ٢٩١)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٦/١)].

بـــــلْ ذَاك فَـــضْلُ اللهِ يُؤْتِيـــه لِمَـــن يَـــشَاءُ جَـــلَّ اللهُ وَاهِـــبُ الْمِـــنَن

فاستشكل الإمام البيجوري قول صاحب النظم: (واهب المنن) قائلا: "قد تقرر أن أسماء الله تعالى توقيفية، مع أن الواهب لم يرد، وإنما الوارد في الأسماء (الوهاب)، وحينئذ فكيف يطلق المصنف الواهب عليه تعالى؟ وقد يُقال: أن المصنف جار على طريقة من يكتفي بورود المادة، أو على طريقة من يُجَوِّز إطلاق كل ما يدل على الكمال وإن لم يرد، وهذا على تسليم عدم ورود الواهب، وأما على وروده كما عزاه بعضهم لابن حجر -يعني الهيتمي[١]- في شرحه على المنهاج[٢] -للإمام النووي في الفقه الشافعي- في باب العقيقة فلا إشكال"[٣].

وأشار إلى هذا الشرط الرابع أيضًا الشيخ العلامة محمد السباعي[٤] في حاشيته على شرح الخريدة لأبي البركات الإمام الدردير في علم التوحيد، حيث قال: "والحق عند أهل السنة أن أسماء الله توقيفية كما قال المحقق -يعني صاحب الجوهرة-:

واخْتِــــيرَ أن أسْـــــمَاهُ توقيفيـــــة ....

-بقصر همزة أسماه الثانية؛ للوزن- وقال بعضٌ: يجوز أن يُطلق عليه تعالى كل ما لم يوهم نقصًا، ثم اختلف أهل الحق؛ فقيل: لا بد من ورود الصيغة، وقيل: يَكْفِي ورود المادة"[٥].

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، السَّعْدي، أبو العباس، شهاب الدين، الهيتمي أو الهيثمي نسبة إلى محلة أبي الهيثم أو الهيتم بمصر، ولد سنة ٩٠٩هـ وتوفي سنة ٩٧٣هـ. من تصانيفه: «تحفة المحتاج في شرح المنهاج»، و«الإيعاب شرح العُبَاب المحيط بمعظم نصوص الشافعية والأصحاب»، و«الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»، وغيرها. [راجع: البدر الطالع، للشوكاني (١/١٠٩)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين العَيْدَرُوس (ص: ٢٥٨)].

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، للإمام: ابن حجر الهيتمي، بحواشي الشرواني والعبادي، رُوجعت هذه النسخة وصححت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، ٩/ ٣٧٦.

(٣) شرح الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ١١٧.

(٤) هو: محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري الشافعيّ توفي سنة ١٢٦٨هـ. له: «حاشية على تفسير الجلالين» في ثلاث مجلدات. [راجع: الأعلام، للزركلي (٦/١٦٤)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (٣/٣٠٤)].

(٥) حاشية العلامة الشيخ محمد السباعي على شرح الخريدة لأبي البركات الإمام أحمد الدردير، ص: ٣.

فانظر كيف جعل الشيخ رحمه الله تعالى الاكتفاءَ بورود المادة قِسْمًا من أقوال أهل الحق، بل قَسِيمًا لما عليه الجمهور، وهذا يقوِّي القول باختياره.

وقريبٌ من هذا أيضًا ما أشار إليه الإمام زين الدين العراقي(١) في «طرح التثريب»، وذلك في سياق عرضه للخلاف في توقيفية الأسماء حيث قال: "لا يجوز أن يُسمَّى إلا بما سَمَّى به نفسه – سبحانه وتعالى–، وإليه ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري(٢)، وقيل: يجوز تسميته بما يليق به، وقيل: إن ورد الفعل بذلك، ولم يوهم نقصًا، والخلاف في ذلك مقرر في علم أصول الدين"(٣).

والشاهد في كلامه قوله: "إن ورد الفعل بذلك، ولم يوهم نقصًا"، فقد جعل رحمه الله تعالى الاقتصار على ورود الفعل مع عدم إيهام النقص من جملة الأقوال.

والدليل على ما اخترناه ما تقدَّم ذكره في مناقشة كلام فضيلة الشيخ بخيت المطيعي(٤)، **وأكرره في هذا المقام للتأكيد، فأقول:**

إن الله سبحانه الله وتعالى قد أمر عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنى، ثم لم يذكر لهم في نصٍّ محكم أسماءه وقال لهم: هذه أسمائي فلا تزيدوا عليها، بل ترك الأمر للاجتهاد، وهذا هو المفهوم من فعل

(١) هو: عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، الكُردي، ثم المصري مولدًا ونشأةً ووفاةً، الشافعي مذهبًا، اشتُهر بـ (العراقي) انتسابًا لموطنه الأصل، تُوفي سنة ٨٠٦هـ. من تصانيفه: «الألفية في علوم الحديث»، و«فتح المغيث شرح ألفية الحديث»، و «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار». [راجع: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢٩/٤)، والضوء اللامع، للسخاوي (١٧١/٤)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (ص: ٥٤٣)].

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، أبو الحسن. من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. من تصانيفه: «مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة عن أصول الديانة»، وغيرها كثير. [راجع: طبقات ابن السبكي (٣٤٧/٣)، الأعلام، للزركلي (٢٦٣/٤)].

(٣) طرح التثريب شرح التقريب، للإمام زين الدين العراقي، ٧/ ١٥٤.

(٤) هو: محمد بخيت بن حسين المطيعي، تولى منصب الإفتاء في مصر عام ١٩١٤م، وتوفي عام ١٩٣٥م. من تصانيفه: حاشيته على شرح الدردير على الخريدة البهية، وحاشيته على شرح الإسنوي على متن المنهاج للبيضاوي، والبدر الساطع على جمع الجوامع، والقول المفيد على وسيلة العبيد في علم التوحيد، وغيرها، دفن بالقاهرة في المنطقة المعروفة حاليًّا بـ«حلمية الزيتون». [راجع: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحَجَوي (٢٣٤/٢)، والكنز الثمين لعظماء المصريين، لفرج سليمان فؤاد (ص: ١١٨)].

الصحابة رضوان الله عليهم، ومن صنيع الأئمة والعلماء الذين صنفوا في أسماء الله الحسنى؛ أما فعل الصحابي فهو -كما مرَّ-: دعاؤه ربه تعالى بأسماء بعضها لم يرد بها توقيف سابق، وإقرار النبي ﷺ بدون قرينة تدل على منع ذلك مستقبلا يؤكد وجهة ما ذهبت إليه. فأَفْهَمَ هذا عدم المنع من إطلاق ألفاظ على الله تعالى وإن لم يرد بها نصٌّ، ولكن بشرط أن يدل على كل كمال وألا يوهم نقصًا، بالإضافة إلى ما زدناه من: ألا يكون على سبيل المشاكلة، وأن ترد مادته.

وكلُّ ما صحَّ دعاؤه عز وجلَّ به كان من أسمائه. بَيَّن هذا الحافظ ابن حجر في «الفتح»، فبعد سرده أقوال العلماء واختلافهم في قضية مسألة الأسماء، ذكر ضابطًا مهمًّا في المسألة، حيث قال: "**والضَّابِطُ:** أن كل ما أذن الشرع أن يُدعى به -عزَّ وجلَّ- سواء كان مشتقًّا أو غير مشتق فهو من أسمائه، وكل ما جاز أن ينسب إليه -تعالى- سواء كان مما يدخله التأويل أو لا فهو من صفاته، ويطلق عليه اسْمًا أيضًا"(١).

فَفُهِم من هذا أمران؛ الأول: أن كلَّ ما يصحَّ دعاؤه سبحانه به كان من أسمائه تعالى، والثاني: أنه لا فرق بين الصفة -بمعنى الوصف- والاسم في حقه جلَّ وعلا.

وقريب من هذا ما اختاره العلامة الآلوسي بعد ذكره للخلاف الوارد بين العلماء وسرده لأقوالهم، حيث قال: "والمختار عندي عدم توقف إطلاق الأسماء المشتقة الراجعة إلى نوع من الصفات النفسية والفعلية وكذا الصفات السلبية عليه تعالى على التوقيف الخاص، بل يصح الإطلاق بدونه، لكن بعد التحري التام وبذلك الوسع فيما هو نص في التعظيم والتحفظ إلى الغاية عما يوهم أدنى نقص، معاذ الله تعالى في حقه سبحانه؛ لأنا مأذونون بتعظيم الله تبارك وتعالى بالأقوال والأفعال ولم يحد لنا حد فيه، فمتى كان في الإطلاق تعظيم له عزَّ وجلَّ كان مأذونًا به، والتكليف منوط بالوسع؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) فبعد بذل الوسع في التعظيم يرتفع الحرج"(٣).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) روح المعاني، ٩/ ١٢٣، ١٢٤.

ويُستدل أيضًا: بما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطٌّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟، قال: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»(١).

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير -رحمه الله تعالى: "فهذا الحديث الشريف جعل ثبوت الأسماء الحسنى مُقسَّمًا إلى أربعة أقسام في الظاهر لكنها ثلاثة أقسام في الحقيقة:

١- سميت به نفسك.

٢- أنزلته في كتابك.

٣- علمته أحدًا من خلقك.

٤- استأثرت به في علم الغيب عندك.

فإن الأسماء الحسنى قد تكون من إطلاق الله تعالى على نفسه وقد تكون تعليمًا لأحد من الخلق، ثم إن ما أطلقه الله على نفسه قد يوحي به إلى أنبيائه ويسجله في الكتب المقدسة أو يظل في العلم الإلهي لا يطلع عليه أحد.

ونتساءل: ما معنى قوله ﷺ: «أو علمته أحدًا من خلقك»؟

هل التعليم من خلال النص الشرعي المنزل في الكتاب المقدس؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٣٧١٢)، ١/ ٣٩١. وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٧٢)، ٣/ ٢٥٣. واللفظ لابن حبان. قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" عن هذا الحديث: " صححه ابن حبان وغيره". يُنظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ٤/ ٣٢١. ط/١: مؤسسة قرطبة – مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. وقال نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": " رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، إلا أنه قال: «وذهاب غمي». مكان «همي». والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثَّقه ابن حبان". يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ١٠/ ١٣٦.

لو قلنا بذلك لكان الكلام مكررًا مع سابقه وهو: «أو أنزلته في كتابك»، ولا جديد في التعبير بقوله: «أو علمته أحدًا من خلقك».

والذي أطمئن إليه أن التعليم هنا مقصود به الاجتهاد، فإذا اجتهد العالم ووصل إلى اسم يليق بجلال الله وكماله فهو من الأسماء الحسنى سواء ورد في الكتاب أم لم يرد"(١).

قلت -والكلام للباحث-: ومن أغرب ما رأيت في توجيه عبارة: «أو علمته أحدًا من خلقك»: تفسيرها بأن المراد: «أو علمته أحدًا من خلقك»، أي: من الأنبياء والرسل، أو من الملائكة والجن، **وهذا مردود من جهتين؛** الأولى: أن هذا تخصيص بغير مخصص، وهو ترجيح للمعنى الخاص على المعنى العام بلا مرجح؛ فهو محض تَحَكُّمٍ.

والثانية: أن أفضلية الأنبياء والرسل على سائر البشر ثابتة متحققة، ولكن ما وجه أفضلية الملائكة والجن على الإنسان الذي كرَّمه الله تعالى وفضّله بالعقل، وجعله مناط التكليف، وبه يقدر على الاجتهاد والاستنباط؟!

كما لا يخفى من تفسير قوله ﷺ: «أو علمته أحدًا من خلقك» بأنهم الأنبياء والرسل من حصول التكرار في الحديث مع ما أطلقه الله على نفسه وقد يوحي به إلى أنبيائه ويذكره في كتبه.

بقي تنبيهٌ من الأهمية بمكان، كما أنه يُعَدُّ تدعيمًا للرأي الذي اخترته، **وهذا التنبيه هو:**

مسألة إحصاء أسماء الله الحسني وإطلاقها عليه تعالى.. أهي عقدية أم فقهية؟

الجواب: فرَّق علماء الأمة بين نوعين من التكاليف في الشريعة الإسلامية، فهناك تكاليف محلها القلب، وأخرى محلها الجوارح. وجعلوا التكاليف التي محلها القلب أصل للتي محلها الجوارح، ومن ثَمَّ أطلقوا على التكاليف التي محلها القلب الفقه الأكبر وهي العقائد وأصول الدين، والتي محلها الجوارح الفقه الأصغر وهو الفقه العملي. ثم قسَّمُوا العقائد إلى أقسام ثلاثة ما يتعلق بالخالق سبحانه وتعالى وأطلقوا عليه مصطلح (الإلهيات)، وما يتعلق بالرسل الكرام وأطلقوا عليه مصطلح (النبوات)، وما يتعلق بالأمور الغيبية والأخروية وأطلقوا عليه مصطلح (السمعيات)، ومنهم من

---

(١) بيانٌ للناس: حول كتاب أسماء الله الحسنى للدكتور/ محمود عبد الرازق الرضواني، تأليف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر، ص: ١٧، ١٨.

جعل العقائد كلها منحصرة في ذات الإله وما تعلق به، وعدَّ إرسال الرسل فعلا من أفعاله تعالى، والأمور الغيبية الأخروية إخبارًا منه ﷻ لخلقه.

وقضية الأسماء الحسنى فيها ما هو من أصول مسائل العقائد، وفيها ما هو من فروعها. وقد فرق العلماء بين أصول العقائد وفروعها، فجعلوا إثبات أصول العقائد لا يكون إلا بدليل قطعي؛ لأن مبنى العقائد على اليقين قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، والمقصود بالعلم اليقين، واليقين لا يستفاد إلا من الدليل القطعي[2].

فمن أصول العقائد: أن لله تعالى صفات وأسماء حسني، ولكن من الفروع: أن من أسماء الله تعالى: الباقي، والمنعم، والضار النافع، والمعز المذل، وغيرها.

والأصول لا تثبت إلا بالدليل القاطع، ولا تثبت بأخبار الآحاد؛ لأنها لا يحصل بها اليقين، والفروع يمكن ثبوتها بأخبار الآحاد. كما أن الأصول يكفر منكرها والفروع لا يكفر منكرها.

وهناك فرق بين أخذ العقائد من أحاديث الآحاد وبين الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد، فبينما لا تؤخذ كليات العقائد إلا من القرآن الكريم ومن الأحاديث المتواترة، فإن فروع العقائد يمكن أن تؤخذ من المتواتر والآحاد.

فظهر من ذلك أن هناك عقيدة اتفق عليها المسلمون وهي: أن لله تعالى أسماء، وأن هذه الأسماء كلها حُسنى، ثبتت هذه العقيدة بالكتاب الكريم في أربع آيات سبق ذكرها. وكان هذا أصلا من أصول العقيد يكفر منكره.

والعلماء على أن تحديد هذه الأسماء إنما هو من فروع العقيدة التي لا يشترط في إثباتها الدليل القطعي ويكفي فيها الدليل الظني، ومن ثم فهي مجال للاجتهاد، وعلى هذا جرى العمل بين العلماء على مراعاة الاختلاف الفقهي في تعيين إطلاق الأسماء عليه تعالى، فلا ينكر المثبت على النافي ولا

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) وطريق استفادة الدليل القطعي المفيد للعلم: أربعة إجمالا، تسعة تفصيلا؛ فالإجمالية هي: السمع والعقل والحس والمركب من العقل والحس، وتفصيل ذلك: أن الدليل العقلي ينقسم إلى ضروري ونظري، والحسي يدخل فيه الحواس الخمسة كما يدخل فيه الوجدانيات كشعور الإنسان بلذته وألمه، وأما المركب من العقلي والحسي فمنه المتواتر والتجربة والحدس وقرائن الأحوال. [يُنظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور/ عبد الله محمد الجبوري، (ص: ٣٧) باختصار شديد].

النافي على المثبت ما دام الاجتهاد منضبطًا والخلاف فيها معتبرًا، ومبنيٌ على أدلةٍ لو كانت ظنيَّة، فمبنى الفقه على الظنون لا على القطع بأن هذا مراد الله بعينه وأن ما سواه باطل لا يصحُّ. فالأمر يدور بين رأي راجح وآخر مرجوح، والكل في دائرة الاجتهاد، وتحت مظلة الشريعة.

وقد فسَّر جمهور الأشاعرة معنى قولهم: إن أسماءه تعالى توقيفية، بأنها تثبت بالكتاب والسنة والإجماع؛ قال الإمام عبد القاهر البغدادي(١): "وكل ما نطق به القرآن من أسماء الله تعالى، أو وردت به السنة الصحيحة، أو أجمعت عليه الأمة من أسمائه فجائز إطلاقه"(٢).

والسنة الصحيحة هنا باعتبار أن هذا من الاعتقاديات، فلا بد أن يكون بها يحصل به القطع، أما باعتباره من العمليات فيُكتفى فيه بالسنة الحسنة بل الضعيفة، وهي تفيد الظن.

وهذا هو المَفْهُوم من كلامهم كما جاء في شرح الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد من أن معنى التوقيفية: "أي: يُتوقف جواز إطلاقها عليه سبحانه وتعالى على ورودها في كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو إجماع؛ لأنه غير خارج عنها بخلاف السنة الضعيفة إن قلنا أن المسألة من الاعتقاديات، بحيث يعتقد أن ذلك الاسم من أسمائه من أسمائه تعالى، وإن قلنا أن المسألة من العمليات بحيث نستعمله ونطلقه عليه تعالى فالسنة الضعيفة كافية في ذلك"(٣).

وقد أشار الإمام الزركشي في «البحر المحيط» في الأصول إلى حصول الخلاف في مسألة ثبوت الأسماء، أيُكتفى فيها بالظني أم لا بد من القطعي؟ وذلك على قولين، وصحَّح أنها تثبت بالظن، حيث قال: "اختلف في أسماء الله تعالى، هل تثبت بخبر الواحد، والصحيح الثبوت كما في سائر الأحكام الشرعية؛ لكون التجويز والمنع من الأحكام الشرعية. وقيل: لا يثبت، بل لا بد من القاطع كأصل الصفات"(٤).

---

(١) هو: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور توفي سنة ٤٢٩هـ. من تصانيفه: «أصول الدين»، و«الفرق بين الفرق»، و«بلوغ المدى في أصول الهدى»، و«نفي خلق القرآن». [راجع: طبقات ابن السبكي (١٣٦/٥)، والأعلام، للزركلي (٤٨/٤)].

(٢) أصول الدين، للإمام عبد القاهر البغدادي، ص: ١١٩.

(٣) شرح الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، بتعليق الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ص: ٨٠.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين الزركشي، ٦/ ١٣٣.

ثم حكى الخلاف بشيء من التفصيل في «التشنيف» وصوَّب القول بالاكتفاء بما يفيد الظن، فقال في مسألة «أن أسماء الله توقيفية» في سياق ذكر المذاهب فيها، وتقرير مذهب الأشاعرة بخصوصه: ".. وعلى هذا فاشترط بعضهم القطع، والصحيح كما قال ابن القشيري(١) في «المرشد» والآمدي(٢) وغيرهما: الاكتفاء بالظواهر وأخبار الآحاد كما في سائر الأحكام، وهو أن يكون ظاهرًا في دلالته وفي صحته ليكون التجويز والمنع من الأحكام الشرعية فيُكتفى به كسائر الأحكام العملية "(٣).

ورجَّح الإمام السعد التفتازاني(٤) أن المسألة من العمليات لا من الاعتقاديات حيث قال: "التسمية من باب العمليات وأفعال اللسان "(٥). ومن ثَمَّ يكتفى فيها بما يفيد الظن.

وذكر فضيلة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي أن الإمام سيف الدين الآمدي يكتفي في دليل الأسماء الحسنى بالدليل السمعي الصحيح الظاهر ولا يشترط أن يكون قطعيًّا(٦).

وما تقدَّم من كلام إمام الحرمين الجويني: من عدم اشتراط ورود ما يقطع به الشرع في جواز الإطلاق، ولكن يكفي ما يقتضي العمل فحسب، ما يؤكد هذا أيضًا.

---

(١) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم النيسابوري وتوفي بها سنة ٥١٤هـ. من تصانيفه: «المقامات والآداب» في التصوف والوعظ. . وتفسير القرآن، و«الموضح» في فروع الفقه الشافعي. [راجع: طبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٥٥٠)، طبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٦٥)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٣٤٦)].

(٢) هو: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن، سيف الدين، الآمدي، توفي بدمشق سنة ٦٣١هـ. من مصنفاته: «الإحكام في أصول الأحكام»، و«دقائق الحقائق»، و«منتهى السول في علم الأصول»، و«أبكار الأفكار». [راجع: طبقات ابن السبكي (٣٠٦/٨)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٧٩/٢)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٢٥٣/٧)].

(٣) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تأليف: الإمام بدر الدين الزركشي، دراسة وتحقيق: الدكتور/ سعيد عبد العزيز، والدكتور/ عبد الله ربيع، ٤/ ٨٦٨.

(٤) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين، التفتازاني، توفى سنة ٧٩٣هـ. من تصانيفه: «شرح الأربعين النووية»، و«شرح العقائد النسفية»، وحاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب. [راجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، (١١٢/٦)، والبدر الطالع، للشوكاني (٣٠٣/٢)].

(٥) شرح المقاصد في علم الكلام، للإمام: سعد الدين مسعود التفتازاني، ٢/ ١٧١.

(٦) الآمدي وآراؤه الكلامية، للأستاذ الدكتور/ حسن الشافعي، ص: ٢٠٧.

وعلى هذا جرى علماء الأمة عبر العصور؛ كالإمام ابن حجر العسقلاني في «التلخيص الحبير»[١]، والشيخ تقي الدين بن تيمية[٢]، وغيرهم من العلماء، حيث عدَّ كل واحد منهم أسماء قد يختلف بعضها عن بعض، من دون أن يُخَطِّئ فريق منهم الآخر.

وبالجملة فهذه المسألة ما هي إلا مسألة فقهية يُبحث فيها عن جواز إطلاق اسم علي ذات الله تعالى المعبود بالحق، ومن ثمَّ نجد أن الإمام أبا حامد الغزالي قد نصَّ على أن البحث في جواز إطلاق اسم أو وصف على الذات العليَّة إنما هي مسألة فقهية؛ إذ هي نظرٌ في إباحة لفظ وتحريمه[٣].

فينبغي التنبه إلى أن اعتقاد صفة من صفات الله تعالى عقيدة، لكن إطلاق اسم ليدل على تلك الصفة من فروع العقيدة؛ فاعتقاد صفة القدم لله تعالى عقيدة يكفر منكرها، ولكن تسمية الله تعالى باسم القديم لا يكفر منكر هذه التسمية؛ فقد يُسميه البعض باسم (الأول) اكتفاءً بدلالة معناه على القدم. فإطلاق اسم القديم عليه تعالى من فروع العقيدة.

١- أهم النتائج التي توصلت إليها من بحث هذه المسألة:

وفي ختام هذه المسألة، من عرضها، وذكر المذاهب فيها، وأدلة كل مذهب، وتدعيم هذا بأقوال الأئمة ونُقول أهل العلم، أصل إلى مجموعة من النتائج، ومن أهمها:

١) أن العلماء متفقون على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تبارك وتعالى إذا ورد إذن الشرع، وعلى عدم جوازه إذا ورد المنع. ومحل الخلاف فيما لم يرد به إذن ولا منع وكان الباري موصوفًا بمعناه، ولم يكن إطلاقه عليه مما يستحيل في حقه سواء على جهة التسمية أو الوصف.

٢) أن التوقيف معناه ورود اللفظ في الكتاب أو السنة الصحيحة المتواترة أو الإجماع عند الجميع باعتبار أن المسألة من الأصول الاعتقادية التي لا بد فيها مما يفيد القطع، أما باعتبار أنها من الفروع العملية فيُكتفى بالسنة الحسنة والضعيفة التي تفيد الظن.

٣) أن الراجح عندي: جواز الإطلاق على الله تعالى سواء من باب التسمية أو الوصف كل ما يدل على الكمال ولا يوهم نقصًا ولا يكون على سبيل المشاكلة وأن ترد مادته. وأن هذا قول معتبر،

(١) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٤/ ٣٢١.
(٢) مجموع الفتاوى، للشيخ: تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ٢٢/ ٤٨٢: ٤٨٦.
(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٥٥.

وقد أشار إليه الإمام البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد، وجعله الإمام السباعي قسيمًا لقول الجمهور في حاشيته على شرح خريدة الإمام الدردير في علم التوحيد.

٤) **أن التوقيف معناه عندي بالإضافة إلى ما سبق:** الاكتفاء بورود المادة ولا يُشترط ورود الصيغة، وعلى هذا يُفهم فعل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وأيضًا صنيع الأئمة والعلماء في تناولهم لمسألة أسماء الله الحسنى.

٥) أنه لا فرق بين الاسم والوصف في حقه تعالى، كما بيَّنا من أن بلوغه عز وجل الغاية والنهاية في الاتصاف بوصف ما يجعله عَلَمًا في حقه تعالى، ويؤيد هذا كلام الحافظ ابن حجر في الضابط المهم الذي ذكر في «الفتح» كما مرَّ.

وفي النهاية أقول: هذا ما جادت به القريحة، وسطَّره البنان، فما كان من صوابٍ فبتوفيقٍ من الرحمن، وما كان من زللٍ فبسبب الغفلة والنسيان، وسبحان من تفرَّد بالكمال وحده. اللّٰهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ومشايخنا وإخواننا، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

❊❊❊

الباب الأول

أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم

(جمعها - تقسيماتها - بيان معانيها - ذكر نماذج من أسرار اقترانها في بعض الآيات القرآنية).

ويضمُّ ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في جمع أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم، وبيان تقسيماتها.

الفصل الثاني: في شرح أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: في ذكر نماذج من أسرار اقتران أسماء الله الحسنى في بعض آيات القرآن الكريم.

الفصل الأول
في جمع أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم، وبيان تقسيماتها

أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم -وفق منهجي في هذا البحث، وعلى حسب ما بيَّنتُ في المقدمة والتمهيد- إما صريحة أو مشتقة، وكل منهما إما مفردة أو متقابلة أو مضافة ومُرَكَّبة.

وقد بلغ عدد ما جمعت من الأسماء صريحًا ومشتقًا: مائة وخمسين اسمًا.

أما الصريحة فعددها: مائة وثمانية وعشرون اسمًا.

منها سبعة وتسعون اسمًا مفردًا، و أربعة أسماء متقابلة، وسبعة وعشرون اسمًا مضافًا ومركبًا.

أما المشتقة فعددها: اثنان وعشرون اسمًا.

منها خمسة عشر اسمًا مفردًا، وستة أسماء متقابلة، واسم واحد مضاف ومركب.

وفيما يلي سرد هذه الأسماء كلها، مرتبة ترتيبًا هجائيًّا مع ضم الشبيه من الأسماء إلى شبيهه، والقريب منها إلى بعضها:

أولا: الأسماء الصريحة:

١- الصريحة المفردة، وهي: الله، الإله، البارئ، البديع، البر، البصير، التواب، الجامع، الجبار، الحسيب، الحفي، الحفيظ، الحافظ، الحق، الحكيم، الحكم، الحليم، الحميد، الحي، الخالق، الخلاَّق، الخبير، الرءوف، الرب، الرحمن، الرحيم، الرزَّاق، الرازق، الرقيب، السلام، السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد، الصادق، الصَّمد، العزيز، العظيم، العفو، العلي، الأعلى، المُتَعَال، العليم، العالِم، العلاَّم، الغالب، الغفور، الغفار، الغافر، الغني، الفاطر، الفتاح، ، القاهر، القهار، القدوس، القدير، القادر، المقتدر، القريب، القوي، القيوم، الكافي، الكبير، المتكبر، الكريم، الأكرم، الكفيل، اللطيف، المُؤْمِن، المُبِين، المَتِين، المُجِيب، المجيد، المُحِيط، المُحْيِي، المُسْتَعَان، المُصَوِّر، المُقِيت، الملك، المالك، المليك، المُنْزِل، المُهيمن، الناصر، النصير، النور، الهادي، الواحد، الأحد، الوارث، الواسع، المُوسِع، الودود، الوكيل، الولي، المَوْلَى، الوهاب.

٢- الصريحة المتقابلة، هي: الأول، والآخر. الظاهر، والباطن.

٣- الصريحة المضافة والمُرَكَّبة، وهي: قابل التوب، أسرع الحاسبين، خير الحاكمين، أحكم الحاكمين، خير الفاصلين، خير المُنْزِلِين، ذو الجلال والإكرام، ذو الطول، ذو العرش، ذو الفضل، ذو المعارج، ذو انتقام، ذو الرحمة، أرحم الراحمين، خير الراحمين، رفيع الدرجات، سريع الحساب، سريع العقاب، شديد العذاب، شديد العقاب، فالق الحب والنوى، فالق الإصباح، خير الفاتحين، الفعَّال لِما يُريد، ذو القوة، كاشف الضر، كاشف العذاب.

ثانيًا: الأسماء المشتقة:

١- المشتقة المفردة، وهي: الباعث، الباقي، الحَنَّان، الشافي، الصانع، القاضي، المُحْسِن، المُحْصِي، المُدَبِّر، المُعْطِي، المُغْنِي، المُمِيت، المَنَّان، المُنْعِم، الواجد.

٢- المشتقة المتقابلة، وهي: القابض، الباسط. المُبْدِئ، المُعِيد. المُعِزُّ، المُذِلُّ.

٣- المشتقة المضافة والمُرَكَّبة، وهي: مقلب القلوب والأبصار.

***

الفصل الثاني
في شرح أسماء الله الحسنى
الواردة في القرآن الكريم

يتضمن هذا الفصل شرح أسماء الله الحسنى التي جمعتها من القرآن الكريم، سواء الصريحة أو المشتقة، وهي التي سبق سردها في الفصل السابق، وقمت فيه بشرح الأسماء الصريحة أولا، ثم المشتقة، وقمت بشرحها مُراعيًا الترتيب الهجائي مع ضم الشبيه من الأسماء إلى شبيهه، والقريب منها إلى بعضها، ومن ثم ستختلط الأسماء المفردة بالمضافة أحيانًا، فعلى سبيل المثال: ضممت اسم (ذو الرحمة)، واسم (أرحم الراحمين) إلى اسمي (الرحمن، والرحيم)، قاصدًا بذلك الاختصار، وتَخَلُّصًا من التكرار، لذا فالتقسيم المعتبر في هذا الفصل هو جهة كون الاسم صريحًا أو مشتقًّا، والآن حان أوان الشروع في بيان المقصود، فأقول مُستعينًا بالله الرحيم الودود.

أولا: الأسماء الصريحة:

[١] لفظ الجلالة: (الله)

وهو أول أسمائه تعالى، وإليه ترجع الأسماء جميعًا، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها:

في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾(١).

في سورة البقرة: في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٢).

وفي سورة النساء: في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾(٣)، إلى غير هذه المواضع.

اللغة:

اختلفوا في هذا الاسم الشريف: **أ هُوَ عربيٌ أم معرَّب؟**

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

ذكر الفيروزابادي أن للعلماءِ في هذا الاسم الشريف أقوالا تقارِب ثلاثين قولا، فقيل: مُعَرّب أَصله بالسّريانية (لاها) فحذفوا الأَلف، وأَتَوْا بأَلْ، ومنهم من أَمسك عن القول تورعًا، وقال: الذات، والأسماء، والصفات جلَّت عن الفهم والإدراك، وقال الجمهور: هو عربى[١].

ثم اختلفوا بعد ذلك في: **هل هو مرتجلٌ أو مشتق**، وذلك على قولين:

أحدهما: أنه عَلَمٌ مرتجل غير مشتقّ، وعُزي لأَكثر الفقهاء، والأصوليين، وغيرهم، ومنهم الشافعي، والخطابي، وإِمام الحرمين، والإمام الرازي، وغيرهم[٢].

وذهب الزجاج[٣] أيضًا إلى القول بأنه غير مشتق[٤].

وقال الإمام الخطابي -بعد ذكره أقوال أهل العربية في هذا الاسم الشريف-: "وأعجب الأقوال إليَّ: قول من ذهب إلى أنه اسم علم وليس بمشتق كسائر الأسماء المشتقة.. ثم قال: والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم، ولم تدخلا للتعريف: دخول حرف النداء عليه؛ كقولك: يا ألله، وحرف النداء لا يجتمع مع الألف واللام للتعريف؛ ألا ترى أنك لا تقول: يا الرحمن ولا يا الرحيم، كما تقول: يا ألله، فدل على أنهما من بنية الاسم"[٥].

وذهب إلى هذا أيضًا الخطيب الشربيني[٦] فقال: "والحق أنه أصل بنفسه غير مأخوذ من شيء، بل وضع علمًا ابتداء، فكما أن ذاته لا يحيط بها شيء، ولا ترجع إلى شيء، فكذلك اسمه -تعالى"[١].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٢/ ١٢.

(٢) المرجع السابق بالتخريج نفسه.

(٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد، تُوفي نحو سنة ٣١١هـ. من مؤلفاته: «معاني القرآن»، و«سر النحو»، و«الاشتقاق». [راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (١/ ٤١١)، والأعلام، للزركلي (١/ ٤٠)].

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط: دار الثقافة العربية، دمشق: ١٩٧٤م، ص: ٢٥.

(٥) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٣٥.

(٦) هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، الفقيه الشافعي، المُفَسِّر، اللغوي، المصري، المتوفى سنة ٩٧٧هـ. من تصانيفه: «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع»، و«مغني المحتاج في شرح المنهاج» للنووي. وله «تقريرات على المطول» في البلاغة، و«شرح شواهد القطر». [راجع: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (١٠/ ٥٦١)، والكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي (٣/ ٧٢)].

والقول الثاني: أنه مشتق، وعُزِي لأَكثر العلماء، والحقُّ أَنَّه قول كثير منهم، لا قول أَكثرهم(٢).

ثم اختلفوا بعد ذلك في أصل اشتقاقه على أقوال كما يلي:

فقيل: مادته (ل ي هـ) من لاه يليه إِذا ارتفع؛ لارتفاعه -تعالى- عن مشابهة المثليات.

وقيل: مادته (ل و هـ) من لاه يلوه إِذا احتجب، لاحتجابه -تعالى- عن العقول والعيون، أَو من لاه يلوه: اضطرب؛ لاضطراب العقول والأَفهام دون معرفة ذاته وصفاته، أَو من لاه البرقُ يَلُوه: إِذا لَمَعَ وأَضاءَ؛ لإِضاءَة القلوب، ولمعانها بذكره -تعالى- ومعرفته، أَو: لاه الله الخلقَ يَلُوههم: أَى خَلَقَهم.

وقيل: مادته (أَل هـ) من أَلِه إِليه يأْلَهَ كسمع يسمع إِذا فزع إِليه؛ لأَنَه يفزع إِليه في المهمات، أَو من أَلِه: سكن لأَنه يَسكن إِليه القلوب والعقول، أَو من أَلِه يَأْلَهُ أَلَهاً -كفرح يفرح فرحًا- إِذا تحير، ومعناه أَنَّه تتحير العقول فى إِدارك كمال عظمته، وكُنْه جلال عزته، أَو من أَلِهَ الفَصِيلُ إِذا أُولع بأَمّه، وذلك لأن العباد مولَعون بالتضرع إِليه فى كل حال، أَو من أَلَهَ يَأْلُهُ إِلهةً وتَأَلُّهاً كعَبد يعبُدُ عبادَةً وتَعَبُّداً زنةً ومعنى، والمعنى: المستحق للعبادة، أَو المعنى: المعبود، فعلى الأول يرجع لصفة الذات، وعلى الثانى لصفة الفعل.

وقيل: مادّته (وَ لَ هـ) من وَلِهَ من قوله: طرِب أُبدلت الهمزة من الواو؛ كما قالوا فى وِشاح، وسُمّى بذلك لطرب العقول والقلوب عند ذكره، وحُكى ذلك عن الخليل، وضعّف بلزوم البدل، وقولِهم: آلِهة، ولو كان كما ذكر لقيل أَوْلهة كأَوشحة ويجوز أَن يجاب: بأَنه لما أَبدلت الهمزة من الواو فى تمام التصاريف حيث قالوا أَلِهَ أَلَها صارت الهمزة المبرزة كالأَصلية، فخالف ما نحن فيه إِشاح؛ فإنها ليست أَصلا، ولا شبيهة به، قال اللغويون: أَلِه يأْلَه أَلَها، وأَصله: وَلِه يَوْله وَلَهًا(٣).

=

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، ١/ ١٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٢/ ١٣.

(٣) يُراجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، ١٣/٢: ١٥، ومعه: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص:٢١، ٢٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي ١٣٣/١: ١٣٥. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ١٠٢، ١٠٣. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٦٢: ١٦٥.

وممن قال باشتقاق هذا الاسم الشريف الإمام ابن القيم[(١)] **حيث قال ما مُحَصَّلُه:** إن حجة من قال إن اسم الله غير مشتق هي أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ثم أجاب عن ذلك فقال: "لا ريب أنه إن أُريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألَـمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله، ثم الجواب عن الجميع: أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعًا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، وقول سيبويه إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الاعتبار لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولا ثم اشتقوا منها الأفعال فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي وإنما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمن بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى[(٢)].

قلت: والـمُتأمل في الخلاف يجد أنه يكاد أن يؤول إلى كونه خلافًا لفظيًّا لا حقيقيًّا.

"ولا مانع من حيث اللغة أن يكون العَلم في أصل وضعه مشتقًا، ثم بعد انتقاله إلى العلمية ينصرف الذهن إلى كونه علمًا على ذات دون اعتبار الصفة التي دل عليها أصل الاشتقاق"[(٣)].

---

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، شمس الدين، الدمشقي ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ. من تصانيفه: «الطرق الحكمية»، و«مفتاح دار السعادة»، و«الفروسية»، و«مدارج السالكين»، وغير ذلك. [راجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (١٣٧/٥)، والأعلام، للزركلي (٥٦/٦)].

(٢) بدائع الفوائد، للإمام ابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، ١/ ٢٦، ٢٧. ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) نظرات في أسماء الله الحسنى، للدكتور/ جيب الله حسن أحمد، أستاذ العقيدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) بالقاهرة. جامعة الأزهر، ص: ٦٨ بتصرف. ط: مطبعة الحسين الإسلامية، الأزهر، مصر: ٢٠٠١م.

قال الشيخ زكريا الأنصاري(١): "وأصله -أي لفظ الجلالة الله- «الإله» حُذفت همزته وعوض عنها لفظ التعريف، ثم جُعل علمًا"(٢).

وفي المعجم الوسيط: "الله: علم على الإله المعبود بحق أصله إله دخلت عليه (أل) ثم حذفت همزته و أدغم اللامان"(٣).

التفسير:

لفظ الجلالة (الله): علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد(٤).

وقيل: هو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه(٥).

وهو الاسم الأعظم عند الجمهور، واختار النووي أنَّه الحي القيوم(٦).

قال الخطيب الشربيني: "وعند المحققين أنه -أي لفظ الجلالة (الله)- اسم الله الأعظم، وقد ذكره الله تعالى في ألفين وثلاثمائة وستين موضعًا، واختار النووي تبعًا لجماعة أنه الحيّ القيوم، قال: ولذلك لم يذكر في القرآن إلا في ثلاثة مواضع في البقرة، وآل عمران، وطه"(٧).

---

(١) هو: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، أبو يحيى، المصري، لُقِّبَ بشيخ الإسلام. تُوفى سنة ٩٢٦هـ. من مؤلفاته: «الغرر البهية في شرح البهجة الوردية»، و«منهج الطلاب»، و«أسنى المطالب شرح روض الطالب»، و«غاية الوصول شرح لب الأصول»، وله تآليف في المنطق والتفسير والحديث وغيرها. [راجع: الكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي (١/ ١٩٨)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين العَيْدَرُوس (ص: ١١١)].

(٢) شرح البسملة والحمدلة، للإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: ربيع أحمد خلف، وجمال السيد رفاعي، محمد أبو مسلم عبد الخالق، ص: ١٨.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة: (أله)، ط/ ٤: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص: ٢٥.

(٤) يُنظر: روح المعاني، للعلامة الآلوسي، ٣٠/ ٢٧١. والسراج المنير، للإمام الخطيب الشربيني، ١/ ١٤. والتحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور، ١/ ١٦٢، وحاشية البيجوري على الجوهرة، ص: ٥. ط: صبيح بمصر.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ١٠٢.

(٦) حاشية البيجوري على الجوهرة، ص: ٥.

(٧) السراج المنير، للإمام الخطيب الشربيني، ١/ ١٣.

(الكلام على اسم الله الأعظم)

للعلماء في تناول مسألة اسم الله الأعظم مسلكان كما يلي(١):

* **المسلك الأول:** أنكر بعضهم تخصيص اسم من أسمائه تعالى بأنه الاسم الأعظم، وقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، وأن لفظ (الأعظم) المراد به هنا: العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة، فكل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقًا بحيث لا يكون في فكره حالتئذٍ غير الله تعالى فذلك الاسم هو اسم الله الأعظم.

ويُعْزَى هذا القول لأبي جعفر الطبري، وأبي الحسن الأشعري، وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان، وأبي بكر الباقلاني، ونسب ذلك بعضهم لمالكٍ(٢)؛ لأنه كان يرى كراهته أن تُعَادَ سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يُظَنَّ أن بعض القرآن أفضل من بعض فيُؤْذِن ذلك باعتقاد نقصان المَفْضُول عن الأفضل.

* **المسلك الثاني:** ذهب بعض العلماء إلى إثبات الاسم الأعظم له سبحانه، ثم انقسموا بعد ذلك إلى فريقين:

* **الفريق الأول:** يرى أنه مخفي في الأسماء؛ كالصلاة الوسطى، وساعة الإجابة يوم الجمعة، وليلة القدر؛ وذلك حتى يجتهد المسلم في تحرِّيه من خلال الذكر بجميع أسماء الله الحسنى والدعاء بها.

ودليل هذا الفريق كما ذكر العلماء: ما جاء عن أم المؤمنين **عائشة** رضي الله تعالى عنها وأرضاها أن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «يَا عَائِشَةُ: هَلْ عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّنِي عَلَى الِاسْمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ؟» قالت: فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي فعلمنيه، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ»

---

(١) استفدت في بحث هذه المسألة بشكل أساسي بالمراجع التالية: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٤، ٢٢٥. والدر المنظم في الاسم الأعظم، للإمام جلال الدين السيوطي، مخطوطة بالمكتبة الأزهرية، وعدد صفحاتها: ثلاث صفحات. وكتاب «عقيدتنا»، للأستاذ الدكتور/ محمد ربيع جوهري، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة بجامعة الأزهر وعميدها السابق، ص: ٩٨، ٩٩.

(٢) هو: مالك بن أنس بن مالك، الأصبحي، الأنصاري، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه ينتسب المالكية. تُوفي سنة ١٧٩هـ. من تصانيفه: «المُوطَّأ»، و«تفسير غريب القرآن»، و«الرسالة» إلى الليث بن سعد ، وجُمِع فقهه في «المُدَوَّنة». [راجع: الديباج المُذهَّب، لابن فرحون (ص: ١١ – ٢٨)، والأعلام، للزركلي (٥/٢٥٧، ٢٥٨).

قَالَتْ: فَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِيهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ أَنْ أُعَلِّمَكِ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَسْأَلِي بِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا»، قالت: فقمت فتوضأت، ثم صليت ركعتين، ثم قلت: اللّهم إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها، ما علمت منها، وما لم أعلم، أن تغفر لي وترحمني، قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا»(١).

وجهة الدلالة فيه: قوله ﷺ لها: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا»، وذلك من غير تعيين له.

قلت: وقد كان يصحُّ هذا دليلا قويًّا لهم، لولا أن العلماء ضعَّفوه؛ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: "وسنده ضعيف، وفي الاستدلال به نظرٌ لا يخفى "(٢).

ويقول الإمام البوصيري: "هذا إسناد فيه مقال؛ عبد الله بن حكيم وثَّقه الخطيب وعدَّه جماعة من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبة لم أر من جرَّحه ولا من وثَّقه، وباقي رجال الإسناد ثقات "(٣).

❋ **الفريق الثاني:** يرى أنه معلوم ويمكن تحديده، ثم اختلفوا في ذلك على أقوال متعددة، أوصلها الإمام ابن حجر إلى أربعة عشر قولا وسردها، والإمام السيوطي(٤) إلى عشرين قولا وسردها، والدكتور محمد ربيع جوهري إلى أربعين قولا من غير سرد، ولم أقف على هذا العدد أو على هذه الأقوال مسرودة في كتاب.

وفيما يلي أهم الأقوال التي ذكرها هذا الفريق في تحديد اسم الله الأعظم (وسأقتصر على ذكر أهم الأقوال وأشهرها):

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم، حديث رقم: (٣٨٥٩)، ٢/ ١٢٦٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٤.

(٣) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للإمام أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، ٤/ ١٤٦، ١٤٧. ط/٢: دار العربية – بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٤) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري، أبو الفضل، جلال الدين، السيوطي، ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة٩١١هـ. انقطع للتأليف حتى أن مؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف، منها: «الأشباه والنظائر» في فروع الشافعية، و «الحاوي للفتاوي» و«الإتقان في علوم القرآن»، و«الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير». [راجع: الضوء اللامع، للسخاوي (٤/٩٥)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (١٠/٧٤)].

* **القول الأول:** أنه لفظ الجلالة (الله)، وهو قول جمهور العلماء.

ويُستدل له بأن لفظ الجلالة (الله) لم يُطلق على غيره تعالى، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت إليه؛ فيُقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها من أسماء الله تعالى، و لا يقال الله اسم الرحمن الرحيم.

قال ابن علان الصديقي[١] في «شرح الأذكار النووية»": "والأظهر أنه -أي لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم-؛ فهو قول أكثر العلماء، ولا ينافيه أن كثيرين يدعون به ولا يُستجاب لهم؛ لأن ذلك لخلل في دعوتهم نحو قطيعة رحم، أو أنهم لم يستوفوا شروط الدعاء التي منها أكل الحلال"[٢].

* **القول الثاني:** أنه (الحي القيوم)، واختاره الإمام النووي.

ودليله: حديث **أبي أمامة**[٣] رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ» قال القاسم: فالتَمَسْتُهَا إنَّه الحيُّ القيُّومُ[٤].

---

(١) هو: محمد بن علي بن محمد بن علان، البكري، الصديقي، العلوي، الشافعي، تُوفي بها سنة ١٠٥٧هـ. من تصانيفه: «الفتوحات الربانية على الأذكار النووية»، و«مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام»، و«ضياء السبيل»، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين». [راجع: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (١٨٤/٤)، والأعلام، للزركلي (٢٩٣/٦)].

(٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان الصديقي، ٧/ ٢١٢ بتصرف. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٣) هو: صديّ بن عجلان بن وهب، أبو أمامة، الباهلي. غلبت عليه كنيته: من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان مع علي في «صفين». توفي بالشام سمة ٨٦هـ.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٣٣٩/٣)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٨٨/٧)].

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم، حديث رقم: (٣٨٥٦)، ٢/ ١٢٦٧ موقوفًا ومرفوعًا. والحاكم في المُسْتدرك على الصحيحين مرفوعًا، حديث رقم: (١٨٦١)، ١/ ٦٨٤. وسكت عنه هو والذهبي. واللفظ للحاكم.
قال الإمام البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٤٤، ١٤٥): "الإسناد الأول: رجاله ثقات، وهو موقوف، قاله المزي. والإسناد الثاني: فيه مقال غيلان لم أر من جرَّحه ولا من وثَّقه، وباقي رجال الإسناد ثقات، لكن لم ينفرد به غيلان عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا؛ فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا داود بن رشيد ثنا
=

❋ **القول الثالث:** أنه (الله الرحمن الرحيم).

ومُستنده: ما جاء عن أم المؤمنين **عائشة** رضي الله تعالى عنها وأرضاها أن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «يَا عَائِشَةُ هَلْ عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّنِي عَلَى الِاسْمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ؟» قالت: فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي فعلمنيه، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ» قَالَتْ: فَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِيهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ أَنْ أُعَلِّمَكِ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَسْأَلِي بِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا»، قالت: فقمت فتوضأت، ثم صليت ركعتين، ثم قلت: اللّهم إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها، ما علمت منها، وما لم أعلم، أن تغفر لي وترحمني، قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا»(١).

وقد مرَّ تضعيف العلماء لسند هذا الحديث.

❋ **القول الرابع:** أنه (الله الرحمن الرحيم الحي القيوم).

=

الوليد عن عبد الله بن العلاء عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا فذكره، وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد رواه أبو داود في سننه والترمذي في الجامع" اهـ.

قلت: لم أجده عند أبي يعلى، وحديث أسماء بنت يزيد الذي أشار إليه الإمام البوصيري غير حديث أبي أمامة الذي معنا، فلا يصح أن يكون شاهدًا له، وخلاصة الكلام في هذا الحديث عندي ما يلي:-

اختلفت الطرق عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، فروي الحديث عنه موقوفًا عليه. وروي عنه عن أبي أمامة مرفوعًا، دون تعيين الآيات. والقاسم هذا مختلف فيه. قال يعقوب بن شيبة: "كان من أصحاب أبي أمامة، وقد اختلف فيه الناس؛ فمنهم من يُضعِّف روايته، ومنهم من يُوثِّقه". (يُنظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ٤٩/ ١١٣. ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م).

ولَخَّص حاله الحافظ ابن حجر بقوله: "صدوق يُغْرِب كثيرًا" (يُنظر: تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوَّامة، ص: ٤٥٠. ط/١: دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

وقال الذهبي: "صدوق" [يُنظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوَّامة، وأحمد محمد نمر الخطيب، ٢/ ١٢٩. ط/١: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م].

والخلاصة: إن مثل هذا الحديث يكون حسنًا، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم، حديث رقم: (٣٨٥٩)، ٢/ ١٢٦٨.

ودليله: حديث **أسماء بنت يزيد**[١]، أن النبي ﷺ قال: «اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[٢]، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾[٣]»[٤].

إلا أن الاستدلال به لا يسلم من نظر؛ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» عنه: "وفيه نظر؛ لأنه من رواية شهر بن حوشب"[٥].

* **القول الخامس:** أنه (الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم).

ودليله -كما قال الحافظ ابن حجر-: ما ورد مجموعًا في حديث **أنس** ﷺ عند الحاكم وأبي داود وابن حبان وصحَّحه[٦].

ورواية ابن حبان هي: ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع سجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللّٰهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قَيَّام[٧] اللّٰهم إني

---

(١) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث، الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية: صحابية جليلة، هي بنت عم معاذ بن جبل، وكانت تكنى أم سلمة، وكان يقال لها «خطيبة النساء». روت عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، وشهدت معه بعض المشاهد. شهدت «اليرموك»، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا.
[تُراجع ترجمتها في: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٨/ ٢١)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٨/ ٢٤٤)].

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: الدعوات، بابٌ منه، حديث رقم: (٣٤٧٨)، ٥/ ٥١٧. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٤.

(٦) يُراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٤.

(٧) القَيُّوم والقَيَّام بمعنى واحد، وهو: القائم بتدبير خلقه في إيجادهم ورزقهم.

أسألك، فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

* **القول السادس:** أنه (ذو الجلال والإكرام).

واسْتُدِل لهذا القول بما جاء من حديث **معاذ بن جبل** رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سمع رجلا وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ»(٢).

* **القول السابع:** أنه (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد).

ودليله: حديث **بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ**(٣) عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلا يدعو وهو يقول: اللّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٤).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم: (٨٩٣)، ٣/ ١٧٥. ونحوه أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الصلة، باب: الدعاء، حديث رقم: (١٤٩٥)، ١/ ٤٧٠. وأحمد في المسند، حديث رقم: (١٣٥٩٥)، ٣/ ٢٤٥. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٨٥٦)، ١/ ٦٨٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخَرِّجَاه"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص». وأخرجه من طريق آخر؛ حديث رقم: (١٨٥٧)، ١/ ٦٨٣. وسكت عنه هو والذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: الدعوات، بابٌ منه، حديث رقم: (٣٥٢٧)، ٥/ ٥٤١. وقال: "هذا حديث حسن".

(٣) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد اللَّه بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدّي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي. وقيل: إن اسمه عامر، وبريدة لقبه: صحابي جليل. أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك. وقيل: أسلم بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر، وسكن البصرة لما فُتحت. وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستّ عشرة غزوة. وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحوّل إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٤١٨/١)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/٧)].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب: الدعوات، باب: جامع الدعوات عن النبي ﷺ، حدرث رقم: (٣٤٧٥)، ٥١٥/٥، ٥١٦. وقال: "هذا حديث حسن غريب". والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم:
=

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: "وهو أرجح من حديث السند من جميع ما ورد في ذلك"[١].

❋ **القول الثامن:** أنه كلمة التوحيد، نُقل عن القاضي عياض[٢].

لم أقف على دليل لهذا القول.

وهناك أقول أخرى لم أذكرها؛ لعدم الأدلة عليها، أو أنه لا يُعْلم من قالها من العلماء، بل إن ذكر بعض العلماء لها جاء في مقام الجمع والسرد لا التمحيص والتدقيق، لذا اكتفيت بأشهر الأقوال وأهمها.

الخلاصة والنتائج في هذه المسألة:

١- أن الروايات التي جاء فيها تعيين الاسم الأعظم منها ما هو صحيح، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف، كما مرَّ.

٢- أن هذه الروايات ضمَّت هذه الروايات أحد عشر اسمًا، وهي: « الله/ الحي/ القيوم/ الحنان/ المنان/ بديع السموات والأرض/ ذو الجلال والإكرام/ الأحد/ الصمد/ الرحمن/ الرحيم».

٣- أن الإمامين ابن حجر والسيوطي لم يُرَجحا أيًّا من الأقوال، ولم يُعيِّنا اسما من الأسماء ليكون هو الاسم الأعظم، وإن كان في كلامهما إشارة إلى تضعيف بعض أدلة الأقوال.

٤- أن من العلماء من يرى أن الاسم الأعظم مخفيٌّ في الأسماء الحسنى، وهذا هو اختيار فضيلة الدكتور محمد ربيع جوهري؛ وذلك لكي يجتهد العبد في الذكر بالأسماء كلها والدعاء بها، كما

=

(١٨٥٨)، ١/ ٦٨٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاه"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص»، وعند الحاكم أيضًا من طريق آخر: حديث رقم: (٩٨٥)، ١/ ٤٠٠. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاه". قال الذهبي في «التلخيص»: "على شرطهما".

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، ١١/ ٢٢٥.

(٢) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ، من تصانيفه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، و«الغنية»، و« مشارق الأنوار»، و«الإعلام بحدود قواعد الإسلام».

[راجع: شجرة النور الزكية في طبقات المالكي، لمحمد مخلوف، (ص: ١٤٠)، والأعلام، للزركلي (٩٩/٥)].

أُخْفِيت ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان ليجتهد العباد في إحيائها جميعًا[١].

٥- أن ما أَمِيلُ إليه هو: ما اختاره فضيلة الدكتور محمد ربيع جوهري من القول بأن الاسم الأعظم مخفيٌّ في الأسماء، وإن كان في سند الحديث المُستدل به على ذلك مقال، وهو مروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها عند ابن ماجه -كما مرَّ-، إلا أن هذا يُفهم من فعل النبي ﷺ في الروايات الصحيحة، وفيها أخبر النبي ﷺ من دعوا: أنهم دعوا باسم الله الأعظم من غير تعيينه على جهة التحديد؛ وذلك ليجتهد المسلم في التحري والدعاء بجميع الأسماء الحسنى، كما في ليلة القدر والصلاة الوسطى، وأيضًا فإن في هذا التوجيه النبوي لكل من كان يسمعه يدعو بأنه دعا بالاسم الأعظم: إشارة إلى أنه مخفي في الأسماء، بل قد يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وهذا يتلاقى مع ما كان يفعله ﷺ مع من يسأله: أي العمل أفضل؟ فيخبر كل واحد بما يناسبه ويناسب حاله، فتارة يخبر بأنه: إيمان بالله ورسوله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم الحج المبرور، وتارة يخبر بأنه: الصلاة على وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، وغير ذلك. قلت: كذا في الاسم الأعظم، فقد يختلف باختلاف الشخص والحال؛ لذا فهو مخفيٌّ في الأسماء، والله تعالى أعلم.

تنبيهات وفوائد مهمة:

١- لم يتسم أحدٌ بهذا الاسم الشريف، وهو مما اختصَّ به الجليل، وقد قبض الله أفئدة الجاهلين وألسنتهم عن التسمي به من غير مانع ولا وازع؛ لأن أكثر من تداوله من الجاهلين إنما تداوله على أنه اسم يختص بالخالق رب العالمين، وأنه ليس اسمًا لمخلوق. فعلى هذا تداوله معظم الخليقة تقليدًا، وبيَّن ذلك قول الحق تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٢].

٢- قال الإمام الخطابي عن هذا الاسم الشريف: "إنه أشهر أسماء الرب تعالى، وأعلاها محلا في الذكر والدعاء، وكذلك جعله إمام سائر الأسماء، وخُصَّت به كلمة الإخلاص، ووقعت به الشهادة، فصار شعار الإيمان"[٣].

(١) يُراجع: عقيدتنا، للأستاذ الدكتور/ محمد ربيع جوهري، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة بجامعة الأزهر وعميدها السابق، ص: ٩٩.

(٢) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للقرطبي، تحقيق: عرفان بن سليم الدمشقي، ص: ٢٧٦. ط/١: المكتبة العصرية، بيروت: ٢٠٠٥م، والآية رقم: ٢٥ من سورة لقمان. وأيضًا رقم: ٣٨ من سورة الزمر.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٣٠، ٣١.

٣- من خواص هذا الاسم الشريف أنك متى حذفت من خطه حرفًا بقي الباقي دالا عليه تبارك وتعالى: فإن حذفت الألف بقي [لله]، وإن حذفت اللام الأولى وأبقيت الألف بقي [إله]، وإن حذفتهما معًا بقي [له ملك السموات والأرض]، وإن حذفت الثلاثة -أي الألف مع اللامين الأولى والثانية- بقي [هو الحي لا إله إلا هو](١).

٤- معاني سائر الأسماء يُتصور أن يتصف العبد بشيء منها حتى يطلق عليه الاسم كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور وغيره وإن كان إطلاق الاسم عليه على وجه آخر يباين إطلاقه على الله عز وجل، وأما معنى هذا الاسم فخاص خصوصًا لا يتصور فيه مشاركة لا بالمجاز ولا بالحقيقة، ولأجل هذا الخصوص توصف سائر الأسماء بأنها اسم الله عز وجل وَتُعَرَّف بالإضافة إليه؛ فيقال: الصبور والشكور والملك والجبار من أسماء الله عز وجل. ولا يقال: الله من أسماء الشكور والصبور؛ لأن ذلك من حيث هو أدل على كنه المعاني الإلهية وأخص بها فكان أشهر وأظهر، فاستغني عن التعريف بغيره وَعُرِّف غيره بالإضافة إليه(٢).

***

(١) يُنظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ١/ ١٧. والإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن المُلقِّن الشافعي، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، ١/ ٨٧ .

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، ص: ٦٠ بتصرف.

[٢] (الإله)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الإله)، وقد ورد هذا الاسم في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾[٢]. وفي سورة المائدة: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٣]. وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٤]. وفي سورة الحج: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[٥]، وغير هذه المواضع كثير.

اللغة:

مادة الهمزة واللام والهاء تدل في اللغة على أصل واحد هو التعبد، وأصله إلاهٌ على فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، والتأليه التعبيد والتأله التنسك والتعبد، تقول: أله أي تحير، وبابه طرب، وأصله وله يوله ولهًا.

يقول ابن منظور: "الإله: الله -عز وجل- وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها"[٦].

التفسير:

معنى (الإله) في حقه تعالى: أنه المتفرد بالألوهية، المستحق للعبادة وحده دون غيره[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٥) سورة الحج، الآية: ٣٤.

(٦) لسان العرب، لابن منظور، مادة (أله)، ١٣/ ٤٦٧. وتُراجع أيضًا مادة (أله) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ١٢٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٠.

(٧) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٢٩، ٣٠. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ١٥٦. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ١/ ٤٧٤.

وقد ذكر الإمام القرطبي بعض المعاني التي يتضمنها هذا الاسم فقال رحمه الله تعالى: "الإله: هو الخالق، ويدل عليه قول الحق: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾[1]، والإله: هو الرب، يدل عليه قول الحق: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[2]، والإله: هو الذي يضر وينفع ولذلك قال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾[3]، هذا الذي يدل عليه هذا الاسم صريحًا، ويتضمن كل صفه لله يتعلق الفعل بها"[4].

***

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) سورة الصافات، الآيتان ٨٦، ٨٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٢، ٧٣.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٩٥. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[٣، ٤] (الأول، والآخر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الأول، والآخر)، وقد ورد ذكرهما في موضع واحد في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

اللغة:

مادة (أول) تدل في اللغة على ابتداء الأمر، فالأول: مبتدأ الشيء، والمؤنثة الأولى، مثل: أفعل وفعلى، وجمع الأولى أوليات مثل الأخرى.

والأول: نقيض الآخر، وأصله (أَوْأَل) على أفعل مهموز الأوسط، قلبت الهمزة واوًا وأُدْغم، يدل على ذلك قولهم: هذا أَوَّل منك. والجمع الأوائل والأوالي أيضًا على القلب. وقال قوم: (وَوَّل) على فوعل[٢]، فقلبت الواو الأولى همزة. وإنما لم يجمع على أواول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع. وتقول: هذا أَوَّلُ بيِّن الأَوَّلِيَّةِ"[٣].

يقول الراغب الأصفهاني[٤]: "الأول: هو الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه؛ أحدها: المتقدم بالزمان، كقولك: عبد الملك أولا ثم المنصور، الثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء، وكون غيره محتذيًا به، نحو: الأمير أولا ثم الوزير، الثالث: المتقدم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) ضَعَّفَ هذا القول أبو القاسم الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ) حيث قال في اشتقاق أسماء الله (ص: ٢٠٤ - تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ط/٢: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م): "وزن «أول»: أفعل وفاؤه وعينه واوان، والدليل على أنه أفعل -وليس بفوعل كما ذهب إليه بعض النحويين- اتصال «مِنْ» به، ولا تتصل إلا بأفعل، فيقال: أنا أول من فلان". اهـ

(٣) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (أول)، ١/١٥٨. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط/٤: دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مادة: (وأل)، ٥/ ١٨٣٨، ١٨٣٩ بتصرف.

(٤) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب توفي سنة ٥٠٢هـ. من تصانيفه: «محاضرات الأدباء»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«جامع التفاسير» كبير، طبعت مقدمته، و«المفردات في غريب القرآن».

[راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٢/٢٩٧)، والأعلام، للزركلي (٢/٢٥٥)].

العراق: القادسية أولاً ثم فَيْدُ[١]، وتقول للخارج من مكة: فَيْدُ أولا ثم القادسية، الرابع: المتقدم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال: الأساس أولاً ثم البناء، وإذا قيل في صفة الله هو الأول فمعناه: أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء"[٢].

وأما مادة (أخر) فتدل في العربية على خلاف التقدم، والآخر خلاف الأول، والتأخر ضد التقدم، والتأخير ضد التقديم، ومُؤَخَّرُ كل شيء -بالتشديد-: خلاف مُقَدَّمه، وفي أسماء الله تعالى الآخر، ومعناه: الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقه وصامته"[٣].

يقول الفيروزآبادي: "الآخر: اسم يقابل به الأول، موضع للنهاية، كما أن مقابله للبداية، مشتق من أخر يأخر أخورًا، فهو آخر، وهما آخران وهم آخرون، وفى المؤنث: آخرة، وآخرتان، وآخرات، وأواخر، وآخَر -بفتح الخاء- يقابل به الواحد، وذكرت هذه الألفاظ في نص القرآن على ثلاثة عشر وجهًا.. منها: الثالث عشر: بمعنى الأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾"[٤].

التفسير:

الناظر في أقوال المفسرين يجد أن معظمهم قد فسَّروا معنى (الأول) في حقه تعالى بأنه: القديم الأزلي الذي لا ابتداء لوجوده، والذي ليس قبله شيء، و(الآخر) بأنه: الباقي الأزلي الذي لا انتهاء لوجوده، وليس بعده شيء.

يقول الإمام الطبري في تفسيره: "يقول تعالى ذكره: (هُوَ الأَوَّلُ) قبل كل شيء بغير حدّ، (وَالآخِرُ) يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾"[٥].

---

(١) فَيْدُ: بُلَيْدَة نصف طريق مكة من الكوفة. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ط/٢: دار صادر - بيروت، ١٩٩٥م) ٢٨٢/٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣١، ٣٢.

(٣) تُراجع مادة (أخر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٧٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ١١، ١٢ بتصرف.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد على النجار، ٢/ ٨٩، ٩٠ بتصرف.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٣/ ١٦٨. والآية رقم: ٨٨ من سورة القصص.

وقال أبو حيان[١] في «البحر المحيط»: "هو الأول: الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة، والآخر: أي الدائم الذي ليس له نهاية منقضية. وقيل: الأول الذي كان قبل كل شيء، والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء"[٢].

وغالبية المفسرين على هذا ونحوه باختلاف بينهم في العبارات[٣].

***

(١) هو: محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين أبو حيان توفي سنة ٧٤٥هـ. من تصانيفه: «البحر المحيط» في تفسير القرآن الكريم
[راجع: الأعلام، للزركلي (٧/١٥٢)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٢/١٣٠)].

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د/ زكريا عبد المجيد النوقي، د/ أحمد النجولي الجمل، تقريظ: الأستاذ الدكتور/ عبد الحي الفرماوي، ٨/ ٢١٦.

(٣) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٦٥، ١٦٦. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٢٥٧. ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٣٦٠، ٣٦١.

[٥] (البارئ)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (البارئ)، وقد ورد ذكره في ثلاثة مواضع؛ في سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]، وورد مرتين مضافًا في سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

اللغة:

مادة (برأ) تدل في العربية على أصلين يُرَدُّ إليهما باقي فروع المادة، فالأول: برأ بمعنى خلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءًا وبروءًا: خلقهم، والبرية: الخلق، والبارئ: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان، فيُقال: برأ الله النسمة، وخلق السموات والأرض، فهذا معنى أخص.

والأصل الآخر: بمعنى التباعد من الشيء ومُزَايَلَتُهُ، ومن ذلك البُرْءُ وَهُوَ السَّلَامَةُ مِنَ السُّقْمِ، يُقَالُ: بَرِئَ مِنْهُ وَمِنَ الدَّيْنِ وَالْعَيْبِ: سَلِمَ، وَبَرِئَ مِنَ الْمَرَضِ بُرْءًا -بالضم، وَعِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرَأَ - بالفتح[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن اسمه سبحانه (البارئ) مشتق من البرء الذي يدل على بداية الشيء وخلقه فالله سبحانه هو البارئ أي: الخالق، وغالبًا ما يستعمل هذا اللفظ مع خلق من كان من جنس الحيوان وقلما تستعمل في غير هذا فيقال مثلاً: سبحان الذي برأ النسمة.

كما أن هذا الاسم أيضًا قد يكون من كمال التَّنْزيه لله تعالى حيث أن البارئ: هو السالم من العيوب والنقائص، فيقال: برأ فلان من كذا أي سلم مما أصابه، فهو اسم يدل على كمال القدرة وكمال التَّنْزيه.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) تُراجع مادة: (برأ) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/٢٣٦. ولسان العرب، لابن منظور، ١/٣١. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف محمد الشيخ، ص: ٣١ بتصرف.

التفسير:

يطلق البارئ عليه سبحانه وتعالى ويراد به معانٍ ذكرها المفسرون في كتبهم، من هذه المعاني: أنه الموجد والمبدع والمخترع، قاله العلامة الفخر والإمام القرطبي، وكذلك الإمام الغزالي[(١)].

ومن المعاني: أنه الموجد للأشياء بريئة من تفاوت ما تقتضيه بحسب الحكمة والجبلة[(٢)].

يقول العلامة الآلوسي: "في هذه الآية تنْزِيه لله تعالى عما يشركون به سبحانه أو عن إشراكهم به عز و جل إثر تعداد صفاته تعالى التي لا يمكن أن يشارك سبحانه في شيء منها أصلاً، والباريء: هو الموجد لها بريئة من تفاوت ما تقتضيه بحسب الحكمة والجبلة، وقيل: المميز بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة"[(٣)].

وهناك ثلاثة معان أخرى -ذكرها الطاهر بن عاشور-؛ الأول: لأبي بكر بن العربي، والثاني: لابن عطية الأندلسي، والثالث: للزمخشري، واستحسنه.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "البارىء: اسم فاعل من برأ مهموزًا، قال في الكشاف[(٤)]: المميز -لما يوجده- بعضه من بعض بالأشكال المختلفة، وهو مغاير لمعنى الخالق بالخصوص.

وقال ابن العربي في العارضة[(٥)]: البارىء: خالق الناس من البرا -مقصورًا- وهو التراب خاصًّا بخلق جنس الإنسان. وفسره ابن عطية: بمعنى الخالق[(٦)]. وفسره الغزالي: بأنه الموجد المخترع، وقد علمت أنه غير منطبق، فأحسن تفسير له ما في الكشاف.. ثم قال: وإنما ذكرت هذه الصفات متتابعة

---

(١) يُراجع: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٥٦/٢٩. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٤٨/١٨. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٧٢: ٧٤.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٤. تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٢٠٣/٥.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٤.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ٤/ ٥٠٩، ٥١٠. ط/٣: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٥) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، تحقيق: جمال مرعشلي، ١٣/ ٣٤. ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٢٩٢.

لأن من مجموعها يحصل تصور الإبداع الإلهي للإنسان، فابتدئ بالخلق الذي هو الإيجاد الأصلي ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان ثم بالتصور الذي هو إعطاء الصورة الحسنة"(١).

وذكر البغوي(٢) معنى سادسًا مستحسنًا يناسب سياق الآية حيث قال: "البارئُ: المُنْشِئُ للأعْيَان من العدم إلى الوجود"(٣). ونحوه عند ابن كثير حيث قال في معنى (البارئ): "البَراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود"(٤).

وهناك معنى أخيرٌ تحتمله اللغة، وفيه كمال التَّنْزِيه لله تعالى، وهو أن البارئ: السالم الخالي من كل عيب ونقص، فيقال: برأ من كذا أي سلم.

والمعنى الأقرب لهذا الاسم في سياق الآيات هو ما كان فيه معنى خلق الأشياء بريئة من التفاوت، وإنشاء الأعيان بإخراجها من العدم إلى الوجود، وتمييز بعضها عن بعض في تكوين الأجسام، فيعطي اسم البارئ معنى يُفارق اسمي الخالق والمصور، ومن ثم لا يكون بينهم ترادف.

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٤، ١٢٥ بتصرف.

(٢) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، الفراء البغوي توفي سنة ٥١٠هـ. من تصانيفه: «التهذيب» في الفقه، و«شرح السنة» في الحديث، و«معالم التنزيل» في التفسير، و«الجمع بين الصحيحين».
[راجع: طبقات ابن السبكي (٧/٧٥)، والأعلام، للزركلي (٢/٢٥٩)].

(٣) تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٥/ ٦٧.

(٤) تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٨٠.

[٦] (البديع)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (البديع)، وقد ورد في موضعين هما:

الأول: في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾[١]، والثاني: في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾[٢].

اللغة:

مادة (بدع) تدل في اللغة على ابتداء الشيء وإنشائه على غير مثال سابق، يقال: أبدعت الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته واخترعه لا عن سابق مثال، وبدع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبِدْعٌ بالكسر أي مُبْتَدَعٌ، وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر أي بَدِيعٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣].

والبديع: المحدث العجيب، والبديع: المبدع، والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، والله تعالى كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق. قال أبو إسحاق: يعني أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال إلا أن بديعا من بَدع لا من أبدع "[٤].

التفسير:

يطلق هذا الاسم الشريف -البديع- في جانب الحق عز وجل ويراد به معنيان: الأول: أنه -تعالى- لا مثل له ولا شبيه، يقال هذا شيء بديع، إذا كان عديم المثل، وهو تعالى أولى الموجودات بهذا الاسم والوصف؛ لأنه يمتنع أن يكون له مثل أزلا وأبدًا، فيكون على هذا من صفات الذات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٤) تُراجع مادة (بدع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٠٩، ٢١٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٦.

والثاني: أنه بمعنى المبدع الذي فطر الخلق ابتداء لا على مثال سبق، وعلى هذا التفسير يكون من صفات الفعل(١).

ويذكر العلامة الآلوسي المعنيين فيقول: "قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ -التي في الأنعام- أي: مبدعها وموجدهما بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان.

وقيل: هو من إضافة الصفة المشبهة إلى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيهًا لها باسم الفاعل كما هو المشهور، أي: بديع سمواته وأرضه، من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق أو إلى الظرف كما في قولهم فلان ثبت الغدر أي ثبت في الغدر وهو بغين معجمة ودال وراء مهملتين المكان ذو الحجارة والشقوق ويقولون ذلك إذا كان الرجل ثبتًا في قتال أو كلام.

والمراد من بديع في السموات والأرض: أنه سبحانه عديم النظير فيهما، ومعنى ذلك: على ما قال بعض المحققين أن إبداعه لهما لا نظير له لأنهما أعظم المخلوقات الظاهرة فلا يرد أنه لا يلزم من نفي النظير فيهما نفيه مطلقًا، ولا حاجة إلى تكلف أنه خارج مخرج الرد على المشركين بحسب زعمهم أنه لا موجود خارج عنهما، واختار غير واحد التفسير الأول، والمعنى عليه أنه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الإطلاق منزه عن الانفعال بالكلية، والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن أن يكون له ولد؟"(٢).

ويؤكد الإمام أبو حامد الغزالي المعنيين السابقين بعبارة رشيقة فيقول: "البديع: هو الذي لا عهد بمثله، فإن لم يكن بمثله عهد لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في كل أمر راجع إليه فهو البديع المطلق، وإن كان شيء من ذلك معهودًا فليس ببديع مطلق، ولا يليق هذا الاسم مطلقًا إلا بالله سبحانه وتعالى فإنه ليس له قبل فيكون مثله معهودًا قبله، وكل موجود بعده فحاصل بإيجاده وهو غير مناسب لموجده، فهو بديع أزلاً وأبدًا"(٣).

***

(١) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ٢٥٧. وحاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٧٠٥ بتصرف. ط/١: المطبعة الشرقية بمصر، ١٣٠٣هـ.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ٢٤٢.

(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، ص: ١٣٠، ١٣١.

[٧] (البَّر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (البَّر)، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في موضع واحد، في سورة الطور: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

اللغة:

مادة (بر) تدل في اللغة على الصدق والطاعة، فيُقال: فلانٌ صدق وبر، وبرت يمينه: صدقت، وأبرها: أمضاها على الصدق، وتقول: بر الله حجك وأبره، وحجة مبرورة، أي قبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم يبر ربه أي يطيعه، والبر ضد العقوق، ومن هذا الباب قولهم: هو يبر ذا قرابته، وأصله الصدق في المحبة، يقال: رجل بر وبار، وبررت والدي وبررت في يميني، والبر من صفات الله تعالى وتقدس، العطوف الرحيم اللطيف الكريم "[٢].

يقول الراغب الأصفهاني: "البر خلاف البحر، وتصور منه التوسع فاشتق منه البر، أي: التوسع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تعالى تارة نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وإلى العبد تارة، فيقال: بر العبد ربه، أي: توسع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة، وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال، ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه، يقال: بر في قوله، وبر في يمينه"[٣].

التفسير:

ومعنى هذا الاسم (البر) في حقه تعالى: المحسن الرفيق بعباده، الذي وسع بره جميع عباده.

يقول العلامة الآلوسي: "(البر): أي المحسن كما يدل عليه اشتقاقه من البر بسائر مواده؛ لأنها ترجع إلى الإحسان، كبَرَّ في يمينه، أي صدق إحسان في ذاته ويلزمه الإحسان للغير، وأبر الله تعالى

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢٨.

(٢) تُراجع مادة (برر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ١٧٧، ١٧٨. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٥١: ٥٣. ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف محمد الشيخ، ص: ٣٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٠ بتصرف.

حجه، أي قبله؛ لأن القبول إحسان وزيادة، وأبر فلان على أصحابه، أي أعلاهم؛ لأنه غالبًا ينشأ عن الإحسان لهم"(١).

وقد نحا نحو هذا المعنى -أي تفسير اسم البر بالمحسن- الفخر الرازي(٢)، وابن عطية(٣)، والطاهر بن عاشور(٤).

وزاد القرطبي مَلْحَظ السعة في بره تعالى وإحسانه، واتساعه ليشمل جميع عباده، فقال: "وهذا الوصف -يعني: البر- في الله تعالى من أوصاف فعله، وهو مضاف إلى عباده كلهم في الدنيا، وإلى الخصوص في الأخرى، وذلك أنه ما من شخص في الدنيا إلا وسعه بر الله تعالى، وفاض عليه إحسانه، ولذلك عم في قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٥)، وأما في الأخرى فلا يختص ببر الله تعالى إلا من أنعم عليه بجواره، وأسكنه بحبوحة أنواره، لا من أحله في ناره فهو سبحانه البر بعباده"(٦).

ومما جاء في معنى هذا الاسم أيضًا: ما جاء عن ابن عباس أنه بمعنى اللطيف(٧).

ومن العبارات الجامعة التي يحسن نقلها في بيان معنى هذا الاسم: ما ذكره الإمام الحليمي، حيث قال: "البر: الرفيق بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير من سيئاتهم، ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم الهم بالحسنة، ولا يكتب لهم بالسيئة"(٨).

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ٣٥.
(٢) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٤٦، ٢٤٧.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ١٩٠.
(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٥٨.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٣٣، ٣٣٤ بتصرف. ط: دار الصحابة للتراث بطنطا.
(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٢/ ٤٧٧.
(٨) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٤.

[٨] (البصير)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (البصير) وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

وفي سورة آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٢).

وفي سورة الإسراء: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾(٣).

وفي سورة تبارك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾(٤)، إلى غير هذه المواضع.

اللغة:

مادة (بصر) في العربية تدل على العلم بالشيء، فيقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرًا أي عالمًا، والبصر: حاسة الرؤية، وأبصرته إذا رأيته، والبصير: المبصر ضد الضرير، والبصيرة: الحجة والاستبصار في الشيء، وقيل هي الفطنة، وقيل غير ذلك(٥).

التفسير:

هذا الاسم يطلق في جانب الله تعالى ويراد به معنيان:

الأول: البصر بمعنى العلم والإحاطة بالأشياء ظاهرها وخفيها.

والثاني: البصر بمعنى الرؤية فيكون صفة انكشاف.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥، ٢٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤) سورة تبارك، الآية ١٩.

(٥) تُراجع مادة (بصر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٥٣، ٢٥٤. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٥. ط/٥: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/٦٤: ٦٨ بتصرف كبير جدًا.

يقول العلامة الآلوسي: "قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[1]، أي عالم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم لا محالة وحمل البصر على العلم هنا، وإن كان بمعنى الرؤية صفة لله تعالى أيضًا؛ لأن بعض الأعمال لا يصح أن يرى على ما ذهب إليه بعض المحققين"[2].

ويزيد الإمام الطبري التأكيد على معنى العلم والإحاطة التامَّيْن لهذا الاسم عند إطلاقه على الله تعالى، فيقول عند تفسيره الآية السابقة من سورة البقرة: "يعني جل ثناؤه: والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفي عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها"[3].

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٢) روح المعاني، للآلوسي،١/ ٣٣١. ويُراجع معه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣/ ١٧٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢/ ٣٧٦.

[٩، ١٠] (التواب، قابل التوب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (التواب، وقابل التوب)، وقد ورد اسم (التواب) في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[١]. وفي سورة التوبة: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾[٢]. وفي سورة النور: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾[٣]. وفي سورة الحجرات: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[٤].

أما (قابل التوب)، فقد ورد نصًّا في موضع واحد فقط في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[٥]. ووردت مادته في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾[٦]، وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾[٧].

وعدَّه من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في «التلخيص الحبير»[٨].

اللغة:

مادة (قبل) تدل في اللغة على مواجهة الشيء للشيء، فالقبل من كل شيء: خلاف دبره، والقابل هنا في أسماء الله تعالى اسم فاعل من الفعل قبل الذي يدل على موافقة للشيء وقبوله، فنقول: قبل

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة النور، الآية: ١٠.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٥) سورة غافر، الآية: ٣.
(٦) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٢٥.
(٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ٤/ ٣٢١.

الشيء وقبله يقبله قبولا بفتح القاف، أي: تقبَّله ووافق عليه ورضي به[١].

ومادة (توب) تدل في العربية على الرجوع؛ فيقال: تاب من ذنبه، أي: رجع عنه، وتاب إلى الله يتوب توبًا وتوبة ومتابًا: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، ورجل تواب: تائب إلى الله، والله تواب يتوب على عبده. يُقال: تاب الله عليه، أي: عاد عليه بالمغفرة[٢].

فهو جلَّ وتعالى يقبل عباده إذا عادوا إليه وأنابوا، بل يفرح بذلك.

التفسير:

(التواب) من صيغ المبالغة، وتطلق على العبد الكثير التوبة؛ وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركًا لجميعه، وقد يقال ذلك لله تعالى؛ لكثرة قبوله توبة العباد، حالا بعد حال[٣].

والتوبة أصلها الرجوع، وتسند إلى العبد وإلى الله تعالى، ولكلٍّ معنى يُفارق الآخر؛ فإذا أسندت إلى العبد كانت -كما في الإحياء[٤]- عبارة عن مجموع أمور ثلاثة: علم، وهو معرفة ضرر الذنب وكونه حجابًا عن كل محبوب، وحال يثمره ذلك العلم، وهو تألم القلب بسبب فوات المحبوب، ويسمى ندمًا، وعمل يثمره الحال، وهو الترك والتدارك والعزم على عدم العود، وكثيرًا ما تطلق على الندم وحده؛ لكونه لازمًا للعلم مستلزمًا للعمل، وطريق تحصيلها تكميل الإيمان بأحوال الآخرة وضرر المعاصي فيها.

---

(١) تُراجع مادة (قبل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٥١. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٣٤. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) تُراجع مادة (توب) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/٣٥٧. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٢٣٣ بتصرف.

(٣) يُنظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٧٦ بتصرف.

(٤) وكلام الإمام أبي حامد الغزالي في «إحياء علوم الدين»، ٤/ ٣. ط: دار المعرفة – بيروت.

أما إذا أسندت إلى الله سبحانه وتعالى دلَّت على معنيين: عن قبول التوبة والعفو عن الذنب ونحوه. أو التوفيق لها والتيسير لأسبابها بما يظهر للتائبين من آياته، ويطلعهم عليه من تخويفاته، حتى يستشعروا الخوف فيرجعوا إليه[١].

ويؤكد الإمام الفخر الرازي المعنى الأول بإضافة المبالغة إليه؛ لوجهين، حيث يقول: "المراد من وصف الله تعالى بالتواب المبالغة في قبول التوبة وذلك من وجهين، الأول: أن واحدًا من ملوك الدنيا متى جنى عليه إنسان ثم اعتذر إليه فإنه يقبل الاعتذار، ثم إذا عاد إلى الجناية وإلى الاعتذار مرة أخرى فإنه لا يقبله لأن طبعه يمنعه من قبول العذر، أما الله سبحانه وتعالى فإنه بخلاف ذلك، فإنه إنما يقبل التوبة لا لأمر يرجع إلى رقة طبع أو جلب نفع أو دفع ضرر بل إنما يقبلها لمحض الإحسان والتفضل، فلو عصى المكلف كل ساعة ثم تاب وبقي على هذه الحالة العمر الطويل لكان الله تعالى يغفر له ما قد سلف ويقبل توبته، فصار تعالى مستحقًا للمبالغة في قبول التوبة فوصف بأنه تعالى تواب، الثاني: أن الذين يتوبون إلى الله تعالى فإنه يكثر عددهم فإذا قبل توبة الجميع استحق المبالغة في ذلك، ولما كان قبول التوبة مع إزالة العقاب يقتضي حصول الثواب وكان الثواب من جهته نعمة ورحمة وصف نفسه مع كونه توابًا بأنه رحيم"[٢].

ويؤيد الإمام الطاهر ابن عاشور الوجه الثاني من الوجهين الَّذَيْنِ ذكرهما الإمام الفخر، مع القول بأن معنى التواب في حقه تعالى عبارة عن إلهام عباده التوبة وتيسيرها لهم، فيقول: "ومعنى المبالغة في التواب أنه الكثير القبول للتوبة أي لكثرة التائبين، فهو مثال مبالغة من تاب المتعدي بعلى الذي هو بمعنى قبول التوبة إيذان بأن ذلك لا يخص تائبًا دون آخر، وهو تذييل لقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾[٣]، المؤذن بتقدير تاب آدم فتاب الله عليه على جعل التواب بمعنى الملهم لعباده الكثيرين أن يتوبوا فإن أمثلة المبالغة قد تجيء من غير التكاثر، فالتواب هنا معناه الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب"[٤].

---

(١) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٢٣٧. عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣/ ٢١، ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ٤٣٩.

ويرى الإمام الغزالي أن التواب يطلق في جانب الحق سبحانه وتعالى لأنه ييسر التوبة لعباده حيث قال: "التواب: هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول"(١).

فيتحصل مما سبق أن التواب إذا أسند إلى الله تعالى دل على معنيين في الجملة: أحدهما: المبالغة في قبول التوبة، والثاني: التوفيق للتوبة والتيسير لأسبابها.

أما معنى (قابل التوب) في حقه جلَّ وعلا فهو: أنه تعالى يقبل توبة التائبين العائدين إليه كرمًا منه تعالى ومحض تفضلٍّ، وهذا الاسم وإن جاء بصيغة اسم الفاعل إلا أنه لم يُرَدْ به التقييد بزمان، بل أريد به الدلالة على الثبوت والاستمرار، وفي هذا حض على المسارعة في التوبة، فمهما أذنب الإنسان ففي إمكانه تدارك هذا بالتوبة؛ فهو تعالى قابل التوب(٢).

وللإمام ابن كثير ملحظٌ حسنٌ في اتباع قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ بـ﴿قَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ ألا وهو: أنه تعالى يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه(٣).

وأما آية سورة الشورى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، فمعناها: أنه تعالى يتفضل على عباده بقبول رجوعهم إذا هم رجعوا إلى توحيده وطاعته. وحقيقة التوبة: الإقلاع عن المعاصي والإقبال والرجوع إلى الطاعات، ويلزمها الندم على ما فات، والعزم على ملازمة الخيرات. وعن عليٍّ ﷺ: هي اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته(٤).

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت،ص: ١٢٣.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٤/ ٤١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٧/ ٢٥. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٤/ ٧٩، ٨٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ١٢٧.

(٤) يُراجع: جامع البيان، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢١/ ٥٣٢. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٣٥. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ٥/ ٨١.

وقد قال الإمام الطاهر كلامًا بديعًا في شرحه لهذه الآية الكريمة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ مُحَصَّلُه ما يلي:

هذا إخبار فيه تعريض بالتحريض على مبادرة التوبة ولذلك جيء فيه بالفعل المضارع الصالح للاستقبال. وهو أيضا بشارة للمؤمنين بأنه قبل توبتهم مما كانوا فيه من الشرك والجاهلية.

وابتناء الإخبار بهذه الجملة على أسلوب الجملة الاسمية لإفادتها ثبات حكمها ودوامه. ومجيء المسند اسم موصول لإفادة اتصاف الله تعالى بمضمون صلته، وأنها شأن من شؤون الله تعالى، عرف به، ثابت له لا يتخلف؛ لأنه المناسب لحكمته وعظمة شأنه وغناه عن خلقه.

وإيثار جملة الصلة بصيغة المضارع لإفادة تجدد مضمونه وتكرره ليعلموا أن ذلك وعد لا يتخلف ولا يختلف.

وفعل (قبل) يتعدى بـ (من) الابتدائية تارة كما في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ ﴾(١)، وقوله: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾(٢)، فيفيد معنى الأخذ للشيء المقبول صادرا من المأخوذ منه، ويعدى بـ (عن) فيفيد معنى مجاوزة الشيء المقبول أو انفصاله عن معطيه وباذله، وهو أشد مبالغة في معنى الفعل من تعديته بحرف (من)؛ لأن فيه كناية عن احتباس الشيء المبذول عند المبذول إليه بحيث لا يرد على باذله.

فحصلت في جملة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده أربع مبالغات: بناء الجملة على الاسمية، وعلى الموصولية، وعلى المضارعية، وعلى تعدية فعل الصلة بـ (عن) دون (من).

وفي ذكر اسم العباد دون نحو: الناس أو التائبين أو غير ذلك إيماء إلى أن الله رفيق بعباده لمقام العبودية؛ فإن الخالق والصانع يحب صلاح مصنوعه(٣).

***

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٥/ ٨٩، ٩٠ بتصرف.

[١١] (الجامع)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الجامع)، وقد ورد ذكره في موضعين، وهما: في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾[١].

وفي سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢].

وعدَّ الإمام القرطبي هذا الاسم من أسماء الله تعالى[٣].

اللغة:

الجمع: تأليف المتفرق، وضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجمَّع واسْتجمع.

وفي أسماء الله الحسنى الجامع، وهو الذي يجمع الخلائق ليوم الحساب، وقيل الجامع: هو المؤلف بين المتماثلات والمتضادات في الوجود[٤].

التفسير:

يطلق هذا الاسم على الله تعالى ويراد منه معان متعددة، منها ما هو مطلق، ومنها ما هو مقيد؛ أما المقيد فهو ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم لهذا الاسم في مواطن وروده في القرآن الكريم، فقالوا إن معناه: باعث الناس ومحييهم وجامعهم بعد تفرقهم للحساب والجزاء في يوم القيامة[٥] -كما في آية آل عمران.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٧٨. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) تُراجع مادة (جمع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٤٧٩، ٤٨٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/٥٣، ٥٤. وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، حققه: مجموعة من المحققين، ٢٠/ ٤٥١. ط: دار الهداية.

(٥) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ٩٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ١٥٨. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٤/ ٢١.

وأما إذا نظرنا إلى اسم الجامع باعتباره مطلقًا عن الإضافة فسنجده يحتمل معنيين آخرين؛ أحدهما أن يكون وصفًا ذاتيًّا، والآخر أن يكون وصفًا فعليًّا.

أما الذاتي: فهو جمعه سبحانه للفضائل كلها، والصفات الجميلة أجمعها.

وأما الفعلي: فهو الذي دل عليه القرآن في غير ما آية، فهو الجامع حقًّا جمع بين المتفرقات، والمتماثلات، والمتضادات.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى هو الجامع بكل اعتبار، ومن جهل أو شك فقد كذب بالأخبار الورادة، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾(١).

فصَّل الإمام الغزالي في بيان هذا المعنى الأخير فقال: "الجامع: هو المؤلف بين المتماثلات، والمتباينات، والمتضادات.

أما جمع الله تعالى بين المتماثلات: فكجمعه الخلق الكثير من الإنس على ظهر الأرض، وحشره إياهم في صعيد القيامة.

وأما المتباينات: فكجمعه بين السماوات، والكواكب، والهواء، والأرض، والبحار، والحيوانات، والنبات، والمعادن المختلفة، كل ذلك متباين الأشكال والألوان والطعوم، والأوصاف، وقد جمعها في الأرض، وجمع بين الكل في العالم، وكذلك جمعه بين العظم، والعصب، والعرق، والعضلة، والمخ، والبشرة، والدم، وسائر الأخلاط، في بدن الحيوان.

وأما المتضادات: فكجمعه بين الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسه، في أمزجة الحيوانات وهى متنافرات متعاديات، وذلك أبلغ وجوه الجمع "(٢).

***

(١) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٨٠، ٤٨١ بتصرف. ط: دار الصحابة بطنطا، والآية رقم ٩ من سورة التغابن.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٢٧.

[١٢] (الجبار)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الجبار)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١).

اللغة:

الجبار في اللغة على وزن فعَّال صيغة مبالغة من الجبر، وأصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر، ومنه جَبَرَ العظم أي أصلح كسره، وجبر الفقير أغناه، ويستعمل الجبر بمعنى القهر والإكراه على الفعل والإلزام بلا تخيير(٢).

يقول الراغب الأصفهاني: "أصلُ الجَبْرِ إصلاحُ الشيءِ بضَرْبٍ منَ القهْرِ، يُقالُ: جَبَرْتُه فانْجَبَرَ وَاجْتَبَرَ. وأَمَّا في وَصْفِهِ تعالى (الجبار) فقد قيل سمِّيَ بذلك منْ قولِهِمْ جَبَرْتُ الْفقِيرَ؛ لأنهُ هو الذي يجبر الناس بفائِضِ نِعَمِهِ، وقيل: لأنهُ يَجْبُرُ الناسَ أي يَقْهَرُهُمْ عَلَى ما يُرِيدُه"(٣).

التفسير:

في بيان معنى اسمه تعالى الجبار في الآية الكريمة وجوه ذكرها الإمام الفخر الرازي فقال: "وأما (الجبار) ففيه وجوه...

أحدها: أنه فعَّال من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. قيل: ولا ريب أنه تعالى جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه.

والثاني: أن يكون الجبار من جبره على كذا إذا أكرهه على ما أراده، والمعنى: إنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وهي لغة تميم، وكثير من الحجازيين يقولونها، وعلى هذا القول الجبار هو القهار.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) تُراجع مادة (جبر) في: لسان العرب لابن منظور، ٤/١١٣، ١١٤. مختار الصحاح للرازي تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٥٢، بتصرف.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٨٥، ٨٦ بتصرف.

والثالث: الجبار في صفة الله الذي لا ينال، ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول: جبارة.

والرابع: قال ابن عباس: الجبار، هو الملك العظيم "(١).

وذكر العلامة الآلوسي ما قاله الفخر وزاد وجهًا في معنى هذا الاسم، وهو: أنه الذي لا ينافس في فعله، ولا يطالب بعلة، ولا يحجر عليه في مقدوره(٢).

وقال الإمام القرطبي في تفسيره نحو هذا الكلام، ولا أرى حاجة لتكراره، فليراجع(٣).

وينبغي أن يُعلم أن هذا الوصف في حق الله تعالى صفة كمال ومدح، أما في حق الإنسان فإنه يكون صفة نقص وذم؛ لأنه يشعر بأنه يحمل غيره على اتباع هواه، أو بأنه يجبر نقصه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها، وقد ورد ذلك في عدة مواضع في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة:

أحدها: المُسَلَّط؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾(٤).

والثاني: الزيادة في القوة والشدة وطول القد والقامة؛ كقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾(٥).

والثالث: المتكبر المتمرد عن عبادة الله؛ كقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾(٦).

والرابع: القَتَّال بغير حق؛ كقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾(٧)، وقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٨) اهـ(٩).

---

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٥.
(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٧.
(٤) سورة ق، الآية: ٤٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٢.
(٦) سورة مريم، الآية: ٣٢.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٣٠.
(٨) سورة القصص، الآية: ١٩.
(٩) يُراجع في هذا: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في الجبار والجبر)، ٢/ ٣٦٠.

يقول الطاهر بن عاشور: "الجبار: القاهر المكره غيره على الانفعال بفعله، فالله جبار كل مخلوق على الانفعال لما كونه عليه لا يستطيع مخلوق اجتياز ما حده له في خلقته فلا يستطيع الإنسان الطيران ولا يستطيع ذوات الأربع المشي على رجلين فقط، وكذلك هو جبار للموجودات على قبول ما أراده بها وما تعلقت به قدرته عليها، وإذا وصف الإنسان بالجبار كان وصف ذم لأنه يشعر بأنه يحمل غيره على هواه"(١).

ومن ثم يأتي سؤال مفاده: إذا كان الجبروت في حق الخلق مذمومًا فكيف يمدح الله به؟

أجاب عن هذا الإمام الفخر الرازي فقال: "الفرق أن الله سبحانه قهر الجبابره بجبروته، وعلاهم بعظمته لا يجري عليه حكم حاكم فيجب عليه انقياده ولا يتوجه عليه أمر آمر فيلزمه التزامه، آمر غير مأمور، قاهر غير مقهور لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وأما الخلق فهم موصوفون بصفات النقص مقهورون محجوبون تؤذيهم البقة وتأكلهم الدودة، وتشوشهم الذبابة، أسير جوعه وصريع شبعه، ومن تكون هذه صفته كيف يليق به التجبر والتكبر"(٢).

❊❊❊

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٢.

(٢) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٥١.

[١٣، ١٤] (الحسيب، أسرع الحاسبين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الحسيب، وأسرع الحاسبين)، وقد ورد ذكر اسم (الحسيب) في ثلاثة مواضع، وهي: في سورة النساء: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١]. وفي السورة نفسها: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[٢]. وفي سورة الأحزاب: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾[٣].

وورد اسم: (أسرع الحاسبين) في موضع واحد، في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٤].

وقد عدَّ الإمام القرطبي (أسرع الحاسبين) من أسماء الله الحسنى[٥].

اللغة:

مادة: (حسب) تدل في اللغة على معان، منها: العد، والكفاية، والحسب.

أما العد، فمنه: حَسَبَهُ حَسْباً وحُسْباناً، بالضم، وحِسْباناً وحِساباً وحِسْبَةً وحِسابَةً، بكسرِهنَّ: عَدَّهُ. وأما الكفاية، فتقول: شَيءٌ حِسابٌ أي كاف، وأحسبني الشيء إذا كفاني. وأما الثالث، فهو الحسب بمعنى الشرف الثابت في الآباء، ومنه رجل حسيب[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٦.

(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٠٧. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٦) تُراجع مادة: (حسب) في: مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٧٢، والقاموس المحيط للفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ١/ ٧٤. ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٥٩: ٦١. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٣١٠.

التفسير:

اسم (الحسيب) له ثلاثة معان في جانب الحق سبحانه وتعالى:

أولها: أن الله سبحانه وتعالى هو الحسيب بمعنى: الكافي.

ذكر هذا من العلماء: الإمام الفخر الرازي حيث قال: "الحسيب: الكافي، فعيل بمعنى مفعل، كقولك أليم بمعنى مؤلم.. واعلم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالله، فإنه ليس في الوجود إلا هو ومخلوقاته، فكل كفاية حصلت فإنما حصلت إما به أو بشيء من مخلوقاته، وكل كفاية حصلت بمخلوقاته فهي في الحقيقة إنما حصلت به؛ لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى خلقها وأعدها لجهات الحاجات وإلا لما حصلت تلك الكفاية، وكان الكافي في الحقيقة هو الله"(١).

وكذلك الإمام الغزالي حيث يؤكد هذا المعنى فيقول: "الحسيب هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه. وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره؛ فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده. وليس في الوجود شيء هو وحده كاف لشيء إلا الله تعالى؛ فإنه وحده كاف لكل شيء لا لبعض الأشياء.. أي هو وحده كاف يتحصل به وجود الأشياء، ويدوم به وجودها، ويكمل به وجودها.

فهو وحده حسب كل أحد، وليس في الوجود شيء وحده وهو حسب شيء سواه، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى"(٢).

وثاني معاني هذا الاسم -الحسيب-: أنه بمعنى المحاسب.

ذكر هذا من العلماء: العلامة الآلوسي، حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(٣): "قيل: إن المعنى وكفى به تعالى محاسبًا لكم، فلا تخالفوا ما أمرتم به، ولا تجاوزوا ما حد لكم"(٤).

---

(١) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٠١. ويُنظر كلامه أيضًا في التفسير؛ مفاتيح الغيب، ٩/ ١٥٧. ويُراجع مع ذلك: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٧/ ٥٩٦. وروح المعاني، للآلوسي، ٤/ ٢٠٨.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٢، ١٠٣ بتصرف.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦.

(٤) روح المعاني، للآلوسي، ٤/ ٢٠٨.

وأيضًا الإمام الطاهر بن عاشور حيث قال: "وكفى بالله حسيبًا، تذييلا لهذه الأحكام كلها؛ لأنها وصيات وتحريضات، فوكل الأمر فيها إلى مراقبة الله تعالى. والحسيب: المحاسب"[١].

وممن ذكر من المفسرين أن الحسيب بمعنى الحاسب والمحاسب الإمامان الفخر الرازي، والقرطبي[٢].

وهناك معنى ثالث لهذا الاسم -الحسيب-، وهو: الشريف؛ فالحسب الشرف، والحسيب: الشريف الذي له خصال الشرف. فعلى هذا، الحسب لله بمعنى أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال ليست إلا له جلَّ وتعالى[٣].

أما أسرع الحاسبين، فمعناه: أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب، بل يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة[٤].

***

(١) التحرير والتنوير، ٤/ ٢٤٧.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ١٥٧. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٥/ ٤٥.

(٣) يُراجع: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٠٢.

(٤) تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٥١١.

[١٥] (الحفي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن: (الحفي)، وقد ورد ذكره في موضع واحد، في سورة مريم، في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ﷺ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[١].

ومن العلماء من عدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: الإمام القرطبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني[٢].

اللغة:

(حَفِيَ) بِهِ بِالْكَسْرِ (حَفَاوَةً) بِفَتْحِ الْحَاءِ فَهُوَ حَفِيٌّ، أَيْ: بَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَإِلْطَافِهِ وَالْعِنَايَةِ بِأَمْرِهِ. وَ(الْحَفِيُّ) أَيْضًا الْمُسْتَقْصِي فِي السُّؤَالِ. فَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[٣]، وَمِنَ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَا﴾[٤].

يقول الفيروزابادي: "يقال: حفيت بفلان وتحفيت به إذا عنيت بكرامته. والحفي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ البر اللطيف، والحفي أيضًا: العالم الذي يتعلم الشيء باستقصاء، والإحفاء في السؤال: التترع -بمعنى التسرع- في الإلحاح والمطالبة، أو في البحث عن تعرف الحال"[٥].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٧.

(٢) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ١/ ٣٣٦. وفتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٢١٨. والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ٤/ ٣٢١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤٧.

(٤) يُراجع: مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (حفا) ص: ٧٧. والآية رقم: ١٨٧ من سورة الأعراف.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، باب: (بصيرة في الحفا)، ٢/ ٤٨٣.

التفسير:

يطلق هذا الاسم (الحفي) في جانب الله تعالى ويراد به معنى المبالغة في البر واللطف والإكرام. وعلى هذا المعنى تدور أقوال المفسرين.

يقول العلامة الآلوسي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾، أي: بليغًا في البر والإكرام، يقال حفي به إذا اعتنى بإكرامه"(١).

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور أيضًا عند تفسير الآية السابقة: "الحفي: الشديد البر والإلطاف"(٢).

ويُبيِّن الإمام الفخر الرازي معاني الحفي، ويذكر ما يناسب جانب الحق تبارك وتعالى من المعاني، فيقول: "في الحفي وجوه، منها: الحفي البار اللطيف. يقال: حفي بي حفاوةً وتحفى بي تحفيًا، والحفي: الكلام واللقاء الحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾، أي: بارًا لطيفًا يجيب دعائي إذا دعوته"(٣).

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١٦/ ١٠٢.
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٦/ ١٢٢.
(٣) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ١٥/ ٦٧ بتصرف.

[١٦، ١٧] (الحفيظ، الحافظ)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الحفيظ، والحافظ)، وقد ورد ذكر اسم الحفيظ في ثلاثة مواضع، وهي:

في سورة هود: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(١).

وفي سورة سبأ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(٢).

وفي سورة الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾(٣).

وورد ذكر اسم (الحافظ) في موضع واحد بصيغة المفرد، في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٤).

وورد مرتين بصيغة الجمع، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾(٦).

اللغة:

مادة: (حفظ) تدل في اللغة على مراعاة الشيء، يُقال: حفظت الشيء حفظًا، والحفاظ: المحافظة على الأمور، والحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، وحفظ الشيء حفظًا ورجل حافظ من قوم حفاظ، ورجل حافظ وقوم حفاظ وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئًا يعونه، والحافظ والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه"(٧).

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٦.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٢.

(٧) تُراجع مادة: (حفظ) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٨٧. ولسان العرب، لابن منظور، ٧/ ٤٤١.

يقول الفيروزابادي: "حفظت الشيء حفظًا بالكسر، أي: حرسته، والحفظ يُقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدى إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس ويضاده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، فيقال: حفظت كذا حفظًا، ثم يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية، والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه، والحفيظ في صفات الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وقد حفظ على عباده ما يعملون من خير وشر، وقد حفظ السموات والأرض "[١].

التفسير

يطلق هذان الاسمان على الله تعالى ويراد بهما معنيان:

الأول: الحفظ بمعنى حفظ أعمال العباد؛ ليجازيهم عليها.

والثاني: الحفظ بمعنى حفظ الأشياء من الهلاك، والأشخاص من السوء؛ فيحفظ السموات والأرض ولا يؤده حفظهما، ويحفظ عباده الصالحين. وفيما يلي بعض أقوال المفسرين التي تُبيِّن ذلك.

يقول الإمام الفخر الرازي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه؛ الأول: حفيظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها، الثاني: يحفظني من شركم ومكركم، الثالث: حفيظ على كل شيء يحفظه من الهلاك إذا شاء ويهلكه إذا شاء "[٢].

وأميل إلى جعل المعنيين الثاني والثالث في عنصر واحد، ثم يختلفان باختلاف الاعتبارات.

يقول ابن الجوزي[٣]: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيَهم بها. والثاني: أن «على» بمعنى اللام، فالمعنى: لكل شيء حافظ، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء "[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، باب: (بصيرة في الحفظ)، ٢/ ٤٨٠، ٤٨١ بتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ١٣.

(٣) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرَج. توفي سنة ٥٩٧هـ. من تصانيفه: «تلبيس إبليس»، و«فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«صيد الخاطر»، و«زاد المسير في علم التفسير».

[راجع: طبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٦١)، والأعلام، للزركلي (٣/٣١٦)].

(٤) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢/ ٣٨١.

ويقول العلامة الآلوسي في بيان معنى (الحفيظ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(١): "حفيظ: أي رقيب محيط بالأشياء علما فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم، فالحفظ كناية عن المجازاة، ويجوز أن يكون الحفيظ بمعنى الحافظ بمعنى الحاكم المستولي أي أنه سبحانه حافظ مستول على كل شيء ومن شأنه ذلك كيف يضره شيء"(٢).

ومجموع معنى هذين الاسمين إما أن يكون من صفات الذات أو من صفات الفعل؛ "فإذا كان من أوصاف الذات فيرجع إلى معنى العليم، لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات، فلا يغيب عنه شيء منها، كما يقال: فلان يحفظ القرآن، إي هو حاضر في قلبه، وفي مقابلة هذا الحفظ النسيان وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾(٣).

وإذا كان من صفات الفعل، فيرجع إلى حفظه للوجود، وضد هذا الحفظ الإهمال، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾(٤)، فحفظ الله تعالى يكون بأقواله وأفعاله وملائكته"(٥).

وينبغي أن نعلم أن الحفيظ أشد مبالغةً من الحافظ، وقد نبَّه على هذا الإمام الفخر الرازي؛ حيث قال: "اعلم أن الحفيظ أشد مبالغةً من الحافظ، كالعليم والعالم، وللحفظ معنيان، أحدهما: ضد السهو والنسيان، ويرجع معناه إلى العلم فهو تعالى حفيظ للأشياء، بمعنى أنه يعلم جملها وتفصيلها علمًا لا يتبدل بالزوال والسهو والنسيان، والثاني: الحفظ الذي هو ضد التضييع، وهو حراسة ذات الشيء وجميع صفاته وكمالاته عن العدم"(٦).

***

(١) سورة هود، الآية: ٥٧.
(٢) روح المعاني، للآلوسي،١٢/ ٨٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٤.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤.
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٠٩. ط: دار الصحابة بطنطا.
(٦) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٩٨.

[١٨] (الحق)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الحق)، وقد ورد ذكره في عدَّة مواضع، منها: في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[١]. وفي سورة يونس: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[٢]. وفي سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[٣]. وفي سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾[٤]. وفي سورة المؤمنون: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[٥].

اللغة:

الحق في اللغة مصدر حَقَّ الشيء يَحِقُّ حقًّا إذا كان ثابتًا موجودًا غير معدوم ولا منفي، فالحاء والقاف أصل واحد يدل على إحكام الشيء وصحته، والحق نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق، ويقال: حقَّ الشيء بمعنى وجب، والحق اسم من أسماء الله ﷻ يدل على وجوب وجوده وأنه لا موجود بحق في هذا العالم إلا هو سبحانه وتعالى، ويقصد بالعالم كل ما سوى الله[٦].

التفسير:

ومعنى هذا الاسم (الحق) في جانبه سبحانه وتعالى: أي الموجود الحقيقي الثابت الباقي الدائم الذي لا موجود على الحقيقة سواه؛ فهو تعالى واجب الوجود أزلا وأبدًا، وحول هذا المعنى تدور أقوال المفسرين[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٦) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (حقّ)، ٢/ ١٥. ولسان العرب، لابن منظور، ومادة: (حقق)، ١٠/ ٥٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (حقق)، ص: ٧٧. وأيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ص: ١١٥. ط: المكتبة العصرية.

(٧) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ١٦. وروح المعاني، للآلوسي، ٧/ ١٧٧. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١١٦. ط: المكتبة العصرية، بيروت. وحاشية الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٩.
=

[١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢]
(الحكيم، الحكم، خير الحاكمين، أحكم الحاكمين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم (الحكيم، والحكم، وخير الحاكمين، وأحكم الحاكمين). وقد ورد اسم (الحكيم) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[٢]. وفي سورة النساء: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣]. وفي سورة يوسف: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[٤].

وورد اسم (الحكم) في موضع واحد؛ في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾[٥].

أما (خير الحاكمين)؛ فقد ورد في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي: في سورة الأعراف: ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[٦]. وفي سورة يونس: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ

=

والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٧/ ٢٠٥. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٦. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ١٨٨.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨٧.

يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[١]. وفي سورة يوسف: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[٢].

وأما (أحكم الحاكمين)؛ فورد في موضعين: في سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[٣]. وفي سورة التين: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[٤].

اللغة:

مادة (حكم) تدل على أصل واحد في اللغة، وهو مطلق المنع -كما قال ابن فارس [٥]-، واختار الفيروزابادي أنها: تدل على المنع لإصلاح لا مُطْلَقِه. ومن ذلك: الحُكم وهو القضاء؛ لأنه يمنع من الظلم، وسميت حَكَمة الدابة بذلك لأنها تمنعها، يُقال: حكمت الدابة وأحكمتها. ومنه أيضًا: الحكمة، وهي: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم؛ وسميت بذلك لأنها تمنع من الجهل. وهي من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان[٦].

التفسير:

(الحكيم) معناه في حقه تعالى: ذو الحكمة، المُحْكِم في إبداعاته وصنعته، الذي يضع الأشياء في محلها، فلا يدخل في تدبيره خلل ولا زلل[٧].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٤) سورة التين، الآية: ٨.

(٥) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين توفي سنة ٣٩٥هـ. من تصانيفه: «مقاييس اللغة»، و«الصاحبيّ» في علم العربية، وغيرها.
[راجع: وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/١١٨)، والأعلام، للزركلي (١/١٩٣)].

(٦) تُراجع مادة (حكم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٩١. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ١٤٠: ١٤٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في الحكم والحكمة)، ٢/ ٤٨٧: ٤٩٢ بتصرف كبير.

(٧) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، في المواضع التالية: ١/ ٢٢٧، ١/ ٣٨٧، ٢/ ٩٨، ٢/ ١١٧. ومعه: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ٤١٥.

أما معنى اسمه تعالى: (الحكم)؛ فقيل: هو والحاكم بمعنى واحد، إلا أن من العلماء والمفسرين من قال: إن الحكم أبلغ من الحاكم؛ لأن الحاكم كل من يحكم، أما الحكم فهو الذي لا يحكم إلا بالحق، والمعنى: أنه تعالى حكم حق لا يحكم إلا بالحق(١).

يقول الإمام القرطبي: "الحكم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق "(٢).

وعليه فيرى الإمام الماوردي(٣): أن الحكم من صفات ذاته، والحاكم من صفات فعله، فيكون الحكم أبلغ في المدح من الحاكم(٤).

ولأجل ذلك لم يأت في حقه تعالى الوصف بالحاكم مُطلقًا، وإنما جاء مقيَّدًا بأنه خير الحاكمين، وأحكم الحاكمين، فهو "أعدل من يقضي؛ لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد، ولا محاباة لأحد"(٥).

ويَزِيد العلامة الطاهر بن عاشور في إيضاح المعنى، ويُضيف وجهًا آخر فيقول: "وأحكم: يجوز أن يكون مأخوذًا من الحكم، أي أقضى القضاة، ومعنى التفضيل أن حكمه أسد وأنفذ.

ويجوز أن يكون مشتقًا من الحكمة، والمعنى: أنه أقوى الحاكمين حكمة في قضائه بحيث لا يخالط حكمه تفريط في شيء من المصلحة، ونوط الخبر بذي وصف يؤذن بمراعاة خصائص المعنى المشتق منه الوصف فلما أخبر عن الله بأنه أفضل الذين يحكمون، علم أن الله يفوق قضاؤه كل قضاء في

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ١٣١. وتفسير الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ٢/ ١٤٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٧/ ٧٠.

(٣) هو: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، المولود سنة ٣٦٤هـ، والمتوفى سنة ٤٥٠هـ. وهو أول من لقب بـ «أقضى القضاة». من تصانيفه: «النكت والعيون» في التفسير، «الحاوي» في الفقه، و«الأحكام السلطانية»، و«أدب الدنيا والدين».

[راجع: طبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٨٣)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٤١٨)].

(٤) النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٢/ ١٥٩. ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٢/ ٥٦١. ويُراجع معه: روح المعاني، للآلوسي، ٨/ ١٧٩. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٤/ ١٤٤.

خصائص القضاء وكمالاته، وهي: إصابة الحق، وقطع دابر الباطل، وإلزام كل من يقضي عليه بالامتثال لقضائه والدخول تحت حكمه"(١).

بقي التنبيه على أن (حكيم) أبلغ من (حاكم)؛ لِما تقتضيه صيغة (فعيل) من المبالغة، ووجهها: التكثير -كما قال الإمام القرطبي-(٢). أي: من جهة الكم، قلت: ولا مانع أن تكون من جهة الكيف أيضًا.

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٤٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ٢٨٨.

[٢٣] (الحليم)

من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم: (الحليم)، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في عدَّة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[1]. في السورة نفسها: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[2].

وفي سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

وفي سورة الحج: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾[4]، إلى غير هذه المواضع.

اللغة:

مادة: (حلم) تدل في اللغة على معان متعددة، منها ما هو مناسب للمقام هنا، وهو: ترك العَجَلة، ومنه: الحِلم: خلاف الطيش، وهو الأناة والعقل. يقال حلمت عنه أحلم، فأنا حليم، وحلم بالضم يحلم حلمًا صار حليمًا، والحليم في صفة الله عز وجل: معناه الصبور، وقال: معناه أنه الذي لا يسْتَخِفُّهُ عصيان العصاة ولا يستفِزّه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو مُنْتَهٍ إليه[5].

التفسير:

معنى هذا الاسم (الحليم) في حقه تعالى: الذي لا يعاجل بالعقوبة. وفيما يلي بعض أقوال المفسرين التي تؤيد هذا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٩.

(٥) تُراجع مادة (حلم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٩٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ١٤٦ بتصرف.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[(١)]: "حليم: أي لا يعجل بالعقوبة على المن والإيذاء"[(٢)].

ويقول الإمام الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[(٣)]: "وأما الحليم: فالمراد أنه لحلمه لا يعجل بالعقوبة فيمن يقدم على المعصية بل يمهل ليقع منه التوبة فيستحق منه الجنة"[(٤)].

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن معنى الحليم في حقه تعالى يقتضي الصبر وعدم المسارعة بالعقوبة بل التمهل والانتظار حتى يعود العبد إليه سبحانه.

وقد جاء في السنة النبوية وصف الحق سبحانه بالصبر؛ فقد روى عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ على أَذى يَسْمَعُهُ من اللَّهِ عز وجل إنه يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ له الْوَلَدُ ثُمَّ هو يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[(٥)].

قال الإمام النووي: " قال العلماء: معناه: أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والند، قال المازري: حقيقة الصبر منع النفس من الانتقام أو غيره، فالصبر نتيجة الامتناع فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك قال القاضي: والصبور من أسماء الله تعالى، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى، والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام"[(٦)].

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ٣٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٩.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ٥٢. ويُراجع معه أيضًا: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٦٧٤. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٣٨٤.

(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الصبر على الأذى، حديث رقم: (٥٧٤٨)، ٥/ ٢٢٦٢. ومسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم: (٢٨٠٤)، ٤/ ٢١٦٠.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٧/ ١٤٦.

[٢٤] (الحميد)

من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم: (الحميد)، وقد ورد في القرآن الكريم في عدَّة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾[١].

وفي سورة هود: ثن ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ثم [٢].

وفي سورة الحج: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾[٣].

وفي سورة لقمان: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾[٤].

اللغة:

مادة: (حمد) تدل في اللغة على خلاف الذم، يقال حمدت فلانًا أحمده، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة، والتحميد: أبلغ من الحمد، والحمد: أعم من الشكر، والحميد: من صفات الله تعالى وتقدس بمعنى المحمود على كل حال، وهو من الأسماء الحسنى فعيل بمعنى محمود[٥].

التفسير:

معنى هذا الاسم (الحميد) في حقه تعالى: المُسْتَوجِب الحمد عند عباده بما أنعم عليهم من نعمه العظيمة وآلائه الجميلة. مستحق للحمد، يُحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٦.

(٥) تُراجع مادة (حمد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ١٠٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ١٥٥، ١٥٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٨٠.

(٦) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٢/ ١٠٢. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٥٧٠، ٩/ ٢٩٦. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٨.

وهناك معنى آخر لهذا الاسم ذكره الإمام الطاهر بن عاشور، ثم ذكر بعده المعنى السابق المتكرر في كتب المفسرين وغيرهم؛ حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ في سورة البقرة: "حميد: أي شاكر لمن تصدق صدقةً طيبة، والحميد من أمثلة المبالغة، أي شديد الحمد؛ لأنه يثني على فاعلي الخيرات، ويجوز أن يكون المراد أنه محمود، فيكون حميد بمعنى مفعول، أي: فتخلقوا بذلك لأن صفات الله تعالى كمالات، فكونوا أغنياء القلوب عن الشح محمودين على صدقاتكم، ولا تعطوا صدقات تؤْذن بالشح ولا تشكرون عليها"[١].

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣/ ٥٨ بتصرف.

[٢٥] (الحي)

من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم: (الحي)، وقد ورد ذكره في خمسة مواضع، من هذه المواضع: في سورة البقرة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾(١).

وفي سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾(٢).

وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾(٣).

وفي سورة الفرقان: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾(٤).

وفي سورة غافر: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾(٥).

اللغة:

مادة الحاء والياء والحرف المعتل: تدل على أصلين، أحدهما: خلاف الموت، والآخر: الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، والأول هو المناسب للمقام هنا، فمنه الحياة التي يوصف بها الباري، فإنه إذا قيل فيه تعالى: هو حي، فمعناه: أنه يستحيل عليه الموت، وليس ذلك إلا لله عز وجل(٦).

التفسير:

ومعنى هذا الاسم (الحي) في حقه تعالى: الباقي الدائم الذي لا يَفْنَى(٧).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة طه، الآية: ١١١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٥) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٦) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (حيى)، ٢/ ١٢٢. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ١٣٩.

(٧) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٣٨٦، ٣٨٧. وتفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٣٤٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٣/ ٢٧١. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٢٠٩.

وقد زاد الإمام الطبري الأمر وضوحًا في بيان معنى هذا الاسم بعبارة جامعة عند تفسير آية سورة آل عمران حيث قال: "الحي: هو الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو"(١).

***

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٦/ ١٥٧.

[٢٦، ٢٧] (الخالق، الخلاَّق)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الخالق، والخلاَّق)، وقد ورد اسم (الخالق) في أحد عشر موضعًا؛ ثمانية مواضع بصيغة المفرد، منها: ما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾[1]. وفي سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[2]. وفي سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، وثلاث مرات بصيغة الجمع؛ في سورة المؤمنون: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[4]. وفي سورة الصافات: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[5]، وفي سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[6].

وورد اسم (الخلاَّق) في موضعين هما: في سورة الحجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[7]. وفي سورة يس: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[8].

اللغة:

مادة: (خلق) تدل في اللغة على تقدير الشيء، والخَلْقُ -في كلام العرب-: إنما هو إبداع الشيء على غير مثال سابق، والخالق: اسم فاعل، والخلاَّق: صيغة مبالغة تدل على كثرة الخلق والإيجاد، وهما من صفات الله تعالى، والمعنى: الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه، ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين[9].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٨٦.

(٨) سورة يس، الآية: ٨١.

(٩) تُراجع مادة (خلق) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٢١٣، ٢١٤. ولسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ٨٥. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٩٥، ٩٦.

التفسير:

الخالق في حقه تعالى معناه: المقدر للأشياء على مقتضى الحكمة، أو مُوجد ما لم يكن موجودًا؛ فهو تعالى مبدع الأشياء من غير أصل ولا احتذاء[(١)].

والتعبير بجملة: اللَّهُ الْخَالِقُ -في سورة الحشر- تفيد القصر بطريق تعريف جزأي الجملة، أي: هو الخالق بحق لا شركاؤهم..

وهذا الاسم والاسمان اللذان بعده يحصل بذكرهم متتابعين تصور الإبداع الإلهي للإنسان، ولكل معنى يختلف عن الآخر؛ فابتدئ بالخلق الذي هو الإيجاد الأصلي، ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان، ثم بالتصور الذي هو إعطاء الصورة الحسنة[(٢)].

وأما اسم (الخلّاق) فهو صيغة مبالغة على وزن فعال، وفيه دلالة على كثرة الخلق وتنوع المخلوقات واختلافها، وفيه مبالغة في وصفه تعالى بهذا الوصف؛ لأنه تعالى يخلق خلقًا بعد خلق.

وعلى نحو هذه المعاني تدور معظم أقوال المفسرين[(٣)].

***

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٤. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٤. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٥/ ٢٠٣.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٣، ١٢٥ بتصرف، ونحوه في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٨.

(٣) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٣/ ٥٦. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٦/ ٩٧. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٣/ ٧٩. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٣١. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[٢٨] (الخبير)

من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم: (الخبير)، وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(١)]، وفي سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[(٢)]، وفي سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[(٣)]، وفي سورة الفرقان: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[(٤)].

اللغة:

مادة الخاء والباء والراء: تدل في اللغة على العلم بالشيء، يُقال: خَبَرَ الْأَمْرَ: عَلِمَهُ، وَالِاسْمُ: الْخُبْرُ بِالضَّمِّ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ. وَالْخَبِيرُ: الْعَالِمُ. وقيل بأن الخبرة: المعرفة ببواطن الأمور، والخبير من أسماء الله عز وجل: العالم بما كان وما يكون، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: عالم بأخباركم وأعمالكم، وقيل: أي عالم ببواطن أموركم[(٥)].

التفسير:

معنى الخبير في حقه تعالى: الذي يعلم بواطن الأمور ودقائقها وما خفي منها، وهو العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا شيء من هذا إلا تحت علمه وهو خبير به؛ فهو يعلم السر وأخفى. وفيما يلي بعض أقوال المفسرين التي توضح هذا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٥) تُراجع مادة (خبر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٢٣٩. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٢٢٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٨٧. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في الخبر)، ٢/ ٥٢٣.

يقول الإمام أبو جعفر الطبري في معنى (الخبير): "يعني: ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه شيء"(١).

وقال العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة الأنعام: "الخبير: أي العالم بما دق من أحوال العباد وخفي من أمورهم"(٢).

وقال أيضًا عند تفسير آية سورة الفرقان: "الخبرة: معرفة بواطن الأمور -كما ذكره الراغب-، ومن علم البواطن علم الظواهر بالطريق الأولى، فيدل على ذلك مطابقةً والتزامًا"(٣).

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسير آية سورة فاطر(٤): "الخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية"(٥).

***

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٩٤، عند تفسير قولة تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤].

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ١١٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ١٩/ ٣٧، ٣٨.

(٤) أي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر:٣١].

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٢/ ٣١٠.

[٢٩] (خير الفاصلين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (خير الفاصلين)، وقد ورد ذكره في موضع واحد بصيغة الجمع، وذلك في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[١].

اللغة:

(الفاصل) اسم فاعل من الفعل (فصل)، والفاء والصاء واللام: تدل في العربية على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلا، والفيصل: الحاكم، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، و(الفاصل): من يفصل بين الحق والباطل، وذكر الزجاج: أن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل، والمعنى: أنه يفصل القضاء بين الخلق. وقوله عز وجل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾[٢]؛ أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازى كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم. ويوم الفصل: هو يوم القيامة[٣].

التفسير:

الفاصل في حقه تعالى بمعنى الحاكم والقاضي بين العباد والخلائق، والله تعالى هو خير الحاكمين والقاضين[٤].

وذكر العلامة الطاهر ابن عاشور هذا المعنى السابق ثم أضاف معنى آخر -وهو أن الفصل كما يكون في القضاء يكون في الكلام، والمعنى: أنه تعالى يقضي بالحق، ويقول الحق-؛ فقال: "وجملة:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢١، وسورة المرسلات، الآية: ٣٨.

(٣) تُراجع مادة (فصل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٥٠٥. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٢١. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٤٠. وأيضًا: المخصص لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ٥/ ٢٢٧. ط/١: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ٧. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٦/ ٣٤٩. ونحو هذا أيضًا في: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢/ ١٢٩. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٥٠٩.

وهو خير الفاصلين، أي: يقص ويخبر بالحق، وهو خير من يفصل بين الناس، أو يقضي بالحق، وهو خير من يفصل القضاء، والفصل يطلق بمعنى القضاء، ويطلق بمعنى الكلام الفاصل بين الحق والباطل والصواب والخطأ، فمعنى خير الفاصلين: يشمل القول الحق والقضاء العدل"[١].

****

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ٢٦٨، ٢٦٩ بتصرف.

[٣٠] (ذو الجلال والإكرام)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (ذو الجلال والإكرام)، وقد ورد في موضعين في سورة الرحمن؛ الأول: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[١]. والثاني في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[٢].

اللغة:

الجيم واللام أصول ثلاثة: جَلَّ الشيء: عظم، وَجُلُّ الشيء: معظمه. وجلال الله: عظمته. وهو ذو الجلال والإكرام. والجلل: الأمر العظيم. والاسم من الفعل جَلَّ: الجلالة أي العظمة[٣].

ومادة الكاف والراء والميم: أصل صحيح يدل على شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم، والإكرام مصدر من الفعل أكرم يُكْرِم إكرامًا، وهو يدل على زيادة العطاء وكثرته، وذو الإكرام من صفات الحق سبحانه وتعالى التي تدل على كمال فضله وعظيم جوده على عباده[٤].

التفسير:

يدور معنى هذين الاسمين في فلك تنزيه الله تعالى ووصفه بصفات الجلال والكمال والجمال، والجلال: العظمة، والله ﷻ يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه، ويثبتون له ما يليق بشأنه تعالى شأنه، والإكرام: المنعم على عباده، ويدخل في الجلال جميع الصفات الراجعة إلى التنزيه عن النقص، وفي الإكرام جميع صفات الكمال الوجودية وصفات الجمال كالإحسان.

ولو نظرنا إلى أقوال المفسرين في بيان هذا سنجدها قريبة مما سبق.

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.

(٣) تُراجع مادة (جلل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٤١٧. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ١١٦، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٥٩، ٦٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٧١، ١٧٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥١٠.

يقول العلامة الآلوسي: "ذو الجلال والإكرام: أي يُجِلُّه الموحدون عن التشبيه بخلقه ويثبتون له ما يليق بشأنه تعالى شأنه في هذا راجع إلى ماله سبحانه من التعظيم في قلوب من عرفه عز و جل راجع إلى الفعل أي: يجل الموحدين ويكرمهم، وفسر بعض المحققين الجلال بالاستغناء المطلق والإكرام بالفضل التام وهذا ظاهر"(١).

ويتمِّمُ الإمام الطاهر بن عاشور المعنى ويُبَيِّنُه فيقول: "ذو الجلال: أي العظمة، والإكرام، أي المنعم على عباده، وقد دخل في الجلال جميع الصفات الراجعة إلى التنزيه عن النقص وفي الإكرام جميع صفات الكمال الوجودية وصفات الجمال كالإحسان"(٢).

ونحو هذا التفسير منثور فحواه في غير ما ذُكر آنفًا من كتب التفاسير(٣).

وقيل: إن وصفه تعالى بهذين الاسمين راجع إلى الفعل أي أنه ﷻ: يجل الموحدين ويكرمهم(٤).

ومن خلال ما سبق: فإنه ينبغي على كل مكلف أن يعتقد أن الجلال على الإطلاق لله الواحد الخلاق، ويقر في نفسه تعظيم الله تعالى وهيبته، ويمتلئ صدره بمراقبة جلاله، ويستنير سره بملاحظة كبريائه وجماله، فيكرمه ببره ونعمه، ويمده بعواطف فضله عليه وكرمه دنيا وأخرى(٥).

***

---

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٢٥٣، ٢٥٤ بتصرف.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٩٥. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٧/ ١٦٥.

(٤) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٠٩. ونحوه في: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٩١، ٩٢.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣١٨ بتصرف. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[٣١] (ذو الطول)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (ذو الطول)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في مفتتح سورة غافر في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[١].

وممن عدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والحافظ ابن حجر، والدكتور/ محمد الحمود النجدي[٢].

اللغة:

مادة الطاء والواو واللام تدل في اللغة على فضل وامتداد في الشيء، ومن ذلك: طال الشيء يطول طولا، والطول: خلاف العرض، يقال طاولت فلانًا فطلته، إذا كنت أطول منه، والطول والقصر من الأسماء المتضايفة، ويستعمل في الأعيان والأعراض كالزمان وغيره، والطول خص به الفضل والمن، قال تعالى: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٣]، فالطول: الفضل، يقال: لفلان على فلان طول، أي: فضل، ويقال: إنه ليتطول على الناس بفضله وخيره، والطول: المن، يقال منه: طال عليه وتطول عليه إذا امتن عليه"[٤].

التفسير:

ورد في معنى (ذي الطول) في حقه تعالى وجوه..

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣.

(٢) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٤. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٩. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ٤/ ٣٢١. والنهج الأسمى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٣٤٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣.

(٤) تُراجع مادة (طول) في: معجم مقاييس، اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٤٣٣، ٤٣٤. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٤١٤. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣١٢. ونحوه أيضًا في: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٣/ ٥٢٦.

أوَّلها وأولاها: أنه ذو الفضل والمَنِّ، والمعنى: أنه المتفضل على عباده بما هم فيه من المنن والنعم، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها(١).

والفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب، والفضل إحسان غير مستحق(٢).

يقول العلامة الآلوسي: "والطول: الفضل بالثواب والانعام أو بذلك وبترك العقاب المستحق كما قيل، وهو أولى من تخصيصه بترك العقاب وإن وقع بعد «شديد العقاب»، وكون الثواب موعودًا فصار كالواجب فلا يكون فضلاً ليس بشيء، فإن الوعد به ليس بواجب"(٣).

وهناك وجوه أخرى في معنى هذا الاسم قد يحتملها اللفظ، إلا أن ما ذكرته أولا هو الأولي عندي، وهو ما عوَّل عليه معظم المفسرين وصدَّروا به كلامهم، من هذه المعاني المحتملة: أنه بمعنى ذي السعة والغنى.

وقيل: إنه بمعنى ذي النعم.

وقيل: إنه بمعنى ذي القدرة.

وقيل: إنه بمعنى ذي الخير الكثير(٤).

***

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢١/ ٣٥١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٠/ ٤٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٥/ ٢٩١، ٢٩٢. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٤/ ٤٢. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ١٢٨.

(٢) تفسير الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٥/ ١٤٢.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٢٤/ ٤٢.

(٤) ذُكِرت هذه المعاني منثورة في كتب التفسير التالية: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢١/ ٣٥١. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ١٢٧، ١٢٨. وتفسير الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٥/ ١٤٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٠/ ٤٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ١٥/ ٢٩١، ٢٩٢. وروح المعاني للآلوسي، ٢٤/ ٤٢.

[٣٢] (ذو العرش)

من أسمائه سبحانه وتعالى الواردة في القرآن الكريم اسمه (ذو العرش) ولقد ورد ذكره في موضعين هما:

في سورة غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾(١).
وفي سورة البروج: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾(٢).

وعدَّه من أسماء الله تعالى: الإمام الحليمي، والإمام القرطبي(٣).

اللغة:

مادة: (عرش) تدل في اللغة على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك، من ذلك العرش، وهو: سرير الملك، وهذا صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (٤)، والعريش: بناء من قضبان يرفع ويوثق حتى يظلل، وعرش البيت: سقفه(٥).

التفسير:

العرش: اسم لعالم يحيط بجميع السموات؛ سُمِّيَ عرشًا لأنه دال على عظمة الله تعالى كما يدل العرش على أن صاحبه من الملوك(٦).

وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم، وقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾وما يجرى مجراه، قيل: هو إشارة إلى مملكته وسلطانه لا إلى مقرٍّ له تعالى الملك عن ذلك عُلوًّا كبيرًا(١).

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٥.

(٢) سورة البروج، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) يُنظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٩. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٦٩. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٥) تُراجع مادة: (عرش) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٢٦٤، ٢٦٥. ولسان العرب لابن منظور، ٦/ ٣١٣. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٠٥.

(٦) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، د/ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: ١٩٩٧م، ٣٠/ ٢٤٩.

وأقوال المفسرين في بيان هذا الاسم لا تكاد تخرج عن أن المراد بذي العرش: أنه كناية عن كونه تعالى خالق العرش ومالكه ومدبره(٢).

وأورد الحليمي في بيانه معنى هذا الاسم كلامًا بديعًا وأوجهًا توضِّح أن لهذا الاسم تعلُّقًا بكثير من صفات الكمال لله تعالى، حيث قال: "وذو العرش معناه: الملك الذي يقصده الصافون حول العرش لتعظيمه وعبادته، فهذا قد يتبع إثبات الباري جل ثناؤه على معنى أن للعباد ملكًا وربًّا يستحق عليهم أن يعبدوه، وقد يتبع التوحيد على أن المعبود واحد والملك واحد وليس العرش إلا لواحد، وقد يتبع إثبات الإبداع والاختراع له؛ لأنه لا يثبت العرش إلا لمن ينسب الاختراع إليه، وقد يتبع التدبير له على معنى أنه هو الذي دبر الخلائق ورتب الأمور، وجعله مصدرًا لقضاياه وأقداره، فرتب له حملةً من الملائكة، وآخرين منهم يصفون حوله ويعبدونه"(٣).

والفائدة في تخصيص العرش بالذكر هو أنه أعظم الأجسام، والمقصود بيان كمال إلهيته ونفاذ قدرته فكل ما كان محل التصرف والتدبير أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى(٤).

ومن خلال ما سبق يتبين أن المراد باسمه تعالى ذي العرش كناية عن ملكه وجلاله وكمال عظمته، وأنه سبحانه المخرج له من الوجود إلى العدم، وإنما أضافه الحق سبحانه إلى نفسه؛ لأنه من أكبر وأعظم المخلوقات التي خلقها الله تعالى.

***

=

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ط: دار الخلود للتراث بالقاهرة، ص: ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٧/ ٣٩. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٥/ ٢٩٩. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٤/ ٥٥. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٣٧٢.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٩، ٢١٠ بتصرف.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٧/ ٣٩.

[٣٣] (ذو الفضل)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (ذو الفضل)، وقد ورد ذكره في عدة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١].

وفي سورة آل عمران: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[٢].

وفي سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[٣].

وفي سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[٤].

وعدَّه من أسماء الله الحسنى: الإمام القرطبي[٥].

اللغة:

مادة (فضل) تدل في اللغة على زيادة في الشيء، والفضل: الزيادة في الخير، وهو ضد النقص، والإفضال: الإحسان، ورجل فاضل: ذو فضل، ورجل مفضول: قد فضله غيره، ورجل مفضال: كثير الفضل والخير والمعروف، وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة، أما المتفضل فالمدَّعِي للفضل على أضرابه وأقرانه[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ١/ ٥١٠. ط: دار الصحابة بطنطا.
(٦) تُراجع مادة (فضل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٥٠٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٢٤: ٥٢٦ بتصرف.

يقول الراغب الأصفهاني: "كل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها: فضل، نحو قوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[(١)]، وعلى هذا قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾"[(٣)].

التفسير:

معنى هذا الاسم في حقه تعالى: أنه المتفضل على عباده بأنواع الخيرات ابتداء من غير استحقاق عليه. ويظهر هذا بوضوح في كلام المفسرين.

يقول الإمام القرطبي عند بيانه معنى هذا الاسم الشريف: "فالله سبحانه ذو الفضل العظيم، والإحسان العميم، أعطى خلقه ما لا يلزمه، وتفضل عليهم بما لا يجب عليه، فسبحانه من كريم رءوف رحيم، تفضل على جميع خلقه بنعمته وعلى المؤمنين بدار كرامته: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾"[(٤)].

ويؤكد الإمام الطبري عدم استحقاق شيء عليه سبحانه وتعالى فيقول: "قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٥)]، خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه"[(٦)].

ويزيد العلامة الآلوسي في إيضاح معنى هذا الاسم في حقه تعالى فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[(٧)]: "قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تذييل لما سبق، وفيه تذكير للكارهين الحاسدين بما ينبغي أن يكون مانعًا لهم؛ لأن المعنى على أنه سبحانه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٨٢. والآية رقم: ٨٣ من سورة النساء.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ١/٥١١، ط: دار الصحابة بطنطا، والآية رقم: ٣٤ من سورة إبراهيم.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٠م، ٢/٤٧١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

المتفضل بأنواع التفضلات على سائر عباده فلا ينبغي لأحد أن يحسد أحدًا، ويود عدم إصابة خير له والكل غريق في بحار فضله الواسع الغزير، كذا قيل، وإذا جعل الفضل عامًا وقيل بإدخال النبوة فيه دخولا أوليًّا لأن الكلام فيها على أحد الأقوال كان هناك إشعار بأن النبوة من الفضل لا كما يقوله الحكماء من أنها بتصفية الباطن وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته، وتصدير هذه الجملة بالاسم الكريم لمناسبة العظيم"[١].

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٣٥٠، ٣٥١.

[٣٤] (ذو المعارج)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (ذو المعارج)، وقد ورد ذكره في موضع واحد، في سورة المعارج في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾[١].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والإمام القرطبي، والدكتور/ محمد الحمود النجدي[٢].

اللغة:

عَرَجَ فِي الدَّرَجَة والسُّلَّم يعرُج عُرُوجاً أَي ارْتَقَى. وعَرَج فِي الشيءِ وَعَلَيْهِ يَعْرِج ويَعْرُج عُرُوجاً أَيضاً: رَقيَ، والعروج: ارتقاء وذهاب في صعود. وعَرَج الشيءُ، فَهُوَ عَريج: ارْتَفَعَ وعَلا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[٣]؛ أَي تَصْعَدُ؛ يُقَالُ: عَرَج يَعْرُج عُرُوجاً؛ وَفِيهِ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾. والمَعْرَج: المَصْعَد. والمَعْرَج: الطَّرِيقُ الَّذِي تصعَد فِيهِ المَلَائِكَةُ. وعُرِج بالرُّوح وَالْعَمَلِ: صُعِد بِهِمَا[٤].

التفسير:

ذكر المفسرون في بيان معنى هذا الاسم أقوالا متنوعة ليس بينها تناقض أو تضاد، لذا فهي محتملة لغةً وشرعًا، من أهمها:

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١: ٣.

(٢) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٤. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢١٠. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص: ١٥١. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والنهج الأسمى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٣٤٣.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٤) تُراجع مادة: (عرج) في: معجم مقاييس، اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٣٠٢: ٣٠٤. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٣٢١، ٣٢٢. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٢٩.

أولا -وهو الأقرب من جهة اللغة والدلالة على المراد-: ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المعارج هي السموات التي تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء، فهي إذن الطرائق التي يُصْعَدُ فيها. فذو المعارج: ذو السموات التي تعرج فيها الملائكة[١]. أي: بالأعمال والأرواح[٢].

ثانيًا: قاله قتادة[٣]: المعارج: الفواضل والنعم، فذو المعارج: ذو الفواضل والنعم؛ وذلك لأن لأياديه ووجوه إنعامه مراتب وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة[٤].

ثالثًا: أن المعارج هي الدرجات والغرف التي يعطيها أولياءه في الجنة[٥].

رابعًا: أن المراد بذي المعارج ذي العظمة والعلاء[٦].

وفي إجراء وصف: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ على اسم الجلالة نكتة ذكرها الإمام الطاهر بن عاشور، وهي: استحضار عظمة جلاله، وإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه، فإن المعارج من خصائص منازل العظماء؛ قال تعالى: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[٧]، ولكل

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٠/ ١٠٨. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٩/ ٥٦. وزاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٣٣٦.

(٢) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٤. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢١٠.

(٣) هو: قتادة بن دِعَامة بن قتادة السَّدُوسِي، البصري، والمولود سنة ٦١هـ، والمتوفى سنة ١١٨هـ. [راجع: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٧١/٧)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (٩٢/١)].

(٤) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٠/ ١٠٨. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٢٨١. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٩/ ٥٦. والنكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٦/ ٨٩. وزاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٣٣٦.

(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٠/ ١٠٨. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٢٨١. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٩/ ٥٦.

(٦) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٢٨١. والنكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٦/ ٨٩.

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٣٣.

درجة المعارج قوم عملوا لنوالها؛ قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[١].اهـ[٢].

***

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٩/ ١٥٦، ١٥٧.

[٣٥] (ذو انتقام)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (ذو انتقام)، وقد ورد ذكره أربع مرات هي: في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ (١). وفي سورة المائدة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٢). وفي سورة إبراهيم: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾(٣). وفي سورة الزمر: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾(٤).

عدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الحليمي، والإمام القرطبي(٥).

اللغة:

مادة: (نقم) تدل في اللغة على إنكار الشيء شيء وعيبه، وَنَقَمْتُ عليه أَنْقِمُ: أنكرت عليه فعله. وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (٦)، وَالنِّقْمَةُ من العذاب والانتقام؛ كأنه أنكر عليه فعاقبه، وانتقم الله منه: أي عاقبه(٧).

التفسير:

معنى هذا الاسم في حقه تعالى: أنه ﷻ يبالغ في عقوبة المذنب بذنبه والجاني بجنايته -إن شاء-؛ فالانتقام: المبالغة في العقوبة وشدتها(٨).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٣) سورة إبراهيم، الاية: ٤٧.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٧.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٨. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٨٦. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٦) سورة البروج، الآية: ٨.

(٧) تُراجع مادة (نقم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤٦٤. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥٩١. مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣١٨.

(٨) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ١٤١. وروح المعاني، للآلوسي، ٣/ ٧٨. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ١/ ٣٩٩. وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٢٥٨. تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٢٣٦.

وينبغي أن يُعْلم أن الحق سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة العباد ولا تضره معصيتهم؛ وإنما الانتقام منه جلَّ وتعالى لإقامة مصالح العباد، وفي هذا يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "والانتقام: العقاب على الاعتداء بغضب، ولذلك قيل للكاره: ناقم، وجيء في هذا الوصف بكلمة (ذو) الدالة على الملك، للإشارة إلى أنه انتقام عن اختيار لإقامة مصالح العباد وليس هو تعالى مندفعًا للانتقام بدافع الطبع أو الحنق "(١).

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣/ ١٥١.

[٣٦] (الرءوف)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الرءوف)، وقد ورد ذكره في عدة مواضع، منها:

في سورة البقرة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

وفي سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾(٢).

وفي سورة التوبة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾(٣).

وفي سورة النحل: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾(٤).

اللغة:

مادة (رأف) تدل في اللغة على رقة ورحمة، والرأفة: الرحمة، وقيل: أشد الرحمة، وقد رَأَفَ يَرْأَفُ إذا رَحِمَ، والرأفة: أرق من الرحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة، فالرأفة أخص من الرحمة وأرق(٥).

التفسير:

ومعنى هذا الاسم (الرءوف) في حقه تعالى: أنه ذو الرحمة الخاصة؛ فالرأفة أعلى درجات الرحمة. يظهر هذا بجلاء في كلام المفسرين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧.

(٥) تُراجع مادة (رأف) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٤٧١. ولسان العرب، لابن منظور، ٩/ ١١٢ بتصرف كبير.

يقول العلامة الآلوسي: "الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي رفع المكروه وإزالة الضرر، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾(١) أي لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما"(٢).

ويقول الإمام الطبري: "قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: أن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة: أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة"(٣).

وفي الفرق بين الرأفة والرحمة يَنْقل الإمام الفخر الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» ما يلي:

"الرأفة: مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر؛ كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾(٤) أي لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام، وقد سمى الله تعالى المطر رحمة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾(٥)؛ لأنه إفضال من الله وإنعام، فذكر الله تعالى الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ويخفف المحن عنهم، ثم ذكر الرحمة لتكون أعم وأشمل، ولا تختص رحمته بذلك النوع بل هو رحيم من حيث أنه دافع للمضار التي هي الرأفة وجالب للمنافع معًا"(٦).

فيتحصل مما سبق: أن الرأفة رحمة خاصة؛ فهي أشد الرحمة وأبلغها.

***

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣/ ١٧٠، ١٧١. ويُنظر معه: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٢٥. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ١٧٢: ١٧٤. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٦) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ٩٩.

[٣٧] (الرب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الرب)، وقد ورد ذكره في القرآن في مواضع كثيرة، منها:

في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[١]، وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾[٢]، وفي سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

اللغة:

مادة الراء والباء: تدل على أصول، الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب: المصلح للشيء، يقال رَبَّ فلانٌ ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه. والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول، يقال أربت السحابة بهذه البلدة، إذا دامت. والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضًا مناسب لما قبله، ومتى أُنْعِمَ النَّظرُ كان الباب كلُّه قياسًا واحدًا[٤].

يقول الفيروزابادي: "الرب، وهو اسم الله تعالى، وقد يخفَف، والاسم الرِّبَابَة، والرُّبُوبيَّة، وعلم رَبُوبيٌّ: نسبة إلى الرب تعالى على غير قياس، ولا وربيك لا أَفعل، أي ولا وربك، أَبدل الباء ياءً للتضعيف، ورب كل شيء: مالكه ومستحقه وصاحبه، والجمع: أَرباب وربوب، والرباني: المتأله العارف بالله عز وجل، وأَصل الرب، التربية: وهى إنشاء شيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقول: ربه ورباه وربيه، فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، وبالإضافة يقال لله تعالى ولغيره: نحو رب العالمين، ورب الدار، ويجمع على أَرباب،

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (رب)، ٢/ ٣٨١، ٣٨٢. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (ربب)، ١/ ٣٩٩ بتصرف.

وكان من حقه ألا يجمع إذ كان إطلاقه لا يتناول إلا الله تعالى، لكن أتى بلفظ الجمع في قوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾(١)، على حسب اعتقاداتهم، لا على ما عليه ذات الشيء في نفسه"(٢).

التفسير:

الرب إما مصدر وإما صفة مشبهة، والأظهر أنه مشتق من ربه بمعنى رباه وساسه، لا من ربه بمعنى ملكه؛ لأن الأول الأنسب بالمقام هنا.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "الرب إما مصدر وإما صفة مشبهة على وزن فَعْل مِنْ رَبَّه يَرُبُّه بمعنى رباه وهو رَب بمعنى مُرَبَ وسائس، والتربية تبليغ الشيء إلى كماله تدريجًا، ويجوز أن يكون من ربه بمعنى ملَكَه.

والأظهر أنه مشتق من ربَّه بمعنى رباه وساسه، لا من ربه بمعنى ملكه لأن الأول الأنسب بالمقام هنا إذ المراد أنه مدبر الخلائق وسائس أمورها ومبلغها غاية كمالها، ولأنه لو حمل على معنى المالك لكان قوله تعالى بعد ذلك: {ملك يوم الدين} كالتأكيد والتأكيد خلاف الأصل ولا داعي إليه هنا، إلا أن يجاب بأن العالمين لا يشمل إلا عوالم الدنيا، فيحتاج إلى بيان أنه ملك الآخرة كما أنه ملك الدنيا"(٣).

ويقول العلامة الآلوسي: "ويطلق أيضًا على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب إلا أن المشهور كونه بمعنى التربية فلهذا قال بعض المحققين إنه حقيقة فيه؛ لأن التبادر أمارتها، وفي البواقي إما مجاز أو مشترك، والأول أرجح؛ لأن جميعها يوجد معنى التربية ووجود العلاقة أمارة المجاز، ولأن اللفظ إذا دار بين المجاز والاشتراك يحمل على المجاز كما تقرر في مبادئ اللغة"(٤).

---

(١) سورة يوسف الآية: ٣٩.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، د/ط، النكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د/ت، (بصيرة في الرب) ٣/ ٢٩، ٣٠ بتصرف .

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٦٦، ١٦٧. ونحوه في روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٧٧.

(٤) نفس التخريج السابق في الألوسي بتصرف.

ونبَّه غير واحد من العلماء على أن لفظ الرب معرَّفًا لا يُقال مطلقًا إلا لله تعالى وحده؛ فهو المتكفل بمصالح الموجودات، وبالإضافة يقال لله تعالى نحو: رب العالمين، ويُقال لغيره أيضًا -ولا يكون إلا مضافًا-، فيُقال: رب الدار، ورب المال(١).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن الله تعالى هو الرب على الحقيقة، فلا رب على الحقيقة سواه فهو رب الأرباب، ومالك المُلك، وملك الملوك سبحانه وتعالى، ولهذا نجد أن من عرف ذلك لم يطلب غير الله تعالى له ربًّا وإلهًا، ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته(٢). كما ورد عن النبي ﷺ وذلك فيما جاء عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ من رضي بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(٣).

نقل الإمام النووي عن القاضي عياض أن معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه، لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات الله تعالى ولذَّت له، والله أعلم(٤).

وينبغي أن نعلم أن هناك أمورًا تدل على عظمة هذا الاسم، منها: أنه من الأسماء التي دعا بها الأنبياء والصالحون وتضرعوا بها إلى الله سبحانه وتعالى، فقد دعا به آدم وحواء كما قصَّ علينا القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٥)، ودعا به نوح ﷺ في دعائه فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾(٦)، وغيرهم من الأنبياء

---

(١) يُراجع: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ١٣٧، ١٣٨. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في الرب)، ٣/ ٢٩، ٣٠ بتصرف.

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ١/ ٤١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن، حديث رقم: (٣٤)، ١/ ٦٢.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٢/ ٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٦) سورة نوح، الآية: ٢٨.

كثير، ودعا به النبي ﷺ هو وأمته في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١].

ومنها: أن النبي ﷺ نهى أن يقول العبد لسيِّده: (يا ربي)، وذلك فيما جاء عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَقُلْ أحدكم اسْقِ رَبَّكَ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ ولا يَقُلْ أحدكم رَبِّي وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ ولا يَقُلْ أحدكم عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ فَتَاتِي غُلَامِي»[٢].

قال الإمام النووي: "قال العلماء مقصود الأحاديث شيئان، أحدهما: نَهْيُ المملوك أن يقول لسيده ربِّي؛ لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء، ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى:

والثاني: يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدي وأمتي بل يقول غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيمًا بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، والظاهر أن المراد بالنهي مَنِ اسْتَعْمَلَهُ على جهة التعاظم والارتفاع لا للوصف والتعريف والله أعلم"[٣].

***

---

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ١/ ٤١٦، والآية رقم: ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد، حديث رقم: (٢٢٤٩)، ٤/ ١٧٦٤.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٥/ ٦، ٧ بتصرف.

[٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢]
(الرحمن، الرحيم، ذو الرحمة، أرحم الراحمين، خير الراحمين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الرحمن، والرحيم، وذو الرحمة، وأرحم الراحمين، وخير الراحمين).

وورد ذكر الرحمن في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: في سورة الفاتحة: في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾[١]، وفي سورة الإسراء: في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾[٢].

ومن المواضع التي ورد فيها اسمه تعالى: الرحيم؛ في سورة البقرة: في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، وفي سورة النساء: في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وورد (ذو الرحمة) في موضعين هما، في سورة الأنعام: في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٥]، وفي سورة الكهف: في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٦].

أما (أرحم الراحمين) فقد ورد في أربعة مواضع منها، في سورة الأعراف: في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٧]، وفي سورة الأنبياء: في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٨].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥١.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

وأما (خير الراحمين) فورد في موضعين في (سورة المؤمنون)؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[١]، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾[٢].

اللغة:

مادة (رحم) تدل في العربية على الرقة والعطف والرأفة. يُقال: رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رق له وتعطف عليه، والرُّحْمُ والمَرْحَمَة والرَّحْمة بمعنىً -أي: واحد-، والرَّحِم: علاقة القرابة، ثم سميت رحِم الأنثى رَحِمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد، والرحمن يختص بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز إطلاقه على غيره[٣].

التفسير:

أصل الرحمة رقة في القلب تقتضي التفضل والإحسان إلى المرحوم، وهذا المعنى هو المتبادر من لفظ الرحمة عند النظر إلى مجرد دلالتها اللغوية، وهذا لا يصلح أن يوصف به الله عز وجل؛ لكونه انفعالا لا يليق إلا بالمخلوق الحادث لا بالخالق القديم سبحانه، فمن ثَمَّ اختلف الناس اختلافًا عظيمًا في بيان هذا الوصف عندما يوصف به الله تعالى، واختلفوا في هذا على قولين:

الأول: أن هذا اللفظ ومثله من الألفاظ إنما تؤخذ باعتبار غاياتها -وهي هنا: إيصال الإحسان للمرحوم-، ويستحيل إطلاقها عليه تعالى باعتبار بداياتها -التي هنا هي رقة القلب-، وإرادة هذه الغاية وهي الإحسان من وصف الرحمة من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية كما يقول أهل البيان، وذلك لكون الرقة التي هي أصل الرحمة هي السبب في إيصال الخير والإحسان إلى المرحوم في حكم العادة، فأطلق السبب -وهو الرقة بالنسبة للراحم- وأريد المسبب وهو -إيصال الخير للمرحوم-، وهذا رأي جمهور العلماء من المتكلمين وغيرهم من المفسرين والفقهاء.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٨.

(٣) تُراجع مادة (رحم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر – بيروت، ١٩٧٩م، ٢/ ٤٩٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٢٣٠، ٢٣١ بتصرف. ط/١: دار صادر – بيروت. وأيضًا: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٢٨، ٢٩. ط، دار الثقافة العربية – دمشق، ١٩٧٤م.

والثاني: رأي طائفة أخرى من العلماء على رأسهم ابن تيمية وابن القيم؛ حيث ذهبوا إلى أن المراد حقيقة معنى الرحمة لا مجازه، وأن الله تعالى يوصف بهذا الوصف لكن لا بالمعنى الذي يُقال على المخلوق الحادث، بل بالمعنى الذي يليق بجانب الحق سبحانه وتعالى والذي لا يعلم كيفيته إلا هو.

وقالوا: إن إطلاق لفظ الرحمة على هذا المعنى اللائق في حق الله تعالى هو من قبيل الحقيقة اللغوية أيضًا، كما أن إطلاقه على المعنى اللائق بالمخلوق كذلك، وأن اللفظ إما موضوع للقدر المشترك بين المعنيين، وإما من قبيل ما يعرف بالمشترك اللفظي، والقرينة هي التي تبين عما يراد منه. فإذا وصف به الحق تبارك وتعالى كان المراد منه هو اللائق بالخالق، وإذا وصف به غيره كان المراد منه هو اللائق بالمخلوق، ثم لم يُسلِّموا أصلا أن المتبادر من اللفظ لغة هو المعنى اللائق بالمخلوق الممتنع عن الخالق. انتهى ملخصًا من كلام شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة(١).

واخْتُلف في أيهما أبلغ الرحمن أم الرحيم؟

الجمهور على أن الرحمن أبلغ من الرحيم بناء على القاعدة التي تقول: إن زيادة المبنى تدل على زيادة، وهي قاعدة أغلبية(٢).

وذكر العلماء أقوالا في بيان الفرق بين معنى الرحمن، ومعنى الرحيم:

منها: أن اسم الرحمن: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، فيعم المؤمن والكافر، والرحيم هو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين يوم القيامة(٣).

---

(١) دراسات في تفسير القرآن الكريم، الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة، ص: ١٥٦: ١٥٨ بتصرف. النشر: كتاب جامعي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ويُراجع معه للاستزادة: روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٥٩. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٦٩، ١٧٠.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٧١. **قلت: [وكون زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى بشروط ثلاثة:- الأول:** أن يكون ذلك في غير الصفات الجبلية، فخرج نحو شَرِه ونَهِم؛ لأن الصفات الجبلية لا تتفاوت، **والثاني:** أن يتحد اللفظان في النوع، فخرج حذر وحاذر، فالأول مع قلة حروفه أبلغ من الثاني؛ لكونه صفة مشبهة، والثاني اسم فاعل. **والثالث:** أن يتحدا في الاشتقاق، فخرج زمن وزمان؛ إذ لا اشتقاق فيهما. والمستوفي لهذه الشروط كنحو: الرحمن والرحيم، وقَطَعَ وقطَّع**] اهـ.**

يُراجع في هذا: حاشية الشيخ الصاوي على شرح الخريدة للإمام الدردير في علم التوحيد، ص: ٨. ط: الحلبي بمصر، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. وحاشية البجيرمي على شرح المنهج للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، ١/ ٧. ط: الحلبي بمصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

(٣) يُنظر: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٧١. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ٢٧. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، ١/ ٢٨.

ومنها: أن الرحمن: المنعم بجلائل النعم، والرحيم: المنعم بدقائقها[١].

ومنها: ما ذكره أبو جعفر الطبري أن الرحيم اسم مختص بالمؤمنين فقط؛ فالرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٢].

لكن يُشْكِل عليه قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

وهناك من ذهب إلى القول بأنهما بمعنى واحد[٤].

ولكن هذا القول ردَّه الأستاذ الإمام محمد عبده[٥] وناقشه قائلا: إن ذلك غفلة نسأل الله أن يسامح صاحبها، ثم قال: أنا لا أجيز لمسلم أن يقول، في نفسه أو بلسانه: إن في القرآن كلمة جاءت لتأكيد غيرها ولا معنى لها في نفسها، بل ليس في القرآن حرف جاء لغير معنى مقصود.

ثم قال: والذي أقول: إن لفظ «رحمن» وصف فعليّ فيه معنى المبالغة كفعّال، ويدل في استعمال اللغة على الصفات العارضة كعطشان وغرثان وغضبان. وأما لفظ «رحيم» فإنه يدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كعليم وحكيم وحليم وجميل، والقرآن لا يخرج عن الأسلوب العربيّ البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين،

(١) يُنظر: السراج المنير، للخطيب الشربيني، ١/ ٩٥. ومحاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ١/ ٢٢٥. ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٧٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣/ ١٧١. والآية رقم: ٤٣ من سورة الأحزاب.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣. وسورة الحج، الآية: ٦٥.

(٤) يُنظر: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٧١.

(٥) هو: محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد. ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر بالبحيرة تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة الوقائع المصرية وقد تولى تحريرها، ولما احتل الإنجليز مصر ناوأهم وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ثلاثة أشهر ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٨٨١م، سافر إلى باريس فاصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، عاد إلى مصر سنة ١٨٨٨م وتولى منصب القضاء فمفتيًا للديار المصرية واستمر إلى أن توفي بالأسكندرية سنة ١٩٠٥م ودفن في القاهرة. له: «تفسير القرآن الكريم» لم يتمه، و«رسالة التوحيد»، و«الإسلام والرد على منتقديه»، وغير ذلك.
[راجع: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحَجَوي (٢/ ٢٣٢)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٥٢)].

فلفظ الرَّحْمنِ يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان، ولفظ الرَّحِيمِ يدل على منشأ هذه الرحمة والإحسان، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة، وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكّدا للأول. فإذا سمع العربيّ وصف الله جلّ ثناؤه بـ«الرَّحْمنِ»، وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا، لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائما؛ لأن الفعل قد ينقطع إذا كان عارضًا لم ينشأ عن صفة لازمة ثابتة، فعندما يسمع لفظ «الرَّحِيمِ» يَكْمُل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه. اهـ[١].

وممن قال بالتفرقة بين هذين الاسمين أيضًا: الإمام بن القيم، ولكنه عكس بينهما من جهة الدلالة بالنسبة إلى ما قاله الأستاذ الإمام.

يقول الشيخ رشيد رضا[٢]: "قد سبق العلامة ابن القيم إلى مثل هذه التفرقة، ولكنه عكس في دلالة الاسمين الكريمين. قال: وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع، وهو أن الرحمن دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، وكأن الأول الوصف والثاني الفعل، فالأول: دالٌّ على أن الرحمة صفته أي صفة ذات له سبحانه، والثاني: دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته، أي صفة فعل له سبحانه، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة. ورحيم هو الراحم برحمته[٥].

(١) تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ١/ ٣٨: ٤٠. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن مجمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب توفي سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م. من أشهر آثاره: «مجلة المنار»، و«الوحي المحمدي»، و«شبهات النصارى وحجج الإسلام»، و«تفسير القرآن الكريم».
[راجع: الأعلام، للزركلي (١٢٦/٦)].

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣/ ١٧١. والآية رقم: ٤٣ من سورة الأحزاب.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(٥) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، ١/ ٤٠. وكلام الإمام ابن القيم في كتابه: «بدائع الفوائد»، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، ١/ ٢٨. ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

ثم رجحَّ الشيخ رشيد رضا ما قاله الأستاذ الإمام، فقال: "إن هذه الأمثلة تؤيد ما قاله الأستاذ الإمام من أن صيغة (فعلان) تدل على الصفة العارضة، ولا تدل على الدائمة، فاحتيج إلى صيغة أخرى تدل على الصفة الثابتة الدائمة وهي صيغة (فعيل)، فهذا أقوى ما قيل في نكتة الجمع بين الاسمين الكريمين بالصيغتين. ويليه دلالة أحدهما على الرحمة بالقوة، والآخر دلالته عليها بالفعل، وهذا معنى آخر ألم به هذان الإمامان، ولكن ابن القيم جعل لفظ الرحيم هو الدال على الرحمة بالفعل بدليل الآيتين اللتين أوردهما، ولفظ الرحمن هو الدال عليها بالقوة لعدم تعلق مثل ذلك الظرف به، وهو قوي. وعكس الإمام محمد عبده وجعل ذلك من مدلول الصيغة باللزوم"[(١)].

وما قيل في معنى الرحمة في حقه تعالى في اسمي الرحمن والرحيم يقال في باقي الأسماء التي تدل على الرحمة في حقه تعالى.

إلا أن في العدول عن وصفه تعالى بالرحيم إلى وصفه بأنه: ذو الرحمة في آية الأنعام: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ نكتة مهمة، وهي: أن الغني وصف ذاتي لله لا ينتفع الخلائق إلا بلوازم ذلك الوصف، وهي جوده عليهم؛ لأنه لا يَنْقُصُ شيئًا من غناه، بخلاف صفة الرحمة فإن تعلقها ينفع الخلائق، فأوثرت كلمة ذو لأن ذو كلمة يتوصل بها إلى الوصف بالأجناس، ومعناها صاحب، وهي تشعر بقوة أو وفرة ما تضاف إليه، فلا يُقال ذو إنصاف إلا لمن كان قوي الإنصاف، ولا يقال ذو مال لمن عنده مال قليل، والمقصود من الوصف بذي الرحمة، هنا تمهيد لمعنى الإمهال الذي في قوله: إن يشأ يذهبكم، أي فلا يقولن أحد لماذا لم يذهب هؤلاء المكذبين، أي أنه لرحمته أمهلهم إعذارًا لهم[(٢)].

***

(١) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، ١/ ٤٠، ٤١.

(٢) يُراجع: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٨/ ٨٦ بتصرف يسير.

[٤٣، ٤٤] (الرزَّاق، الرازق)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الرزَّاق والرازق)، وقد ورد اسم (الرزَّاق) في موضع واحد وذلك في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾(١).

وأما اسمه الرازق فقد ورد بصيغة الجمع في خمسة مواضع، وهي: في سورة المائدة: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٢). وفي سورة الحج: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾(٣). وفي سورة المؤمنون: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢﴾(٤). وفي سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٥). وفي سورة الجمعة: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٦).

اللغة:

مادة: (رزق) تدل في اللغة على عطاءٍ لوقتٍ، ثم يُحمل عليه غيرُ المَوْقُوتِ؛ فالأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم، والرازق والرزَّاق في صفة الله تعالى؛ لأنه يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم، وفعَّال من أبنية المبالغة، والرزق: عطاء الله جلَّ ثَنَاؤُهُ. ويُقال رَزَقَهُ الله رزقًا، والاسم الرِّزْقُ(٧).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٨.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٧٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ١١.

(٧) تُراجع مادة: (رزق) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٣٨٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ١١٥.

التفسير:

أما تفسير اسمه تعالى (الرزَّاق): فهو صيغة مبالغة، وهي تدل على كثرة الفعل المتعلق بهذه الصفة، والتي هي الرزق هنا، فالله تعالى هو الرزاق أي هو المكثر في إعطاء الأرزاق لعباده، وقصر الاسم عليه سبحانه وحده بأنه هو الرزاق يدل على استغنائه سبحانه عن جميع خلقه، وأنه ليس هناك أحد يشاركه في هذه الصفة[١].

وأما تفسير اسمه تعالى (الرازق) فله معنى عامٌّ، وآخر خاصٌّ في سياق الآيات..

أما العام فهو قريب مما سبق في بيان اسم (الرزَّاق) من غير المبالغة التي تقتضيها صيغته، وبيانه - كما قال الإمام الحليمي-: أنه تعالى المفيض على عباده ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به، والمنعم لهم باتصال[٢] حاجتهم من ذلك إليهم؛ لئلا تتنغص عليهم لذة الحياة بتأخره عنهم، ولا يفقدوها أصلاً بفقدهم إياه[٣].

وأما المعنى الخاص المفهوم من سياق الآيات فهو: أنه تعالى خالق الرزق ومعطيه بلا ملاحظة عوض؛ لأنه مستغن وغير محتاج لأحد. وهو خير من يعطي، وأجود من تفضل؛ لأنه لا يدخل عطاءه من ولا نكد[٤].

❊❊❊

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ٢٣. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٨/ ٢٠٢. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٧/ ٥٦.

(٢) كذا بالمطبوع، وأظن الصواب: بإيصال.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٣.

(٤) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ٦٢. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٦/ ٣٦٨. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١١/ ٢٢٦.

[٤٥] (رفيع الدرجات)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (رفيع الدرجات)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾[(١)].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في «التلخيص الحبير»[(٢)].

اللغة:

مادة: (رفع) تدل في اللغة على خلاف الوضع، فهو نقيض الخفض في كل شيء، يُقال: رفعت الشيء رفعًا، ورفعته فارتفع، ورفعه يرفعه رفعًا، ورفع هو رفاعة، والمرفع: ما رفع به، ارتفع الشيء ارتفاعًا بنفسه إذا علا، وفي أسماء الله تعالى الرفيع: رفيع الشأن، والرافع: الذي يرفع شأن المؤمنين بالإسعاد وأولياءه بالتقريب[(٣)].

التفسير:

ذكر المفسرون في بيان معنى (رفيع الدرجات) وجهين؛ أحدهما: أنه بمعنى الرافع، والآخر: أن بمعنى المرتفع، ومُحَصَّلُ ما قالوه:

إن قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه الرافع، وأن يكون المراد منه المرتفع؛ فإن حملناه على الأول ففيه وجهان: أولها: أنه تعالى يرفع درجات الأنبياء والأولياء، ثانيهما: يرفع درجات الخلق في العلوم والأخلاق الفاضلة فجعل لكل أحد من الملائكة درجة معينة كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[(٤)]، وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٥.

(٢) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ٤/ ٣٢١.

(٣) تُراجع مادة (رفع) في: لسان العرب، لابن منظور، ٨/ ١٢٩. ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٤٢٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٢٦.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، وعين لكل جسم درجة معينة، فجعل بعضها سفلية كدرة وبعضها فلكية وبعضها من جواهر العرش والكرسي، وأيضاً جعل لكل واحد مزية معينة في الخلق والخلق والرزق والأجل فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[٢]، وجعل لكل واحد من السعداء والأشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة، وفي الآخرة تظهر تلك الآثار وإن حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه وتعالى أرفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال[٣].

***

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٣) يُراجع: السراج المنير، للخطيب الشربيني، ٣/ ٣٧٩، ٣٨٠. ومعه أيضًا: تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، ٦/ ٢٧. ط/١: دار الكتب العلميه - بيروت، ١٤١٦هـ. واللباب في علوم الكتاب، لسراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ١٧/ ٢٣. ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

[٤٦] (الرقيب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الرقيب)، وقد ورد ذكره في ثلاثة مواضع، وهي: في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (١). وفي سورة المائدة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(٢). وفي سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾(٣).(٤).

اللغة:

مادة: (رقب) تدل في اللغة على انتصاب لمراعاة شيء، ومن ذلك: الرقيب وهو الحافظ، يقال: رقبت أرقب رقبة ورقبانًا، والمرقب: المكان العالي يقف عليه الناظر، وراقب الله تعالى أي خافه، والترقب والارتقاب: الانتظار.

وفي أسماء الله تعالى الرقيب، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل، والرقيب: الحفيظ(٥).

التفسير:

الرقيب في حقه تعالى بمعنى الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه(٦)، والرقيب: الحفيظ الذي لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يئوده حفظ ذلك كله(٧).

وعلى هذا معظم المفسرين، وإن ورد معنى آخر غير هذا يمكن رده بلطف إلى هذا المعنى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٣) سورة الآحزاب، الآية: ٥٢.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ، مادة: (رقب)، ص: ٣٢٣. ط/ دار الحديث بالقاهرة.

(٥) تُراجع: مادة (رقب) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤٢٧/٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٤٢٤: ٤٢٦ ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٢٦.

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥١.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٠/ ٣٠٤.

يقول الإمام الفخر الرازي عند تفسير آية سورة النساء: "الرقيب: هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك، ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فبين تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذرًا خائفًا فيما يأتي ويترك"[١].

وقال العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة النساء: "رقيبًا: ناظرًا إلى قلوبكم مطلعًا على ما فيها"[٢]. والنظر فيه معنى المراقبة والحفظ

وقال في موضع آخر عند تفسير آية سورة المائدة: "الرقيب عليهم: أي الحفيظ المراقب"[٣].

وممن قال بنحو هذا المعنى أيضًا الإمام القرطبي[٤].

****

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ١٣٥.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٤/ ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق نفسه، ٧/ ٦٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٥/ ٧، ٨.

[٤٧، ٤٨] (سريع الحساب، سريع العقاب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (سريع الحساب، وسريع العقاب)، أما (سريع الحساب) فقد ورد ذكره في عدَّة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[٢]. وفي سورة المائدة: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾[٣].

أما (سريع العقاب) فورد في موضعين، وهما: في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾[٤]. وفي سورة الأعراف: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٧﴾[٥].

عدَّ هذين الاسمين من أسماء الله تعالى: الإمام القرطبي[٦].

اللغة:

مادة (سرع) في اللغة تدل على خلاف البطء، والسريع: خلاف البطيء، وسرعان الناس: أوائلهم الذين يتقدمون سراعًا، وتقول العرب: لسرعان ما صنعت كذا، أي: ما أسرع ما صنعته. يُقال سَرُعَ يَسْرُعُ سَراعةً وسِرْعاً وسَرْعاً وسِرَعاً وسَرَعاً وسُرْعةً فهو سَرِعٌ وسَرِيعٌ وسُراعٌ، ويُقال: أسرع فلان المشي والكتابة وغيرهما وهو فعل مجاوز، ويُقال: أسرع إلى كذا وكذا يريدون أسرع المضي إليه، وسارع بمعنى أسرع، يُقال ذلك للواحد وللجميع سارعوا، والمسارعة إلى الشيء المبادرة إليه[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٤) سورة الأنعام، الاية: ١٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٦٧.

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٨٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٧) تُراجع مادة (سرع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ١٥٢، ١٥٣. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ١٥١، ١٥٢.

التفسير:

قال الراغب الأصفهاني: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[١]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢]، تنبيه على ما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾"[٣].

ومعنى (سريع الحساب) في حقه ﷻ: أنه سبحانه وتعالى حسابه سريع لا يحتاج إلى فكر ولا روية، فيحاسب عباده على كثرتهم في وقت قليل، وهذا يقتضي إحاطة العلم والقدرة.

وقيل: إن المعنى أنه تعالى يُوشك أن يُقيم القيامة ويأتي بيوم الحساب فيحاسب الناس، فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات، ففيه إنذار بيوم القيامة[٤].

وكذلك (سريع العقاب) فمعناه: أن عقابَه سريعُ الإتيان لمن لم يُراعِ حقوقَ ما آتاه الله تعالى ولم يشكُرْه؛ لأن كلَّ آتٍ قريبٌ. والمراد بالسرعة هنا عدم التردد وتمام المقدرة على العقاب؛ لأن شأن المُتَرَدِّدِ أو العاجز أن يتريث وأن يخشى غائلة المُعَاقَب[٥].

***

(١) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنعام، الاية: ١٦٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٢٣٠. والآية رقم: ٨٢ من سورة يس.

(٤) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٩١. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ١٣٢. وتفسير أبي السعود١/ ٢١٠. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢/ ٤٣٥.

(٥) يُنظر: تفسير أبي السعود، ٣/ ٢٠٨. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢١٢/٨.

[٤٩] (السلام)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اسمه تعالى: (السلام)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة الحشر في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١).

اللغة:

السين واللام والميم معظم بابه من الصّحّة والعافية؛ ويكون فيه ما يشذُّ، والشاذُّ عنه قليل، فالسّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى والآفات الظاهرة والباطنة. والسلام: في الأصل السلامة، يُقال: سلم يسلم سلامًا وسلامة. قال أهلُ العلم: الله جلَّ ثناؤُه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، ودارُهُ الجنَّة دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات.

ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع. والسِّلام: المسالمة. والسَّليم يُقال لِلَّديغ، وفي تسميته قولان: أحدهما أنَّه أُسلم لما به. والقول الآخر أنّهم تفاءلوا بالسَّلامة(٢).

التفسير:

يطلق هذا الاسم: (السلام) على الله ويراد منه ثلاثة معان:

أولها: أنه ذو السلامة من كل عيب وآفة ونقص.

والثاني: كونه تعالى معطيًا للسلامة في المبدأ والمعاد؛ أما المبدأ: فجَعْلُه تعالى أكثر مخلوقاته سليمًا من العيوب، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(٣)، وقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٤)، وأما المعاد فهو أن العباد قد سلموا من الجور عند الحساب؛ لانتفاء الظلم عنه أصلا

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) تُراجع مادة (سلم) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٩٠/٣. لسان العرب لابن منظور، ٢٨٩/١٢، ٢٩١. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ٤٩٣/١، ٤٩٤ بتصرف.

(٣) سورة الملك، الآية: ٣.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.

جلَّ وتعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[١]، وقال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[٣].

والثالث: أنه بمعنى المُسلم، أي: أنه تعالى يُسلِّم على عباده في الجنة، قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾[٤].

وإن حملنا السلام عن البراءة من العيوب كان ذلك من صفات التنزيه، وإن حملناه على كونه معطيًا للسلامة كان من صفات الأفعال، وإن حملناه على كونه مُسَلِّمًا على أولياؤه كان من صفات الذات[٥].

قال الإمام الفخر الرازي: "فإن قيل: فعلى هذا التفسير -أي الأول- لا يبقى بين القدوس وبين السلام فرق، والتكرار خلاف الأصل؟

قلنا: كونه قدوسًا إشارة إلى براءته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر، وكونه سليمًا إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب في الزمان المستقبل، فإن الذي يطرأ عليه شيء من العيوب فإنه تزول سلامته، ولا يبقى سليمًا"[٦].

***

(١) سورة يونس، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٤) سورة يس، الآية: ٥٨.
(٥) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٤٢، وروح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٦.
(٦) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٥.

[٥٠] (السميع)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (السميع)، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها:

في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١).

وفي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾(٢).

وفي سورة المائدة: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾(٣).

وفي سورة الحج: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾(٤). وغير هذه المواضع كثير.

اللغة:

مادة: (سمع) تدل في اللغة على حس الشيء بالأذن من الإنسان أو من كل ذي أذن، والسمع: ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، تقول: سمعت الشيء سمعًا، والسمع: الذكر الجميل، يقال: قد ذهب سمعه في الناس، أي صيته، وسمَّعَ به: أسمعه القبيح وشتمه وتسامع به الناس وأسمعه الحديث وأسمعه أي شتمه، وسمَّع بالرجل: أذاع عنه عيبًا وندد به وشهره وفضحه وأسمع الناس إياه.

وقد تأتي سمعت بمعنى أجبت ومنه قولهم سمع الله لمن حمده أي أجاب حمده وتقبله، يقال: اسمع دعائي أي أجب لأن غرض السائل الإجابة والقبول.

ورجل سميع: سامع، والسميع: المسموع أيضًا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الحج، الاية: ٧٥.

و(السميع) فعيل من أبنية المبالغة، وهو من صفاته عز وجل وأسمائه: لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فهو يسمع بغير جارحة، وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[١]، وهو الذي وسع سمعه كل شيء"[٢].

التفسير:

السمع: إدراك المسموعات حال حدوثها، وهي في حقه تعالى: صفة تنكشف بها المسموعات انكشافًا تامًّا[٣]؛ فالسميع في حقه تعالى: هو المحيط إحاطة تامة بكل مسموع، والمدرك إدراكًا تامًّا بجميع المسموعات، فلا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٤]: "السميع: المدرك إدراكًا تامًا لا على طريق التخيل والتوهم لجميع المسموعات، ولا على طريق تأثر حاسة ولا وصول هواء"[٥].

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: "السميع: هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو أدق من ذلك وأخفى..

ومهما نزهت السميع عن تغير يعتريه عند حدوث المسموعات، وقدسته عن أن يسمع بأذن أو بآلة وأداة، علمت أن السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات، ومن لم يدقق نظره فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه، فخذ منه حذرك ودقق فيه نظرك"[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٤.

(٢) تُراجع مادة (سمع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ١٠٢. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ١٦٢: ١٦٥ بتصرف.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين، ٢/٦٩٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) روح المعاني، للآلوسي، ٢٥/ ٢٠.

(٦) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، ص: ٨٤ بتصرف.

ويوضح الإمام الفخر الرازي هذا فيقول: "اعلم أنا نعرف حقيقة الصوت، فإذا سمعناه وجدنا حالة زائدة على ما كان حاصلا قبل العلم، وتلك الحالة مزيد انكشاف وظهور، سميناه بالسمع.

فنقول: لفظ السامع والسميع موضوع في اللغة لهذا الانكشاف والتجلي، فلما ورد في حق الله سبحانه اعتقدنا ثبوت جنس هذا الانكشاف في حق الله تعالى ولم نقل الحاصل لله نوع هذا الانكشاف، بل قلنا: جنسه؛ وذلك لأن الانكشافات الحاصلة لله تعالى بالنسبة إلى الانكشافات الحاصلة للعبيد كنسبة ذاته إلى ذوات العبيد، وكنسبة وجوده إلى وجود العبيد، ولما كان لا مشاركة بين الذاتين وبين الوجودين إلا في الاسم، وكذا القول بين الانكشافين.

واعلم أن الحاصل عند عقول الخلق من معاني صفات الله سبحانه وتعالى خيالات ضعيفة، ورسوم خفية، وجلَّت صفاته عن مناسبة صفات المحدثات، وتقدست صمديَّته وعزَّته عن مشابهة الممكنات"(١).

وهناك معان أخرى لهذا الاسم في حقه تعالى ذكرها العلماء منها:

أنه قد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة، ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، فقيل في معناه: قَبِل الله حمد من حمده، وكقوله عليه ﷺ: «اللَّهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَولٍ لا يُسْمَع»(٢) أي من دعاء لا يُستجاب.

وقيل في معناه: أنه تعالى يسمع كلام عباده وتضرعهم إليه، ولا يشغله نداء عن نداء، ولا يمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء.

وقيل: السميع: الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار، وكشف محنتك عند الافتقار، وغفر زلتك عند الاستغفار، وقبل معذرتك عند الاعتذار، ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار.

وقيل: السميع: الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويقيل العثرات(٣).

---

(١) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ط/١، المطبعة الشرقية، بمصر: ١٣٢٣هـ، ص: ١٧٩.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: (٢٧٢٢)، ٤/ ٢٠٨٨. عن زيد بن أرقم ﷺ، ولفظه: «اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها».

(٣) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٧٩، ١٨٠. وحاشية الجمل على الجلالين ٢/٦٩٤، ٦٩٥.

وهي معان محتملة، وبعضها قريب مما سبق؛ إذ لا تضاد بينها، لكن ما تقدم في بيان الاسم أولى؛ فهو قول معظم المفسرين.

***

[٥١، ٥٢] (الشاكر، الشكور)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الشاكر، والشكور).

أما اسم (الشاكر) فقد ورد في القرآن الكريم في موضعين:

في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[١].

وفي سورة النساء: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٢].

وأما اسم (الشكور) فقد ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

في سورة فاطر: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[٣].

وفي السورة نفسها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

وفي سورة الشورى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٥].

وفي سورة التغابن: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[٦].

اللغة:

مادة (شكر) في اللغة تدل على معان مختلفة، منها -وهو ما معنا هنا-: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه، وقيل: هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف. وقد (شَكَرَهُ) يَشْكُرُهُ بِالضَّمِّ (شُكْرًا) وَ (شُكْرَانًا) أَيْضًا. يُقَالُ: شَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ وَهُوَ بِاللَّامِ أَفْصَحُ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٦) سورة التغابن، الآية: ١٧.

والشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه؛ فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته، والشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية؛ فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليها.

قيل: الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما.

والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والشكور من أبنية المبالغة، وهو من صفات الله جلَّ اسمه، ومعناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده مغفرته لهم، وأما الشكور من عباد الله: فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته، والشكران: خلاف الكفران(١).

التفسير:

الشكر عندما يضاف إلى الله سبحانه وتعالى يكون معناه: المجازي على القليل من الأعمال بكثير من الثواب، أو المثيب على الشكر.

يقول العلامة الآلوسي في بيان معنى اسمه تعالى (الشاكر): "أي: مجاز على الطاعة بالثواب، وفي التعبير به مبالغة في الإحسان إلى العباد"(٢).

ويقول أيضًا: "قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا﴾ -في سورة النساء- أي مثيبًا على الشكر"(٣).

وقد تكرر المعنى الأول عند المفسرين كثيرًا(٤).

وسُمِّيت المجازاة على الطاعة في حقه تعالى شكرًا لوجوه:

---

(١) تُراجع مادة (شكر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٦٧. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٢٦.

(٣) المرجع السابق، ٥/ ١٨٠.

(٤) يُنظر: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ١٩٣. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ١٤٦. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ١١٥. وتفسير أبي السعود، ١/ ١٨١. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الأول: أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مبالغة في الإحسان إليهم، كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(١)]، وهو تعالى لا يستقرض من عوض، ولكنه تلطف في الاستدعاء كأنه قيل: من ذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم.

الثاني: أن الشكر لما كان مقابلا للإنعام أو الجزاء عليه سمي كل ما كان جزاء شكرًا على سبيل التشبيه.

الثالث: كأنه يقول: أنا وإن كنت غنيا عن طاعتك إلا أني أجعل لها من الموقع بحيث لو صح على أن أنتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل، وبالجملة فالمقصود بيان أن طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى وواقعة موقع القبول في أقصى الدرجات[(٢)].

وأما (الشكور) فهو بمعنى الشاكر مع مبالغة فيه[(٣)].

***

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ١٤٧.

(٣) المرجع السابق، ٢٦/٣٠، مع: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٢/ ٣٠٨.

[٥٣، ٥٤] (شديد العذاب، شديد العقاب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (شديد العذاب، وشديد العقاب)، أما (شديد العذاب) فقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾(١).

وأما (شديد العقاب) فورد ذكره في عدَّة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢)، وفيها أيضًا: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٣). وفي سورة آل عمران: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾(٤). وفي سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٥).

اللغة:

مادة الشين والدال: تدل في اللغة على قوة في الشيء وصلابة، والشديد: خلاف الضعيف، والاسم منه الشدة بمعنى الصلابة وهي نقيض اللين، يُقال: شيء شديد: بَيِّنُ الشِّدَّةِ، وشيء شديد مُشْتَدٌّ: قَوِيٌّ، والشديد في صفات الآدميين بمعنى: البخيل، يقال: فلان شديد أي: بخيل، وفسروا قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾(٦)، أي: إنه لحب المال لبخيل، أي: هو من أجل حب المال بخيل(٧).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٦) سورة العاديات، الآية: ٨.

(٧) تُراجع مادة: (شدد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ١٧٩. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٢٣٢. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٦٢.

التفسير:

معنى (شديد العذاب) في حقه ﷻ، أي: شديدٌ عذابُه؛ لكمال قدرته تعالى وتمامها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾، والمراد: ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة[١].

ومعنى (شديد العقاب)، أي: عقابه شديد، ومعنى شدة عقابه: أنه لا يفلت الجاني؛ وذلك لأنه تعالى قادر تمام القدرة على العقاب[٢].

***

---

(١) يُنظر: تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ١٤٨.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٢٩٣، عند تفسير الآية رقم: ٢١١ من سورة البقرة.

[٥٥] (الشهيد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الشهيد)، وقد ورد ذكره في عدَّة مواضع، منها: في سورة النساء، في قوله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾[١]، وقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[٢]، وفي سورة المائدة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣]، وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[٤]، وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[٥]، وفي سورة المجادلة: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٦].

اللغة:

مادة: (شهد) تدل في اللغة على حضور وعلم وإعلام، والشهيد في اللغة: بمعنى الشاهد؛ فهو فعيل بمعنى فاعل، كما في العليم بمعنى العالم، والرحيم بمعنى الراحم، والشاهد خلاف الغائب، تقول العرب: فلان كان شاهدًا لهذا الأمر؛ أي: لم يغب عنه.

والشهيد أيضًا في اللغة: الشاهد الذي يشهد بما عاين وحضر، كما يقال: فلان شاهد فلان وشهيده. كما قال عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، أي: شاهدًا.

والشهادة: خبر قاطع. والمشاهدة: المعاينة.

ومن أسماء الله عز وجل: الشهيد؛ لأنه لما كانت الأشياء لا تخفى عليه ولا تغيب عن علمه كان شهيدًا لها وشاهدًا لها؛ أي: عالمًا بها وبحقائقها علم المشاهد لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية. فإذا اعتبر

(١) سورة النساء، الآية: ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٥) سورة الحج، الآية: ١٧.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٦.

العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة(١).

التفسير:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين حول بيان معنى اسمه سبحانه الشهيد فسنجد أنها تدور حول معنى أنه الشهيد أي الحاضر في كل شيء، والشهيد في حقه تعالى مركب من عدة معاني تتضمن: الحاضر الشاهد، والعالم، والرقيب؛ فالله تعالى عالم ومحيط إحاطة تامة بجميع الأمور بحيث لا يغيب عنه شيء.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة الحج: "قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، أي: أنه تعالى عالم بكل شيء من الأشياء ومراقب لأحواله ومن قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد"(٢).

وقال أيضًا عند تفسير آية سورة المجادلة: "قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾، أي: لا يغيب عنه أمر من الأمور أصلا"(٣).

وتكررت نحو هذه المعاني عند المفسرين والعلماء(٤).

ومن ثَمَّ: فإنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى هو عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه أمر وإن دق وصغر، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ليس يغيب عنه شيء من ذلك.

---

(١) تُراجع مادة (شهد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٢٢١. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٢٣٨. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٦٩، ١٧٠. وأيضًا: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٣٢.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ١٧/ ١٣٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ٢٨/ ٢٣.

(٤) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٢/ ١١٣ عند تفسير آية سورة المائدة. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٢/ ٢٣ عند تفسير آية سورة الحج. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٧/ ٢٢٥ عند تفسير آية سورة الحج، والمرجع نفسه ٢٨/ ٢٥ عند تفسير آية سورة المجادلة. وأيضًا: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٥. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٠.

[٥٦] (الصادق)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الصادق)، وقد ورد ذكر اسمه الصادق بصيغة الجمع في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾(١)، ووردت مادته في أكثر من موضع منها: في سورة آل عمران: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(٢). وفي سورة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾(٣). وفي سورة الزمر: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾(٤).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والإمام القرطبي(٥).

اللغة:

مادة الصاد والدال والقاف: تدل في اللغة على قوة في الشيء قولا وغيره، من ذلك الصدق: خلاف الكذب ونقيضه؛ سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، وهو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صدق، أي صلب، ورمح صدق، ويُقال: صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كذبوهم، والصديق: الملازم للصدق، والصداق: صداق المرأة، سمي بذلك لقوته وأنه حق يلزم، يُقال: صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه قَبِل قولَه، وصَدَقَهُ الحديث أنبأه بالصدق(٦).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(٥) يُراجع: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٢. المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٧. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٥٣. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٦) تُراجع مادة (صدق) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٣٣٩. ولسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ١٩٣، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٧٤.

والصدْق: كل خبر مخبره على مَا أخبر به فهو صدق[١].

التفسير:

معنى هذا الاسم في حقه تعالى: أنه سبحانه صادق في جميع ما أخبر ووعد به[٢].

يقول الإمام القرطبي: "الصادق في وصفه سبحانه: صفة ذاتية له راجعة إلى معنى كلامه؛ إذ الصدق ما تضمنه كلامه وهو المتكلم به، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾[٣]، فالله تعالى صادق في قوله، صادق في حديثه، صادق في وعده"[٤].

***

(١) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٥٤٣.

(٢) يُنظر: روح المعاني للآلوسي، ٨/ ٤٩، عند تفسير آية سورة الأنعام. ومعه: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٦/ ١٧. والسراج المنير، للخطيب الشربيني، ١/ ١٩٠، عند تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ الآية: ٩٥. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ١/ ٤٥٦. ط: دار الصحابة بطنطا.

[٥٧] (الصَّمد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الصمد)، وقد ورد ذكره في موضع واحد، في سورة الإخلاص، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾(١).

اللغة:

مادة (صَمَدَ) تدل في اللغة على القصد؛ فالصَّمْد: القصد. يقال صَمَدْتُه صَمْدًا، وصَمَدَه يَصْمِدُه صَمْداً وصَمَد إِليه كلاهما قَصَدَه. وفلان مُصَمَّدٌ، إِذا كان سيِّدًا يُقصَدُ إليه في الأمور. والصَّمَدُ بالتحريك السَّيِّدُ المُطاع الذي لا يُقْضى دونه أَمر، وقيل: الذي يُصْمَدُ إِليه في الحوائج أَي يُقْصَدُ. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنه يَصْمِد إليه عبادُهُ بالدُّعاء والطَّلَب، ولأَنه أُصْمِدَتْ إِليه الأُمور فلم يَقْضِ فيها غيره.

والمُصْمَدُ لغة في المُصْمَت وهو الذي لا جَوف له، وقيل: الصَّمد الذي لا يَطْعَم.

والصَّمْدُ: كلُّ مكان صُلْب، وقيل: الصَّمْدُ: المَكانُ الغليظ المرتفع من الأَرض لا يبلغ أَن يكون جبلاً وجمعه أَصْمادٌ وصِماد(٢).

التفسير:

الصمد في حقه تعالى يحتمل وجهين: أحدهما: أنه السَّيِّد الذي يُصمد إليه في الأمور، ويُقصد في الحوائج والنوازل؛ فأصل الصَّمْد: القصدُ. والآخر: أنه الذي لا جوف له، ومنه يقال: لسداد القارورة الصماد(٣).

يقول العلامة الآلوسي: "والمُعَوَّل عليه تفسيرًا بالسيد الذي يصمد إليه الخلق في الحوائج والمطالب، وتفسيره بالذي لا جوف له، وما عداهما، إما راجع إليهما أو هو مما لا تساعد عليه اللغة"(٤).

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ٢.

(٢) تُراجع مادة (صَمَدَ) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣٠٩/٣، ٣١٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٢٥٨ بتصرف.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٣٠/ ٢٧٣، ٢٧٤. مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٢/ ١٦٦ بتصرف.

(٤)روح المعاني، للآلوسي، ٣٠/ ٢٧٣، ٢٧٤ بتصرف.

وقد بيَّن الإمام القرطبي أن الصحيح هو ما شهد له الاشتقاق، وهو القول الأول -من الوجهين-[١]، وكذلك الإمام الخطابي حيث قال: "وأصح هذه الوجوه ما شهد له معنى الاشتقاق"[٢].

واختار الإمام الطاهر بن عاشور معنى معينًا في تفسيره، وأرجع إليه باقي المعاني، حيث قال ما مُحَصَّله: "الصمد: من صفات الله، والله هو الصمد الحق الكامل الصمدية على وجه العموم. ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه، والموجود مفتقر في شؤونه إليه.

وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع.

وصيغة (الله الصمد) صيغة قصر بسبب تعريف المسند فتفيد قصر صفة الصمدية على الله تعالى، وقُصِد به إبطال ما تعوده أهل الشرك في الجاهلية من دعائهم أصنامهم في حوائجهم والفزع إليها في نوائبهم حتى نسوا الله"[٣].

***

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢٠/ ٢٤٥.

(٢) شأن الدعاء للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨٥

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٦١٧، ٦١٨.

[٥٨، ٥٩] (الظاهر، والباطن)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الظاهر، والباطن)، وقد ورد ذكرهما في موضع واحد في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[١].

اللغة:

مادة الظاء والهاء والراء: أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورًا فهو ظاهر: إذا انكشف وبَرَزَ وتبيَّن، وأظهر الشيءَ بيَّنه، وظهر على فلانٍ: غلبه. وسُمِّي وقت الظهر الظهيرة؛ لأنه أظهر أوقات النهار وأضوؤها، وأظهر سار في وقت الظهر. وظهرُ الإنسان: خلاف بطنه، والظهير: المُعِين. والظاهر ضد الباطن، وهو من أسماء الله ﷻ، قال ابن الأثير[٢]: هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، وقيل: عرف بطريق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه[٣].

والباطن: خلاف الظاهر، والبطن خلاف الظهر، وباطن الأمر دُخْلَتُهُ -بتثليث أوله-: خلاف ظاهره. والله تعالى هو الباطن؛ لأنه بَطَنَ الْأَشْيَاءَ خُبْرًا. تقول: بطنت هذا الأمر: إذا عرفت باطنه، وقيل: لأنه يعلم السرائر والخفيات كما يعلم كل ما هو ظاهر، وقيل: الباطن هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم.

ومن هذا الباب قولهم لدُخلاء الرجل الذين يبطنون أمره: هم بطانته[٤].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات مجد الدين الشيباني الجزري، المشهور بابن الأثير توفي سنة ٦٠٦هـ. من تصانيفه: «النهاية في غريب الحديث»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و«الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف» في التفسير، و غير ذلك.

[راجع: طبقات ابن السبكي (٣٦٦/٨)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٢٧٤/٢)].

(٣) تُراجع مادة: (ظهر) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٤٧١. ولسان العرب لابن منظور. ٤/ ٥٢٣، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف محمد الشيخ، ص: ١٩٧.

(٤) تُراجع مادة: (بطن) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٥٩. ولسان العرب لابن منظور، ١٣/ ٥٤. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف محمد الشيخ، ص: ٣٦.

التفسير:

ذكر المفسرون في بيان هذين الاسمين وجوهًا، كلها محتملة لفظًا وشرعًا، فهي من باب اختلاف التنوع لا التضاد، منها ما هو قريب ومنها ما قد يظهر أنه بعيد لكنَّه يُردُّ بصنعة ولطف، وإن كان ما عليه معظم المفسرين ما سنذكره أولا؛ وهو ما يلي:

الظَّاهِرُ أي وجوده بالأدلة الواضحة ونظر العقول في صنعته. وَالْباطِنُ بكنهه وحقيقته سبحانه فلا تحوم حوله العقول(١).

وعبر الإمام الطاهر بن عاشور عن ذلك بعبارة أخرى فقال: "والظاهر: الأرجح أنه مشتق من الظهور الذي هو ضد الخفاء، فيكون وصفه تعالى به مجازًا عقليًّا، فإن إسناد الظهور في الحقيقة هو ظهور أدلة صفاته الذاتية لأهل النظر والاستدلال والتدبر في آيات العالم، فيكون الوصف جامعًا لصفته النفسية، وهي الوجود؛ إذ أدلة وجوده بينة واضحة ولصفاته الأخرى مما دل عليها فعله من قدرة وعلم وحياة وإرادة، وصفات الأفعال من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، والباطن: الخفي، يقال: بطن، إذا خفي ومصدره بطون، ومعنى وصفه تعالى بباطن وصف ذاته وكنهه؛ لأنه محجوب عن إدراك الحواس الظاهرة"(٢).

ويرى الإمام أبو حامد الغزالي أن هذين الوصفين من المضافات؛ فإن الظاهر يكون ظاهرًا لشيء وباطنًا لشيء، ولا يكون من وجه واحد ظاهرًا وباطنًا، بل يكون ظاهرًا من وجه بالإضافة إلى إدراك وباطنًا من وجه آخر؛ فإن الظهور والبطون إنما يكون بالإضافة إلى الإدراكات، والله سبحانه وتعالى باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال، ظاهر إن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال.

---

(١) يُراجع: تفسير أبي السعود، ٨/ ٢٠٣، ٢٠٤. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٦٦. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ١٨٦. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٢٥٧. ونحو هذا في: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ١٨٩، ١/ ١٩٦. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨٨.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٣٦٢.

فإن قلت: أما كونه باطنًا بالإضافة إلى إدراك الحواس فظاهر. وأما كونه ظاهرًا للعقل فغامض؛ إذ الظاهر ما لا يتمارى فيه، ولا يختلف الناس في إدراكه. وهذا مما قد وقع فيه الريب الكثير للخلق، فكيف يكون ظاهرًا؟

فاعلم: أنه إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره، فظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره، وكل ما جاوز حده انعكس على ضده[(١)].

وذكر ابن عطية الأندلسي وجهًا آخر في تفسير هذين الاسمين فقال: "ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾، أي: الذي بهر وملك فيما ظهر للعقول وفيما خفي عنها فليس في الظاهر غيره حسب قيام الأدلة، وليس في باطن الأمر وفيما خفي عن النظرة مما عسى أن يتوهم غيره"[(٢)].

وهناك أقوال أخرى ذكرها العلماء في بيان معنى هذين الاسمين، وسردها ابن العربي ونقلها عنه القرطبي، وذِكْرُها من باب التنوع أيضًا، ولا تضاد بينها، وهي محتملة، وهذه الأقوال كما يلي:

ذكروا في الظاهر خمسة أقوال، الأول: الظاهر دلائله، الثاني: الظاهر لعباده، الثالث: الظاهر بقدرته، الرابع: أنه الظاهر العالي، الخامس: أنه هو الذي أظهر الظواهر، قلت وعبارة سادسة: الظاهر: أي الذي ظهر فوق الظاهرين بقهره للمتكبرين، وعبارة سابعة: الظاهر الذي يعلم ما ظهر وما بطن.

وقالوا في الباطن ست عبارات، الأولى: أنه المحتجب عن أبصار الخلق، الثانية: أنه هو الذي لا يتوهم، الثالثة: أنه هو المطلع على البواطن، الرابعة: أنه الرقيب، الخامسة: أنه العليم، السادسة: أنه خالق البواطن، قلت وعبارة سابعة: أنه الخبير[(٣)].

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٢١.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٢٥٧.
(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٢٧. ط: المكتبة العصرية – بيروت.

تنبيهٌ: لم يرتض الإمام الفخر الرازي تفسير اسم (الباطن) بأنه العالم والمطلع على بواطن الأمور كما يُقال: أنت أبطن بهذا الأمر من فلان، أي: أخبر بباطنه فمعنى كونه باطنًا كونه عالـمًا ببواطن الأمور، وقال: إن فيه نظرًا؛ لأن الحق سبحانه قال بعد ذلك: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيكون هذا تكرارًا[1].

* * *

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ١٨٦، ١٨٧ بتصرف.

[٦٠] (العزيز)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (العزيز) وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾(١).

وفي سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٢).

وفي سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾(٣).

وفي سورة إبراهيم: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾(٤).

اللغة:

مادة (عز) في العربية تدل على القوة والشدة والغلبة، والعز: خلاف الذل، والعزة: الرفعة والامتناع، وعَزَّ يَعِزّ بالكسر عِزًّا وعِزَّةً وعَزازَة، ورجل عَزيزٌ من قوم أَعِزَّة وأَعِزَّاء وعِزازٍ.

وأعز الرجل جعله عزيزًا، ورجل عزيز منيع لا يغلب ولا يقهر، وعَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً وعَزازَةً وهو عَزِيز قَلَّ حتى كاد لا يوجد، وهذا جامع لكل شيء.

والعزيز: من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى، قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل: هو الذي ليس كمثله شيء(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٥) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (عز)، ٤/ ٣٨، ٣٩. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (عزز)، ٥/ ٣٧٤: ٣٧٨ بتصرف كبير جدًّا.

يقول الخطابي: "العِزُّ في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى الغلبة، ومنه قولهم: مَنْ عزَّ بزَّ، أي: من غلب سلب، يقال منه: عَزَّ يَعُزُّ -بضم العين- من يعُزُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾(١).

والثاني: بمعنى الشدة والقوة. يقال منه: عَزَّ يَعَزُّ -بفتح العين- من يَعَزُّ.

والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عَزَّ الشيء يَعِزُّ -بكسر العين- من يَعِزُّ، فيَتَأَوَّلُ معنى العزيز على هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير. والله أعلم"(٢).

التفسير:

ومعنى هذا الاسم في حقه تعالى يحتمل ما أشار إليه الخطابي من معان تحتملها اللغة، وقد نقلها عنه الإمام ابن الجوزي في تفسيره(٣)؛ فالله سبحانه هو العزيز بمعنى الغالب.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسيره آية سورة البقرة: "العزيز: أي الغالب"(٤). وقال في موضع آخر: "عزيز: غالب على أمره لا يعجزه شيء"(٥).

ويقول الإمام الطاهر ابن عاشور: "والعزيز: فعيل من عز إذا قوي ولم يغلب، وأصله من العزة"(٦). فنراه قد أضاف القوة مع عدم الغلبة.

ويقول الإمام الرازي: "عزيز: أي غالب لا يمنع"(٧).وقال أيضًا: "العزيز: هو القادر الذي لا يغلب"(٨). فأضاف القدرة مع عدم الغلبة ايضًا.

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٤٧، ٤٨ بتصرف.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ١١٣.

(٤) روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٣٨٧.

(٥) المرجع السابق، ٢/ ٩٨.

(٦) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٢٨٠.

(٧) المرجع السابق، ٦/ ٨٢.

(٨) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٦/ ٢٠٨.

وذكر الإمام القرطبي أن العزيز: له معان في حقه تعالى؛ فالعزيز هو المنيع الذي لا ينال ولا يغالب، وقيل: معناه: الذي لا يعجزه شي، ودليله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(١)، وقيل: العزيز: الغالب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾(٢)، وقيل: العزيز: الذي لا مثل له، بيانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾(٣)"(٤).

ويذكر الإمام أبو حامد الغزالي أن من معاني هذا الاسم في حقه تعالى: الذي لا مثل له ولا نظير، ولكن بعبارة مختلفة مُفَصَّلة، ونصها ما يلي: "العزيز: هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز؛ فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزًا، وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزًا؛ كالشمس مثلا فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك، والنفع عظيم في كل واحد منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة، ثم لكل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان، **فالكمال في قلة الوجود** أن يرجع إلى واحد؛ إذ لا أقل من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا الله تعالى؛ فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود، فليست واحدة في الإمكان فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاسة، **وشدة الحاجة** أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته، وليس ذلك على الكمال إلا لله عز و جل، **والكمال في صعوبة المنال** أن يستحيل الوصول إليه على معنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلا لله عز وجل، فإنا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله فهو العزيز المطلق الحق لا يوازيه فيه غيره"(٥).

***

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٩٦٤م، ٢/ ١٣١.

(٥) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، د/ط، مكتبة القرآن، القاهرة، د/ت، ص ٦٩، ٧٠.

[٦١] (العظيم)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (العظيم)، وقد ورد هذا الاسم في ستة مواضع، وهي: في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]. وفي سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾[٢]. وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، وقد تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم[٣]. وفي سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾[٤].

اللغة:

مادة (عظم) تدل في اللغة على كِبَر في الشيء وقوة، وأعظم الأمر وعظَّمه تعظيمًا، أي: فخَّمه. والتعظيم: التبجيل، واستعظمه: عدَّه عظيمًا. واستعظم وتعظَّم: تكبر، والعظمة بفتحتين: الكبرياء.

ومن صفات الله عز وجل العظيم، ويسبح العبد ربه فيقول: سبحان ربي العظيم، والعظيم: الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، والعظم في صفات الأجسام والله تعالى جل عن ذلك، وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم؛ لأن العظمة في الحقيقة لله عز وجل، وأما عظمة العبد فكبره المذموم وتجبره[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤.

(٣) في سورة الواقعة ذكرت مرتين، الآية: ٧٤، والآية: ٩٦، وفي سورة الحاقة مرة واحدة، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٣٣.

(٥) تُراجع مادة (عظم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٣٥٥. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٤٠٩. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢١٢. والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، ٣/ ٢٥٩، ٢٦٠. ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

التفسير:

ومعنى العظيم في حقه تعالى: أنه ذو العظمة والجلال، فكل شيء بالإضافة إليه حقير، والعظم في حقه تعالى منصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام(١)، فهو تعالى عظيم لا يحتاج إلى غيره في أمر من الأمور(٢)، ولا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يعصى كرهًا، أو يخالف أمره قهرًا، فهو العظيم إذًا حقًا وصدقًا، ومن دونه يوسم بهذا الاسم على سبيل المجاز لا الحقيقة(٣).

وحكى الطبري قول بعضهم أن العظيم بمعنى الـمُعَظَّم، وحكى عن آخرين إنكارهم لذلك، وقالوا: لو كان بهذا المعنى لوجب ألا يكون عظيمًا قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم؛ لأنه لا معظم له حينئذ(٤).

***

---

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١١. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٣/ ٢٧٩. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣/ ٢٤، ٢٥/ ٢٩، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٢٣٠. وشأن الدعاء للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٦٤، ٦٥.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ٦.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ١٩٥.

(٤) جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٤٠٦.

[٦٢] (العَفُو)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (العَفُو)، وقد ورد ذكره في خمسة مواضع، وهي: ثلاث مرات في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١)، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾(٢)، وقوله: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾(٣). وفي سورة الحج مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾(٤). وفي سورة المجادلة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾(٥).

اللغة:

العين والفاء والحرف المعتلّ: أصلان يدلُّ أحدهما على تركِ الشيء، والآخر على طَلَبِه. ثم يرجع إليه فروعٌ كثيرة لا تتفاوَتُ في المعنى.

والموافق للمقام هنا: أن العَفْوَ عَفْوُ الله تعالى عن خَلْقه، والعَفُوُ وزنه فعُول من أبنية المبالغة مأخوذ من العَفْو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، يُقال: عَفَا يَعْفُو عَفْواً فهو عافٍ وعَفُوٌّ، وتسميته سبحانه بالعَفُو لكثرة عفوه عن عباده وتجاوزه عن سيئاتهم، وذلك بتركه إيَّاهم فلا يعاقبُهم، فَضْلاً منه. وكلُّ مَن استحقَّ عُقوبةً فتركْتَه فقد عفوتَ عنه(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٠.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢.

(٦) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (عفو)، ٤/ ٥٦، ٥٧، ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (عفا)، ١٥/ ٧٢، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (عفا)، ص: ٢١٣.

التفسير:

الناظر في كتب التفسير يجد أن معظم المفسرين قد فسروا العَفْوَ منه تعالى عند تفسيرهم آية سورة البقرة، حيث وردت صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

وقالوا: العَفُوُ هو الذي لا يعاجل المسيء بالعقوبة بل يصفح ويسقط عنه العقاب.

والعَفْو منه تعالى -كما في القرآن الكريم- يدل على هذا؛ فيقول الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: إن معناه: "تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل إلها"(٢).

ثم يقول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ في سورة النساء: "يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله لم يزل «عفوًّا» عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به، كما عفا لكم أيها المؤمنون عن قيامكم إلى الصلاة التي فرضها عليكم في مساجدكم وأنتم سكارى"(٣).

وفي مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي: أن العفو اسم لإسقاط العقاب المستحق(٤).

وفي أقوال المفسرين أيضًا: أن كل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه، فالعَفْوُ: محو الذنب، وعدم المؤاخذة عليه بالتوبة أو مطلقًا، والعَفُوُ: الكثير العفو؛ أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة. قال الحسن(٥): يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٢.

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢/ ٦٩.

(٣) المرجع السابق، (٨/ ٤٢٦).

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٣/ ٧٢.

(٥) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، التابعي، توفي سنة ١١٠هـ.
[راجع: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/ ١١٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٥٦٣)].

(٦) تُنظر هذه المعاني في: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ٣٩٧: عند تفسيره آية سورة البقرة، رقم: ٥٢. وروح المعاني، للآلوسي، ٦/ ٤: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء:١٤٩]، والمرجع السابق نفسه ٢٨/ ٥: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢]. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٥/ =

[٦٣، ٦٤، ٦٥]
(العلي، الأعلى، المُتَعَال)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (العلي، والأعلى، والمُتَعَال)، وقد ورد اسم (العلي) في ثمانية مواضع منها: في سورة البقرة: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]. وفي سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[٢]. وفي سورة سبأ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[٣]. وفي سورة الشورى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾[٤].

أما اسم (الأعلى) فورد في موضعين هما: في سورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[٥]. وفي سورة الليل: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[٦].

وأما اسم (المُتَعَال) فورد في موضع واحد في سورة الرعد: ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[٧].

اللغة:

مادة العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوًا أو ألفًا: أصلٌ واحد يدل على السمو

=

٩٠: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى:٢٥]، والمرجع السابق نفسه ٢٨/ ١٤: عند تفسيره آية سورة المجادلة سالفة الذكر.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٤.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٦) سورة الليل، الآية: ٢٠.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٩.

والارتفاع، وعُلْو كُلِّ شَيْءٍ وعِلْوه وعَلْوُه وعُلاوَتُه وعَالِيه وعالِيَتُه: أَرْفَعُه، يتعدَّى إليه الفعلُ بحرف وبغير حرف كقولك: قَعَدْتُ عُلْوه وَفِي عُلْوِه. وَعَلَا الشيءُ عُلُوًّا فَهُوَ عَلِيٌّ، وقد يكون علا بمعنى القهر والغلبة، فيُقال: علا فلان فلانًا أي قهره وغلبه. والعلي: الرفيع، وتعالى: ترفع وتنزه وسما عن أي نقص(١).

التفسير:

تفسير هذه الأسماء في حقه تعالى تكاد تدور حول معنى واحد هو: بلوغ الكمال المطلق في معاني الجلال.

أما اسمه تعالى: (العلي) فإنه يدل على معان..

فهو سبحانه العلي: أي المتعالي والمترفع عن الأشباه والأنظار والأنداد.

وهو العلي أيضًا بمعنى المترفع عن أمارات النقص ودلالات الحدوث.

وهو العلي كذلك بمعنى القاهر الذي لا يقهر؛ فهو ذو قدرة وسلطان.

وهو العلي من العلو بمعنى السمو والرفعة في المجد والشرف، والقدر والمنزلة.

وعلى هذا أقوال المفسرين والعلماء(٢).

وأما اسمه تعالى: (الأعلى)، فله من المعاني مثل ما قيل، وما سبق ذكره في بيان اسمه ﷻ العلي، ومنها: القهر والغلبة والعلو، والترفع عن المثيل والشبيه، وعن أن يشاركه أحد في شيء من صفاته(٣).

(١) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (مادة: علو)، ٤/ ١١٢. ولسان العرب، لابن منظور، (مادة: علا)، ١٥/ ٨٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (مادة: علا)، ص: ٢١٧.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٣/ ٢٧٨. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ١٩٠. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٦٦.

(٣) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٣٠/ ١٠٣. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٢٧٤، ٢٧٥.

وأما اسمه ﷻ: (المُتَعَال) أو المتعالى -على ما ذكره بعض المفسرين- إنما يدور معناه حول التنزيه، فكونه سبحانه المتعال أي المتنزه عن كل نقص والمستوجب لكل كمال، فهو سبحانه المستعلي على كل شيء في ذاته وعلمه وسائر صفاته سبحانه(١).

وذكر الإمام الطاهر الوجه السابق، وأضاف وجهًا جديدًا فقال: "والمتعالي: المترفع، وصيغت الصفة بصيغة التفاعل للدلالة على أن العلو صفة ذاتية له لا من غيره، أي: الرفيع رفعة واجبة له عقلا، والمراد بالرفعة هنا المجاز عن العزة التامة بحيث لا يستطيع موجود أن يغلبه أو يكرهه"(٢).

والعلو في حقه تعالى ليس المراد به علو المكان، وعلى هذا جمهور المفسرين، ويحسن بي في هذا المقام أن أنقل جانبًا من كلامهم واستدلالاتهم على ذلك؛ فيقول العلامة الآلوسي -عند تفسيره معنى «الأعلى»-: "والأعلى: صفة للرب، وأريد بالعلو القهر والاقتدار لا بالمكان؛ لاستحالته عليه سبحانه، والسلف وإن لم يؤولوه بذلك لكنهم أيضًا يقولون باستحالة العلو المكاني عليه عزَّ وجلَّ "(٣).

ويورد الإمام القرطبي أقوالا في معرض بيان معنى اسمه تعالى العلي، وينبه على أن العلو في حقه سبحانه ليس بعلو المكان فيقول: "والْعَلِيُّ: يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان، لأن الله منزه عن التحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلى عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، قال ابن عطية: وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه ألا يحكى، "(٤).

وقد أبدع الإمام الفخر الرازي في بيان أن المراد بالعلو ليس العلو المكاني حيث قال -عند تفسير آية سورة الأعلى-: "العلو هٰهنا ليس بمعنى العلو في الجهة، ومما يؤكد ذلك: أن ما قبل هذه الآية وما بعدها ينافي أن يكون المراد هو العلو بالجهة.

أما قبل الآية؛ فلأن العلو عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم، وهذا لا يناسب استحقاق التسبيح والثناء والتعظيم، أما العلو بمعنى كمال القدرة والتفرد بالتخليق والإبداع فيناسب ذلك، والسورة هٰهنا مذكورة لبيان وصفه تعالى بما لأجله يستحق الحمد والثناء والتعظيم.

---

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٣/ ١١٠. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٩/ ١٤.
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٣/ ٩٨، ٩٩.
(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٣٠/ ١٠٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٣/ ٢٧٨.

وأما ما بعد هذه الآية؛ فلأنه أردف قوله: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾[(١)]، والخالقية تناسب العلو بحسب القدرة لا العلو بحسب الجهة"[(٢)].

❋❋❋

(١) سورة الأعلى، الآية: ٢.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣١/ ١٢٥.

[٦٦، ٦٧، ٦٨]
(العليم، العالم، العلاَّم)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (العليم، والعالم، والعلاَّم).

وقد ورد اسم (العليم) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وفي سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وفي سورة الأنبياء: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾[3].

أما اسم (العالِم) فورد في عدة مواضع، منها: في سورة الأنعام: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[5].

وفي سورة الزمر: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾[6].

وأما اسم (العلاَّم) فورد في أربعة مواضع، وهي: في سورة المائدة: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[7]. وفي السورة نفسها: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[8]. وفي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٩٤. سورة الجمعة، الآية: ٨.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٤٦.
(٧) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.
(٨) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

ســـــوة التوبـــــة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾(١). وفي ســـــورة ســـــبأ: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾(٢).

اللغة:

مادة العين واللام والميم: تدل في اللغة على أثر بالشيء يتميز به عن غيره من ذلك العلامة، وهي معروفة، يقال: علمت على الشيء علامة، والعلم: نقيض الجهل.

ومن صفات الله عز وجل: (العليم والعالم والعلام)، وعليم، فعيل: من أبنية المبالغة، ويجوز أن يقال للإنسان الذي علَّمه الله علمًا من العلوم عليم، كما قال يوسف للملك: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(٣). ورجل عالم وعليم وعلام وعلامة، إذا بالغت في وصفه بالعلم، أي: عالم جدًّا، وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عَرَفْتُه(٤).

التفسير:

(العليم): صيغة مبالغة، ومعناها في جانب الحق سبحانه وتعالى: المبالغة التامة في العلم، ولا تتحقق إلا بالإحاطة بكل المعلومات، وما ذاك إلا لله سبحانه وتعالى؛ فهو العليم المطلق(٥).

ويَفْرِقُ العلامة الآلوسي بين عليم وعالم، ويُبيِّنُ جهة المبالغة في عليم فيقول: "في عليم من المبالغة ما ليس في عالم، وليس ذلك راجعًا إلى نفس الصفة؛ لأن علمه تعالى واحد لا تكثر فيه، لكن لمَّا تعلق بالكلي والجزئي والموجود والمعدوم والمتناهي وغير المتناهي، وصف نفسه سبحانه بما دل على المبالغة"(٦).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٨.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٤) تُراجع مادة (علم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ١٠٩، ١١٠. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٤١٦، ٤١٧ بتصرف.

(٥) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢/ ١٩٢. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ٤١٥.

(٦) روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٢١٧. ويُنظر معه أيضًا: حاشية الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٣.

أما عن تفسير اسم (العالِم) ففيه دلالة على كمال العلم والإحاطة بجميع الأمور الظاهرة والباطنة، فلا تخفى عليه خافية[١]. قلت: وذلك بناء على سياق الآيات الوارد فيها هذا الاسم؛ فقد ورد في القرآن الكريم مضافًا إلى الغيب والشهادة، أو الغيب فقط كما في سورة الجن.

يقول ابن كثير عند تفسير آية سورة الحشر: "عالم الغيب والشهادة، أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير، وصغير وكبير، حتى الذر في الظلمات"[٢].

وأما تفسير اسم (العلَّام) ففيه مبالغة؛ لِما تقتضيه صيغة (فعَّال)، والمراد: الكامل في العلم بحقائق الأمور وبواطنها[٣].

***

(١) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ٢٨. وروح المعاني، للآلوسي، ١١/ ٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٧٩.
(٣) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ٥٦. وتفسير الخازن، ٢/ ٩٠.

[٦٩] (الغالب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الغالب)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة يوسف في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)، ووردت مادته في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾(٢).

وذكر هذا الاسم كلٌ من: الإمام القرطبي في كتابه «الأسنى»(٣)، والدكتور/ محمد الحمود النجدي في كتابه «النهج الأسمى»(٤).

اللغة:

مادة: (غلب) تدل في اللغة على قوة وقهر وشدة، يُقال: غلب الرجل غَلْبًا وغَلَبًا و-هي أَفْصَحُ- وغَلَبة، ورجل غالِبٌ مِن قوم غَلَبةٍ وغلاَّب من قوم غَلاَّبينَ، ولا يُكَسَّر، ورجل غُلُبَّة وغَلُبَّة غالِبٌ كثير الغَلَبة، وقال اللحياني: شديد الغَلَبة. غَلَبَ من الأَضداد، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾(٥)، وتَغَلَّبَ على بلد كذا استولى عليه قَهْرًا(٦).

يقول الفيروزابادي: "الغلبة: القهر، غلبه غلْبًا -بسكون اللام- وغلَبًا بتحريكها، وغلبة، وقد ورد فى القرآن على أربعة أوجه:

الأول: بمعنى الظهور والاستيلاء: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾(٧).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ط/١، دار الصحابة للتراث، بطنطا، مصر: ١٩٩٥م، ١/ ٢١٨، ٢١٩.

(٤) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي، د/ط، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، د/ت، ٢/ ٣٥٧: ٣٥٩.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣.

(٦) تُراجع مادة (غلب): معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣٨٨/٤. ولسان العرب لابن منظور ٦٥١/١، ٦٥٢ بتصرف.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٢١.

الثاني: بمعنى الهزيمة: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾[(١)].

الثالث: بمعنى القتل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾[(٢)]، أي: ستقتلون.

الرابع: بمعنى القهر: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[(٣)]، أى قاهر، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[(٤)]، أى القاهرون، ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾[(٥)]: قهروا وهزموا "[(٦)].

التفسير:

اسم الغالب ورد مقيَّدًا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[(٧)]، والضمير في ﴿أَمْرِهِۦ﴾ إما عائد على لفظ الجلالة فيكون المعنى: إن الله غالب على أمره، فعَّالٌ لما يريد، لا يغلبه شيء، لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه، وإما عائد على يوسف ﷺ فيكون المعنى: إن الله مُسْتَوْلٍ على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه، يعني أن انتظام أموره كان إلهيًا وما كان بسعيه، وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه، والله أراد به الخير، فكان كما أراد الله تعالى[(٨)].

وأيًّا ما كان الأمر فإن معنى هذا الاسم على كلا التفسيرين يشير إلى كمال القدرة الإلهية والحكمة الربانية.

***

---

(١) سورة الروم الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١١٩.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في غلب)، ٤/ ١٤٢، ١٤٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٨) يُراجع: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢/ ٤٨٣. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ٨٨. وروح المعاني، للآلوسي، ١٢/ ٢٠٨. ونحو ذلك أيضًا في: جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٥/ ٢٠، ٢١. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٩/ ١٦٠.

[٧٠، ٧١، ٧٢]
(الغفور، الغفار، الغافر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الغفور، والغفار، والغافر)، وقد ورد اسم (الغفور) في مواضع كثيرة، منها: في سورة المائدة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾[١]. وفي سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[٢]. وفي سورة الحجر: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾[٣]. وفي سورة الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤].

أما اسم (الغفار)، فقد ورد في خمسة مواضع، وهي: في سورة طه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٥]. وفي سورة ص: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[٦]. وفي سورة الزمر: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[٧]. وفي سورة غافر: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[٨]. وفي سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾[٩].

وأما اسم (الغافر)، فقد ورد في موضعين: الأول: -بصيغة الجمع- في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[١٠]، والآخر: في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾[١١].

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٢.
(٦) سورة ص، الآية: ٦٦.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٥.
(٨) سورة غافر، الآية: ٤٢.
(٩) سورة نوح، الآية: ١٠.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(١١) سورة غافر، الآية: ٣.

اللغة:

مادة (غفر) تدل في اللغة على الستر والعفو، والمِغْفَرُ: ما يوضع على الرأس حتى يقي الإنسان ما يلاقيه من ضربات في الحرب وغيرها، والغَفْرُ، والمغفرة: التغطية على الذنوب والعفو عنها، وقد غفر ذنبه يَغْفِرُه غَفْرًا وغُفْراناً ومَغْفِرة وغُفورًا، واغْتَفَر ذنبَه مِثْلَهُ، فهو غَفُورٌ، وَالجْمْعُ غُفُرٌ، واسْتَغْفَرَ اللهَ ذنبَه، ومن ذنبه، ولذنبه: طلب منه أن يَغْفِرَه.

والله عز وجل غفور وغفار لذنوب عباده، أي: يسترها ويتجاوز عنها؛ لأنه إذا سترها فقد صفح عنها وعفا وتجاوز.

والغفور والغفار من أبنية المبالغة وَوَصْف الله عز وجل بهما؛ لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، فجاءتا على أبنية المبالغة لذلك. يُقال: اللّهم اغفر لنا مغفرةً وغَفْرًا وغفرانًا، وإنك أنت الغفور الغفار[1].

التفسير:

معاني هذه الأسماء في حقه تعالى تدور حور الستر على ذنوب العباد، وتجاوزه تعالى عنها، ومن ثم صيانتهم من العذاب.

وتفصيل بيان الأسماء المذكورة في حقه تعالى كما يلي:

أما (الغفور) ففيه مبالغة في المغفرة؛ يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[2]: "الْغَفُورُ: البليغ المغفرة، وهو إشارة إلى دفع المضار. ذُو الرَّحْمَةِ: الموصوف بالرحمة؛ وإنما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لا في الرحمة لأن المغفرة ترك الإضرار وهو تعالى قد ترك مضار لا نهاية لها مع كونه قادرًا عليها، أما فعل الرحمة فهو متناه؛ لأن ترك ما لا نهاية له ممكن، أما فعل ما لا نهاية له فمحال. ويمكن أن يقال: المراد أنه يغفر كثيرًا لأنه ذو الرحمة ولا حاجة به إليها فيهبها من المحتاجين كثيرًا. ثم استشهد بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلاً من غير إمهال مع إفراطهم في

(١) تُراجع مادة (غفر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٣٨٥. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٢٥. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٢٨. وأيضًا: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ٩٣، ٩٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

عداوة رسول الله ﷺ، ثم قال: ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ وهو إما يوم القيامة وإما في الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح، وقوله: ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ أي: منجى ولا ملجأ"(١).

وفسّر العلامة الآلوسي المغفرة من الله تعالي بالتجاوز عن الذنوب فقال عن تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٢): "وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ: أي يتجاوز لكم عنها، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ: أي لمن تحب إليه بطاعته وتقرب إليه باتباع نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم"(٣).

وفسَّر الطاهر ابن عاشور المغفرة بالستر، وأشار إلى أن المقصود بالغفور شديد المغفرة والغفران؛ حيث قال عند تفسير قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٤): "وجملة: إن الله يغفر الذنوب جميعًا، تعليل للنهي عن اليأس من رحمة الله، ومادة الغفر ترجع إلى الستر، وهو يقتضي وجود المستور واحتياجه للستر، فدل يغفر الذنوب: على أن الذنوب ثابتة، أي: المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها، أي: يزيل المؤاخذة بها، وجملة: إنه هو الغفور الرحيم تعليل لجملة يغفر الذنوب جميعًا، أي: لا يعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعها من الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة"(٥).

وأما (الغفَّار): ففيه مبالغة أيضًا، فهو تعالى المبالغ في المغفرة، كثير المغفرة، يغفر ما يشاء لمن يشاء(٦).

وفي بيان خصوص معناه بما يؤكد ما تقدَّم ذِكْرُه يقول الشيخ الخطيب الشربيني في تفسير آية سورة طه: :قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾(٧): أي: ستار بإسبال ذيل العفو"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢١/ ١٢١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١٢٩.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٤/ ٤٢.
(٦) روح المعاني، للآلوسي، ١٦/ ٢٤٠، ٢٣/ ٢١٩.
(٧) سورة طه، الآية: ٨٢.

وفي بيان الفرق بين الغفور والغفار يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "الغفور: هو بمعنى الغفار، ولكنه ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنها الغفار، فإن الغفار مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكرره مره بعد أخرى، فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله، فهو غفور بمعنى أنه تام الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة"(٢).

وأما (الغافر) فمعناه الذي يتجاوز كثيرًا عن ذنوب العباد بفضله وكرمه؛ قال الإمام الفخر عند تفسيره آية سورة الأعراف: "وقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ معناه: أن كل من سواك فإنما يتجاوز عن الذنب إما طلبًا للثناء الجميل أو للثواب الجزيل أو دفعًا للربقة الخسيسة عن القلب، وبالجملة فذلك الغفران يكون لطلب نفع أو لدفع ضرر، أما أنت فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض وغرض، بل لمحض الفضل والكرم، فوجب القطع بكونه ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾، والله أعلم "(٣).

وقال العلامة الطاهر: "و﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: الذي يغفر كثيرًا "(٤).

وما سبق وجهٌ في تفسير: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ ، والوجه الآخر: أن ذلك من صفته تعالى؛ إذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورًا من قبل نزول هذه الآية، وفي حال نزولها، ومن بعد ذلك(٥).

***

=

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، ٢/ ٣٧٥.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٥.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٥/ ١٨.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٩/ ١٢٨. ونحو هذا النقل وسابقه عند أبي السعود في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، عند تفسير آية سور غافر، ٧/ ٢٦٥.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢١/ ٣٥٠.

[٧٣] (الغني)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الغني)، وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة منها: في سورة البقرة: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾(١). وفي سورة الأنعام: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾(٢). وفي سورة يونس: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٣)، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾(٤)، وفي سورة فاطر: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾(٥).

اللغة:

مادة: (غنى) تدل في العربية على الكفاية، يقال: لا يغني فلان غناء فلان، أي لا يكفي كفايته، وغني عن كذا فهو غان، وغني القوم في دارهم: أقاموا، كأنهم استغنوا بها، ويقال: غَنِيَ يَغْنَى فهو غني، وذلك إذا كان له مال، والغني في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره. وإنما سمي ذو اليسار والمال غنيًا لاستغنائه بالمال الذي عنده عن غيره وحاجة الناس إلى ما عنده، وهذا مجاز.

وكذلك الله ليس بمحتاج إلى أحد في شيء جل وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وكل الخلق إليه جلَّ اسمه محتاج كما قال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾. فالله عز وجل ليس بمحتاج إلى أحد فيما خلق وما يخلق، ودبر ويدبر، ويعطي ويرزق ويقضي ويمضي لا راد لأمره وهو على ما يشاء قدير.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٥.

وليس في العالم أحدٌ غنيًّا في الحقيقة غير الله؛ لأنه الغني في الحقيقة عن جميع الأشياء وكلنا إليه مفتقر محتاج، وهذا هو الغنى المطلق ولا يشارك الله تعالى فيه غيره(١).

التفسير:

وهذا الاسم في حقه تعالى معناه -كما يقول المفسرون والعلماء-: الكامل بما له وعنده، المستكفي عن كل شيء، الذي علا وترفَّع بذاته وصفاته عن جميع مخلوقاته، فهم المحتاجون إليه وهو ليس محتاجًا إلى أحد.

فالله تعالى هو الغني: أي ليس هناك غني عن كل شيء كائنًا ما كان إلا هو سبحانه وتعالى، فهو الذي لا يحتاج إلى غيره، ولا احتياج له عز شأنه إلى العباد ولا إلى عبادتهم، فالغني على الحقيقة هو الله ﷻ وحده(٢).

***

(١) تُراجع مادة (غنى) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٣٩٧. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ١٣٥، ١٣٦. وأيضًا: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١١٧، ١١٨ بتصرف.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٨/ ٣٠. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٨/ ٨٥. ونحو هذا عند الإمام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب، ١٣/ ١٦٣. وكذلك: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٩٢، ٩٣. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ١٩٦. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٣٢.

[٧٤] (الفاطر)

من أسماء الله الواردة في القرآن الكريم: (الفاطر)، وقد ورد ذكره في ستة مواضع منها:

في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[١].

وفي سورة يوسف: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[٢].

وفي سورة إبراهيم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣].

وفي سورة فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤].

وقد عدَّه الإمام الحليمي في كتابه «المنهاج في شعب الإيمان» من أسماء الله تعالى، وأيضًا الإمام القرطبي في كتابه «الأسنى»[٥].

اللغة:

مادة: (فطر) تدل في اللغة على فتح شيء وإبرازه ابتداءً. يُقال: فَطَرَ الشَّيءَ يَفْطُرُه فَطْرًا فانفطر، وفَطَّرَه: شَقَّهُ، وتَفطَّر الشيء تَشَقَّق، والفَطْرُ: الشَّقُّ، وجمعه فطور، وفي التنزيل العزيز: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[٧]، أي انشقت، وفطر الله الخلق يفطُرهم: خلقهم وبدأهم، والفِطْرَة: الابتداء والاختراع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٨]، قال

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١.
(٥) يُنظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٤. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٤٥. ط: المكتبة العصرية، بيروت.
(٦) سورة الملك، الآية: ٣.
(٧) سورة الإنفطار، الآية: ١.
(٨) سورة فاطر، الآية: ١.

ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي أنا ابتدأت حفرها(١).

التفسير:

الفاطر في حقه تعالى معناه: مبدع الأشياء وخالقها وموجدها لا على مثال، من الفطر بمعنى الابتداع والاختراع(٢)، أو أنه بمعنى الشق، فيكون معنى الفاطر: شاق العدم ومخرج الأشياء منه، فشق السماء بالمطر والأرض بالنبات، أو: أنه تعالى شقَّها لنزول الأرواح من السماء وخروج الأجساد من الأرض(٣).

***

(١) تُراجع مادة (فطر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٥١٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٥٥، ٥٦. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٨٢ بتصرف.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ١٤٠، ٢٢/ ١٦١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٦/ ٣. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٤/ ٣١٩. و التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ١٥٨.

(٣) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٢/ ١٦١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٦/ ٣.

[٧٥، ٧٦]
(فالق الحب والنوى، فالق الإصباح)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح)، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في موضعين في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾(١)، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾(٢).

وعدَّ هذا من أسماء الله تعالى من العلماء: الإمام القرطبي، والإمام الحليمي(٣).

اللغة:

مادة: (فلق) تدل في اللغة على شق وفرجة وبينونة في الشيء، والفَلْق: الشق، والفَلْق مصدر فَلَقَه يَفْلِقُه فَلْقًا: شقه، والتَّفْليقُ مثله، وفَلَّقَهُ فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ والفِلْقُ ماتَفَلَّق منه واحدتها فِلْقَةٌ، والفُلُوق الشقوق، وفَلَقَ الله الحَبَّ بالنبات شقه والفَلْقُ الخلق وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، وقال بعضهم: وفالِق في معنى خالق وكذلك فَلَقَ الأرَض بالنبات والسحاب بالمطر، وَالْفَلَقُ: الصُّبْحُ ؛ لِأَنَّ الظَّلَامَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ. وفَلَقَ الله الفجر أَبداه وأَوضحه، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، قال الزجاج: جائز أن يكون معناه: خالق الإصباح، وجائز أن يكون معناه: شاق الإصباح وهو راجع إلى معنى خالق، والفلق: المطمئن من الأرض بين ربوتين، قال تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٤)، وجمعه فلقان، والفلق: الخلق كله، كأنه شيء فلق عنه شيء حتى أبرز وأظهر، وإذا تأملت الخَلْق تبين لك أَن أكثره عن انِفلاق فالفَلَقُ جميع المخلوقات وفَلَقُ الصبح من ذلك وانْفَلَقَ المكان به انشق وفَلَقَت النخلة وهي فالِقٌ انشقت عن الطَّلْع "(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٤٥. ط: دار الصحابة بطنطا. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٥.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٥) تُنظر مادة (فلق) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٤٥٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ٣٠٩، ٣١٠. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٨٥ بتصرف.

التفسير:

هناك قولان في معنى هذين الاسمين في جانب الحق تبارك تعالى:

الأول: الفالق بمعنى الخالق، وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، أي: خالق الحب والنوى[(١)].

الثاني: أن معنى الفالق الشاقُّ؛ فالفَلْقُ هو الشق، والله تعالى هو الذي شق ﴿ٱلْحَبِّ﴾ من كل ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ من كل ما يغرس مما له نَواة، فأخرج منه الشجر[(٢)].

وما ورد في الآية الأولى من معان يرد في الثانية؛ فقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ إما أن يكون معناه: خالق النور، أو خالق الليل والنهار. وإما أن يكون المعنى أنه تعالى شاقٌّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده[(٣)].

***

---

(١) يُراجع: جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١١/ ٥٥١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ٧٤. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٧/ ٤٤.

(٢) يُراجع: جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١١/ ٥٥٠. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٣/ ٧٤. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٧/ ٤٤، ٤٥. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ٣٨٨.

(٣) يُنظر: جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١١/ ٥٥٤: ٥٥٦ بتصرف.

[٧٧، ٧٨]
(الفتاح، خير الفاتحين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الفتاح، وخير الفاتحين)، وقد ورد اسم (الفتاح) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[١].

وأما (خير الفاتحين)، فقد ورد بصيغة الجمع مرة واحدة أيضًا، وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[٢].

اللغة:

مادة فتح تدل في اللغة على خلاف الإغلاق، يُقال: فتحت البابَ وغيرَه فتحًا. ثمَّ يحمل على هذا سائرُ ما في هذا البناء؛ فيُقال: فَتَحَ الْقَضِيَّةَ فِتَاحًا: فصل الأمر فيها، وأزال الإغلاق عنها. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، ومنه: ﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾، والفَتْح والفتاحة – بضم الفاء وفتحها–: الحُكْم، ومنه: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾[٣] أي: يوم الحكم، والله تعالى الفاتح، أي: الحاكم. والفَتْح. النَّصر والإظفار. واستفتحت: استَنْصَرت. والفتاح من أبنية المبالغة. والفتاح: الحاكم، قال الأزهري: الفتاح في صفة الله تعالى الحاكم، قال: وأهل اليمن يقولون للقاضي الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه: تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح، ويقول: افتح بيننا أي احكم، وفي أسماء الله تعالى الحسنى: الفتاح، قال ابن الأثير: هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل: معناه الحاكم بينهم، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما[٤].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٩.
(٤) تُراجع مادة (فتح) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٤٦٩. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٥٣٦: ٥٣٩. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٧٠، ٣٧١.

التفسير:

الناظر في كتب التفسير يجد أن أغلب المفسرين قد فسروا «الفتح» في سياق الآيتين بـ«الحكم»، وأنه سبحانه وتعالى الفتاح، أي: الحاكم والقاضي، وفي ذلك يقول العلامة الآلوسي: "قوله: ﴿يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ يقضي سبحانه بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بالعدل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار، وهو الفتاح: القاضي في القضايا المنغلقة فكيف بالواضحة كإبطال الشرك وإحقاق التوحيد أو القاضي في كل قضية خفية كانت أو واضحة، والمبالغة على الأول في الكيف وعلى الثاني في الكم"(١).

ويقول الإمام الفخر الرازي: " قوله: ﴿يَفۡتَحُ﴾ قيل معناه: يحكم، ويمكن أن يقال بأن الفتح ههنا مجاز؛ وذلك لأن الباب المغلق والمنفذ المسدود يقال فيه فتحه على طريق الحقيقة، ثم إن الأمر إذا كان فيه انغلاف وعدم وصول إليه فإذا بينه أحد يكون قد فتحه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ إشارة إلى أن حكمه يكون مع العلم لا مثل حكم من يحكم بما يتفق له بمجرد هواه"(٢).

ومعنى (خير الفاتحين) في آية سورة الأعراف لا يخرج عن معنى (الفتاح)؛ يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره: "قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ معناه، أي: احكم واقض. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ما كنت أدري قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ حتى سمعت امرأة تقول لزوجها: تعال أفاتحك، أي: أحاكمك"(٣).

وقد يراد من الفتح هنا الكشف والإظهار؛ فيكون المعنى: اللّٰهم أظْهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المُحقُّ من المبطِل، من فتَحَ المُشكلَ إذا بيَّنه(٤).

---

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٢٢/ ١٤١.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٥/ ٢٢٣. وتُراجع هذه المعاني أيضًا في: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٤/ ٣٠٠. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٢/ ١٩٥.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ٣١٨، ٣١٩. ونحو هذا في: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢/ ٢١٥. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٢١: ٢٢٤. ط: دار الصحابة بطنطا. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٩/ ١١.

(٤) يُنظر: تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٣/ ٢٤. وتفسير أبي السعود، ٣/ ٢٥١.

وقد يكون الفاتح أيضًا بمعنى الناصر؛ كقوله سبحانه: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾(١)، قال أهل التفسير: إن معناه إن تستنصروا فقد جاءكم النصر(٢).

وهناك معان أخرى عامة –أي: لا يُنظر فيها إلى سياق ورود الاسم في القرآن الكريم– لاسم (الفتاح) ذكرها العلماء؛ منها: أنه الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعبادة، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق(٣).

ومنها: أنه الذي بهدايته ينفتح كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، ومن بيده مفاتح الغيب ومفاتح الرزق فبالحري أن يكون فتَّاحًا(٤).

ومنها: أنه الذي فتح قلوب المؤمنين بمعرفته وفتح على العاصين أبواب مغفرته، وقيل: إنه الذي يعينك على الشدائد وينيلك وجوه الزوائد، وقيل: إنه الذي لا يغلق وجوه النعمة بالعصيان، ولا يترك إيصال الرحمة إليهم بالنسيان(٥).

وهي معان تحتملها اللغة، ولا تمتنع شرعًا، ولا تناقض بينها، فهي من اختلاف التنوع لا التضاد.

❊❊❊

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٩.

(٢) شأن الدعاء للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥٦.

(٣) المرجع السابق بالتخريج نفسه.

(٤) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٨٠.

(٥) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٨٨.

[٧٩] (الفعَّال لِما يُريد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الفعال)، وقد ورد هذا الاسم في موضعين هما: في سورة هود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١)، وفي سورة البروج في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾(٢).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الحليمي في كتابه «المنهاج في شعب الإيمان»(٣)، وأيضًا الإمام القرطبي في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، وقال: "وهو اسمٌ عظيمٌ، نطق به التنزيل، وهو مجمعٌ عليه"(٤).

اللغة:

الفاء والعين واللام: أصلٌ صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره، والفِعَال: مصدر مثل ذهب ذهابًا، ويقال بفتح الفاء وتشديد العين، مثل: ضرَّاب وقتَّال للمبالغة في تكرار الفعل، فالفَعَّال: اسم مبني لمبالغة الفعل، فهو يجري في ضروب من صفاته عز وجل نحو: جبَّار، وعلَّام، وخلَّاق، ورزَّاق، ووهَّاب، وتوَّاب، ومنَّان، وما أشبه ذلك؛ لأن وزن كل هذا «فعَّال»، وإنما يراد به المبالغة في الفعل(٥).

التفسير:

(الفعَّال) يد على المبالغة في الفعل، ومعناه في حقه تعالى أي أنه سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة البروج، الآيات، ١٤: ١٦.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٨.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص ٢٤٤: ٢٤٥. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(٥) تُراجع مادة: (فعل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٥١١. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٢٨، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٥١، ١٥٢.

يريد، لا يمتنع عليه شيء يريده، ولا يمنعه عنه مانع، مهما أراد فعل، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عمَّا يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله، لا يجب عليه شيء، وليس لأحد عليه حكم البتة(١).

ويذكر الإمام الطاهر بن عاشور تعريفَ الإرادة في الآية ويُبيِّن معناها فيقول: "والإرادة هنا هي المعرَّفة عندنا بأنها صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ صفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمه، أي: إذا تعلقت إرادته بفعلٍ فعله على أكمل ما تعلقت به إرادته لا ينقصه شيء ولا يبطئ به ما أراد تعجيله، فصيغة المبالغة في قوله: ﴿فَعَّالٌ﴾ للدلالة على الكثرة في الكمية والكيفية "(٢).

***

---

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٤/ ٣٤٦. وروح المعاني للآلوسي، ١٢/ ١٤٥. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ٥٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٩/ ٢٩٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٣٧٢.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٢٥٠ بتصرف.

[٨٠، ٨١] (القاهر، القهار)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القاهر، والقهار)، وقد ورد ذكر اسم (القاهر) في موضعين في سورة الأنعام؛ الأول في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾(١). والثاني: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾(٢).

أما اسم (القهار)؛ فقد ورد في ستة مواضع وهي: في سورة يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾(٣). وفي سورة الرعد: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾(٤). وفي سورة إبراهيم: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾(٥). وفي سورة ص: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾(٦). وفي سورة الزمر: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾(٧). وفي سورة غافر: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٨).

اللغة:

مادة: (قهر) تدل في اللغة على الغلبة والإذلال، وتستعمل في كل واحد منهما؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(٩). ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾(١٠)، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾(١١). يُقال: قَهَرَه يَقهره قَهْرًا. والقاهر: الغالب. وأَقْهَرَ الرَّجُل، إذا صُيِّر في حالٍ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٩.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.
(٦) سورة ص، الآية: ٦٥.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٤.
(٨) سورة غافر، الآية: ١٦.
(٩) سورة الأنعام، الآية: ١٨. والآية: ٦١ من السورة نفسها.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.
(١١) سورة الضحى، الآية: ٩.

يذلُّ فيها. وقُهِر، إذا غُلِبَ. وتقول: أخذتهم قهرًا أي من غير رضاهم. والقهر: هو الغلبة وصرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإلجاء، والقاهر: هو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريده

والله تعالى القاهر القهار: قهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا، والقهار: للمبالغة(١).

التفسير:

هذان الاسمان الشريفان في حقه تعالى يفيدان معنى الغلبة والقدرة الكاملتين، فلا قاهر ولا قهار في الحقيقة سواه جل شأنه، إلا أن في اسم القهار مبالغة ليس في اسم القاهر أفادتها صيغة المبالغة.

وقد بيَّن المفسرون أن اسم القاهر معناه: علو شأنه تعالى غلبته وكمال قدرته(٢).

والآية الكريمة أبطلت أن يكون غير الله تعالى قاهرًا على أحد أو خبيرًا أو عالمًا بإعطاء كل مخلوق ما يناسبه، وقد أفاد تعريف الجزأين القصر، أي: لا قاهر إلا هو؛ لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا يجد المقهور منه ملاذًا، لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحدٌ من الخلق أن يدفعها(٣).

وقد بيِّن الإمام الفخر الرازي وجه قهره تعالى للموجودات، حيث قال ما مُحَصَّلُه: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، وهو يفيد الحصر، ومعناه: أنه لا موصوف بكمال القدرة وكمال العلم إلا الحق سبحانه، وعند هذا يظهر أنه لا كامل إلا هو وكل من سواه فهو ناقص، إذا عرفت هذا فنقول: أما دلالة كونه قاهرًا على القدرة؛ فلأنا بيَّنا أن ما عدا الحق سبحانه ممكن بالوجود لذاته، والممكن لذاته لا يترجح وجوده على عدمه ولا عدمه على وجوده إلا بترجيحه وتكوينه وإيجاده وإبداعه، فيكون في الحقيقة هو الذي قهر الممكنات تارة في طرف ترجيح الوجود

---

(١) تُراجع مادة (قهر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٣٥. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ١٢٠، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤١٥. وأيضًا: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٦٧.
(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ١١٤.
(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ١٦٤.

على العدم، وتارة في طرف ترجيح العدم على الوجود، ويدخل في هذا الباب كونه قاهرًا لهم بالموت والفقر والإذلال. انتهى بتصرف[١].

ويلفت الإمام القرطبي النظر إلى معنى مهم في تفسير الفوقية في الآية الكريمة فيقول: "ومعنى: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي: هم تحت تسخيره لا فوقية مكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة، وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد"[٢].

وقد ذكر العلماء في تعريف اسمه (القاهر) أقوالاً منها، ما ذكره الإمام الحليمي حيث قال: "القاهر، معناه: أنه بدأ خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق ويثقل ويغم ويحزن، ويكون منه سلب الحياة أو نقص الجوارح، فلا يستطيع أحد رد تدبيره والخروج من تقديره"[٣].

وقال الإمام الفخر الرازي: "القهر في اللغة: هو الغلبة وصرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإلجاء، والقاهر: هو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريده، وقال بعض المحققين: أنه قهار للعدم والوجود والتحصيل، وذلك لأن الممكن لو ترك وحده لكان معدومًا، فكأن ماهية الممكن تقتضي العدم، إلا أنه سبحانه وتعالى منزه يقهر هذه الحالة ويبدل العدم بالوجود"[٤].

وأما تفسير اسم (القهار): فله من المعاني ما جاء في تفسير اسم (القاهر)، من الغلبة المطلقة التي تفرد بها سبحانه وتعالى ولكن مع زيادة مبالغة[٥].

يقول الإمام القرطبي: "ولاسمه (القهار) جل جلاله وتقدست أسمائه زيادة مبالغة على القاهر، وهذا الاسم يختص بدلالته على اختصاص الله سبحانه بالغلبة المطلقة، وهو من الأسماء الإضافية؛

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٢/ ١٤٣، ١٤٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٦/ ٣٩٩.
(٣) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٢.
(٤) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٦٧.
(٥) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ١٣/ ١٢٩. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٩/ ١١٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٩/ ٣٠٤. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٣/ ١١٦.

لأنه يشعر بمقهور إلا أن قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[١]، يقتضي القهر المطلق والتصرف الكامل فهو يَقْهَر ولا يُقْهَر بحال"[٢].

***

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢١٧. ط: دار الصحابة بطنطا.

[٨٢] (القدوس)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القدوس)، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في موضعين هما، في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾(١). وفي سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾(٢).

اللغة:

مادة: (قدس) تدل في اللغة على معنيين:

الأول: الطهر، ومن ذلك الأرض المقدسة هي المطهرة، وتسمى الجنة حظيرة القدس، أي: الطهر، وجبرئيل ﷺ روح القدس، وكل ذلك معناه واحد، ويُقَالُ: القُدُّوس فُعُّول من القُدْس، وَهُوَ الطَّهَارَةُ، وكان سيبويه يَقُولُ: سَبُّوح وقَدُّوس، بِفَتْحِ أَوائلهما؛ قال اللِّحْيَانِيُّ: الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ فِي سُبُّوح وقُدُّوس الضَّمُّ، قال: وإن فتحته جاز، قال: ولا أَدري كيف ذلك؛ قال ثَعْلَبٌ: كُلُّ اسْمٍ عَلَى فَعُّول، فهو مَفْتُوحُ الأَول مِثْلَ سَفُّود وكَلُّوب وسَمُّور وتَنُّور إلا السُّبُّوح والقُدُّوس، فإن الضَّمَّ فِيهِمَا الأَكثر، وَقَدْ يُفْتَحَانِ، وَكَذَلِكَ الذُّرُّوح، بِالضَّمِّ، وَقَدْ يُفْتَحُ.

والثاني: الْبَرَكَةُ. والأَرض الْمُقَدَّسة: الشَّامُ، مِنْهُ، وَبَيْتُ الْمَقْدِس مِنْ ذَلِكَ أَيضًا، وَحَكَى ابْنُ الأَعرابي: لَا قَدَّسه اللَّه أَي لَا بَارَكَ عَلَيْهِ. قَالَ: والْمُقَدَّس: الْمُبَارَك.

وفي صفة الله تعالى: القُدُّوس، وهو من المعنى الأول؛ لأنه منزه عن الأضداد والأنداد، والصاحبة والولد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا(٣).

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١.

(٣) تُراجع مادة (قدس) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٦٣، ٦٤. ولسان العرب، لابن منظور، ٦/ ١٦٨، ١٦٩. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٤/ ٢٤٧ بتصرف.

التفسير:

ومعنى (القدوس) في حقه تعالى: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا في الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء، أو المُنَزَّه عن كل نقص، والطاهر عن كل عيب، أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به أو الذي لا يحد ولا يتصور[١].

وقد سبق اسم (القدوس) اسم (الملك)؛ لأنه باعتبار أن الملك أشرف من المملوك يكون متصفًا بصفات يحصل منها الشرف فلا مجال لما ينافيه من الصفات فيكون قدوسًا، فلفظ (الملك) إشارة إلى إثبات ما يكون من الصفات العالية، ولفظ (القدوس) هو إشارة إلى نفي مالا يكون منها[٢].

وهناك معنى آخر لهذا الاسم مروي عن قتادة قال: (القدوس): المبارك[٣].

***

(١) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٤. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٥. ونحو هذا قاله الخطابي في «شأن الدعاء»، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٤٠.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٠/ ٣، ٤ بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٧٩.

[٨٣، ٨٤، ٨٥]
(القدير، القادر، المقتدر)

ومن أسمائه تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القدير، والقادر، والمقتدر)..

وقد ورد اسم (القدير) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: في سورة البقرة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١). وفي سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾(٢). وفي سوة الممتحنة: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)

أما اسم (القادر) فورد في مواضع منها: في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤). وفي سورة الإسراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾(٥).

وأما اسم (المقتدر) فورد في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم؛ مرتين في سورة القمر، الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾(٦). والثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾(٧). والثالث في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(٨).

اللغة:

مادة: القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فَالْقَدْرُ: مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي مبلغه، وكذلك الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٩.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٩.
(٦) سورة القمر، الآيتان: ٤١، ٤٢.
(٧) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.
(٨) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

أُقَدِّرُهُ. وَالْقَدْرُ: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو الْقَدَرُ أيضًا، وقدرة الله تعالى على خليقته: إيتاؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه ويريده، ويقولون: رجل ذو قدرة وذو مقدرة، أي يسار، ومعناه: أنه يبلغ بيساره وغنائه من الأمور المبلغ الذي يوافق إرادته، والقدرة: القوة"(١).

يقول ابن الأثير في «النهاية»: "في أسماء الله تعالى: (القادر، والمقتدر، والقدير)، فالقادر: اسم فاعل من قدر يَقْدِرُ، والقدير: فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل مِنْ اقْتَدَر، وهو أبلغ "(٢).

التفسير:

القادر والمقتدر: ذو قدرة ومقدرة. والقدير: هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة، لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى. والمقتدر: يقاربه إلا أنه قد يوصف به البشر، ويكون معناه: المتكلف والمكتسب للقدرة، ولا أحد يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، غير الله تعالى، فهو المقتدر الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه تعالى شأنه؛ فهو كامل القدرة(٣).

إذن فمعنى هذه الأسماء: (القادر، والقدير، والمقتدر) في حقه عز وجل: ذو القدرة التامة، الذي إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

وهنا يأتي سؤال مفاده: أيهما أبلغ القدير أو القادر أو المقتدر؟

قلت: أجاب عن هذا الإمامان القرطبي، والرازي؛ فقال القرطبي: "أجمعت الأمة على تسمية الله تعالى بالقدير، فهو سبحانه قدير قادر مقتدر، والقدير أبلغ في الوصف من القادر، وقيل: القدير والقادر بمعنى واحد، والاقتدار على الشيء: القدرة عليه، فالله عز وجل قادر مقتدر قدير على كل

---

(١) تُراجع مادة (قدر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٦٢، ٦٣. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٧٤: ٧٦ بتصرف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مادة: (قدر)، ٤/ ٢٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، ، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في قدر)، ٤/ ٢٤٣: ٢٤٦ بتصرف كبير. ويُراجع معه: روح المعاني، للآلوسي، ١/ ١٨٠، ١٥/ ٢٨٦، ٢٧/ ١٨، ٢٧/ ٩٦ في هذه المواضع على الترتيب.

ممكن يقبل الوجود والعدم، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى قادر، له قدرة بها فعل ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره "(١).

وزاد الفخر الرازي في إيضاح الأمر فقال: "اعلم أن من الألفاظ المجانسة للقادر لفظين، أحدهما: القدير، ولم يرد هذا في الأسماء التسعة والتسعين ولكنه ورد في القرآن الكريم، قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، وهو مبالغة من القادر كالعليم من العالم، والثاني: المقتدر، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(٣)، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٤)، ووزنه مفتعل وهو دال على المبالغة، بدليل قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾(٥)، خص الكسب بالخير والاكتساب بالشر، والشر يكون ممنوعًا عنه بالزواجر العقلية والشرعية، فلا يدخل في الوجود إلا عند القدرة، فظهر أن المقتدر أبلغ من القادر "(٦).

فعُلِم من ذلك أن: القدير والمقتدر أبلغ من القادر، وأرى أن القدير أبلغ من المقتدر؛ لِما مرَّ من القول بأنه لا يَصح أن يوصف به إلا الله تعالى.

***

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ٢٢٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٥.
(٤) سورة القمر، الآية: ٥٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٦) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٣٧.

[٨٦] (القريب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القريب)، وقد ورد ذكره في ثلاثة مواضع، وهي: في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١]. وفي سورة هود: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٢]. وفي سورة سبأ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾[٣].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والإمام القرطبي، والحافظ ابن حجر[٤].

اللغة:

القاف والراء والباء: أصل يدل في العربية على خلاف البُعد، يُقال: قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْبًا، إذا دنا، فهو قريب، ويستعمل في الأجسام والمعاني، فاستعماله في الأجسام بأن يكون بينهما بعد، فإن كان يسيرًا كان ذلك قربًا، وإن كان كبيرًا كان ذلك بعدًا. ثم نقل ذلك إلى قرب المعانى مجازًا، فيُقال: فلان قريب من فلان بالمودة، وفلان بعيد من فلان بالعداوة، وإذا تقرر هذا فوصف البارئ سبحانه بقرب المساحة وبعدها محال، لأنه ليس بجسم مؤلف، وأما وصفه بقرب العلم والمحبة والرحمة والإحسان فصحيح، فالله سبحانه وتعالى قريب من عباده يسمع دعائهم ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٥٠.

(٤) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٢. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٧. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٣٨. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ٤/ ٣٢١.

(٥) تُراجع مادة: (قرب) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٨٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٥٠. ولسان العرب، لابن منظور، =

التفسير:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير هذا الاسم الشريف فسنجد أنها تتفق مع ما ذُكِر في بيان المعنى اللغوي من أن القريب المقصود منه في جانب الحق تبارك وتعالى: القريب من عباده من حيث العلم والرحمة والمودة والرأفة، وليس المراد به القرب المكاني المنزه عنه سبحانه.

فسَّر العلامة الآلوسي القرب في آية سورة البقرة: بعلمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم، وإطلاعه على سائر أحوالهم[(١)].

وفسَّر القرب في آية سورة هود بمعنى: أنه تعالى قريب الرحمة؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(٢)]، والقرآن يفسر بعضه بعضًا[(٣)].

ونحو هذا في غيره من التفاسير[(٤)].

وقد فصلَّ الإمام الفخر الرازي في تفسيره هذه المسألة -أعني: مسألة القرب، ولكن سأقتصر على ذكر موطن الشاهد من كلامه- حيث قال ما مُحَصَّلُه: "اعلم أن المراد من القريب ليس القرب بحسب الجهة والمكان، بل المراد منه القرب بالعلم والحفظ، ويدل عليه وجوه:

الأول: أنه لو كان في المكان مشارًا إليه بالحس لكان منقسمًا؛ إذ يمتنع أن يكون في الصغر والحقارة مثل الجوهر الفرد، ولو كان منقسمًا لكانت ماهيته مفتقرة في تحققها إلى تحقق كل واحد من أجزائها المفروضة، وجزء الشيء غيره، فلو كان في مكان لكان مفتقرًا إلى غيره، والمفتقر إلى غيره ممكن لذاته ومحدث ومفتقر إلى الخالق، وذلك في حق الخالق القديم محال، فثبت أنه تعالى يمتنع أن يكون في المكان فلا يكون قربه بالمكان.

=

١/٦٦٢، ٦٦٣، وأيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٣٩، ٢٤٠. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٦٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ١٢/ ٨٩.

(٤) يُراجع: تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ١/ ١٢٥، ٣/ ١٣٩. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/١٦٠، ٦٩/٢. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢/ ٣٠٨.

والثاني: أنه لو كان في المكان لكان إما أن يكون غير متناه عن جميع الجهات، أو غير متناه عن جهة دون جهة، أو كان متناهيًا من كل الجوانب، والأول: محال؛ لأن البراهين القاطعة دلت على أن فرض بعد غير متناه محال، والثاني: محال أيضًا؛ لهذا الوجه، ولأنه لو كان أحد الجانبين متناهيًا والآخر غير متناه لكانت حقيقة هذا الجانب المتناهي مخالفة في الماهية لحقيقة ذلك الجانب الذي هو غير متناه، فيلزم منه كونه تعالى مركبًا من أجزاء مختلفة الطبائع والخصم لا يقول بذلك، وأما القسم الثالث وهو أن يكون متناهيًا من كل الجوانب، فذلك باطل بالاتفاق بيننا وبين خصومنا، فبطل القول بأنه تعالى في الجهة الثالث، وهو أن هذه الآية من أقوى الدلائل على أن القرب المذكور في هذه الآية ليس قربًا بالجهة؛ وذلك لأنه تعالى لو كان في المكان لما كان قريبًا من الكل بل كان يكون قريباً من حملة العرش وبعيدًا من غيرهم ولكان إذا كان قريبًا من زيد الذي هو بالمشرق كان بعيدًا من عمرو الذي هو بالمغرب، فلما دلت الآية على كونه تعالى قريبًا من الكل علمنا أن القرب المذكور في هذه الآية ليس قربًا بحسب الجهة، ولما بطل أن يكون المراد منه القرب بالجهة ثبت أن المراد منه القرب بمعنى أنه تعالى يسمع دعاءهم ويرى تضرعهم، أو المراد من هذا القرب العلم والحفظ، وعلى هذا الوجه قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(١)، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢)، وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٣)، والمسلمون يقولون إنه تعالى بكل مكان ويريدون به التدبير والحفظ والحراسة" اهـ(٤).

***

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة ق، الآية: ١٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٥/ ٨٢ بتصرف.

[٨٧، ٨٨] (القوي، ذو القوة)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القوي، وذو القوة)، وقد ورد اسم (القوي) في عدَّة مواضع في القرآن الكريم، منها: في سورة الأنفال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[١]. وفي سورة هود: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[٢]. وفي سورة الحج: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]. وفي سورة الأحزاب: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[٤]. وفي سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾[٥].

وأما اسم (ذو القوة) فورد في موضع واحد في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٦].

ومن العلماء من عدَّ (القوي) من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام أبو حامد الغزالي، والإمام الفخر الرازي، والإمام القرطبي، والدكتور/ محمد الحمود النجدي[٧].

أما (ذو القوة) فلم أجد فيما أُتيح لي من بحث واطلاع في الكتب من العلماء مَنْ عدَّ هذا الاسم منفردًا إلا الحافظ ابن حجر العسقلاني[٨]، وينبغي التنبيه على أن هناك من ذكر الآية التي ورد فيها هذا الاسم في خلال شرحه اسم (القوى).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٩.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٧) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٧. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٤. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢١٩- ٢٢١. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٥٨- ٢٦٠. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ص: ٣٥- ٤٢.

(٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ٤/ ٣٢١.

اللغة:

مادة القاف والواو والياء: تدل في اللغة على أصلين متباينين؛ يدل أحدهما على شدة وخلاف ضعف، والآخر على خلاف هذا وعلى قلة خير، فمن الأول القوة، والقَوِيُّ: خلاف الضعيف، القوة نقيض الضعف، والجمع: قُوًى وقِوًى، وتكون في البدن والعقل، وقد قَوِيَ فهو قَوِيّ وتَقَوَّى، واقْتَوى كذلك، ويُقال: قَوِيَ الرجل، والضَّعيف يَقْوَى قُوَّة فهو قَوِيٌّ، وقَوَّيْتُه أَنا تَقْوِيةً وقاوَيْته فَقَوَيْتُه أَي غَلَبْته، ورجل شديد القُوَى أَي شدِيدُ أَسْرِ الخَلْقِ، وقَوَّى الله ضعفَك أَي أُبدَلك مكان الضعف قُوَّة(١).

التفسير:

القوة في حقه تعالى تعني مطلق القدرة و منتهاها وتمامها، فهو تعالى يفعل ما يشاء، ولا يغلبه غالب، هذا خلاصة ما قاله معظم المفسرين باختلاف بينهم في العبارات.

أما أقوالهم في تفسير (القوي)؛ فيرى العلامة الآلوسي أنه تعالى قويٌّ أي: لا يغلبه غالب، فهو القادر على كل شيء(٢).

ويقول الإمام الفخر الرازي عند تفسيره آية سورة هود عن وجه الحسن في تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: "إنما حسن ذلك لأنه تعالى بين أنه أوصل ذلك العذاب إلى الكافر وصان أهل الإيمان عنه، وهذا التمييز لا يصح إلا من القادر الذي يقدر على قهر طبائع الأشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة إلى إنسان بلاء وعذابًا وبالنسبة إلى إنسان آخر راحة وريحاناً"(٣).

وعبَّر العلامة الطاهر بن عاشور عن معنى (القوي) بعبارة أخرى وذلك عند تفسيره آية سورة الأنفال فقال: "القوي الموصوف بالقوة، وحقيقتها كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد

---

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (قوي)، ٥/ ٣٦. ولسان العرب لابن منظور، مادة: (قوا)، ١٥/ ٢٠٦، ٢٠٧، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة : (قوا)، ص: ٢٦٣.

(٢) روح المعاني، للآلوسي،١٠/ ١٩، ١٢/ ٩٢.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ١٨.

منها، وهي إذا وصف الله بها مستعملة في معناها اللزومي، وهي منتهى القدرة على فعل ما تتعلق به إرادته تعالى من الممكنات"[١].

وأما أقوالهم في معنى (ذو القوة)؛ فيقولون: (ذو) بمعنى صاحب، والقوة: القدرة. وآثر سبحانه وتعالى (ذو القوة) على (القوى) -في هذه الآية-؛ لأن في ذو تعظيم ما أضيفت إليه والموصوف بها، والمقام يقتضيه، ومن خصائص (ذو) أن تضاف إلى أمر مهم، فعلم أن القوة هنا قوة خَلِيَّةٌ من النقائص[٢].

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٠/ ٤٤.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ٢٣، ٢٤. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٢٩. ونحو هذا في: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٢٨/ ٢٠٢، ٢٠٣ بتصرف.

[٨٩] (القيوم)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (القيوم)، وقد ورد ذكره في ثلاثة مواضع، وهي: في سورة البقرة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[١]، وفي سورة آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[٢]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ ﴾[٣].

اللغة:

مادة القاف والواو والميم تدل في اللغة على استقامة الشيء، فيقال: قَوَّمَ الشيء تقويماً فهو قَوِيمٌ أي مستقيم، وقَوَامُ الرجل أيضًا قامته وحسن طوله، و قِوَامُ الأمر بالكسر نظامه وعمادهُ، يُقال: فلان قوام أهل بيته أي أنه هو الذي يُقيم شأنهم، ومنه القيوم والقائم وهما من صفات الله تعالى وأسمائه بمعنى القائم بتدبير أمر خلقه، وقيوم من أبنية المبالغة، فيعول من قام يقوم، وأصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن قلبت الواو ياء[٤].

التفسير:

هذا الاسم يدل في الجملة على معنيين في حقه تعالى، وهما:

الأول: أنه تعالى القائم على كل شيء بالتدبير والحفظ والرعاية، وهو تعالى قائم على كل مخلوق بالنفع والرزق وسد الحاجات.

والثاني: أنه تعالى الدائم الذي لا يزول، فهو تعالى يقوم بنفسه، ويقوم على كل شيء بقدرته، فلا يحتاج إلى شيء؛ لاكتفائه تعالى بنفسه[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٣) سورة طه، الآية: ١١١.

(٤) تُراجع مادة (قوم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٤٩٦، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٦٣.

(٥) يُراجع في ذلك: كلام الأئمة والعلماء؛ أبي جعفر الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٣٨٨، ٣٨٩. والآلوسي في روح المعاني٣/ ٨. والقرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٩٦، ٣٩٧. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ٣/ ١٨، =

[٩٠، ٩١] (كاشف الضر، كاشف العذاب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (كاشف الضر، كاشف العذاب)، وقد ورد ذكرهما في موضعين؛ الأول: بصيغة المفرد، في سورتي الأنعام ويونس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾(١).

والثاني: بصيغة الجمع في سورة الدخان: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾(٢).

اللغة:

مادة: (كشف) تدل في اللغة سَرْوِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، كَالثَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ. وَيُقَالُ كَشَفْتُ الثَّوْبَ وَغَيْرَهُ أَكْشِفُهُ. والكشْفُ: رفعُك الشَّيْءَ عَمَّا يُواريه وَيُغَطِّيهِ، كَشَفَه يَكْشِفه كَشْفاً وكَشَّفَه فانْكَشَفَ وتَكَشَّفَ. يُقَالُ: تَكَشَّفَ الْبَرْقُ إِذَا ملأَ السَّمَاءَ. والكشف: الإظهار. والتكشف: الظهور، وكَشَفَ الأَمر يَكْشِفُه كَشْفًا: أَظْهَرَهُ. وكَشَّفَه عَنِ الأَمر: أَكرهه عَلَى إِظْهَارِهِ. وكَاشَفَه بالعَداوة أَي بادأَه بِهَا. واسْتَكْشَف عَنْ الشَّيء: سَأَلَ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ عَنْه(٣).

التفسير:

جاء في كتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للإمام القرطبي أن من أسماء الله تعالى: (الكاشف) ﷻ وتقدست أسمائه، وقال: "ذَكَرَهُ الحليمي(٤)، وتابعه البيهقي(٥)، ولم يذكره غيرهما فيما أعلم. قال الحليمي: ولا يدعى بهذا إلا مضافًا إلى شيء، فيُقال: كاشف الضر أو كاشف الكرب،

=

١٩. والخطابي في شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨٠، ٨١. والحليمي في المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٠.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٧، وسورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الدخان، الآية: ١٥.

(٣) تُراجع مادة (كشف) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٨١. ولسان العرب لابن منظور، ٩/ ٣٠٠. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٤/ ٣٥٤.

(٤) يُنظر كلام الحليمي في كتابه: المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٢.

(٥) يُنظر كلام البيهقي في كتابه: الأسماء والصفات، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، ١/ ١٦٤.

ومعناه: الفارج المجلي، يكشف الكرب، ويجلي الغم، ويفرج الهم، ويزيح الضر والغم، قلت: فيجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا كاشف للهموم والكروب إلا الله وحده لا شريك له، ثم عليه أن يسعى في ذلك؛ فيكون مفرجًا للهموم عن إخوانه، مزيلاً للأحزان عن أقربائه وأصدقائه، بما أمكنه من بذل مال أو جاه"(١).

وقد جاء في كتب التفاسير ما يؤيد هذا المعنى الذي ذكره الحليمي ونقله عنه القرطبي وارتضاه؛ فيقول العلامة الآلوسي: "قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي لا مزيل ولا مفرج له عنك إلا هو، والمراد: لا قادر على كشفه سواه سبحانه وتعالى من الأصنام وغيرها"(٢).

وقال الفخر الرازي: "قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ يعني بمرض وفقر فلا دافع له إلا هو"(٣).

وقال الخطيب الشربيني: "قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي: لا رافع"، وقال في موضع آخر: "قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي: لا دافع"(٤).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه لا كاشف للضر والنوائب إلا الله، وأنه سبحانه هو الحقيق باسم الكاشف؛ فهو الذي يُفَرِّجُ الهم، ويَكْشِفُ الكَرَبَ، ويُذهب الغم عن عباده.

***

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٢٧، ٢٢٨ بتصرف. ط: دار الصحابة بطنطا.
(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٧/ ١١٢.
(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٧/ ١٤٠.
(٤) السراج المنير، للخطيب الشربيني، ١/ ٣٢٩، ٢/ ٣٥ على الترتيب.

[٩٢] (الكافي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الكافي)، وقد ورد ذكره في موضع واحد، في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(١).

ووردت مادته في مواضع أخرى؛ ففي سورة البقرة: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢)، وفي سورة الحجر: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾(٣)، وفي سورة الأحزاب: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(٤).

عدَّه من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي في «شأن الدعاء»، والدكتور/ محمد الحمود النجدي(٥).

اللغة:

مادة: (كفى) تدل في اللغة على الْحَسْبِ الَّذِي لَا مُسْتَزَادَ فِيهِ. يُقَالُ: كَفَاكَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَ. وَقَدْ كَفَى كِفَايَةً، إِذَا قَامَ بِالْأَمْرِ. وَيُقَالُ: اسْتَكْفَيْته أَمْراً فكَفَانِيه. وَيُقَالُ: كَفاك هَذَا الأَمرُ أَي حَسْبُك. وكَفاه مَا أَهَمَّه كِفايةً وكَفاه مَؤُونَته كِفايَةً. وكَفاكَ الشيءُ يَكفِيك واكْتَفَيْت بِهِ، وَيُقَالُ: حَسْبُكَ زَيْدٌ مِنْ رَجُلٍ، وَكَافِيكَ. والكفاية: ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾(٦)، وقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾(٧)، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٨)، قيل: معناه: كفى الله شهيدًا، وقيل: معناه: اكتف بالله شهيدًا، وَالْكُفْيَةُ: الْقُوتُ الْكَافِي، وَالْجَمْعُ كُفًى(٩).

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٥) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠١. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٨) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٩) تُراجع مادة: (كفى) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٨٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ٢٢٦. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ٣١٠.

التفسير:

جاء في معنى اسمه تعالى الكافي: أنه الذي يكفي عباده المُهِمَّ، ويدفع عنهم المُلِمَّ، وهو الذي يُكتفى بمعونته عن غيره، ويستغنى به عمن سواه(١).

وقد ذكر اسم تعالى (الكافي) في سياق الاستفهام الإنكاري، في سورة الزمر، والمراد تقرير ذلك في النفوس، فكأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها، والأمر كذلك؛ لأنه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات غني عن كل الحاجات، فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات، وهو ليس بخيلا ولا محتاجًا حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد، وإذا ثبت هذا، كان الظاهر أنه سبحانه يدفع الآفات، ويزيل البليات، ويوصل إليه كل المرادات(٢).

فيتحصل مما سبق أن الله تعالى هو الكافي لعباده المؤمنين بقضاء ما أهمهم من الحاجات، ودفع ضر ما نزل بهم من الآفات وشر الأشرار من المخلوقات.

***

(١) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠١.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٦/ ٢٤٤، ٢٤٥، وروح المعاني، للآلوسي، ٢٤/ ٥. ونحو هذا في: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٤/ ١٢، ١٣.

[٩٣، ٩٤] (الكبير، المتكبر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الكبير، والمتكبر)..

أما (الكبير) فقد ورد في ستة مواضع هي: في سورة النساء: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(١). وفي سورة الرعد: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾(٢). وفي سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾(٣). وفي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾(٤). وفي سبأ: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾(٥). وفي سورة غافر: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾(٦).

وأما (المتكبر) فقد ورد ذكره في موضع واحد في القرآن الكريم في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٧).

اللغة:

مادة: (كبر) تدل في اللغة على خِلافِ الصِّغَرِ، يُقال: كَبُرَ كِبَرًا وكُبْرًا فَهُوَ كَبِيرٌ وكُبَار وكُبَّار، بِالتَّشْدِيدِ إِذَا أَفرط، والأُنثى بِالْهَاءِ، وَالْجَمْعُ كِبارٌ وكُبَّارونَ. وكَبَّرَ: قَالَ: اللَّهُ أَكبر. وَالتَّكْبِيرُ: التَّعْظِيمُ. والكِبْرُ والكُبْرُ: الرِّفْعَةُ فِي الشَّرَفِ. ومن الباب: الكِبَر، وهو الهَرَم، والكَبير فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى: الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ، والمُتَكَبِّر الَّذِي تَكَبَّر عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، والكِبْرِياء عَظَمَة اللَّهِ، جاءتْ عَلَى فِعْلِياء؛ قَالَ ابْنُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٢.

(٧) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

الأَثير: فِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَكَبِّرُ وَالْكَبِيرُ أَي الْعَظِيمُ ذُو الْكِبْرِيَاءِ، وَقِيلَ: الْمُتَعَالِي عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ، وَقِيلَ: الْمُتَكَبِّرُ عَلَى عُتاةِ خَلْقه، وَالتَّاءُ فِيهِ لِلتَّفَرُّدِ والتَّخَصُّصِ لَا تَاءُ التَّعاطِي والتَّكَلُّف. والكِبْرِياء: العَظَمة وَالْمُلْكُ، وَقِيلَ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الذَّاتِ وَكَمَالِ الْوُجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ تعالى[(١)].

التفسير:

أما (الكبير) فيطلق في جانب الله تعالى ويراد به معان، منها ما يلي:

أولا: الكبير: العظيم الشأن، الذي يَصُغُر دونه كل كبير[(٢)].

ثانيًا: الكبير: الذي يجلُّ عما نعته به الخلق من صفات المخلوقين ويتعالى عنه[(٣)].

ثالثًا: الكبير: العظيم القدرة، أو ذو القدرة التامة الكاملة[(٤)].

وهناك معنى آخر انفرد به القرطبي فقال: "الكبير ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، أي له الوجود المطلق أبدًا وأزلاً، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه"[(٥)].

قلت: وهذه المعاني محتملة لغة وشرعًا، والاختلاف بينها من اختلاف التنوع لا التضاد، ولا مرجِّح لمعنى على آخر.

وأما (المتكبر) فيطلق في جانبه تعالى ويراد به معان أيضًا، منها ما يلي:

---

(١) تُراجع مادة (كبر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٥٣، ١٥٤، ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ١٢٥: ١٢٩ بتصرف.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ١٣/ ١١٠. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٩/ ٢٨٩، ١٢/ ٩١. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢١/ ١٨٨.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ١٣/ ١١٠. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٩٦، ١٩٧.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٩/ ١٤، ٢٣/ ٥٣. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ١٧/ ٣١٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٢/ ٩١. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٩.

أولا: المتكبر: ذو الكبرياء، البليغ الكبرياء والعظمة، المستحق لصفات الكبر؛ فهو سبحانه بريء من التكلف الذي تؤذن به الصيغة[(١)]، فالتاء في «المتكبر» تاء التفرُّد والتخصُّص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلُّف[(٢)].

ثانيًا: المتكبر عن كل سوء وعن كل ما يوجب نقصًا[(٣)].

ثالثًا: المتكبر: المتعالي عن صفات خلقه، فلا شيء مثله[(٤)].

رابعًا: المتكبر عن ظلم عباده[(٥)].

خامسًا: المتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم[(٦)].

قلت: وهذا أيضًا من اختلاف التنوع لا التضاد، ولا مرجع لمعنى على آخر، فجميعها محتملة لغة وشرعًا.

فإن قيل: التكبر صفة ذم في جانب الخلق، فكيف يكون صفة مدح في جانب الحق؟

قلت: أجاب عن هذا الإمام الفخر الرازي قائلا: "اعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم؛ لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الخلق؛ لأنه ليس له كبر ولا علو، بل

---

(١) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣، ٦٤. مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٧. تفسير الماوردي، المسمى النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ٥/ ٥١٤. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٢٦٥. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٣.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٤٨.

(٣) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣، ٦٤. مفاتيح الغيب للرازي، ٢٩/ ٢٥٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٧. تفسير الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٥/ ٥١٤. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٢٦٥.

(٤) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٦. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٧. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٢٦٥.

(٥) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر ارازي، ٢٩/ ٢٥٦. تفسير الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٥/ ٥١٤.

(٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٢٦٥.

ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذبًا فكان ذلك مذمومًا في حقه. أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، كأنه قيل: إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف، لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق؛ لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي. أما الحق سبحانه فله العلو والعزة، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال، فسبحان الله عما يشركون في إثبات صفة المتكبرية للخلق"[2].

***

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٦.

[٩٥، ٩٦] (الكريم، الأكرم)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الكريم، والأكرم)، وقد ورد اسم (الكريم) في موضعين، هما: في سورة النمل: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١]. وفي سورة الانفطار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾[٢].

وأما اسم (الأكرم) فقد ورد في موضع واحد فقط، في سورة العلق في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾[٣].

اللغة:

مادة الكاف والراء والميم: تدل في اللغة على شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق، يُقال: رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم، وأكرم الرجل: إذا أتى بأولاد كرام، والكَرَم بفتحتين ضد اللؤم، وأما الكرم في حقه سبحانه وتعالى فهو صفة من صفاته، واسمه منه الكريم، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق، والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والأكرم: صيغة تفضيل؛ فهو تعالى أكرم وأجود من يعطي[٤].

التفسير:

اسم (الكريم) في حقه تعالى يدور حول معنيين:

أحدهما: الجود والعطاء؛ فالله تعالى كريم لا يقطع نعمه حتى مع الإعراض عن شكره[٥].

وقد فصَّل الإمام الغزالي في بيان هذا المعنى فقال: "الكريم: هو الذي إذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبال كم أعطى ولمن أعطى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ٦.

(٣) سورة العلق، الآية: ٣.

(٤) تُراجع مادة (كرم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٧٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥١٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٦٨.

(٥) روح المعاني، للآلوسي، ١٩/ ٢٠٦. مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٤/ ١٧٠. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٣/ ٢٠٦.

الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو الكريم المطلق، وذلك هو الله تعالى فقط "[١].

والآخر: الجمع للفضائل كلها؛ فالله تعالى كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد[٢].

والمعنى الأول من صفات الفعل، والثاني من صفات الذات.

وأما اسم (الأكرم): فهو مصوغ للدلالة على قوة الاتصاف بالكرم وليس مصوغًا للمفاضلة فهو مسلوب المفاضلة، والكرم: التفضل بعطاء ما ينفع المعطَى، ونعم الله عظيمة لا تُحصى ابتداءً من نعمة الإيجاد، وكيفية الخلق، والإمداد[٣].

وقد بيَّن الإمام الفخر الرازي أوجهًا لاتصافه تعالى بـ(الأكرم)، نذكر منها: أنه تعالى أكرم؛ لأنه يزيد بإحسانه بعد الجناية. والأكرم؛ حيث إن فعله لا يكون إلا لمحض الكرم. والأكرم؛ لأن له الابتداء في كل كرم وإحسان، وكرمه غير مشوب بالتقصير[٤].

نقل الإمام القرطبي في تفسيره قول بعضهم أن الأكرم معناه: الحليم عن جهل العباد، فلم يعجل بعقوبتهم، فالأكرم بمعنى المتجاوز عن جهل العباد[٥].

***

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٥.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٦/ ١٩٣.
(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٤٣٩، ٤٤٠.
(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٢/ ١٧ بتصرف.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢٠/ ١١٩، ١٢٠.

[٩٧] (الكفيل)

من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم: اسمه تعالى (الكفيل)، وقد ورد ذكره في موضع واحد، وذلك في سورة النحل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾(١).

اللغة:

مادة (كفل) تدل في اللغة على تضمن الشيء للشيء، من ذلك الكفل: كساء يدار حول سنام البعير، ويقال هو كساء يعقد طرفاه على عجز البعير ليركبه الرديف، والكفيل والكافل: الضامن، يُقال: كَفَلَه يَكْفُلُه وكَفَّلَه إِيّاه، كَفَل به يَكفُل كَفالةً. والكافل: العائل الذي يكفل إنسانًا يعوله وينفق عليه، قال الله جل جلاله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(٢)، والكافِل: الْقَائِمُ بأَمر الْيَتِيمِ المربِّي لَهُ، وَهُوَ مِنَ الكَفِيل الضَّمِينِ، وأكفَلْتُه المالَ: ضمَّنتُه إياه(٣).

يقول الراغب الأصفهاني: "قال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾(٤)، والكِفْل: الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفل بأمره، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾(٥)، أي: اجعلني كفلاً لها"(٦).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن معنى الكفيل في اللغة يكون بمعنى الضامن، أو: العائل الذي يتولي الرعاية والعناية بشئون الغير.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) تُراجع مادة (كفل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٨٧، ١٨٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٨٨: ٥٩٠ بتصرف.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٣٦. ويُنظر نحوه في: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٤/ ٣٦٦.

التفسير:

(الكفيل) في حقه سبحانه وتعالى يكون بمعنى الشاهد والرقيب والضامن سواء كانت هذه المعاني خاصة كما في سياق الآية، فيكون المعنى: ولا تنقضوا الأيمان، والحال أنكم قد جعلتم الله كفيلاً عليكم بالوفاء بها، فالحلف باسم الله إشهاد له وكفالة به؛ وذلك أن من حلف بالله تعالى فكأنه قد جعل الله كفيلاً بالوفاء بسبب ذلك الحلف(١). أو عامة، فيكون المعنى: أنه سبحانه هو الملتزم – تفضلا– بالقيام بأمر الخلائق، والمتكفل بأرزاق عباده، ورعاية مصالحهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كمال علمه تعالى وقدرته ورحمته وحكمته. وفي خصوص هذا المعنى العام يقول الإمام القرطبي: "ومن أسمائه الكفيل –جل جلاله وتقدست أسماؤه– نطق به التنزيل، ووردت به السنة، يقال منه: كفل، يكفل، وتكفل، يتكفل: إذا ضمن والتزم فهو كفيل ومتكفل، فالكفالة هي الالتزام، وذلك يكون بالقول، وذلك من صفات الكلام، وقد يُقال للعائل كافل إذا عال المرء وأنفق عليه؛ لأنه فَعَلَ فِعلَ الملتزم، ولذلك فإنه سبحانه كفيل بالمعنيين جميعًا في باب الدنيا والدين. أما في الدين فبقوله: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾(٢) وشِبْهِهِ، وأما في الدنيا؛ فلأن الخلق يستدرون خزائنه ويستعيذون من نقمه"(٣).

***

(١) يُراجع هذا في: جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٧/ ٢٨١. وروح المعاني، للآلوسي، ١٤/ ٢٢١. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٠/ ٨٧. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٠/ ١٧٠. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤/ ٢٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٠٨، ٥٠٩ بتصرف. ط: دار الصحابة بطنطا.

[٩٨] (اللطيف)

من أسماء الله الواردة في القرآن الكريم: (اللطيف)، وقد ورد ذكر هذا الاسم في سبعة مواضع، هي: في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾(١). وفي سورة يوسف وعلى لسانه عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾(٢). وفي سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾(٣). وفي سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾(٤). وفي سورة الأحزاب: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾(٥). وفي سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾(٦). وفي سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾(٧).

اللغة:

مادة: (لطف) تدل على معنيين في اللغة:

الأول: الرفق، يُقال: لَطَفَ -بالفتح- بمعنى رفق، والثاني: صِغَرٌ في الشيء ودقة، يُقال: لَطُفَ -بالضم- بمعنى صَغُرَ ودق. واللطيف: صفة من صفات الله واسم من أسمائه، ومعناه: البَرُّ بعباده الرفيق بهم، المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق ولطف، أو العالم بخفايا الأمور ودقائقها، واللُّطْفُ -بالضم- من الله تعالى التوفيق والعصمة(٨).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٣.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١٩.

(٧) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٨) تُراجع مادة (لطف) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٢٥٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٩/ ٣١٦. والقاموس المحيط، للفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة =

التفسير:

اللطيف إذا كان من لطُف -بالضم- فهو صفة مشبهة، ويكون دالا على صفة من صفات الذات، والمعنى في جانب الله تعالى: أن ذاته المقدسة تناهت في اللطف والتعالي عن مدركات الحس وأفهام الخلق.

وقد ذهب الإمام الطاهر بن عاشور إلى أنه ينبغي حمل اسم (اللطيف) على هذا المعنى في كل موضع اقترن فيه وصف اللطيف بوصف الخبير كالذي في سورتي الأنعام والملك(١).

والذي أراه أنه لا ينبغي التفسير بهذا المعنى إلا في آية سورة الأنعام فحسب؛ لأنه أنسب بهذا المقام، وتفسيرها بهذا المعنى جوزه غير واحد من المفسرين ويحصل معه نكتة بلاغية أيضًا، وأُوثر نقل كلام العلامة أبي السعود في هذا المقام حيث قال موضحًا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: "أي فيدرك ما لا تدركه الأبصارُ، ويجوز أن يكون تعليلا للحُكمين السابقين على طريقة اللفِّ أي لا تدركه الأبصارُ لأنه اللطيفُ وهو يدرك الأبصارَ لأنه الخبيرُ فيكون اللطيفُ مستفادًا من مقابل الكثيفِ لما لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها"(٢).

وتفسير الآية بهذا المعنى ذكره الزمخشري في الكشاف، واستحسنه الإمام الفخر الرازي، وجوزه الراغب، والبيضاوي(٣) على ما قاله الإمام الطاهر بن عاشور(٤).

وهناك معنيان آخران لهذا الاسم في حقه تعالى:

=

الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ص: ٨٥٣. ط/٨: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٥٠.

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ٤١٧.

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٧٠.

(٣) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير، ناصر الدين، الشافعيُّ مذهبًا، الأشعريُّ عقيدة، ولد أوائل القرن السابع الهجري، وتوفي سنة ٦٨٥هـ. من مصنفاته:«الإيضاح» في أصول الدين، ومختصر الكشاف في التفسير، وهو المسمى بـ«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، و«طوالع الأنوار»، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول» وغيرها.

[راجع: طبقات المفسرين، للأدنه وي (ص: ٢٥٤)، وطبقات ابن السبكي (١٥٧/٨)].

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ٤١٧.

الأول: أنه تعالى لطيف أي متصف بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته[١]، فاللطيف بهذا يعتبر اسم فاعل مشتق من لطَف -بالفتح- إذا أحدث اللطف، ويكون صفة فعل.

والثاني: أنه تعالى لطيف أي عليم بخفيات الأمور ودقائقها وما لطف منها.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسيره لآية سورة يوسف: "اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور المدبر لها والمسهل لصعابها ولنفوذ مشيئته سبحانه فإذا أراد شيئا سهل أسبابه أطلق عليه جل شأنه اللطيف؛ لأن ما يلطف يسهل نفوذه"[٢].

وفي الختام أقول: إنه لا يمكن الفصل الحاد والتام بين معاني اسم (اللطيف) في حقه تعالى، فيُقال بصحة إطلاق معنى في موضع وخطئه في موضع آخر؛ لأن المعاني مجتمعة أو بعضها تكاد تَرِدُ على موضع واحد، فالأمر المؤكد أن هذه المعاني تُفهم من إطلاق هذا الاسم على الذات العلية.

***

---

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٧/ ١٩٢، ١٩٣. التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣١٩/١٧. مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٧/ ١٣٨. فتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٦١٠.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ١٣/ ٦٠. وينظر نحو هذا المعنى في: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢١/ ١٦٤، ٢٩/ ٣١. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٣/ ٣٠.

[٩٩] (المُؤْمِن)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُؤْمِن)، وقد ورد ذكره في القرآن في موضع واحد، وذلك في سورة الحشر، عند قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١].

اللغة:

مادة (أمن) تدل في اللغة على معان متعددة، منها: الأمن، وهو ضد الخوف، والأمان والأَمَنَة بمعنى الأمن، ومنها: الإيمان، وهو التصديق وضده التكذيب، والإيمان ضد الكفر، ومنها: الأمانة، وهي ضد الخيانة.

والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وآمن أولياءه من أن يعذبهم، أو أنه يَصْدُقُ عباده ما وعدهم به[٢].

التفسير:

(المؤمن) في حقه تعالى له معنيان:

أحدهما: المُصَدِّقُ نفسه؛ وذلك بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٣]، والمُصَدِّقُ رسله؛ إما بالقول، أو بإظهار المعجزة لهم، والمُصَدِّقُ كتبه، وقيل: مُصَدِّقُ المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومُصَدِّقُ الكافرين ما أوعدهم من العقاب.

والثاني: المُؤَمِّنُ عباده من الفزع والمخاوف، وأولياءه من عذابه، وخلقه من الجور عند الحساب؛ لانتفاء الظلم عنه سبحانه[٤].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) تُراجع مادة: (أمن) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ١٣٣، ١٣٥. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٤) يُراجع في هذا: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٥. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٦، ٤٧. وحاشية الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٨٩.

[١٠٠] (المُبِين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُبِين)، وقد ورد هذا الاسم في موضع واحد، وذلك في سورة النور في قول الحق سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾[١].

اللغة:

مادة الباء والياء والنون: أصل واحد في العربية يدل على بُعد الشيء وانكشافه. فالبين: الفراق، وبان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف. قال الزجاج: بان الشيء وأبان بمعنى واحد؛ فهذا الفعل يأتي على صيغة واحدة متعدِّيًا وغير متعدٍّ، فيقال: أبان الشيءُ في نفسه إذا ظهر يبين إبانة، وأبان فلانٌ الشيءَ بيَّنه إبانة فهو له مبين، إذا أظهره، وأبنته أنا أي أوضحته. واستبان الشيء: ظهر. واستبنته أنا: عرفته. وتبين الشيء: ظهر، وتبينته أنا، وهذه الثلاثة تتعدى ولا تتعدى. وقالوا: بان الشيء واستبان وتبين وأبان وبين بمعنى واحد؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾[٢]، بكسر الياء وتشديدها، بمعنى متبينات، ومن قرأ مبيَّنات بفتح الياء؛ فالمعنى أن الله بيَّنها. والتبيين: الإيضاح والوضوح. وفلان أبين من فلان؛ أي: أوضح كلامًا منه. والبيان: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها[٣].

التفسير:

ومعنى هذا الاسم في حقه جلَّ وتعالى متفرع على كونه مشتقًّا من الفعل اللازم أو المتعدِّي:

فإن كان من اللازم؛ فالمعنى: الموجود بحق، الظاهر حقِّيته أو ألوهيته.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٤، ٤٦.

(٣) تُراجع مادة: (بَيَّنَ) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٣٢٧، ٣٢٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٦٧، ٦٨. وأيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ص: ١٢٢، ١٢٣ بتصرف. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

وإن كان من المتعدِّي؛ فالمعنى: المُظهر الكائنات والأشياء والمُعطي لها الوجود. والوصف المُتَضَمَّن في الاسم يكون ذاتيًّا على المعنى الأول، وفعليًّا على المعنى الثاني(١).

ومما ذُكر في بيان هذا الاسم أيضًا: أنه -تعالى- هو المُبين لعباده سبل الرشاد، المُوضح لهم الأعمال المُوجبة لثوابه والفوز بجنته ومرضاته، والمُوجبة لعقابه وسبل النجاة منه، والمُبين لهم ما يأتونه وما يذرونه(٢).

***

(١) يُراجع ذلك في: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ١٦٩. وتفسير أبي السعود، ٦/ ١٦٧. وروح المعاني، للآلوسي، ١٨/ ١٣٠. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٤/ ١٠٣. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ص: ١٢٢، ١٢٣. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) يُراجع: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٨١. والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ١٩.

[١٠١] (المَتِين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المتين)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾(١).

اللغة:

مادة (مَتَنَ) تَدُلُّ في اللغة على صَلَابَةٍ في الشَّيْءِ مَعَ امْتِدَادٍ وَطُولٍ. مِنْهُ الْمَتْنُ: مَا صَلُبَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ وَانْقَادَ، وَالْجَمْعُ مِتَانٌ. ومَتُنَ الشَّيْءُ مَتَانَةً: صَلُبَ فَهُوَ مَتِينٌ. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ ، معناه ذو الاقتدار والشدة القراءة بالرفع، والمتين صفة لقوله ذو القوة وهو الله تبارك وتقدس، ومعنى ذو القوة المتين: ذو الاقتدار الشديد، والمتين في صفة الله القوي، قال ابن الأثير: هو القوي الشديد الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب والمتانة الشدة والقوة فهو من حيث أنه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث أنه شديد القوة متين والمتين من كل شيء(٢).

التفسير:

يقول الإمام أبو جعفر الطبري: "الصواب من القراءة في ذلك عندنا (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) رفعًا على أنه من صفة الله جلّ ثناؤه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأنه لو كان من نعت القوّة لكان التأنيث به أولى، وإن كان للتذكير وجه"(٣).

وإطلاق هذا الاسم (المتين) في جانب الحق سبحانه وتعالى يُفِيد -كما قال الزجاج- التناهي في القوة والقدرة(٤).

فهذا الاسم مبالغة في معنى القوى، أي: شديد القوة، وهذا ما عليه معظم المفسرين.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) تُراجع مادة (متن) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٢٩٤، ٢٩٥. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٩٠. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٣٩٩.

(٣) جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٢/ ٤٤٦.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥٥.

يقول العلامة الجمل: "المتين: شديد القوة لا يضعف عما يريد، فالقوي مأخوذ من القوة وهي كمال القدرة، والمتين من المتانة، وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة"(١).

ويقول العلامة الآلوسي: "ذو القوة أي القدرة، المتين: شديد القوة، وكونه عز و جل هو ذو القوة المتين ناظر إلى عدم طلب العمل المراد من قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾؛ لأن من يطلبه يكون عاجزًا لا قوة له، فكأنه قيل: ما أريد منهم من رزق لأني أنا الرزاق وما أريد منهم من عمل لأني قوي متين"(٢).

وقد يرد هنا إشكال مفاده: أن مادة (متن) تدل لغة على الصلابة والمتانة، فكيف يُفهم هذا في جانب الله سبحانه وتعالى؟

أقول: أورد هذا الإمام الفخر الرازي وأجاب عنه فقال: "أما المتين: فهو الشديد، واشتقاقه من المتانة وهى الصلابة لغةً، واعلم أنه لا يصح في حق الله تعالى معنى المتن والصلابة، فوجب حمله على لازم هذا المعنى وهو إما كمال حال التأثير في الغير، أو كمال الحال في أن لا يتأثر عن الغير"(٣).

ونقل الإمام القرطبي عن الإمام أبي بكر ابن العربي قوله: "قال علماؤنا: لولا ورود الشرع بتسمية المتين ما سميناه به؛ فإنه بمطلق اللغة يوجب الصلابة وذلك عنه منفي، ومنهم من قال: إن المراد به تأكيد الوصف بالقوة؛ ولذلك أتبع في قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، ومن الناس من قال سمى به اتساعًا ومجازًا"(٤).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن تسميته سبحانه بالمتين دليل على شدة قوته وكمال قدرته سبحانه وتعالى.

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين للشيخ سليمان الجمل، ٢/ ٦٩٩، ٧٠٢.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ٢٣، ويُراجع نحو هذا في: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٨/ ٢٠٢، ٢٠٣. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٧/ ٥٦. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ٢٩. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٧. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: د/ محمد عثمان الخشت، ص: ١١٤.

(٣) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى، والصفات للفخر الرازي، ص: ٢٢٠.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٦٣. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[١٠٢] (المُجِيب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُجِيب)، وقد ورد هذا الاسم بصيغ متنوعة؛ فجاء وصفًا مُنكَّرًا في سورة هود في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾[١]، وورد بصيغة الجمع في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾[٢]، ووردت مادته في عدة مواضع؛ منها ما جاء في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[٣]، وفي سورة النمل في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٤]، وفي سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[٥].

اللغة:

مادة الجيم والواو والباء: تدل في اللغة على معان، منها: مراجعة الكلام، يُقَالُ: كَلَّمَهُ فأجابَهُ جوابًا، وقد تجاوبا مُجاوبةً. والمُجابةُ: الجواب. وأجاب يجيب فهو مجيب، وأصله مجوب؛ لأنه من الجواب فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما انقلبت في مقيم ومعيد، وهو من قام يقوم وعاد يعود، وكذلك أجاب أصله أجوب، والمصدر الإجابة، وأجابه عن سؤاله إجابة وإجابًا وجوابًا وجابةً، واستجوبه واستجابه واستجاب له، والإجابة والاستجابة بمعنى.

والمجيب: اسم فاعل من أجاب يجيب، وهو في أسماء الله سبحانه وتعالى. معناه: الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول[٦].

---

(١) سورة هود، الآية: ٦١.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٥) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٦) تُراجع مادة (جوب) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٤٩١. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٢٨٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٦٣.

التفسير:

ومعنى هذا الاسم (المجيب) في حقه تعالى أنه هو الذي يقبل دعاء عباده فيجيب من دعاه، ويجيب المضطرين، ويعطي من سأله مطلوبهُ، وعلى هذا المعنى تدور أقوال غالبية المفسرين[١].

وقد فصَّل الإمام أبو حامد الغزالي القول في بيان معنى هذا الاسم بمزيد إيضاح فقال رحمه الله: "المجيب: هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل ينعم قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء، وليس ذلك إلا الله تعالى، فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم، وقد علمها في الأزل فدَبَّر أسباب كفاية الحاجات، بِخلق الأطعمة والأقوات وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات"[٢].

***

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٥/ ٣٦٩. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ١٥. وروح المعاني، للآلوسي،١٢/ ٨٩. وحاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٦٩٨. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٢/ ١٠٩. ونحو هذا أيضًا في: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٢.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٦.

[١٠٣] (المَجِيد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المجيد)، وقد ورد ذكره في موضعين؛ الأول: في سورة هود: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[1]. والثاني: في سورة البروج: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[2].

اللغة:

مادة: (مجد) تدل في اللغة على بلوغ النهاية، ولا يكون ذلك إلا في شيء محمود، والمجد: بلوغ النهاية في الكرم والشرف، وتدل هذه المادة أيضًا على الكثرة والسعة، وتدل كذلك على المروءة والسخاء، فالماجد في اللغة: الكثير الشرف والله تعالى ذكره أمجد الأمجدين وأكرم الأكرمين، والمجيد على وزن فعيل للمبالغة، والمجيد أيضًا بمعنى أنه يجري السعة في بذل الفضل المختص به، فوصفه بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده[3].

التفسير:

يطلق اسم (المجيد) على الله تعالى ويراد به معنيان:

أحدهما: المجيد: ذو الشرف والكرم؛ مبالغة في الماجد، والمجد الشرف التام الكامل، ولذلك وصف الله به القرآن العظيم فقال: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[4].

والثاني: المجيد: كثير العطاء والإحسان، مأخوذ من السعة، فيقال: رجل ماجد إذا كان سخيًّا كثير الخير، ومجيد فعيل للمبالغة[5].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٢) سورة البروج، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) تُراجع مادة (مجد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٢٩٧. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٣٩٥. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٦٣. ونحوه في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في مجد)، ٤/ ٤٨٥. وتفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط: دار الثقافة العربية، ص: ٥٣.

(٤) سورة ق، الآية: ١.

(٥) يُنظر: حاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٦٩٩. وروح المعاني، للآلوسي، ١٢/ ١٠٢. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢١٢. واقتصر الإمام الطاهر بن عاشور على المعنى الأول (يُراجع: التحرير والتنوير، ١٢/١٢٢)، وذلك عند تفسير آية سورة هود.

[١٠٤] (المُحِيط)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُحِيط)، وقد ورد ذكره في القرآن في عدة مواضع، منها: في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(١)]، وفي سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[(٢)]، وفي سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾[(٣)]، وفي سورة فصلت في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[(٤)]، وفي سورة البروج، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾[(٥)]. إلى غير هذه المواضع.

اللغة:

مادة الحاء والواو والطاء: تدل في اللغة على الشيء يُطِيفُ بالشيء، فالحوط من حاطه يَحُوطه حوطًا: إذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه، وكل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه، فقد أحاط به[(٦)].

التفسير:

الإحاطة في القرآن الكريم ترد على معان عدة، وسأقتصر هنا على ما هو مناسب للمقام، وهو ما يَصح إطلاقه في جانب الحق سبحانه وتعالى:

فتأتي بمعنى العلم: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾[(٧)] أي: علم.

وتأتي بمعنى الجمع: كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٨)] أي: جامع لهم في العقوبة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٥٤.

(٥) سورة البروج، الآية: ٢٠.

(٦) تُراجع مادة (حوط) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٢/ ١٢٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٧/ ٢٧٩، ٢٨٠ بتصرف.

(٧) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٩.

وتأتي بمعنى الحفظ، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[١] أي: حافظ له من جميع جهاته[٢].

فمعنى هذا الاسم في حقه تعالى -كما في كتب التفسير- أنه: المحصي الذي لا يخفى عليه شيء، والجامع الذي لا يفوته أحد، والإحاطة في حقه تعالى إحاطة علم وقدرة[٣].

* * *

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٢) يُراجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ٢/ ١٢٦ بتصرف.

(٣) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ١/ ٣٥٦، ٩/ ١٩٢، ١٩٣. وروح المعاني، للآلوسي، ١/ ١٧٤، ٤/ ٤١، ٣٠/ ٩٣. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٢/ ١٠٠.

[١٠٥] (المُحْيِي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُحْيِي)، وقد ورد ذكره نصًّا في موضعين في القرآن الكريم؛ في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[١]، وفي سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٢].

ووردت مادته في أكثر من موضع، منها: في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٣]، وفي سورة الشعراء: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[٤]. وفي سورة ق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾[٥].

اللغة:

مادة: الحاء والياء والحرف المعتل: تدل في اللغة على خلاف الموت، فالحياة ضد الموت، والحي ضد الميت، والمَحْيَا مَفْعَل من الحياة تقول محياي ومماتي، وهذا الاسم اسم فاعل من أحيا يحيى فهو محي، والمصدر: الإحياء، والمحي: من قام بفعل الإحياء ذاته، وليس هذا الأمر في الحقيقة إلا لله تعالى[٦].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٨١.

(٥) سورة ق، الآية: ٤٣.

(٦) يُراجع في هذا: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (حي)، ٢/ ١٢٢. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (حيا)، ١٤/ ٢١١. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (حيا)، ص: ٨٦. وأيضًا: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٣٨.

التفسير:

اسم (المُحْيي) معناه في حقه تعالى أنه يهب الأشياء الحياة، سواء كانت عدمًا، أو بعد موتها؛ فيهب الجنين الحياة وهو في بطن أمه، ويحي الأموات ويعيد الحياة إليهم لحسابهم، ويحي النبات بإنزال الماء على الأرض الجافة اليابسة، وفي هذا الإحياء الأخير دلالة لأولي الألباب على قدرته تعالى على إحياء الموتى وبعثهم(١).

❊❊❊

---

(١) يُراجع: تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]، في: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢/ ١٣٩، ١٤٠. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ٣٧٥.

وتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء:٨١]، في: تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٣/ ١١١.

وتفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠]، في: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٣/ ٥٨٢.

[١٠٦] (المُسْتَعَان)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُسْتَعَان)، وقد ورد ذكره في موضعين هما: في سورة يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١). وفي سورة الأنبياء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٢).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام القرطبي في «الأسنى»، والحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير»، والدكتور/ محمد الحمود النجدي(٣).

اللغة:

مستعان على وزن مستفعل من العون، وهو: الظهير على الأمر، والجمع: الأعوان. والمعونة: الإعانة، يقال: رجل معوان: كثير المعونة للناس. واستعنت بفلان فأعانني وعاونني. وتعاون القوم: أعان بعضهم بعضًا. واعتونوا أيضًا، والله تعالى غني عن الظهير والمعين والشريك والوزير، بل كل إعانة وعون فمنه وبه سبحانه لا إله إلا هو(٤).

التفسير:

جاء في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبي: "من أسمائه -تعالى- المُسْتَعَان، جل جلاله وتقدست أسمائه، وقد نطق به التنزيل العزيز فقال: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، وقال ابن العربي: وهذا الاسم لم يرد في حديث أبي هريرة ولا ذكره علماؤنا، وهو من

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبي، ١/ ٥٤٤. ط/ دار الصحابة بطنطا. والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ٤/ ٣٢١. والنهج الأسمى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٣٣١.

(٤) تُراجع مادة (عون) في: لسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٢٩٨: ٣٠٠. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٢٢. وتاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، ٣٥/ ٤٢٩، ٤٣٠. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٣٥٤، وأيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٤٥. ط: دار الصحابة بطنطا.

أشرف الأسماء لشرف متعلقه، وقد تضمنت الفاتحة معناه فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[١]".

ثم علق القرطبي على قول ابن العربي: "ولا ذكره علماؤنا" بقوله: "قد ذكره غير واحد، ومنهم الأُقليشي "[٢].

وهذا الاسم (المُسْتَعَان) معناه في حقه تعالى: الذي يطلب منه العون في كل وقت، ويُلجأ إليه في كل شيء[٣].

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[٤]، والاستعانة: طلب المعونة، والمعنى: نطلب منك المعونة على أداء عبادتك، وعلى جميع أمورنا[٥].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٤٤. ط: دار الصحابة بطنطا.

أما «الأُقليشي» فقد وقفت على اثنين بهذا الاسم:-

الأول: أحمد بن قاسم بن عيسى اللخمي الأُقْلِيشي الأندلسي، أبو العباس: عالم بالقراءات. نسبته إلى أُقليش بالأندلس، سكن قرطبة، ورحل إلى الشرق، واستقر بطليطلة وتوفي بها سنة ٤١٠هـ. له كتاب في معاني القراءات لعله المسمى «تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني» وهو تفسير للفاتحة.

[يُراجع: الأعلام، للزركلي (١/١٩٧)].

والثاني: أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التُّجِيْبِيُّ، أبو العباس ابن الأُقْلِيشي: عالم بالحديث. أصله من أُقليش بالأندلس. ولد ونشأ في دانية ورحل إلى المشرق، فجاور بمكة سنين، وعاد يريد المغرب، فتوفي بقوص (من صعيد مصر) سنة ٥٥٠هـ. من كتبه: «النجم من كلام سيد العرب والعجم»، و«الحقائق الواضحات» في مجلد لطيف بالخط المغربي، في خزانة الرباط، قال في مقدمته: "أسميته الحقائق الواضحات في شرح الباقيات الصالحات التي ذكرها الله تعالى مجملة ومفصلة، ووصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.. ".

[يُراجع: الأعلام، للزركلي (١/٢٥٩)].

(٣) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٢/ ٢٠٢. ١٧/ ١٠٨. وتفسير أبي السعود، ٤/ ٢٦٠. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٤٥. ط: دار الصحابة بطنطا. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٥/ ٥٨٤.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٥) يُراجع: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٧٥. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ٢٩.

ويبين الإمام الفخر الرازي عند تفسيره آية سورة يوسف أن سيدنا يعقوب عليه السلام ما كان ليقدر على الصبر فيما أصابه لولا إعانة الله تعالى له، فيقول تعالى على لسانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، يقول: "والمعنى: أن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالى؛ لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع وهي قوية، والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا، فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فما لم تحصل إعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة، فقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يجري مجرى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يجري مجرى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"(١).

وتعريف «المُسْتَعَان» في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ لإفادة القصر، أي: لا أستعين بغيره على ما تصفون؛ إذ لا ينصرنا غير ربنا وهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢).

***

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ٨٤.
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٧/ ١٧٦.

[١٠٧] (المُصَوِّر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُصَوِّر)، وقد ورد ذكره صريحًا -بهذه الصيغة- في موضع واحد، وذلك عند قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١).

ووردت مادته في أربعة مواضع أخرى؛ في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٢). وفي سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾(٣). وفي سورة غافر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾(٤). وفي سورة التغابن: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾(٥).

اللغة:

مادة: (صور) ليست بباب قياس ولا اشتقاق -كما يقول أهل اللغة-؛ لذلك فإنها تدل على كلمات كثيرة متباينة الأصول. ومما ينقاس منه قولهم: صوِرَ يَصْوَر، إذا مال. وصُرْت الشَّيءَ أُصُورُهُ، وأَصَرْتُه، إذا أَمَلته إليك. وصارَه: أماله، من باب قال وباع. هذا هو المنقاس، وسِوى ذلك فكلُّ كلمةٍ منفردةٌ بنفسها. من ذلك الصُّورة: صُورة كلِّ مخلوق، والجمع: الصُّور، والصِّور -بكسر الصاد- في لغة، وهي هيئةُ خِلْقته. وصَوَّره تصْويرًا فتَصَوَّر، وتَصَوَّرْتُ الشيء: توهمت صورته فتَصَّور لي. والتصاوير: التماثيل، والله تعالى المُصَوِّر، وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورةً خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها(٦).

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٤.

(٥) سورة التغابن، الآية: ٣.

(٦) تُراجع مادة (صور) في: معجم مقاييس، اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٣١٩، ٣٢٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٧٣. ومختار الصحاح، لان أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٨٠.

التفسير:

(المُصَوِّر) في حقه تعالى بمعنى: الموجد لصور الأشياء وكيفياتها على ما أراد(١).

وهذا التفسير يفيد معنى يفارق به اسم المصور اسمي الخالق والبارئ في معنيهما؛ وبيان ذلك أن: التصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل، وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها، وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير، وليس كذلك، وإنما التصوير آخرًا والتقدير أولا والبراية بينهما، فذَكَرَ هذه الصفات متتابعة بهذا الترتيب؛ لأنه يحصل من مجموعها تصور الإبداع الإلهي للإنسان؛ فابتدأ بالخلق الذي هو الإيجاد الأصلي، ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان، ثم بالتصوير الذي هو إعطاء الصورة الحسنة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾(٢).

بناء على ما سبق يتبين لنا السر في تقديم ذكر البارئ على المصور، وتقديم الخالق عليهما في الآية؛ فقدم ذكر الخالق على البارئ؛ لأن ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة. وقدم البارئ على المصور؛ لأن إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات(٣).

***

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٤. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٨. والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١٢٥/٢٨.

(٢) يُراجع: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٨/ ٤٨. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٥. والآيتان: (٧، ٨) من سورة الانفطار.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٦.

[١٠٨] (المُقيت)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُقِيت)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾(١).

اللغة:

مادة (قَوَتَ) تدلُّ في العربية على إمساكٍ وحفظٍ وقدرةٍ على الشَّيْءِ. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾، أي: حافظًا له شاهدًا عليه، وقادرًا على ما أراد.

والمُقِيتُ من أسماء الله تعالى، ومعناه -على ما قيل-: الحفيظ، وقيل: المقتدر، وقيل: هو الذي يعطي أقوات الخلائق، وهو من أَقاتَه يُقِيتُه إذا أَعطاه قُوتَه، وأَقاته أَيضاً إِذا حَفِظَه، قال الفراء: المُقِيتُ: المقتدر والمقدر كالذي يعطي كل شيء قوته، وقال الزجاج: المُقِيتُ: القدير، وقيل: الحفيظ، قال: وهو بالحفيظ أَشبه؛ لأنه مُشْتَقٌّ من القُوتِ، يقال: قُتُّ الرجلَ أَقُوتُه قَوْتاً إِذا حَفِظْتَ نَفْسَه بما يَقُوته، والقُوتُ: اسم الشيء الذي يحفظ نفسه ولا فضل فيه على قدر الحفظ، فمعنى المقيت: الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ.

ومن الباب: القوت ما يُمْسِكُ الرَّمَقَ؛ وإِنَّما سُمِّيَ قُوتًا لأنه مِسَاكُ البدن وقُوَّتُهُ، والاسْمُ القُوتُ. ويُقَالُ: اقْتَتْ لِنَارِكَ قِيتَةً، أَي أَطْعِمْهَا الْحَطَبَ(٢).

التفسير:

وإذا نظرنا إلى بيان معنى اسمه تعالى (المُقِيت)، فسنجد أن المعاني التي ذكرها المفسرون في كتبهم لهذا الاسم لا تخرج عما ذكرناه في الجانب اللغوي من القدرة والحفظ وتوزيع الأقوات والأرزاق على الخلائق.

فقالوا: إن هذا الاسم يطلق في جانب الحق تبارك وتعالى ويراد منه معان..

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٢) تُراجع مادة: (قوت) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٣٨. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٧٤. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٦٢.

منها: المقتدر، والقادر على الشيء.

ومنها: الحافظ والحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة(١).

نقل الإمام الفخر الرازي في تفسيره قول بعض العلماء أن: "أي المعنيين كان، فالتأويل صحيح؛ فعلى الوجه الأول: أنه تعالى قادر على إيصال النصيب والكفل من الجزاء إلى الشافع مثل ما يوصله إلى المشفوع فيه، وعلى الوجه الثاني: أنه تعالى حافظ الأشياء شاهد عليها لا يخفى عليه شيء من أحوالنا"(٢).

ومن معاني هذا الاسم أيضًا أنه بمعنى: المتكفل بإيصال أقوات الخلق إليهم؛ فهو تعالى خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهى الأطعمة، وإلى القلوب وهى المعرفة، فيكون بمعنى الرازق إلا أنه أخص منه؛ إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت، والقوت ما يكتفى به في قوام البدن(٣).

ومن معاني هذا الاسم أيضًا أنه بمعنى: الشاهد(٤).

والمعاني السابقة محتملة ولا مرجِّح لمعنى على الآخر، واللغة والشرع لا يمنعان شيئًا منها؛ فالاختلاف هنا من اختلاف التنوع لا التضاد.

وبناء على تعدد معاني هذا الاسم: اخْتُلِفَ هل يكون من صفات الذات أم من صفات الأفعال؟

قال الإمام القرطبي: "مَنْ قال بأن المقيت معناه القادر يكون من صفات الذات، وإن قلنا: إنه اسم للذي يعطي القوت، فهو اسم للوهاب والرزاق ويكون من صفات الأفعال"(٥).

***

(١) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٥/ ٩٨. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٠/ ١٦٦. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٥/ ٢٩٦.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٠/ ١٦٦ بتصرف.

(٣) يُراجع: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٠٠، ٢٠١. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٢.

(٤) يُراجع: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٥/ ٢٩٦. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٠٠، ٢٠١

(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٧٥. ط: دار الصحابة بطنطا.

[١٠٩، ١١٠، ١١١]
(الملك، المالك، المليك)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: الملك والمالك والمليك..

وورد اسم (الملك) في أربعة مواضع مطلقًا وهي، قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[(٢)]، وقوله أيضًا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٣)]، وقوله كذلك: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[(٤)].

وورد مرتين مقيدًا: الأولى في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾[(٥)] على قراءة من لم يُثبت الألف، والثانية في قوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾[(٦)].

أما اسم (المالك) فورد مرتين مقيدًا: الأولى في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[(٧)] على قراءة من أثبت الألف، وفي قوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٨)].

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٥. "قرأ عاصم والكسائي مالك يوم الدين بألف، وقرأ الباقون بغير ألف" [يُنظر: حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، ص: ٧٧. ط/٢: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م].

(٦) سورة الناس، الآية: ٢.

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

وأما اسم (المليك) فورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾(١).

اللغة:

المُلْكُ، والمَلِكُ، والمَلِيكُ، والمالِكُ: ذو المُلْكِ، وجمع المَلْك: ملوك، وجمع المِلك: أملاك، وجمع المليك: مُلَكاء، وجمع المالك: مُلَّك، ومُلَّاك(٢).

ثم إن مادة (ملك) تدل في العربية على: قوة في الشيء وصحة.

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الميم واللام والكاف: أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، والأصل هذا"(٣).

وهناك معنى آخر، وهو: أن المَلْك والمِلْك يدل احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به(٤).

ونبَّه الفيروزابادي على أن التقاليب الستة لهذه المادة كلها مستعملة، فقال: "اعلم أن تقاليب هذه المادة كلها مستعملة.. وهي: (م ك ل)، و (م ل ك)، و (ك م ل)، و (ك ل م)، و (ل ك م)، و (ل م ك). وقال الإمام فخر الدين: تقاليبها الستة تفيد القوة والشدة، خمسة منها معتبرة، وواحد ضائع، فعدَّ: كلم، وكمل، ولكم، ومكل، وملك. وعدَّ: لمك ضائعًا، وهذا منه غريب؛ لأن المادة الضائعة عنده معتبرة معروفة عند أهل اللغة، قال صاحب العباب: اللّمْك واللِّمَاك: الجِلاء يُكحل به العين، واللَّميك: المكحول العينين، واليَلْمَك: الشاب الشديد، ويقال: ما تَلَمَّكَ بلَمَاك، أي ما ذاق، والتلمّك: التلمّظ، ولَمَكَت العجين لمكًا: عجنته، قلبُ ملكته مَلْكاً، فإذًا تراكيبه الستة مستعملة معطية معنى القوة والشدة"(٥).

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة: (ملك)، ٧/ ٥٥. ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (ملك)، ٥/ ٣٥١، ٣٥٢ بتصرف.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة: (ملك)، ٧/ ٥٤.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في ملك)، ٤/ ٥٢٠، ٥٢١. وكلام الفخر الرازي في مقدمة تفسيره «مفاتيح الغيب»، في: (المباحث المتعلقة بالكلمة، وما يجري مجراها)، ١/ ٢٤.

قلت: وهذا الذي ذكره الفيروزابادي من استعمال تقاليب الكلمة كلها هو ما يسمى بـ«الاشتقاق الأكبر»، وهو بخلاف «الاشتقاق الصغير»؛ فالاشتقاق الأكبر هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.

أما الصغير فهو ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقَّراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ؛ أُطلق عليه تفاؤلا بالسلامة(١).

ويرى الراغب الأصفهاني أن المَلِك هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور خاصة، أي: جمهور الناطقين، ولهذا يُقال: ملك الناس، ولا يُقال: ملك الأشياء، وقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾(٢) -على قراءة من لم يُثبت الألف-، فتقديره: الملك في يوم الدين، وذلك لقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (٣)، والمُلْكُ: الحق الدائم لله، فلذلك قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾(٤)، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾(٥)، فالمُلْك ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم، والمِلْكُ كالجنس للمُلْكِ، فكلّ مُلْك مِلْك، وليس كلّ مِلْك مُلْكًا"(٦).

التفسير:

الناظر في كتب المفسرين يجد أنهم قد ذكروا أقوالا في بيان معنى (الملك) أستطيع من خلالها أن أقول: إن الملك في جانب الحق تبارك وتعالى يتضمن أمرين:

---

(١) يُنظر: الخصائص، لابن جني، ٢/ ١٣٥، ١٣٦ بتصرف. ط/٤: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤٧٢ بتصرف. ط: دار الخلود للتراث – القاهرة.

أحدهما: أنه عز وجل هو المالك الحقيقي لجميع الأشياء، والآخر: أنه تعالى هو المتصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه بلا ممانعة ولا مدافعة(١).

وهناك معان أخرى لمعنى اسمه تعالى (الملك) إضافة إلى ما سبق، ذكرها المفسرون في ثنايا كلامهم حول بيان معنى هذا الاسم الشريف؛ منها: أنه الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويستحيل عليه الإذلال، أو أنه الذي يولي ويعزل ولا يتصور عليه تولية ولا عزل، أو أنه المنفرد بالعز والسلطان، أو أنه ذو الملك والملك خلقه، أو أنه القادر(٢)، أو أنه المالك للأشياء الذي لا يبيد ولا يزول ملكه وقدرته(٣)، أو أنه الحاكِم في الناس(٤).

والمعاني محتملة، ولا مُرجِّح، وهي من اختلاف التنوع لا التضاد، وإن كان ما ذُكِر أولا أنسب لما عليه معنى مادة الاسم في اللغة.

أما (المالك) في حقه تعالى معناه المتصرف في الأعيان المملوكة كيفما يشاء، فهو بذلك يدل على المعنى الأول من معاني اسم (الملك).

وأما (المليك) فهو بمعنى الملك مع مبالغة فيه؛ يقول العلامة الآلوسي: "مليك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة"(٥).

وبعد بيان معاني هذه الأسماء، يرد سؤال مفاده، **أيهما أبلغ الملك أو المالك؟**

يجيب الإمام الشوكاني(٦) عن ذلك فيقول: "اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك؟ فقيل: إن ملك أعم وأبلغ من مالك؛ إذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكًا، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك، ورجحه الزمخشري.

---

(١) يُراجع: روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٢. ١٦/ ٢٦٨. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٨/ ١٣٥. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٧٩. ط/٢: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٢.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ١١١.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٨/ ١٢٠.

(٥) روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ٩٦.

(٦) هو: محمد بن علي بن محمد، الشوكاني، اليمني، أبو عبد الله، المولود سنة ١١٧٣هـ، والمتوفى سنة ١٢٥٠هـ. من =

وقيل: مالك أبلغ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفًا وأعظم.

وهناك من فرق فقال: إن مالكًا أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك؛ لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تعالى مالكًا كان ملكًا واختار هذا القاضي أبو بكر بن العربي.

والحق: أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر؛ فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها. والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله"(١).

وينبغي أن يُعلم أنه ليس هناك ملك على الحقيقة إلا الله؛ لأن المَلِك يعني القدرة التامة على التصرف، وهذا لا يكون إلا لله تعالى.

من أجل ذلك نجد أن النبي ﷺ قد أخبر أن الحق سبحانه وتعالى يشتد غضبه وغيظه على من زعم أنه يُدْعى بملك الأملاك؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «غْيَظُ رَجُلٍ على اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عليه رَجُلٍ كان يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَلِكَ إلا الله»(٢).

والمعنى: أن أشد الناس ذلا وصغارا يوم القيامة من تسمى بذلك -يعني: ملم الأملاك-، ودعي به وإن لم يعتقده؛ فإنه لا ملك في الحقيقة إلا الله، وغيره وإن سمى ملكًا أو مالكًا فإنما هو بطريق

=

مصنفاته: «نيل الأوطار» شرح «منتقى الأخبار» للمجد بن تيمية، و«فتح القدير» في التفسير، و«إرشاد الفحول» في الأصول.

[راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (٢/ ٢١٤)، وهدية العارفين، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي، (٢/ ٣٦٥)].

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ١/ ٢٦. ويُنظر للاستزادة أيضًا حول هذه المسألة مفصلة بالحجج والبراهين كتاب: «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات»، للفخر الرازي، في المسألة الرابعة، ص: ١٣٣: ١٣٥. ط/١: المطبعة الشرقية بمصر، ١٣٢٣هـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، حديث رقم: (٢١٤٣)، ٣/ ١٦٨٨.

التجوز؛ وإنما يكون ذلك لمنازعته لله في ربوبيته وألوهيته، فهو حقيق بأن يمقته عليه فيهينه غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه لجرأته وعدم حيائه في تشبهه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو ملك الملوك وحده، حاكم الحكام وحده"(١).

❊❊❊

(١) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٤/ ١٢١. وفيض القدير شرح الجامع الصغير، للمُنَاوِي، ١/ ٥١٤. ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ١٣٥٦هـ.

[١١٢، ١١٣]
(المُنْزِل، خير المُنْزِلين)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُنْزِل، وخير المُنْزِلين)، وقد ورد ذكر اسم (المُنْزِل) في موضع واحد في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩﴾[١]. أما (خير المُنْزِلين) فورد أيضًا في موضع واحد في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٢٩﴾[٢].

وقد ذكر هذين الاسمين الإمام القرطبي[٣].

ويتأيَّد هذا بما جاء في السنة النبوية المطهرة من دعاء النبي ﷺ؛ حيث دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[٤].

اللغة:

مادة النون والزاي واللام: تدل في اللغة على هبوط شيء ووقوعه، فالتنزيل: ترتيب الشيء وَوَضْعُهُ مَنْزِلَهُ، والمُنْزَلُ بضم الميم وفتح الزاي: الإنزال، تقول أنزلني منزلاً مباركًا، والمَنْزِلُ بفتح الميم والزاي: النزول وهو الحلول، تقول: نزل ينزل نزولا ومنزلا، وأنزله غيره واستنزله بمعنى، ونزله تنزيلا، فالمنزل على وزن مفعل تدل على من قام بفعل الإنزال ذاته وهذا الأمر لا يكون إلا لله تعالى[٥].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٩.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٥٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، حديث رقم: (٢٧٧٥)، ٣/ ١٠٧٢. ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، حديث رقم: (١٧٤٢)، ٣/ ١٣٦٢.

(٥) تُراجع مادة (نزل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤١٧. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٦٥٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٠٨.

التفسير:

معنى هذين الاسمين في حقه تعالى أنه سبحانه يُنْزل الخير للناس، وما فيه منفعة لهم، ويعطيهم من غير سؤال ما يسألون، وليس غيره تعالى يقدر على فعل هذا. كما أنه تعالى ينْزل الناس المنازل، وهو خير المنزلين؛ فمعنى الإنزال مختلف في الموضعين.

جاء في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: "أَنْزَل الله نِعَمه على الخلْق: أَعطاهم إِيّاها، وذلك بإِنزال الشيءَ نفسه كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[(١)]، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[(٢)]، وقوله: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾[(٤)]، وإِمّا بإِنزال أَسبابه والهداية إِليه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾[(٦)]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(٧)].

أما قوله تعالى: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾: تذكير من الله تعالى بنعمه عليهم بإنزال المطر الذي لا يقدر عليه إلا الله[(٨)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ فمعناه: أن الإنزال في الأمكنة قد يقع من غير الله كما يقع من الله تعالى، لكنه سبحانه خير من يطلق عليه ذلك؛ فهو سبحانه خير من أنزل لأنه يحفظ من أنزله في سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بحسب ما يقتضيه الحُكْمُ والحِكْمَة[(٩)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، ٥/ ٣٩، ٤٠. والآية رقم: ١ من سورة الكهف.

(٨) يُراجع: تفسير الخازن،تحقيق: محمد علي شاهين، ٤/ ٢٤٠. وفتح القدير، للشوكاني، ٥/ ١٩٠.

(٩) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ٨٤. وروح المعاني، للآلوسي، ١٨/ ٢٨. وجامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٩/ ٢٧.

وقد يراد بإنزال المنازل مطلق المنازل الحسِّيَّة والمعنوية، أما الحسِّيَّة فكما مرَّ، وأما المعنوية فقد أشار إلى هذا الإمام القرطبي فقال: "فالله سبحانه يؤتي المنازل من يشاء وينزل عنها من يشاء، فيرفع من يشاء بفضله، ويخفض من يشاء بعدله"[١].

***

(١)الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٥٣. ط: دار الصحابة بطنطا.

[١١٤] (المُهيمن)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (المُهيمن)، وقد ورد ذكره في القرآن في موضع واحد، وذلك في سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١].

اللغة:

مادة الهاء والميم والنون ليست بشيء في العربية -كما قال ابن فارس-، أما (المهيمن) فهو من باب (أمن)، وقالوا بأن أصله (أأمن) فهو (مؤأمن) بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماعهما فصار (مؤيمن) ثم صيرت الأولى هاء كما قالوا هراق وأراق، وقال بعضهم: (مهيمن) معنى (مؤيمن) والهاء بدل من الهمزة، كما قالوا هرقت وأرقت وكما قالوا إياك وهياك، قال الأزهري: وهذا على قياس العربية صحيح مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى الأمين، وقيل: بمعنى مؤتمن.

والمهيمن: الرقيب والحافظ، يُقال: هيمن فلان: قال آمين، وعلى كذا: سيطر عليه وراقبه وحفظه، والطائر على فراخه: رَفْرَف.

والمهيمن: الشاهد؛ ففي التنزيل: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٢]، قال بعضهم: معناه الشاهد يعني وشاهدًا عليه، و(الْمُهَيْمِن) من أَسمَاء الله تَعَالَى بِمَعْنى الشاهد، والرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له[٣].

التفسير:

جمع الإمام ابن الجوزي في تفسيره ما جاء من أقوال في معنى (المُهيمن) فقال: "أما «المُهيمن» ففيه أربعة أقوال:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) تُراجع مادة (همن) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ٦٣. لسان العرب لابن منظور، ١٣/ ٤٣٦، ٤٣٧. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٣٦/ ٢٨٥. ط: دار الهداية. وأيضًا مادة (هيمن) في: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص: ١٠٠٥.

أوَّلها: أنه الشهيد، قال الخطّابي: ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل.

والثاني: الأمين، قال الخطّابي: أصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، لأنّ الهاء أَخَفُّ عليهم من الهمزة.

والثالث: المصدِّق فيما أخبر، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له"(١).

وزاد الإمام الفخر الرازي معني آخر، نقله في تفسيره عن بعضهم أن مهيمن أصله مؤيمن من آمن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن(٢).

واختار الزمخشري أن المهيمن بمعنى الرقيب على كل شيء، الحافظ له، مفيعل من الأمن، إلا أن همزته قلبت هاء(٣).

وكذلك العلامة الآلوسي؛ حيث قال: "المهيمن: الرقيب الحافظ لكل شيء، مفعيل من الأمن بقلب همزته هاءً وإليه ذهب غير واحد، وإذا قلت: أمن الراعي الذئب على الغنم مثلاً دل على كمال حفظه ورقبته، فالله تعالى أمن كل شيء سواه سبحانه على خلقه وملكه لإحاطة علمه وكمال قدرته عز و جل، ثم استعمل مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشيء من غير ذكر المفعول بلا واسطة للمبالغة في كمال الحفظ كما قال تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾(٤).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن المعاني التي تدور حول اسمه تعالى المهيمن هي: الشاهد، أو الأمين، أو المؤمن، أو المصدِّق، أو الرقيب القائم على الأشياء بالرعاية والحفظ.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤/ ٢٦٤، ٢٦٥.
(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٢٥٥.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، ٤/ ٥٠٩.
(٤) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٦٣. والآية رقم: ٤٨ من سورة المائدة.

وهذه معان محتملة، ولا تضاد بينها، إلا أني أميل إلى اختاره الزمخشري، ورجَّحه الآلوسي ونسبه إلى غير واحد.

وعليه: فالمهيمن في حقه تعالى: الرقيب الحافظ لكل شيء المبالغ في المراقبة والحفظ والرعاية والقيام به، ولابد من اجتماع العلم المحيط مع القدرة التامة لتحقق ذلك، وهذا لا يكون إلا لله وحده.

***

[١١٥، ١١٦] (الناصر، النصير)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الناصر، والنصير)، وقد ورد ذكر اسمه تعالى الناصر في موضع واحد بصيغة الجمع، وذلك في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾(١).

وورد اسم النصير في أربعة مواضع، وهي: في سورة النساء: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾(٢). وفي سورة الأنفال: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾(٣). وفي سورة الحج: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(٤). وفي سورة الفرقان: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾(٥).

اللغة:

الناصر اسم فاعل من الفعل نصر، ومادة النون والصاد والراء في اللغة أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصرًا فهو ناصر، والاسم منه النصرة، وأما النصير: فهى فعيل بمعنى فاعل، أي: نصير بمعنى ناصر، وفعيل من صيغ المبالغة التي تدل على كثرة النصر. ونصر المظلومَ نصرًا ونُصورًا: أعانه، ونصرهُ منه: نَجَّاهُ وخَلَّصَهُ، واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليهم ،وتناصر القوم نصر بعضهم بعضًا، وانتصر منه انتقم(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٦) تُراجع مادة (نصر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤٣٥. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٢١٠. القاموس المحيط للفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ص: ٤٨٢، ٤٨٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣١١.

التفسير:

معنى هذين الاسمين في حقه تعالى: أنه المعين والميسر للغلبة؛ لأنه القوي، فلا ناصر في الحقيقة سواه تعالى. وفي النصير مبالغة في النصرة عن الناصر(١).

وقد ذكر الإمام الفخر الرازي كلامًا بديعًا في بيانه معنى: (خير الناصرين) عند تفسير آية آل عمران حيث قال: "قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ معناه: أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم، وهذا جهل لأنهم عاجزون متحيرون، والعاقل يطلب النصرة من الله تعالى؛ لأنه هو الذي ينصركم على العدو ويدفع عنكم كيده، ثم بين أنه خير الناصرين، ولو لم يكن المراد بقوله: ﴿مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ النصرة لم يصح أن يتبعه بهذا القول، وإنما كان تعالى خير الناصرين لوجوه؛ الأول: أنه تعالى هو القادر على نصرتك في كل ما تريد، والعالم الذي لا يخفى عليه دعاؤك وتضرعك، والكريم الذي لا يبخل في جوده، ونصرة العبيد بعضهم لبعض بخلاف ذلك في كل هذه الوجوه، والثاني: أنه ينصرك في الدنيا والآخرة وغيره ليس كذلك، والثالث: أنه ينصرك قبل سؤالك ومعرفتك بالحاجة"(٢).

والنصير: الناصر مع مبالغة في معناه، ومن النقول التي توضح هذا من كتب التفسير ما قاله الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسيره آية سورة الحج معلّقًا على قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ : "وَفُرِّعَ عليه -يعني قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قبله- إنشاء الثناء على الله بأنه أحسن مولى وأحسن نصير، أي نعم المدبر لشؤونكم، ونعم الناصر لكم، ونصير: صيغة مبالغة في النصر، أي: نعم المولى لكم ونعم النصير لكم، وأما الكافرون فلا يتولاهم تولي العناية ولا ينصرهم"(٣).

***

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٤/ ٨٧. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، ٥/ ٦٩. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، ١/ ٢٠٥.

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٢٦.

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٧/ ٣٥٣.

[١١٧] (النور)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (النور)، وقد ورد ذكره في موضع واحد في سورة النور في قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾[١].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: الفخر الرازي، وأبو حامد الغزالي، والخطابي[٢].

اللغة:

مادة النون والواو والراء: تدل في اللغة على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، ومنه النور والنار، سُمِّيَا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة، والنور: الضياء، والنور: ضد الظلمة، وقيل: النور الضوء أيًّا كان، وقيل: هو شعاعه وسطوعه، والجمع أنوار، وأَنَار الشَّيْءَ وَاسْتَنَارَ بِمَعْنَى، أي: أضاء. والتنوير: الإنارة، وهو أيضًا الإسْفَار. وفي أسماء الله تعالى: النور. قال ابن الأثير: هو الذي يُبْصِرُ بِنُورِهِ ذُو العَمَاية، ويَرْشُدُ بِهُدَاهُ ذُو الغَوايَةِ، وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، والظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا[٣].

التفسير:

(أولا): ينبغي أن يُعلم أن لفظ النور يَضاد الظلمة، وهو موضوع في اللغة لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على الأرض والجدران وغيرهما، وهذه الكيفية يستحيل أن تكون إلهًا، ويمتنع أن يكون الحق سبحانه وتعالى كذلك، **يدل على هذا مجموعة من الوجوه، أهمها ما يلي:**

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٥٤. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، ص: ١٢٩. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٩٥.

(٣) تُراجع مادة (نور) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٣٦٨. ولسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٢٤٠، ٢٤١. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٢١.

الأول: أن النور إما أن يكون جسمًا أو كيفية قائمة بالجسم، والأول محالٌ؛ لأنه قد يُعقل أن يكون الجسم جسمًا مع الذهول عن كونه نيِّرًا، ولأن الجسم قد يستنير بعد أن كان مظلمًا فثبت الثاني، لكن الكيفية القائمة بالجسم محتاجة إلى الجسم والمحتاج إلى الغير لا يكون إلهًا.

ثُم إنه على كلا الاحتمالين أيضًا يكون منقسمًا لأنه إن كان جسمًا فلا شك في أنه منقسم، وإن كان كيفية حالَّة بالجسم فالحالُّ في المنقسم منقسم، وعليه يكون النور منقسمًا، وكل منقسم يفتقر في تحققه إلى تحقق أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، وكلٌّ مفتقرٌ فهو في تحققه مفتقر إلى غيره، والمفتقر إلى الغير ممكن لذاته محدث بغيره، فالنور محدث فلا يكون إلهًا.

الثاني: أن هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب أن لا يزول هذا النور لامتناع الزوال على الله تعالى.

الثالث: أن هذا النور المحسوس يقع بطلوع الشمس والكواكب وذلك على الله محال.

وبمجموع ما سبق من هذه الوجوه يبطل قول المانوية(١) الذين يعتقدون أن الإله سبحانه هو النور الأعظم.

أما المجسمة -كالكرَّامية(٢) وغيرهم- المعترفون بصحة القرآن فيحتج على فساد قولهم **بوجوه:**

---

(١) هي فرقة من الفرق تُنْسب لـ«ماني بن فاتك الحكيم»، ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية. وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسيًّا عارفًا بمذاهب القوم أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم. وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين داركين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفى الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل.

[يُراجع: الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (٢/ ٤٩: ٥٤). ط: مؤسسة الحلبي].

(٢) وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرَّام، وكان من زهاد سجستان واغتر جماعةٌ بزهده، أُخرج هو وأصحابه من سجستان، فساروا حتى انتهوا إلى غرجة -وتُعْرَفُ أيضًا بـ(غرجستان)، وهي وسجستان من أقاليم بلاد فارس قديمًا- فدعوا أهلها إلى اعتقادهم فقبلوا قولهم، وبقى ذلك المذهب في تلك الناحية، وهو فرق كثيرة على هذا التفصيل: الطرايقة، الإسحاقية، الحماقية، العابدية، اليونانية، السورمية، الهيصمية، وأقربهم الهيصمية، وفي الجملة فهم كلهم يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث ويثبتون له جهة ومكانًا، إلا أن العابدية يزعمون =

أوَّلها: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١)، ولو كان نورًا لبطل ذلك، لأن الأنوار كلها متماثلة.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾(٢) صريح في أنه ليس ذاته نفس النور بل النور مضاف إليه، وكذا قوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(٣).

الثالث: أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(٤) صريح في أن ماهية النور مجعولة لله تعالى، فيستحيل أن يكون الإله نورًا، فثبت أنه لا بد من التأويل.

فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهرا أو عرضا. وأفضل إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها، فإطلاقه على ذلك مجاز بعلامة التسبب في الحس والعقل(٥).

(ثانيًا): ذكر العلماء في بيان معنى هذا الاسم (النور) في حقه تعالى وجوهًا محتملة؛ فهي من اختلاف التنوع لا التضاد:

أولها: أن النور الظاهر هو الذي يظهر له كل شيء خفي، والخفاء ليس إلا العدم، والظهور ليس إلا الوجود، والحق سبحانه موجود، ولا يقبل العدم، فهو تغير لا يقبل الظلمة، والحق سبحانه هو

= أن البعد بينه وبين العرش متناه، والهيصمية يقولون إن ذلك البعد غير متناه، ولهم في الفروع أقوال عجيبة ومدار أمرهم على التزوير وإظهار التزهد، ولابن كرَّام تصانيف كثيرة إلا أن كلامه في غاية الركاكة والسقوط.
[يُراجع: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، تحقيق: على سامي النشار، (ص: ٦٧). دار الكتب العلمية – بيروت].

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٢٣/ ١٩٤، ١٩٥. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للفخر الرازي، ص: ٢٥٤، ٢٥٥. والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١٨/ ٢٣١، ٢٣٢.

الذي به وجد كل شيء سواه فهو سبحانه نور كل ظلمة، وظهور كل خفاء، فالنور المطلق هو الله بل هو نور الأنوار.

وثانيها: أن يكون المراد من قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: الله منور السموات والأرض، والدليل عليه قوله بعد ذلك: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾.

وثالثها: أن يقال فلان زين البلد ونوره، إذا كان سببًا لمصلحة البلد، فكذا الحق سبحانه هو الذي استقامت به مصالح المخلوقات، فلا جرم سمي نورًا بهذا التأويل.

وقريب منه أن يُقال إن المعنى: أنه تعالى مدبر أمر السموات والأرض.

ورابعها: أن يكون المراد من النور الهادي. وقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: الله هادي السموات والأرض(١).

وزاد الإمام الطاهر بن عاشور وجهًا واستحسنه، حيث قال: "فأحسن ما يفسر به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالمين العلوي والسفلي، وهو من استعمال المشترك في معانيه.

ويجوز أن يراد بالسموات والأرض -يعني في الآية- من فيهما من باب: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾(٢)، وهو أبلغ من ذكر المضاف المحذوف لأن في هذا الحذف إيهام أن السماوات والأرض قابلة لهذا النور كما أن القرية نفسها تشهد بما يسأل منها، وذلك أبلغ في الدلالة على الإحاطة بالمقصود وألطف دلالة. فيشمل تلقين العقيدة الحق والهداية إلى الصلاح؛ فأما هداية البشر إلى الخير والصلاح فظاهرة، وأما هداية الملائكة إلى ذلك فبأن خلقهم الله على فطرة الصلاح والخير. وبأن أمرهم بتسخير القوى

---

(١) يُراجع: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٥٥. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ١٩٥. وتفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٣/ ٤١٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٤/ ١٨٣. تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

للخير، وبأن أمر بعضهم بإبلاغ الهدى بتبليغ الشرائع وإلهام القلوب الصالحة إلى الصلاح وكانت تلك مظاهر هدى لهم وبهم[١].

***

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١٨/ ٢٣٣.

[١١٨] (الهادي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الهادي)، وقد ورد ذكره في موضعين هما: في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(١)، وفي سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾(٢).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام أبو حامد الغزالي، والإمام الفخر الرازي، والإمام القرطبي(٣).

اللغة:

مادة (هدى) تدل في اللغة على الدلالة والإرشاد، يقال: هداه الله للدين هدًى، وهديته الطريق والبيت هداية: أي عرفته، والهداية: دلالة بلطف، وهي ضد الضلال، والهدى: إخراج شيء إلى شيء، والهادي: الدليل -كما قال الزجاجي(٤)-، وبالنسبة لمعناه في جانب الله سبحانه وتعالى فكما يقول ابن الأثير: هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده(٥).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٣) يُنظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٣٠. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٥٦. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٧٦. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) هو: عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم ،توفي في طبرية (من بلاد الشام) سنة ٣٣٧هـ، وقيل: ٣٣٩هـ. من تصانيفه: كتاب «الجمل الكبرى»، و«الإيضاح في علل النحو»، و«الزاهر» في اللغة، وغيرها. [راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٧٧/٢)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (١٣٦/٣)].

(٥) تُراجع مادة (هدى) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ٤٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ٣٥٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٢٥. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٥٣٨: ٥٤١.

التفسير:

الهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير(١).

وهدايةُ الله تعالى للإنسان على أَربعة أنواع:

الأوّل: الهداية التي عَمَّ بها كُلَّ مكلَّفٍ من العَقْل والفِطْنَة والمَعارف الضروريّة، بل عمّ بها كلَّ شيءٍ حَسَبَ احتمالِه، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٢).

وهذا النوع من الهداية يعبر عنه أيضًا بإعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء إلى انتظام وجود ذات الإنسان، ويندرج تحتها صنوفات شتى تبتدئ من إلهام الصبي التقام الثدي والبكاء عند الألم إلى غاية الوجدانيات التي بها يدفع عن نفسه كإدراك هول المهلكات، ويجلب مصالحه الوجودية كطلب الطعام والماء، ونهايتها أحوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات أعني ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول في البديهيات.

الثاني: الهداية التي جُعلت للنَّاسِ بدُعائه إيّاهم على أَلْسِنَةِ الأَنبياءِ وإِنْزالِ القرآن ونحوِ ذلك، وإليها الإشارة في قوله تعالى في شأن الرسل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٣).

الثالث: التَّوفيقُ الذي يختصُّ به من اهْتَدى، وهو المعنِيُّ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾(٤)،

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٨٨.

[واختلف علماء الكلام في اعتبار قيد الإيصال إلى الخير في حقيقة الهداية؛ فالجمهور على عدم اعتباره وأنها الدلالة على طريق الوصول سواء حصل الوصول أم لم يحصل، وهو قول الأشاعرة، وهو الحق. وذهب جماعة منهم الزمخشري إلى أن الهداية هي الدلالة مع الإيصال وإلا لما امتازت عن الضلالة أي حيث كان الله قادرا على أن يوصل من يهديه إلى ما هداه إليه، ومرجع الخلاف إلى اختلافهم في أصل آخر وهو أصل معنى رضا الله ومشيئته وإرادته وأمره، فأصحاب الأشعري اعتبروا الهداية التي هي من متعلق الأمر، والمعتزلة نظروا إلى الهداية التي هي من متعلق التكوين والخلق، ولا خلاف في أن الهداية مع الوصول هي المطلوبة شرعا من الهادي والمهدي مع أنه قد يحصل الخطأ للهادي وسوء القبول من المهدي]. اهـ منه.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣، وسورة السجدة: الآية: ٢٤.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٧.

وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١].

الرّابع: الهدايَةُ في الآخرة إلى الجنَّة، وهو المعنيُّ بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[٢].

وهذه الهداياتُ الأَربعُ مُتَرَتِّبة فإِنَّ من لم تَحْصُلْ له الأُولَى لا تَحْصُلُ له الثانية، بل لا يَصِحُّ تكليفُه. ومن لم تَحْصُلْ له الثانيةُ لا تحصل له الثالثة والرابعةُ[٣].

أما معنى الاسم في سياق الآيتين اللتين ورد بهما فهو كما قال الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسير آية سورة الحج: "فالمراد بالهُدى في كلتا الآيتين عناية الله بتيسيره وإلا فإن الله هدى الفريقين بالدعوة والإرشاد فمنهم من اهتدى ومنهم من كفر"[٤].

ويُفْهَم من كلام بعض المفسرين في تفصيل هداية التوفيق هنا بأنها في الأمور الدينية خصوصًا؛ فيكون المعنى أن الله تعالى أرشد عباده المؤمنين بتوفيقه فيما أُشكلَ برد الشُّبَهِ، ودلَّهم بعنايته إلى طريق الحق، فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة[٥].

ويقول العلامة الآلوسي في تفسير آية سورة الفرقان: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[٦]: "وعد كريم له عليه الصلاة و السلام بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على اعدائه، أي: كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هاديًا لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ ما أنزل إليك وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، وقيل:

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) يُراجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، ٥/ ٣١٣، ٣١٤. ونحوه في التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٨٨، ١٨٩.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٧/ ٣٠٧.

(٥) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٧/ ١٧٤. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٤/ ٧٦. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٢/ ٤٤٩. عند تفسير آية سورة الحج.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

المعنى هاديًا لمن آمن منهم، وقيل هاديًا للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله"(١).

وهناك معان عامة لاسم الهادي؛ منها: ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي، حيث قال: "الهادي: هو الذي هدى خواص عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا به على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لابد منه في قضاء حاجاته، والهداة من العباد الأنبياء والعلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية، وهدوهم إلى الصراط المستقيم بل الله الهادي لهم على ألسنتهم"(٢).

ومنها: ما ذكره الإمام الخطابي فقال: "الهادي هو الذي مَنَّ بهداه على من أراد من عباده، فخصه بهدايته وأكرمه بنور توحيده، وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها وألهمها كيف تطلب الرزق وكيف تتقي المضار والمهالك"(٣).

أخيرًا بقي أن ننبه إلى أن كل هداية ذَكَرَ الله تعالى أنه منع منها الكافرين والظالمين فهي من النوع الثالث من الهداية، وهي التَّوْفيق الذي يختصّ به المهتدون، أو من النوع الرابع وهي الثوابُ في الآخرة وإِدخالُ الجنَّة، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾(٤).

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١٩/ ١٤.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٣٠.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط/٣، دار الثقافة العربية، بيروت: ١٩٩٢م، ص ٩٥، ٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

[١١٩، ١٢٠] (الواحد، الأحد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الواحد، والأحد)، وقد ورد اسم (الواحد) في عدَّة مواضع، منها: في سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ (١). وفي سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ (٢). وفي سورة يوسف: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ (٣). وفي سورة غافر: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ (٤).

أما اسم (الأحد)، فلم يرد إلا في موضع واحد فقط، وذلك في سورة الإخلاص في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ (٥).

اللغة:

مادة الواو والحاء والدال: تدل في اللغة على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، ووحيد: أي منفرد، وتوحَّد برأيه تفرَّد به، وفلان واحد دهره، أي: لا نظير له، وفلان لا واحد له وأوحده الله: جعله واحد زمانه، والفرق بينهما: أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد، والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول جاءني واحد من الناس ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، والواحد والأحد صفتان لا تطلقان إلا على ذات الحق سبحانه، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل، قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الواحد، قال: هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وقال الأزهري: وأما اسم الله عز وجل أحد؛ فإنه لا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ١.

يوصف شيء بالأحدية غيره، لأنها صفة استخلصها الباري سبحانه وتعالى لنفسه ولا يشركه فيها شيء[١].

التفسير:

أكثر المفسرين على أن (الواحد) في حقه تعالى بمعنى: الذي لا نظير له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وقال العلامة الآلوسي عن هذا القول: "وأصح الأقوال عند ذوي العقول السليمة: أنه الذي لا نظير له ولا شبيه له في استحقاق العبادة وهو مستلزم لكل كمال"[٢].

وقيل: إن المراد به ما ليس بذي أبعاض، ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة أصلا[٣].

وقال آخرون: إن معنى وحدانيته سبحانه وتعالى: أي انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه، وقالوا: وإنما كان منفردًا وحده؛ لأنه غير داخل في شيء ولا داخل فيه شيء[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها العلماء في بيان معنى اسمه الواحد أيضًا: أنه بمعنى الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر[٥].

أما تفسير اسم (الأحد) فيحتمل وجهين:

أحدهما: أنه بمعنى واحد، فلا فرق بين الواحد والأحد[٦].

---

(١) تُراجع مادة (وحد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ٩٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥١. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٣٤.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٣٠. ويُراجع معه: جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ١٥٦.

(٣) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ٣٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦ بتصرف.

(٥) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨٢.

(٦) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٢/ ١٦٤. وتفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٥/ ٣٣٠. والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢٠/ ٢٤٤.

والقول الثاني: أن الواحد والأحد ليسا مترادفين، بل لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى. لا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد كما يقال رجل واحد أي فرد، فأحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيء.

وعلى هذا فمعنى أحد: فرد من جميع جهات الوحدانية، فإذا قيل: الله أحد، فالمراد أنه منفرد بالإلهية، وإذا قيل: الله واحد، فالمراد أنه واحد لا متعدد، فمن دونه ليس بإله، ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته(١).

***

(١) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٣٢/ ١٦٤. والمحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/ ٥٣٦. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٦١٤.

[١٢١] (الوارث)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الوارث)، وقد ورد ذكره في ثلاثة مواضع كلها بصيغة الجمع وهي: في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١]، وفي سورة الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٢]، وفي سورة القصص: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾[٣].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، الإمام الحليمي، الإمام القرطبي، والدكتور/ محمد الحمود النجدي[٤].

اللغة:

مادة (وَرَثَ) تدل في اللغة على الوِرْثُ، وهو المِيرَاثُ، ومعناه: أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب.

يُقال: ورث يرث فهو وارث، وأصل يرث يورث فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسر استثقالا، ومعنى الوارث في اللغة: الخالف غيره، ولذلك تسمي العرب المستحق للمال من بعد الميت وارثًا، وأما بالنسبة لذات الحق سبحانه وتسميته بهذا الاسم فيكون معناه أي: الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله تعالى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أي: يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له[٥].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

(٤) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٩٦. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٨٩. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٢٩. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٢٨٧.

(٥) تُراجع مادة (ورث) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ١٠٥. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ١٩٩، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٣٦. وأيضًا: اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٧٢.

التفسير:

الوارث في حقه تعالى معناه: الباقي بعد فناء جميع الخلائق قاطبة، والمالك للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي، فالله تعالى هو المالك لكل المملوكات وحده على الحقيقة، هو المالك على الإطلاق من أزل الآزال إلى أبد الآباد، لم يتبدل ملكه ولا يزال[١].

فإن قيل: إذا كان هذا الاسم من صفات الذات والتنزيه، فكيف يكون وارثًا في الأزل وليس هناك موروث؟

كان الجواب: لا يُنكر أن يسمى وارثًا عند فناء الخلق، وهو وارث في الأزل بمعنى: أنه المستحق للإرث عند فناء الخلق، كما يُقال الابن وارث الأب على معنى أنه المستحق لماله، فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الله وحده هو الوارث بالحقيقة لكل شيء[٢].

***

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٤/ ٣٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٩/ ١٤١. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٣/ ٣٥٨. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤/ ٣٩. والفيض الأسنى على الأسماء الحسنى، للشيخ/ يوسف إبراهيم عبد الله بقوى المالكي السوداني، ص: ٥٥. ط: صبيح بالأزهر بمصر.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٣٠. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[١٢٢، ١٢٣] (الواسع، المُوسِع)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الواسع، والمُوسِع)، وقد ورد ذكر اسم (الواسع) في القرآن الكريم في مواضع، منها:

في سورة البقرة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[١].

وفي سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وفي سورة المائدة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وفي سورة النور: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[٤].

وورد اسم (المُوسِع) في موضع واحد بصيغة الجمع، في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[٥].

اللغة:

مادة (وسع) تدل في العربية على خلاف الضيق والعسر، تقول: وَسَّعَ الشَّيْءَ فاتَّسعَ. واسْتَوْسَعَ أَي صار واسعًا، وأَوْسَعَ الرجلُ صار ذا سَعَةٍ وَغِنًى. ورجل موسع: أي مليء، وتوسعوا في المجلس أي تفسحوا. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ معناه: جعلنا بينها وبين الأرض سعة، جعل أوسع بمعنى وسع، وقيل: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: أغنياء قادرون[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

(٦) تُراجع مادة (وسع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/١٠٩. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٣٨. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٣٩٢.

التفسير:

(الواسع) معناه في حقه تعالى: المحيط بالأشياء إحاطة علم وملك وقدرة ورحمة، أو واسع العطاء والرحمة، أو واسع الإنعام ببيان المصلحة للعبيد لكي يصلوا إلى رضوانه، ومال الإمام الفخر إلى الوجه الأخير؛ لكونه الأليق بالكلام -كما سيأتي-.

يقول العلامة الآلوسي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾[١]، أي محيط بالأشياء ملكًا، أو رحمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ لا يخرج شيء عن إحاطته"[٢]. هذا إجمال.

وفصَّل الإمام الفخر الرازي في بيان معنى هذا الاسم عند تفسير آية سورة البقرة[٣]، فذكر معنى عامًّا وآخر خاصًّا مناسبًا لسياق الآية، حيث قال ما مُحَصَّله:

لا شك أن وصف الله تعالى نفسه بكونه واسعًا لا يمكن حمله على ظاهره وإلا لكان متجزئًا متبعِّضًا فيفتقر إلى الخالق، بل لابد وأن يحمل على السعة في القدرة والملك، أو على أنه واسع العطاء والرحمة، أو على أنه واسع الإنعام ببيان المصلحة للعبيد لكي يصلوا إلى رضوانه، ولعل هذا الوجه بالكلام أليق، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه تعالى واسع القدرة في توفية ثواب من يقوم بالصلاة على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل عنها[٤].

أما (المُوسِع) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٥] فيحتمل معان متقاربة وليست متناقضة، فقيل: الموسع، ذو الوسع والسعة، والمعنى: إنا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك، وقيل: لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة، وقيل: إنا لموسعون الرزق بالمطر[٦].

***

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٣٦٥، ٣٦٦ بتصرف كبير.

(٣) أعني الآية رقم: ١١٥.

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م، ٤/ ٢١.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

(٦) يُراجع: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٧/ ٥٢. وفتح القدير، للشوكاني، ٥/ ١٠٩. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٧/ ١٦.

[١٢٤] (الودود)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الودود)، وقد ورد ذكره في موضعين هما: في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[(١)].

وفي سورة البروج في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾[(٢)].

اللغة:

الودود مشتق من الفعل (ودَّ) الذي يدل على المحبة، ويقال: وددته: أي أحببته، والودود فيه قولان: أحدهما: أنه «فعول» بمعنى «فاعل» كقولك: «غفور» بمعنى «غافر»، وكما قالوا: «رجل صبور» بمعنى «صابر» و«شكور» بمعنى «شاكر» فيكون الودود في صفات الله تعالى عز وجل على هذا المذهب أنه يود عباده الصالحين ويحبهم. والوُد والمودة والمحبة في المعنى سواء. فالله عز وجل ودود لأوليائه والصالحين من عباده وهو محب لهم.

والقول الآخر: أنه «فعول» بمعنى «مفعول» كما يقال: «رجل هيوب» أي «مهيب» فتقديره: أنه عز وجل مودود أي يوده عباده ويحبونه.

وقد تأتي الصفة بالفعل لله عز وجل ولعبده، فيُقال: «العبد شكور لله» أي يشكر نعمته، ويُقال: «الله عز وجل شكور للعبد» أي يشكر له عمله أي يجازيه على عمله، والعبد تواب إلى الله من ذنبه، والله تواب عليه أي يقبل توبته ويعفو عنه[(٣)].

التفسير:

لو نظرنا إلى المعاني التي ذكرها المفسرون في كتبهم حول تفسير اسم (الودود) سنجد أنها لا تَخْرُج عن المعاني التي تقدَّم ذكرها في الجانب اللغوي؛ حيث قالوا:

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٢) سورة البروج، الآية: ١٤.

(٣) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (ودّ)، ٦/ ٧٥. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٤٥٤، مادة: (ودد) بتصرف. واشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٥٢.

الودود: فعول بمعنى فاعل، مبالغة في الود وهو المحبة، والمعنى: المحب، أي أنه تعالى كثير الود والمحبة لعباده ما لم يحيدوا عن وصايته، ويحب من يتوب ويرجع إليه.

وقيل: الودود: فعول بمعنى مفعول، ومعناه: أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة إفضاله وإحسانه على الخلق[١].

وعلى المعنى الأول: كيف يكون الفرق بين «الرحيم» و«الودود»؟

قيل: الرحيم منه الرحمة، وهي مضافة إلى المرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحومًا ضعيفًا، وهذا بخلاف أفعال الودود؛ فهي لا تستدعي ذلك، بل الإنعام فيها على سبيل الابتداء[٢].

وهناك وجوه أخرى في تفسير هذا الاسم لكنها ليست في قوة الوجهين السابقين، ومنها: ما ذكر الإمام الفخر الرازي حيث قال: "وقيل: ودود: أي يقبل الإيمان والتوبة من الكافر والفاسق لأن رحمته وحبه لهم يوجب ذلك وهذا التقرير في غاية الكمال"[٣].

ومنها: ما ذكره الإمام القرطبي عند تفسيره آية سورة البروج حكاية عن بعضهم: "أن الودود: هو الذي لا ولد له، ويكون معنى الآية: إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء"[٤].

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الودود على الإطلاق، المحب لخلقه والمثني عليهم والمحسن إليهم، ثم يجب عليه أن يتودد إلى ربه بامتثال أمره ونهيه، كما تودد سبحانه إليه

(١) ذكر هذين الوجهين كلٌّ من: الآلوسي في تفسيره روح المعاني، ١٢/ ١٢٣. والفخر الرازي في التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، ١٨/ ٣٩. والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٩/ ٢٩٦. واقتصر الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير على الوجه الأول فقط، ١٢/ ١٤٨، ٣٠/ ٢٤٩.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٩ بتصرف.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٨/ ٣٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٩/ ٢٩٦.

بامتثال نعمه وفضله، ويحبه كما أحبه، ولنعلم أن منال محبة الله تعالى بترك المناهي أكثر من منالها بسواها من أعمال الطاعات[١].

***

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٢٩، ٤٣٠. ط: دار الصحابة بطنطا.

[١٢٥] (الوكيل)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الوكيل)، وقد ورد ذكره في عدّة مواضع، منها: في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[٢].

وفي سورة يوسف: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٣].

اللغة:

مادة: (وكل) تدل في العربية على اعتماد غيرك في أمرك، الوكيل: فعيل من قولك وكلت أمري إلى فلان أي جعلته يليه دوني وينظر فيه. فالله عز وجل وكيل عباده، أي: كافيهم أمورهم وأرزاقهم، واختلف أهل اللغة في معنى الوكيل على أربعة أقوال؛ الأول: أنه بمعنى الكفيل، والثاني: أنه بمعنى الحفيظ، والثالث: أنه بمعنى المقسط، والرابع: أنه بمعنى الكافي. والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك[٤].

التفسير:

جاء في التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور أن اسمه تعالى الوكيل اسمٌ جامع للرقيب والحافظ في الأمور التي يعنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها، ولذلك يتقيد ويتعمم بحسب المقامات. اهـ[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨١. وسورة الأحزاب، في الآيتين: ٣، ٤٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٦.

(٤) تراجع مادة (وكل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ١٣٦. واشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ص: ١٣٦. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٧٣٤، ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٧٤٠. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ١/ ٥٠٥، ٥٠٦.

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ٤/ ١٧١.

لذلك تنوعت عبارات المفسرين واختلفت عند تفسيرهم هذا الاسم، ولكن هذا الاختلاف من اختلاف التنوع لا التضاد، والمعاني التي ذكروها محتملة ولا مرجح لأحدها أو لبعضها على الآخر؛ فذكروا وجوهًا في بيان هذا الاسم..

منها: أنه بمعنى الكفيل بأرزاق عباده، القائم عليهم بمصالحهم لعجزهم(١).

ومنها: أن معناه: الموكول إليه الأمور(٢).

ومنها: أنه بمعنى مالك كل شيء من الأرزاق والآجال، رقيبٌ على الأعمال(٣).

ومنها أيضًا: أن معناه متولي جميع الأمور الدنيوية والأخروية(٤).

ومنها كذلك: أنه بمعنى الكافي(٥).

وانفرد الإمام القرطبي بوجه ذكره عند تفسير آية سورة يوسف: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾(٦)، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَكِيلٞ﴾، أي: حافظ للحلف، وقيل: حفيظ للعهد قائم بالتدبير والعدل"(٧).

***

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٨٢. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٠٦، ٥٠٧. ط: دار الصحابة بطنطا. وروح المعاني، للآلوسي ٥/ ٩٢. وحاشية الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٩. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٤/ ١٧٠. شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٧.

(٢) يُنظر: تفسير البغوي، ١/ ٥٤٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٨٢. وروح المعاني، للآلوسي، ٤/ ١٢٧. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لحجة الإسلام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٤.

(٣) يُنظر: تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٥٢٧. والكشاف، للزمخشري، ٢/ ٥٤، ط: دار الكتاب العربي – بيروت.

(٤) يُنظر: تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٢/ ١٧٦. وروح المعاني، للآلوسي، ٧/ ٢٤٤.

(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٨٢. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٤/ ١٧٠. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٧.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٦٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٩/ ٢٢٥.

[١٢٦، ١٢٧] (الولي، المَوْلَى)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الولي، والمولى)، وقد ورد ذكر اسم

(الولي) في أكثر من موضع وبصيغ مختلفه، منها: في سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1]. وفي سورة النساء: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾[2]. وفي سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3]. وفي سورة الأعراف: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[4]. وفي سورة الشورى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾[5]، وفي السورة نفسها أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[6]. إلى غير هذه المواضع.

وأما اسم (المولى)، فقد ورد في عدَّة مواضع أيضًا، منها: في سورة البقرة: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[7]، وفي سورة آل عمران: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[8]. وفي سورة الأنفال: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[9]. وفي سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

(٩) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

(١٠) سورة محمد، الآية: ١١.

اللغة:

الوَلْيُ -بسكون اللام- بمعنى القرب، وبتحريكها بالكسر مع ضم الآخر وتشديده -أي: الوَلِيُّ- معناه: الناصر والمعين، والولاية خلاف العداوة، والمولى: المُعْتِقُ المُعْتَقُ وابن العم والجار والحليف، والمعنى في حق الله أنه تعالى هو الناصر، والمتولي لأمور الخلائق، والمالك لجميع الأشياء والمتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل(١).

التفسير:

معاني هذه الأسماء الثلاثة في حقه تعالى تكاد تتفق، والفرق بينها قريب؛ فيدور معناها حول: أنه تعالى الناصر والمعين والمتكفل بأمور عباده والمدبر لها.

أما اسم (الولي) معناه: المتولي أمور عباده المؤمنين، المتكفل بمصالحهم، يحبهم ويعينهم وينصرهم ويوفقهم(٢).

وقد ذكر الإمام الفخر الرازي في كتابه في شرح الأسماء وجوهًا عدَّة في بيان معنى هذا الاسم -لا تخرج عما تقدَّم- حيث قال: "وفي تفسير الولي وجوه، الأول: أنه المتولي الأمر والقائم به، والثاني: أن الولي بمعنى الناصر، واعلم أن هذا الاسم على التفسير الأول والثاني من صفات الفعل، والثالث: أن الولي بمعنى المحب، ومنه يقال: فلان ولي فلان إذا كان حبيبه، الرابع: أن الولي بمعنى الموالي كالجليس بمعنى المجالس، واعلم أن لفظ المولى في اللغة يطلق على المعتق وعلى الناصر وعلى الجار وعلى ابن العم وعلى الحليف"(٣).

---

(١) تُراجع مادة (و ل ى) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ١٤١. ولسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ٤٠٥. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٤٥.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١٤. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ١٦. وجامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٤٢٤.

(٣) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٢١، ٢٢٢ بتصرف.

وأما اسم (المولى) فمعناه قريب من المعاني السابقة من المعونة النصر؛ فالله تعالى هو نعم المولى أي المعين والناصر[(١)].

وقد أورد الإمام الفخر استشكالا وأجاب عنه، حيث قال ما مُحَصَّلُه:

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[(٢)]، وبين قوله: ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[(٣)]؟

نقول: المولى ورد بمعنى السيد والرب والناصر، فحيث قال: ﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ أراد لا ناصر لهم، وحيث قال: ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾، أي: ربهم ومالكهم"[(٤)].

***

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عند تفسير آية سورة البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾، ٦/ ١٤١، ١٤٢. ونحوه عند تفسير آية سورة الأنفال: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾، ١٣/ ٥٤٤. وروح المعاني، للآلوسي، عند تفسير آية سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾، ٢٦/ ٤٥. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، عند تفسير آية سورة آل عمران: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾، ٤/ ٢٣٢. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، عند تفسير آية سورة البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾، ٣/ ١٤١، ١٤٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٢. وسورة يونس، الآية: ٣٠.

(٤) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٨/ ٤٤.

[١٢٨] (الوهاب)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم: (الوهاب)، وقد ورد ذكره ثلاث مرات، وهي: في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾[١]، وفي سورة ص في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾[٢]، وفي السورة نفسها أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾[٣].

اللغة:

مادة: (وهب) تدل في اللغة على العطاء بلا عوض، والهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، أو هي: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهَّابًا، وهو من أبنية المبالغة، يُقال: وهبته ووهبت له هبةً وموهبةً ووَهْباً ووَهَباً إذا أعطيته، ووهب الله له الشيء فهو يَهب هبةً، وفي أسماء الله تعالى: الوهاب، وهو المنعم على العباد، وفي النهاية لابن الأثير: وَهُوَ -أي الوهاب- في صفته تعالى يَدُلُّ على البَذْل الشامل والعطاء الدائم بلا تَكلُّفٍ ولا غَرضٍ[٤].

التفسير:

جمع العلامة الجمل معظم المعاني الصحيحة التي يحتملها اسم الوهاب في جانب الله تعالى فقال: "الوهاب: مبالغة في الواهب، فمعناه: كثير النعم، دائم العطاء، والهبة هي الخالية عن العوض والغرض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهَّابًا، ولا تكون حقيقة إلا منه تعالى؛ إذ لا مالك في الحقيقة إلا هو، وقيل: هو من يكون جزيل العطايا والنوال، كثير المنن والإفضال، كثير اللطف والإقبال، يعطي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٩.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٤) تُراجع مادة (وهب) في: لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٨٠٣. وتاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٤/ ٣٦٤. ط: دار الهداية. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٥٣٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، (بصيرة في وهب)، ٥/ ٢٨٦ بتصرف.

من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال، وقيل: هو الذي يعطيك وينعم عليك بلا سبب وحيلة"(١).

وأضاف العلامة أبو السعود في معنى الوهاب بأنه المتفضّلُ بما يُنعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء(٢).

فيُفهم من هذا أن الوهاب مبالغة في الوهب وهو العطاء، فهو سبحانه وتعالى كثير العطاء، يعطي من غير سؤال وبلا عوض، متفضل في الإنعام من غير إيجاب عليه.

وعلى هذا المعنى معظم المفسرين وإن اختلفت عباراتهم؛ فيقول العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة ص: "الوهاب: الكثير المواهب، المصيب بها مواقعها، والمبالغة في الوهاب من طريق الكمية تناسب قوله تعالى: ﴿خَزَآئِنُ﴾"(٣).

***

(١) حاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٦٩٢.

(٢) تفسير أبي السعود، ٢/ ٩.

(٣) روح المعاني للآلوسي، ٢٣/ ١٦٨. ويُنظر نحو هذا في: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٧/ ١٥٨. والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٣/ ١٧١.

ثانيًا: الأسماء المشتقة:

[١] (الباعث)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (الباعث)، وقد وردت مادته في مواضع كثيرة وبصيغ متعدده، منها: في سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [١]. وفي سورة الأنعام: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢]. وفي سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣]. وفي سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[٤].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والفخر الرازي، والغزالي، والخطابي، والحليمي[٥].

اللغة:

مادة (بعث) تدل في اللغة على الإثارة والإنهاض والإرسال والقيام، يقال: بعث بغيره فانبعث، والباعث: اسم فاعل من الفعل بعث، وهو في حق الله سبحانه وتعالى يدل على أنه هو الذي يحيي الخلق بعد موتهم ويبعثهم تارة أخرى للحساب في اليوم الآخر[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٦.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٧٤. ط: دار الصحابة بطنطا. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢١٣. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٠. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٥. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٧.

(٦) تُراجع مادة (بعث) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٦٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٦. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ١١٧.

التفسير:

يطلق الباعث على الحق سبحانه وتعالى ويراد منه معنيان حسبما جاء في الآيات الكريمات:

المعنى الأول: أنه تعالى باعث العباد بعد الموت ومخرجهم من قبورهم للوقوف أمامه سبحانه للحساب، وأقوال المفسرين تدل على هذا المعنى.

يقول العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة المؤمنون: "قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ المقصود الأهم بعد بيان خلقه وتأهله للتكليف بيان بعثه، فكأنه قيل: أيها المخلوق العجيب الشأن إن ماهيتك وحقيقتك تفنى وتعدم ثم إنها بعينها من الأجزاء المتفرقة والعظام البالية والجلود المتمزقة المتلاشية في أقطار الشرق والغرب تبعث وتنشر ليوم الجزاء لإثابة من أحسن فيما كلفناه به وعقاب من أساء فيه"[١].

المعنى الثاني: أنه تعالى يبعث رسله إلى الناس لدعوتهم فيبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب، وكريم المآب، وينذرون من عصى الله فكفر به، بشدّة العقاب، وسوء الحساب والخلود في النار[٢].

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١٨/ ١٧. ويراجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٥/ ٤٦٩. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٩/ ١٩.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٦/ ١٨. ومعه: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ٢/ ٣٠٧. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٤/ ٢٨٠.

[٢] (الباقي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (الباقي)، وقد وردت مادته في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾(١). وأُشير إليه أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٢).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والفخر الرازي، والغزالي، والخطابي، والحليمي(٣).

اللغة:

مادة (بقى) تدل في اللغة على الدوام، وبَقِيَ الشيء بالكسر بقاًء وبقي الرجل زمانًا طويلاً أي عاش، كذا وأبقاه الله، والبقاء ضد الفناء، والله سبحانه وتعالى الباقي، أي: الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر يُنْتَهي إليه، ويُعَبر عنه بأنه أبدي الوجود، ولا يقال لغير الله الباقي إلا مضافًا معلقًا بشيء(٤).

التفسير:

تفسير الباقي في حقه تعالى من خلال أقوال المفسرين: أنه سبحانه دائمٌ لا يزول، ولا تطرأ عليه عوارض الفناء، فهو تعالى الحي الذي لا يموت أبدًا(٥).

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٣.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٠٦: ١٠٨. ط: المكتبة العصرية، بيروت. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٥٧. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٣١. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٩٦. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٨٨.

(٤) تراجع مادة (بقى) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٧٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٤/ ٧٩، ويراجع أيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ١٠٦. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(٥) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٠٨. ومعه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٩/ ٩٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ٤٩٤.

والمراد بالوجه الذات العليَّة.

قال الإمام القرطبي: "قوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ، أي: ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا، وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه، والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى"[١].

***

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٧/ ١٦٥. ويُراجع أيضًا: روح المعاني، للآلوسي، ٢٧/ ١٠٨.

[٣] (الحَنَّان)

من أسماء الله تعالى الواردة ذكرها في القرآن الكريم بصورة مشتقة: (الحَنَّان)، وقد وردت مادته في موضع واحد في سورة مريم في قول الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾(١).

وورد ذكر هذا الاسم في السنة النبوية؛ فقد أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع سجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قَيَّام(٢) اللّهم إني أسألك، فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٣).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والإمام القرطبي(٤).

اللغة:

مادة الحاء والنون: تدل في اللغة على الإشفاق والرقة، ومنه الحنين الذي هو الشوق وتوقان النفس، وقد حَنَّ إليه يحِنُّ بالكسر حنينًا فهو حَانٌّ، فالحق سبحانه هو الحَنّانُ الذي يحن على عباده بالرحمة والشفقة عليهم، والحَنَّانُ: فعَّال من صيغ المبالغة بتشديد النون بمعنى الرحيم، قال ابن

---

(١) سورة مريم، الآية: ١٣.

(٢) القَيُّوم والقَيَّام بمعنى واحد، وهو: القائم بتدبير خلقه في إيجادهم ورزقهم.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم: (٨٩٣)، ٣/ ١٧٥. ونحوه أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الصلة، باب: الدعاء، حديث رقم: (١٤٩٥)، ١/ ٤٧٠. وأحمد في المسند، حديث رقم: (١٣٥٩٥)، ٣/ ٢٤٥. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٨٥٦)، ١/ ٦٨٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخَرِّجَاه"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص». وأخرجه من طريق آخر؛ حديث رقم: (١٨٥٧)، ١/ ٦٨٣. وسكت عنه هو والذهبي.

(٤) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٥. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٧. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٦٥. ط: دار الصحابة بطنطا.

الأثير: الحنانُ الرحيمُ بعباده فعَّال من الرحمة للمبالغة، وقيل: الحنان في صفة الله هو بالتشديد ذو الرحمة والتعطف(١).

التفسير:

ذكر المفسرون في بيان معنى هذا الاسم في حقه تعالى نحو ما ورد من المعاني اللغوية، من أن الحنان هو الرحمة والشفقة، وفي هذا يقول المفسرون عند تفسيرهم آية سورة مريم، قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ هو في الأصل من حن إذا ارتاح واشتاق، ثم استعمل في الرحمة والعطف، ومنه الحنَّان لله تعالى، وهو مفسرٌ باتصافه تعالى بالرحمة، وفيه مبالغة تقتضيها صيغة فعَّال(٢).

***

(١) تراجع مادة (حنَّ) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٢٤. ومادة (حنن) في: مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٨٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ١٢٨.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٦/ ٧٢. ومعه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢١/ ١٦٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١١/ ٨٧.

[٤] (الشافي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا (الشافي) قد وردت مادته في القرآن في موضع واحد في سورة الشعراء، وذلك على لسان سيدنا إبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾(١).

وقد ورد هذا الاسم نصًّا في السنة المطهرة؛ فأخرج الإمام البخاري من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أُتِيَ به قال: "أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ الناس اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ الا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"(٢).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام القرطبي(٣).

اللغة:

مادة (شفى) تدل في اللغة على الإشراف على الشيء، فيُقال: فلان على شفا كذا، أي: على طرفه، ومن ثم فالشفاء دلالة على قرب انتهاء المرض ولذلك يُقال شفى الله فلان أي عافاه من مرضه، فالشفاء هو البرء من المرض، وأطلقنا على الحق سبحانه الشافي لأنه فاعل للشفاء، أي هو الذي يقوم بفعل الإشفاء على الحقيقة وليس غيره(٤).

التفسير:

الشفاء: رفع ما يؤذي أو يؤلم من البدن، ويجوز أن يقال في الدعاء يا شافي يا كافي؛ لأن الله عز وجل يشفي الصدور عن الشبه والشكوك والحسد، والأبدان من الأمراض والآفات، ولا يقدر على ذلك غيره تعالى، ولا يدعى بهذا الاسم سواه(٥).

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: المرضى، باب: دعاء العائد للمريض، حديث رقم: (٥٣٥١)، ٥/٢١٤٧.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٣٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) تُراجع مادة (شفى) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ١٩٩. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٦٧. ولسان العرب، لابن منظور، ٣٤٦/١٤.

(٥) يُنظر: الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ١/ ٢١٩.

والشافي في حقه تعالى معناه: أنه تعالى من يقوم بإحداث الإبراء والمعافاة على الحقيقة.

يقول الإمام الطبري عند تفسيره آية سورة الشعراء: "قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه"[١].

ومن ثم فإنما يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا شافي على الإطلاق إلا الله وحده، فيعتقد أن الشفاء له وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب شفاءً، وإنما هي أسباب يخلق الله عندها فعله وهى الصحة التي لا يخلقها أحد سواه[٢].

***

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٩/ ٣٦٣.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٣٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

[٥] (الصانع)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (الصانع)، وقد وردت مادته في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾(١).

ويتأَيَّدُ هذا بما جاء في الصحيح من حديث أبو هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «لَا يَقُولَنَّ أحدكم اللّٰهم اغْفِرْ لي إن شِئْتَ اللّٰهم ارْحَمْنِي إن شِئْتَ لِيَعْزِمْ في الدُّعَاءِ فإن اللَّهَ صَانِعٌ ما شَاءَ لَا مُكْرِهَ له»(٢).

وعدَّ العلامة الآلوسي في تفسيره هذا الاسم من الأسماء الثابتة لله تعالى(٣).

اللغة:

مادة الصاد والنون والعين: تدل في اللغة على عمل الشيء صنعًا، والصُنع بالضم: مصدر قولك صنع إليه معروفًا، وصنع به صنيعًا قبيحًا، أي: فعل، والصِناعة بالكسر: حرفة الصانع، وعمله: الصنعة، ويقال: صنعه يصنعه صنعًا فهو مصنوع، والحق سبحانه هو الصانع بمعنى أنه أوجد الأشياء وأبدع صنعتها من العدم بعد أن لم تكن وصارت في أحسن تقويم وتقدير(٤).

التفسير:

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن بعض مظاهر قدرته سبحانه وتعالى في الخلق، ومنها أنه هو الذي جعل الليل للناس ليسكنوا فيه وليستريحوا من عناء النهار، وجعل النهار المنير المشرق الذي يبصر فيه الناس الأشياء للحركة ونشاط الحياة وسعي الرزق، ومن المظاهر أيضًا التي تدل على قدرته تعالى ما ذكر من الأمور التي تحدث يوم القيامة من النفخ في الصور وتسيير الجبال

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء، ولا يقل إن شئت، حديث رقم: (٢٦٧٩)، ٤/ ٢٠٦٣.

(٣) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٩/ ١٢٢.

(٤) تراجع مادة (صنع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٣١٣. مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٧٩. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٢٠٨، ٢١٣ بتصرف كبير.

كأنها سحاب، وبعد ذكر هذه الأشياء يُتبع الحق سبحانه بالإخبار بأنها من صَنْعَتِه وأنه سبحانه أتقن صنع كل شيء وأبدعه على غير مثال سابق على وفق ما تقتضيه الحكمة[(١)].

فالصانع في حقه تعالى: هو الذي خلق الأشياء وأبدعها في غاية الحكمة والإتقان على غير مثال سابق.

***

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٤/ ١٨٩، ومعه: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٣/ ٢٤٣. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦/ ٢١٧.

[٦، ٧] (القابض، الباسط)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (القابض، والباسط)، وقد وردت مادتهما في القرآن الكريم في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[١].

وورد هذان الاسمان في السنة المطهرة نصًّا، وذلك من حديث أنس ﷺ قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سَعِّرْ لنا، فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»[٢].

وعدَّ هذين الاسمين من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والفخر الرازي، والغزالي، والخطابي، والحليمي[٣].

اللغة:

مادة القاف والباء والضاد: تدل في اللغة على الأخذ، يقال: قبضت الشيء قبضًا أي أخذته، والقبض خلاف البسط، ويقال: صار الشيء في قبضتك أي في ملكك، والقبض: الأخذ بجميع الكف، والحق سبحانه هو القابض ومعناه: هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته ويقبض الأرواح عند الممات[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: البيوع، باب: التسعير، حديث رقم: (١٣١٤)، ٣/ ٦٠٥. وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني عن هذا الحديث في «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» (٣/ ٣١): "إسناده على شرط مسلم، وقد صححه ابن حبان".

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٥٨. ط: دار الصحابة بطنطا. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٧٦. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٨٢. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥٧. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٣.

(٤) تُراجع مادة (قبض) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٥٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٤٦. ولسان العرب، لابن منظور، ٧/ ٢١٣.

ومادة الباء والسين والطاء: تدل على امتداد الشيء، والبسطة في كل شيء السعة، والبسط في حق الله تعالى معناه: أنه هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسع عليهم بجوده ورحمته ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، والبسط نقيض القبض، يقال: بسطه يبسطه بسطًا فانبسط وبسطه فتبسط(١).

التفسير:

لو نظرنا إلي أقوال المفسرين حول بيان معنى اسمه القابض والباسط سنجد أنهم ذكروا من المعاني ما يقارب ما ورد في المعاني اللغوية، فقالوا: إن الحق سبحانه قد يقبض، أي: يضيق ويمسك على عباده في الرزق، وقد يبسط ويوسع عليهم فيه حسب علمه سبحانه وحكمته.

جاء في تفسير الآلوسي عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾، أي: يقتر على بعض ويوسع على بعض، أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه الحكمة التي قد دق سرها وجل قدرها، وإذا علمتم أنه هو القابض والباسط وأن ما عندكم إنما هو من بسطه وعطائه فلا تبخلوا عليه، فأقرضوه وأنفقوا مما وسع عليكم، ولا تعكسوا بأن تبخلوا بدل ذلك فيعاملكم مثل معاملتكم بأن يقبض ويقتر عليكم من بعد ما وسع عليكم وأقدركم على الإنفاق(٢).

***

---

(١) تراجع مادة (بسط) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٤٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٤. ولسان العرب، لابن منظور، ٧/ ٢٥٨.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢/ ١٦٣. ويراجع معه أيضًا: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٦/ ١٤٣، ١٤٤. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥/ ٢٨٨.

[٨] (القاضي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (القاضي)، وقد وردت مادته في أكثر من موضع، ومنها: في سورة البقرة: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢]. وفي سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]. وفي سورة غافر: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾[٤].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌ من: الإمام القرطبي، الإمام الحليمي[٥].

اللغة:

مادة (قضى): تدل في اللغة على إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه، والقضاء: الحكم، ولذلك سمي القاضي قاضيًا؛ لأنه يحكم الأحكام وينفذها، وسميت المنية قضاء لأنه أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، ومن ثمَّ فاسمه سبحانه (القاضي) يكون معناه: الحاكم والمُلْزِم بما شاء؛ فلا معقب لحكمه[٦].

التفسير:

القضاء في حقه تعالى: إحكامه الأمر وإنفاذه، والله تعالى القاضي، أي: المُلزم حكمه، اللازم قضاؤه، وعلى هذا تدور أقوال المفسرين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٠.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ١٩٠. ط: دار الصحابة بطنطا. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٢.

(٦) تُراجع مادة (قضى): في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٩٩. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٥٥، ٢٥٦. ولسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ١٨٦ بتصرف. ويُراجع أيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ١٩٤، ١٩٥. ط: دار الصحابة بطنطا.

يقول الإمام الطبري عند تفسير آية سورة البقرة: "قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فإنه يعني بذلك: وإذا أحكم أمرًا فَحَتَمَهُ، فإنما يقول لذلك الأمر كن، فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون وأراده، قال بعضهم: ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أمره المحتوم على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاءً من خلقه الموجودين أنه إذا أمره بأمر نفذ فيه قضاؤه ومضى فيه أمره.. ثم ذكر أقوالا متعددة حول بيان معنى القضاء وكونه يقول للشيء كن فيكون وبعد ذلك اختار الرأي الراجح له من بين هذه الأقوال حيث قال: يقول أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أن يقال: هو عام في كل ما قضاه الله وبرأه؛ لأن ظاهر ذلك ظاهر عموم، وغير جائز إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان، فأمر الله جل وعز لشيء إذا أراد تكوينه موجودا بقوله: ﴿كُن﴾ في حال إرادته إياه مكوَّنا ، لا يتقدم وجود الذي أراد إيجاده وتكوينه إرادته إياه ولا أمره بالكون والوجود ولا يتأخر عنه، فغير جائز أن يكون الشيء مأمورًا بالوجود مرادًا كذلك إلا وهو موجود، ولا أن يكون موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك"(١).

وقال الإمام الآلوسي عند تفسير آية سورة آل عمران: "قال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، أي: أراد شيئًا فالأمر واحد الأمور والقضاء في الأصل الإحكام، وأطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بإيجاد المعدوم وإعدام الموجود، وسميت بذلك لإيجابها بنا وتعلقها به البتة، وقوله: ﴿يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، أي: يحدث، وهذا عند الأكثرين تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة "(٢).

وقضاء الحق سبحانه لا يكون عن فكر وروية أو تجربة أو غير ذلك، وإنما قضاؤه سرعة نفاذ قدرته تعالى.

يقول الإمام الفخر الرازي: "قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ قيل: إذا خلق شيئاً، وقيل: حكم بأنه يفعل شيئاً، وقيل: أحكم أمراً، وقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ قيل: أن المراد من هذه الكلمة سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الأشياء، وأنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة "(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢/ ٥٤٤: ٥٤٧ بتصرف كبير.
(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١٦٤.
(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٤/ ٢٥، ٢٦ بتصرف.

[٩، ١٠] (المُبْدِئ، المُعِيد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المُبْدِئ، والمُعِيد)، وقد وردت مادته في أكثر من موضع، ومنها: في سورة يونس: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾[١]. وفي سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢]. وفي سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[٣].

وعدَّ هذين الاسمين من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والفخر الرازي، والغزالي، والخطابي[٤].

اللغة:

مادة الباء والدال والهمزة: تدل في اللغة على افتتاح الشيء، يُقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء، ويُقال: بدأ به وابتدأ وبدأه: فعله ابتداءً، وبدأ الشيء، أي: أنشأه واخترعه على غير مثال سبق، والحق سبحانه هو المُبْدِئ، أي: الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثال[٥].

ومادة العين والواو والدال: تدل في اللغة على تثنية في الأمر، يُقال: عاد إلى الشيء، أي: رجع إليه، والعودة: المرة الواحدة، وقولهم: عاد فلان بمعروفه، وذلك إذا أحسن ثم زاد، وعُدْتُ المريضَ

(١) سورة يونس، الآية: ٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البروج، الآيتين: ١١، ١٢.

(٤) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٨٦. ط: دار الصحابة بطنطا. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٢٤. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٦. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٩.

(٥) تراجع مادة (بدأ) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢١٢. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٠. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٢٦.

أعوده عِيادة بالكسر، والمعاد: كل شيء إليه المصير، والآخرة معاد للناس، والله تعالى المُبْدِئ المُعِيد، وذلك أنه بدأ الخلق وأنشأهم ابتداءً ثم يعيدهم إلى الحالة التي أنشأهم عليها مرةً أخرى[١].

التفسير:

معنى هذين الاسمين في حقه تعالى: أنه تعالى هو الذي بدأ إنشاء الخَلْقِ وإيجاده، وهو الذي يعيده مرة أخرى فيحييه ويوجده بعد فنائه كهيئته يوم ابتدأه، وعلى هذا تدور أقوال المفسرين[٢].

ومن ثم فإنه يجب على كل مسلم أن يعلم أن الله سبحانه هو المُبْدِئ المُعِيد، وأنه بدأ الخلق على غير مثال ثم يعيدهم على ذلك المثال قدرةً وحكمةً لا حاجةً، وأنه سبحانه قد تفضل على العباد بالنعم ابتداءً وقد يعيدها ويكررها وقد يقطعها ذلك بحسب تحصينها بالشكر وإدامتها بالذكر[٣].

والمعنى الأخير من ابتداء النعم وإعادتها معنى خاص مطلق عن سياق الآيات، ولكن اللفظ يحتمله.

***

(١) تُراجع مادة (عود) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ١٨١. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٢١. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٣١٥.

(٢) يُنظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٥/ ٢٠ عند تفسير آية سورة يونس، ومعه أيضًا: روح المعاني، للآلوسي، ٣٠/ ٩١ عند تفسير آية سورة البروج، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٤/ ٢٠: ٢٢ عند تفسير آية سورة الروم.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٨٩. ط: دار الصحابة بطنطا.

[١١] (الـمُحْسِن)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المُحْسِن)، وقد وردت مادته في عدَّة مواضع، ومنها: في سورة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[١]. وفي السورة نفسها: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾[٢]. وفي سورة القصص: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[٣]. وفي سورة السجدة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾[٤].

ويتأيَّدُ هذا بما جاء في السنة المطهرة؛ فقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ»[٥].

وعدَّ الإمام القرطبي هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم؛ لورود مادته، وهي الفعل[٦].

اللغة:

مادة الحاء والسين والنون: تدل في اللغة على الحُسْنِ الذي هو ضد القُبْح، يُقال: رجل حسن وامرأة حسناء، والجمع محاسن، وهى ضد المساوئ. يُقال: حسَّن الشيءَ تحسينًا أي زيَّنَهُ وجعلَهُ في أبهى صورة، ويُقال: أحسن فلان إلى فلان أي أسدى له معروفًا، وهو في حقه تعالى يرجع معناه إلى المُفَضِلِ، وذي الفضل، والمَنَّان، والوهَّاب[٧].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٧.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: (٥٧٣٥)، ٦/ ٤٠. قال الإمام نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٧): "رجاله ثِقَاتٌ"، وكذلك الحافظ المُناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٩٠).

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥١٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٧) ترجع مادة (حسن) إلى في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٥٧، ٥٨. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٧٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١١٤/١٣.

التفسير:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين حول بيان معنى اسم (المُحْسِن) على اختلاف التفاسير والمواضع التي ذكر فيها الاسم، سنجد أنها تشير إلى أن المُحْسِن في حقه تعالى معناه: المتفضل والمُنْعِم على العباد بجلائل النعم ودقائقها، وهو الذي غمر الخلق جميعاً بإحسانه وفضله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين، ولا قيام لهم ولا بقاء إلا به تعالى وبجوده وإنعامه سبحانه، والإحسان وصف لازم له لا يخلو موجود عن إحسانه سواء من جهة نعمة الإيجاد أو نعمة الإمداد، وهذا كله يقتضي الشكر له سبحانه وتعالى وطاعته في كل شيء، ومزيد إحسانه متعلق بشكره والاعتراف بفضله؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1].

***

(١) ينظر: روح المعاني، للآلوسي، ٢٠/ ١١٣. ومعه: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٠/ ١٧٩. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٥/ ١٤. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٣/ ٣١٤. وفتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٢١٥. وأيضًا: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور محمد الحمود النجدي، ٢/ ١٣٥. والآية رقم: (٧) من سورة إبراهيم.

[١٢] (المُحْصِي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المُحْصِي)، وقد ورد ذكره في أكثر من موضع، منها: في سورة مريم: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾(١). وفي سورة يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾(٢). وفي سورة المجادلة: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(٣). وفي سورة الجن: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾(٤). وفي سورة النبأ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾(٥).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: الفخر الرازي، والقرطبي، والغزالي، والخطابي، والحليمي(٦).

اللغة:

مُحْصِي في اللغة مُفْعِل بمعنى فاعل، وهو إما من أحصى بمعنى (عدَّ)، يُقال: أحصيت الشيء إذا عددته، فهو تعالى الذي يحصي كل شيء بعلمه فلا يفوته منها دقيق ولا جليل، وقد يكون من الإحصاء بمعنى الإحاطة، يُقال: أحصى الشيء أي أحاط به، ولا يقدر على هذا إلا الله سبحانه وتعالى(٧).

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٤.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٢٩.

(٦) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٢٣، ٢٢٤. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٥٥: ٢٥٧. ط: المكتبة العصرية، بيروت. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٦. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٩. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٨، ١٩٩.

(٧) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: (حصوي)، ٢/ ٦٩، ٧٠. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (حصا)، ص: ٧٥. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (حصى)، ١٤/ ١٨٤.

التفسير:

الناظر في كتب التفسير لبيان معنى هذا الاسم (المُحْصِي) في حقه تعالى يجد أن معظم أقوال المفسرين تدور حول أن الإحصاء بمعنى العد والإحاطة، فقالوا في تفسير آية سورة مريم: قوله: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾: أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج أحد منهم من علمه وقدرته جل جلاله فكلهم تحت أمره تعالى وتدبيره وقهره، لا يفوته شيء من أحوالهم[1].

ومن ثم فإنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله هو المحصي لكل شيء جملة وتفصيلاً فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أكبر من ذلك ولا أصغر، وكل شيء عنده بمقدار.

***

(١) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ١٦/ ١٤٢، ومعه أيضًا: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢١/ ٢١٨، وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧٩.

[١٣] (المُدَبِّر)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المدبر)، وقد وردت مادته في أربعة مواضع، وهي: في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾(١). وفي السورة نفسها: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٢). وفي سورة الرعد: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(٣). وفي سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾(٤).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والخطابي، والحليمي(٥).

اللغة:

مادة الدال والباء والراء: تدل في اللغة على آخر الشيء، وَخُلْفُهُ خِلاَفُ قُبُلِهِ، يقال دبَّر يدبر تدبيراً، والتدبير: أن يدبر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخرته، والتدبر التفكر فيه، وهذا الوصف في حق الله تعالى راجع إلى الإرادة والعلم؛ فإن أدبار الأمور وعواقبها مرادة لله تعالى فأولها كآخرها إذا علم مفتتحها ومنتهاها، وكان تدبيره حاصرًا لها فأينما أوقعها وقعت، فالمدبر على هذا من أوصاف الذات، وإن جعلنا التدبير عبارة عن الترتيب والوضع وتفضيل الموجودات في حال الصنع كان من صفات الفعل(٦).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٩٤. ط: مكتبة العصرية، بيروت. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٤. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٠.

(٦) تُراجع مادة (دبر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٣٢٤. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٠١. ويُنظر أيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص ٣٩٤. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

التفسير:

التدبير: النظر في عواقب المقدرات وعوائقها لقصد إيقاعها تامة فيما تقصد له محمودة العاقبة، والغاية من التدبير الإيجاد والعمل على وفق ما دبر، وتدبير الله الأمور عبارة عن تمام العلم بما يخلقها عليه، لأن لفظ التدبير هو أوفى الألفاظ اللغوية بتقريب إتقان الخلق، والأمر: جنس يعم جميع الشؤون والأحوال في العالم(١).

والمدبر في حقه تعالى يشتمل على صفات الكمال والجلال له سبحانه، فالمدبر هو الذي يقدر الأمور بحكمة على وفق علمه تعالى وإرادته، لا راد لأمره وقضائه فيها، فهو مستولٍ على الأمر مستحكم عليه، ما من غائبة في السموات ولا في الأرض إلا بتدبيره وترتيبه(٢).

ومن خلال ما سبق يتبيَّن أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا مدبر على الإطلاق إلا الله تعالى وحده، وأنه المدبر لجميع خلقه والقائم بأمورهم وجميع مصالحهم، وأن كل تدبير منه وبه(٣).

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١١/ ٨٧.

(٢) يُراجع: المرجع السابق بالتخريج نفسه، ومعه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١٧/ ١٣. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٨/ ٣٠٨. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٤/ ٢٤٧.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٩٥. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

[١٤، ١٥] (المُعِزُّ، المُذِلُّ)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المُعِزُّ، والمُذِلُّ)، وقد وردت مادتها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾(١).

وعدَّ هذين الاسمين من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: الفخر الرازي، والقرطبي، والغزالي، والخطابي، والحليمي(٢).

اللغة:

مادة (عزَّ) تدل في اللغة على الشدة والقوة والغلبة، والعز والعزة الرفعة والامتناع، فالمعز اسم فاعل من الفعل (عزَّ) يقال أعز الله فلان أي رفع مكانته وأعلى قدره، والعِز هو ضد الذُل(٣).

ومادة (ذلَّ) تدل على الخضوع، والاستكانة، واللين، ويدل أيضًا على الخسة، والإهانة، والحط من القدر، والحق سبحانه وتعالى هو المذل أي هو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده وينفي عنه أنواع العز جميعها(٤).

التفسير:

هذان الاسمان من الأسماء المتقابلة التي يوصف فيها الله تعالى بالشيء وضده للدلالة على كمال العلم والقدرة، ووُصِفَ اللهُ تعالى بهما للدلالة على كون طرفا الأمور بيديه جل وعلا، وقد أشار

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) يُنظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ١٧٨، ١٧٩. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٧٠: ٣٧٢. ط: دار الصحابة بطنطا. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٨٣. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥٨. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٨.

(٣) تراجع مادة (عز) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/ ٣٨، ويراجع: مختار الصحاح، للرازي، ١/ ٤٦٧، ويراجع: لسان العرب، لابن منظور، ٥/ ٣٧٤.

(٤) تراجع مادة (ذلَّ) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/ ٣٤٥، ويراجع: مختار الصحاح، للرازي، ١/ ٢٢٦، ويراجع: لسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٢٥٧.

المفسرون إلى هذه المعاني وذكروا معان أخرى، وفي هذا يقول العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة آل عمران: "وتعز من تشاء، أن تعزه في الدنيا والآخرة أو فيها بالنصر والتوفيق. وتذل من تشاء، أن تذله في إحداهما أو فيها من غير ممانعة الغير، وقيل: المراد تعز محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بأن تدخلهم مكة ظاهرين وتذل أبا جهل وأضغاث الشرك بالقتل والإلقاء في القليب

وقيل: تعز المهاجرين والأنصار وتذل فارس والروم.

وقيل: تعز المؤمنين بالظفر والغنيمة وتذل اليهود بالقتل والجزية.

وقيل: تعز بالإخلاص وتذل بالرياء

وقيل: تعز الأحباب بالجنة والرؤية وتذل الأعداء بالنار والحجاب.

وقيل: تعز بالقناعة والرضا وتذل بالحرص والطمع، وقيل وقيل، وينبغي حمل سائر الأقوال على التمثيل؛ لأنه لا مخصص في الآية"(١).

وتفسير الآية بالمعنى العام الأول أولى، ويؤيد ذلك ما ورد في تفسير الآية عند الإمام البيضاوي حيث فسرها بالمعنى الأول المذكور في تفسير الآلوسي، يقول البيضاوي: "قوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾أي: في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان"(٢).

ومما ينبغي الإشارة إليه: أن الإعزاز والإذلال يكون في الدين والدنيا، أما الذي في الدين؛ فبإرادته تعالى لهم مزيد العناية والرعاية واللطف، وإعلاءهم على الأعداء بحسب المصلحة، وأما الذي في الدنيا؛ فبإعطاء الأموال الكثيرة، وزيادة الحرث، وإلقاء الهيبة في قلوب الخلق....إلخ(٣).

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ٣/ ١١٤.
(٢) تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٢/ ١١.
(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٨/ ٧.

[١٦] (المُعْطِي)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المعطي)، وقد وردت مادته في أكثر من موضع، ومنها: في سورة هود: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[(١)]. وفي سورة الإسراء: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[(٢)]. وفي سورة طه: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[(٣)].

ويتأيَّدُ هذا بِما جاء في السنة المطهرة؛ ففي الصحيح من حديث معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وأنا الْقَاسِمُ، ولا تَزَالُ هذه الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ على من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[(٤)].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌ من الإمام القرطبي، والإمام الحليمي[(٥)].

اللغة:

مادة العين والطاء والحرف المعتل: تدل في اللغة على أخذ ومناولة، ومنه اشتق الإعطاء. والمعاطاة: المناولة. والعطاء: اسم لما يعطى، وهي العطية، والجمع عطايا، يُقال: رجل معطاء أي كثير العطاء. والتعاطي: تناول ما ليس له بحق، يُقال: فلان يتعاطى ظلم فلان. والـمُعْطِي مُفْعِل اسم فاعل، والله سبحانه هو الذي يعطي عباده ويتفضل عليهم ويُمَكِنَّهم من نعمه مما ليس في أيديهم[(٦)].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الخُمْس، باب: قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٤١]، حديث رقم: (٢٩٤٨)، ٣/ ١١٣٤.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٥٥: ٢٥٧. ط: دار الصحابة بطنطا. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٦.

(٦) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (عطى)، ٤/ ٣٥٣، ٣٥٤. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (عطا)، ص: ٢١٢. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (عطا)، ١٥/ ٦٨: ٧٠ بتصرف كبير.

التفسير:

جاءت مادة الإعطاء في حقه تعالى في سورة طه في سياق الحديث عن قصة موسى عليه السلام وفرعون، فعندما سأل فرعون موسى ﷺ عن ربه، أجابه موسى عليه السلام بأن ربه هو الحق سبحانه وتعالى الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته وتفضل على كل المخلوقات بالنعم، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾، الظاهر أنه عموم الأفراد، أي: أعطى كل شيء من الأشياء الأمر الذي طلبه بلسان استعداده من الصورة والشكل والمنفعة والمضرة وغير ذلك، أو الأمر اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع المطابق له، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه، والحق أن الله تعالى راعى الحكمة فيما خلق وأمر تفضلاً ورحمةً لا وجوبًا، وهذا مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة كما نقل صاحب المواقف"[١].

وأقرب ما قاله المفسرين في بيان معنى هذا الاسم في سياق الآيات ما قاله الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره حيث قال: "قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ﴾، أي: الذي أعطى كل شيء من الموجودات شكله المختص به، فكونت بذلك الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص من آثار ذلك الخلق - فيكون المعنى العام- تأمل وانظر هل أنت -أي: فرعون- أعطيت الخلق أو لا؟ فلا شك أنه يعلم أنه ما أعطى كل شيء خلقه، فإذا تأمل علم أن الرب هو الذي أفاض الوجود والنعم على الموجودات كلها، فآمن به بعنوان هذه الصفة وتلك المعرفة الموصلة إلى الاعتقاد الحق"[٢].

وقد ذكر الإمام الفخر الرازي في تفسير الآية وجهين؛ الأول: أنه تعالى أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، والثاني: أن يكون المراد من الخلق الشكل والصورة المطابقة للمنفعة، فكأنه سبحانه قال أعطى كل شيء الشكل الذي يطابق منفعته ومصلحته، والمعنى: أن كل شيء خلقه الله لم يخله من إعطائه وإنعامه[٣].

***

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١٦/ ٢٠١ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٦/ ٢٣٢، ٢٣٣ بتصرف.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٢/ ٥٨.

[١٧] (الـمُغْنِي)

مـن أسـماء الله تعـالى الـواردة في القـرآن الكـريم اشـتقاقًا: (الـمُغْنِي)، وقـد وردت مادتـه في عـدة مواضـع، ومنهـا: في سـورة التوبـة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[١]. وفي سـورة النسـاء: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٢]. وفي سـورة النـور: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

وعدَّ الإمام القرطبي هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم؛ لورود مادته، وهي الفعل[٤].

اللغة:

مادة (غنى) تدل في اللغة على الكفاية في الشيء، والمغني على وزن مفعل بمعنى فاعل، يقال: أغنى فلان في كذا إذا كان ذا كفاية في أمر ما فأحسن القيام به، وأصله من الفعل الثلاثي غنى، يقال: غَنى يغني فهو غني وأغنى يُغني مركب على الثلاثي تعدى إلى المفعول لما زيدت فيه الهمزه والثلاثي هو الأصل، والمغني من أسمائه سبحانه وتعالى وهو الذي يغني من يشاء من عباده[٥].

التفسير:

الحق سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته، فهو غنيٌ عن كل ما سواه، أما كل ما سواه فممكن لذاته، فوجوده بإيجاده تعالى له، فكان سبحانه هو الغني لا غير، والـمُغْنِي في حقه تعالى: هو الذي يتفضل على عباده بالإغناء والكفاية لهم؛ فهو الذي ساق إليهم أرزاقهم وأغناهم عمن سواه، وحول

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥١٩: ٥٢٢. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٥) تراجع مادة (غني) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤/ ٣٩٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٣٠، ٢٣١. ويُراجع أيضًا: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥١٩. ط: دار الصحابة بطنطا.

هذه المعاني تدور أقوال المفسرين، ومنها ما ذكره العلامة الآلوسي عند تفسير آية سورة النور حيث قال: "قوله: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الظاهر أنه وعد الله ﷻ بالإغناء"[١].

وقريب من هذا ما ذكره الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسير الآية نفسها حيث قال: "وإغناء الله إياهم: توفيق ما يتعاطونه من أسباب الرزق التي اعتادوها مما يرتبط به سعيهم الخاص من مقارنة الأسباب العامة أو الخاصة التي تفيد سعيهم نجاحًا وتجارتهم رباحًا، والمعنى: أن الله تكفل لهم أن يكفيهم مؤنة ما يزيده التزوج من نفقاتهم"[٢].

❊❊❊

(١) روح المعاني، للآلوسي، ١٨/ ١٤٨. ويُراجع معه أيضًا: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٥٣.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٨/ ٢١٧.

[١٨] (مقلب القلوب والأبصار)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (مقلب القلوب والأبصار)، وقد وردت مادته في موضع واحد في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾[١].

ويتأيَّدُ هذا بما جاء في السنة المطهرة؛ حيث ورد فيها قريبٌ منه، ففي الصحيح عن سالم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كانت يمين النبي ﷺ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»[٢].

وعدَّ الإمام القرطبي هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم؛ لورود مادته، وهي الفعل[٣].

اللغة:

مادة القاف واللام والباء: أصلان صحيحان في اللغة؛ أحدهما: يدل على خالص شيء وشريفه أي القلب. والآخر: على رد شيء من جهة إلى جهة، يقال: قلبت الثوب قلبًا، وقلبت الشيء: كببته، وقلبته بيدي تقليبًا، وقد يكون القلب بمعنى الصرف، فقد كان يُقال لمعلم الصبيان اقلبهم أي اصرفهم إلى منازلهم، والانقلاب: الرجوع مطلقًا، والانقلاب إلى الله ﷻ: المصير إليه والتحول إليه، ومقلب القلوب والأبصار، أي: مصرفها ومغيرها من حال إلى حال[٤].

التفسير:

معنى هذا الاسم في حقه تعالى: أنه يُصِّرف القلوب والأبصار من حال إلى حال؛ من الإيمان إلى الكفر وعكسه، ومن الطاعة إلى المعصية وعكسه، ومن اليقظة إلى الغفلة وعكسه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم: (٦٢٥٣)، ٦/ ٢٤٤٥.

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٥٨. ط: دار الصحابة بطنطا.

(٤) تراجع مادة (قلب) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ١٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٥٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٦٨٥، ٦٨٦ بتصرف. ومعهم أيضًا: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٤١٢. ط: دار الخلود للتراث بالقاهرة.

وقد جاء في كتب التفاسير ما يشير إلى هذا المعنى؛ فيقول الإمام أبو جعفر الطبري: "وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يُقال: إن الله جلَّ ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤْمِنُنَّ بها: أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء، وأن ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد، وأن قوله: ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ دليل على محذوف من الكلام، وأن قوله: ﴿كَمَا﴾ تشبيه ما بعده بشيء قبله، وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك"(١).

وقال الإمام الطاهر ابن عاشور: "فالمعنى: نقلب أفئدتهم لأنهم عصوا وكابروا فلم يؤمنوا بالقرآن أول ما تحداهم، فنجعل أفئدتهم وأبصارهم مستمرة الانقلاب عن شأن العقول والأبصار، فهو جزاء لهم على عدم الاهتمام بالنظر في أمر الله تعالى وبعثة رسوله، واستخفافهم بالمبادرة إلى التكذيب قبل التأمل الصادق، وتقديم الأفئدة على الأبصار لأن الأفئدة بمعنى العقول، وهي محل الدواعي والصوارف، فإذا لاح للقلب بارق الاستدلال وجه الحواس إلى الأشياء وتأمل منها"(٢).

ومن ثم فإنه على كل مسلم أن يعلم أن الله تعالى هو الذي يقلب القلوب والأبصار، وأن كل شيء بيده، فهو يقول للشيء كن فيكون، روى في السنن عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ»(٣).

ولذلك كان النبي ﷺ يدعوا الله تعالى أن يثبِّت قلبه ويصرفه على طاعته، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يقول: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بني

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٢/ ٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٧/ ٤٣٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتابٌ: في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بابٌ: في القدر، حديث رقم: (٨٨)، ١/ ٣٤. قال الحافظ المُناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٥/ ٥٠٨): "سنده جيِّدٌ، ولهذا رمز المصنف - يعني الإمامَ السيوطي- لِحُسْنِهِ".

آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثم قال رسول الله ﷺ «اللّٰهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ»[1].

***

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث رقم: (٢٦٥٤)، ٤/ ٢٠٤٥.

[١٩] (الـمُمِيت)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (الـمُمِيت)، وقد وردت مادته في القرآن الكريم في آيات كثيرة، ومنها: في سورة البقرة: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[١]. وفي سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]. وفي سورة يونس: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]. وفي سورة الحجر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٤].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى كلٌّ من الأئمة: القرطبي، والفخر الرازي، والغزالي، والخطابي، والحليمي[٥].

اللغة:

مادة الميم والواو والتاء: تدل في اللغة على ذهاب القوة في الشيء، يُقال: مات يموت موتًا، والاسم منه الموت الذي هو ضد الحياة، و المَوَاتُ بالفتح: ما لا روح فيه، والمَوات أيضا بالفتح الأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد، والمميت مفعل بمعنى فاعل، أي: هو سبحانه الذي يميت الخلائق[٦].

التفسير:

الله تعالى هو الـمُحْيي؛ لقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾[٧]، وقد تقدَّم ذكره وشرحه في الأسماء

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٣.

(٥) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٣٨٣. ط: دار الصحابة بطنطا. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للفخر الرازي، ص: ٢٢٤. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١١٦. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨٠.

(٦) تُراجع مادة (موت) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٢٨٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٠١. ولسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٩٠.

(٧) سورة الروم، الآية: ٥٠.

الصريحة، وهو تعالى المميت أيضًا؛ لقوله: ﴿هُوَ يُحْيِ، وَيُمِيتُ﴾[(١)]، وهذان الاسمان من الأسماء المتقابلة، ووصف الله تعالى بهما للدلالة على أن كلا طرفي الأمور بيديه، وهذا من كمال قدرته تعالى، فالله تعالى هو المؤثر الحقيقي في الحياة والموت لا أحد غيره، وهذا معنى المميت في حقه عز وجل[(٢)].

***

(١) سورة يونس، الآية: ٥٦.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٤/ ١٠٢. ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٤٧. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤/ ٢٤٧. وجامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٧/ ٣٣٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٢/ ١٤٧.

[٢٠] (الْمَنَّان)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المَنَّان)، وقد وردت مادته في أكثر من موضع، منها: في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١). وفي سورة النساء: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾(٢).

وقد ورد ذكر هذا الاسم في السنة المطهرة؛ فقد روى الإمام الترمذي عن أنس، قال: دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه: اللّٰهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهَ؟ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٣).

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى: الإمام الخطابي، والإمام الحليمي، والإمام القرطبي(٤).

اللغة:

مادة الميم والنون: تدل في اللغة على اصطناع خير، والمنان من صيغ المبالغة التي تدل على كثرة الفعل وهو المن أي التفضل والإحسان والإنعام على العباد، ومن ثم فالمن في كلامهم بمعنى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: خلق الله مائة رحمة، حديث رقم (٣٥٤٤)، ٥/ ٥٥٠. وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس". ونحوه في سنن أبي داود في كتاب: سجود القرآن، باب: الدعاء، حديث رقم: (١٤٩٥)، ١/ ٤٧٠. وأيضًا في المستدرك على الصحيحين للحاكم حديث رقم: (١٨٥٨)، ١/ ٦٨٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجاه، وله شاهد على شرط مسلم"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٤) يُنظر: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ١٠٠، ١٠١. والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ٢٠٣. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٥٨. ط: دار الصحابة بطنطا.

الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، ومن ثم قالوا: إن من أسمائه سبحانه وتعالى المنَّان[١].

التفسير:

معنى هذا الاسم في حقه تعالى لا يخرج عن المعنى اللغوي من التفضل والعطاء والإحسان، وعلى هذا تدور أقوال المفسرين ففي تفسير آية سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾ قالوا بأن المعنى، أي: أنعم وتفضل، وأصل المن: القطع؛ وسميت النعمة منَّة لأنه يقطع بها عن البلية، وكذا الاعتداد بالصنيعة مَنًّا لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها[٢].

والمنان صيغة مبالغة تفيد كثرة العطاء، يقول الإمام الخطابي: "المنَّان: هو كثير العطاء، والمن: هو العطاء لمن لا تستثيبه"[٣].

ومما ينبغي الإشارة إليه: أن فعل المن مقصور عليه سبحانه، فقد حذر الحق سبحانه وتعالى عباده من المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه؛ لأنه من العباد تكدير وتعيير، ومن الله سبحانه وتعالى تفضيل وتذكير، وأيضًا: لأنه ﷻ هو المنعم في نفس الأمر، والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده في الحقيقة، وأيضًا: لأن الامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه ولا تصلح العبودية والذل إلا لله[٤]، ومن ثم فإنه يجب على كل مسلم الاعتقاد بأنه لا منَّان على الإطلاق إلا الله وحده الذي بدأ بالنوال قبل السؤال، ثم يعترف بالمنة لله وحده[٥].

***

(١) تراجع مادة (منَّ) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٢٦٧، ومادة (منن) في: مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٩٩. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٤١٨.

(٢) يُنظر: روح المعاني، للآلوسي، ٤/ ١١٢، ومعه: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٦٤.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، ١٠٠، ١٠١.

(٤) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ٢/ ٨٩، ٩٠ بتصرف.

(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٢٦١. ط: دار الصحابة بطنطا.

[٢١] (المُنْعِم)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (المُنْعِم)، وقد وردت مادته في أكثر من موضع، ومنها: في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[١]. وفي سورة البقرة: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾[٢]. وفي سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[٣]. وفي سورة النحل: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾[٤]. وفي سورة النمل: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[٥].

وعدَّ هذا الاسم من أسماء الله تعالى -فيما أتيح لي من بحث واطلاع-: الحافظ ابن منده[٦] في كتابه : «التوحيد»[٧].

اللغة:

مادة النون والعين والميم: فروعها كثيرة، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّهٍ وطيب عيش وصلاح، والاسم منه النِّعْمَةُ: والنَّعمة بالفتح اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك، وهي أيضًا كل ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش، يُقال: نعمه الله وناعمه فتنعم، ويقال:

(١) سورة الفاتحة، الآية :٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٥) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٦) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبديّ الأصبهاني توفي سنة ٣٩٥هـ. من تصانيفه: «فتح الباب في الكنى والألقاب»، و «الرد على الجهمية»، و«معرفة الصحابة»، و«التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد»، و«تاريخ اصبهان»، و«الناسخ والمنسوخ».
[راجع: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢٣٨/٣)، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (١٦٧/٢)].

(٧) ينظر: التوحيد لابن منده، تحقيق: د. محمد عبد الله الوهيبي، د. موسى عبد العزيز الغصن، ص: ٤١٤، ٤١٥. ط/١: دار الهدى النبوي - مصر، دار الفضيلة - السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

قد أحسنتَ إليَّ وأنعمت أي زدت على الإحسان، والحق سبحانه هو المنعم لأنه هو الذي يتفضل بالنعم على العباد، وهو صاحب يد وخير عليهم[(١)].

التفسير:

النعمة: هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير والتفضل عليه، فالله تعالى هو المنعم، أي: المتفضل على العباد بجلائل النعم ودقائقها.

وما سبق هو مُحَصَّل ما جاء في أقوال المفسرين، والمقام يضيق عن التفصيل إلا أنني سأكتفي بإيراد نقلين مهمين للإمامين الرازي، والطاهر ابن عاشور، بهما يحصل البيان بإذن الله.

يقول الإمام الفخر الرازي عند تفسير آية سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[(٢)]: "قالوا في حد النعمة: إنها عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير. واعلم أن كل ما يصل إلى الخلق من النفع ودفع الضرر فهو من الله تعالى، ومن ثم فالنعمة على ثلاثة أقسام، أحدها: نعمة تفرد الله بإيجادها نحو أن خلق ورزق، وثانيها: نعمة وصلت من جهة غير الله في ظاهر الأمر وفي الحقيقة فهي أيضا إنما وصلت من الله تعالى وذلك لأنه تعالى هو الخالق لتلك النعمة والخالق لذلك المنعم والخالق لداعية الإنعام بتلك النعمة في قلب ذلك المنعم، إلا أنه تعالى لما أجرى تلك النعمة على يد ذلك العبد كان ذلك العبد مشكوراً ولكن المشكور في الحقيقة هو الله تعالى، وثالثها: نعم وصلت من الله إلينا بسبب طاعتنا وهي أيضاً من الله تعالى لأنه لولا أن الله سبحانه وتعالى وفقنا للطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الأعذار عنا لما وصلنا إلى شيء منها، فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم في الحقيقة من الله تعالى"[(٣)].

ويقول الإمام الطاهر ابن عاشور: "والنعمة بالكسر وبالفتح مشتقةٌ من النعيم وهو راحة العيش وملائم الإنسان والترفه، والمراد بالنعمة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ النعمة التي لم يشبها ما يكدرها ولا تكون عاقبتها سوأى، فهي شاملة لخيرات الدنيا الخالصة من العواقب السيئة ولخيرات الآخرة،

---

(١) تراجع مادة (نعم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤٤٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣١٤. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥٧٩، ٥٨٠ بتصرف.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ١/ ٢٠٨ بتصرف.

وهي الأهم، فيشمل النعم الدنيوية الموهوبي منها والكسبي، والروحاني والجثماني، ويشمل النعم الأخروية، والنعمة بهذا المعنى يرجع معظمها إلى الهداية، فإن الهداية إلى الكسبي من الدنيوي وإلى الأخروي كله ظاهرة فيها حقيقة الهداية، ولأن الموهوب في الدنيا وإن كان حاصلاً بلا كسب إلا أن الهداية تتعلق بحسن استعماله فيما وهب لأجله"[1].

***

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١/ ١٩٣، ١٩٤.

[٢٢] (الواجد)

من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم اشتقاقًا: (الواجد)، وقد وردت مادته في عدَّة مواضع، ومنها: في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾(١). وفي سورة ص في حق سيدنا أيوب ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٢). وفي سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾(٣).

وعدَّ الإمام القرطبي هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم؛ لورود مادته، وهي الفعل(٤).

اللغة:

مادة الواو والجيم والدال: تدل في اللغة على إيجاد الشيء يُقال: وجد الشخص ضالته، أي: حصل عليها، فالواجد: اسم فاعل من الفعل وجد، وقد وجَدَ يَجِدُ جِدةً، أي: استغنى غنى لا فقر بعده، ومعناها يختلف على حسب السياق؛ فيقال: الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر، أي: أغناني، وأوجدني بعد ضعف، أي: قوَّاني، وهذا من وَجْدِي، أَي: قُدْرتي، ووَجَدَ عليه، أي: غَضِبَ، ووَجَدَ وَجْدًا، أي: حَزِنَ(٥).

التفسير:

نقل الإمام القرطبي عن بعضهم أن (الواجد) في حقه تعالى له معنيان؛ الأول: العالِم، والثاني: الغني(٦).

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الضحى، الآيات: ٦ – ٨.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٥٣: ٢٥٥. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

(٥) تراجع مادة (وجد) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ٨٦. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٣٣. ولسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٤٤٥، ٤٤٦.

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٥٤ بتصرف. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

قلت: المعنى الثاني معنى عام خارج عن سياق الآيات الواردة فيها مادة هذا الاسم، والمعنى الأول هو المفهوم من سياق الآيات التي وردت فيها مادته؛ حيث ذكر المفسرون أقوالا مختلفة حول بيان معنى الوجود المذكور في الآيات، لكنَّ مُحَصَّلُهَا يدور حول معنى العلم، وعلمه سبحانه قديم يدل على كمال الإحاطة والقدرة، ومن أحاط علمه كل شيء لا يضل عنه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يعوزه شيء، ولا تجتمع هذه الصفات إلا في ذاته سبحانه وتعالى(١).

ومن ثم فإنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله هو الواجد الموجود على الإطلاق، وما عداه وإن كان واجدًا فهو فاقد لأشياء، فلا يكون واجدًا إلا بالإضافة، فالله سبحانه لا يفوته شيء ولا يعجزه شيء، وجميع الموجودات من إيجاده، وهو سبحانه له الوجود لذاته في الأزل(٢).

***

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٢/ ١٠٧، ومعه: تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٢/ ٣٨٦. ويراجع أيضًا: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ١/ ١٩٨. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٨١. والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٨.

(٢) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٢٥٤ بتصرف. ط: المكتبة العصرية، بيروت.

الفصل الثالث
في ذكر نماذج من أسرار اقتران أسماء الله الحسنى في بعض آيات القرآن الكريم

إن الاشتغال بأسماء الله الحسنى اشتغال بأعلى المطالب؛ لأن العلم بالله وأسمائه وصفاته من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، والقرآن الكريم الذي هو كلام الله المعجز كثيرًا ما يتعرض لذكر بعض الخلاصات من أسماء الله الحسنى في ختام الآيات، وهذه الخلاصات إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكر والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها، وفي تلك الخلاصات تظهر بعض لمحات من بوارق إعجاز القرآن وحكمة الخالق سبحانه في اقتران أسماء الله تعالى ببعضها، وهذا الأمر يدركه صاحب كل فهم مستقيم وذوق سليم؛ فقد حُكي أن أعرابيًا سمع من يقرأ قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾[1] "غَفُورٌ رَحِيمٌ".

ولم يكن قارئًا للقرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذلك، ومرَّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: هكذا ينبغي؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل[2].

وسوف أتعرض في هذه الخاتمة اليسيرة لهذا الباب من خلال هذا الفصل لذكر بعض الأسماء الحسنى المقترنة في القرآن الكريم، والتي يقع اقترانها غاية في الحكمة والتفرد بحيث لو اسْتُبْدِل اسمٌ فيها مكان آخر لأَخَلَّ ذلك في تركيب الجملة القرآنية، فسبحان الحكيم الذي وضع الأحكم والأنسب لسياق الآيات، وفيما يلي عرضٌ لنماذج من هذه الأسماء المقترنة مع بيان لمحات من أسرار هذا الاقتران:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

(٢) الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٦٣. ط/ ١: عالم الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م. وتُراجع هذه القصة في الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣/ ٣٤٧. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(١) العزيز الحكيم

هذان الاسمان متغايران في المعنى، وفي ذكر الحكيم بعد العزيز الذي معناه: أنه تعالى يفعل بعزته ما يشاء احتراسٌ حسنٌ يفيد أن أفعاله سبحانه وتعالى تجري حسب مقتضى الحكمه[١]، وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة هذين الاسمين لبعضهما في الذكر من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[٢].

وعزته سبحانه تقتضي أن يعاقبهم ولا يُفلتهم بعدما زلّوا وتركوا البراهين والأدلة الواضحة وما شاهدوه من نصرة المسلمين يوم بدر ومعاقبته سبحانه لهم إنما تسير على وفق حكمته سبحانه.

وفي هذا يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "والعزيز: فعيل من عز إذا قوي ولم يغلب، وأصله من العزة فكان العلم بأنه تعالى عزيزٌ مستلزمًا تحققهم أنه معاقبهم لا يُفلتهم، لأن العزيز لا ينجو من يُعادونه، والحكيم يجوز أن يكون اسم فاعل من حكم أي قوي الحكم، ويحتمل أنه المحكم للأمور فهو من مجيء فعيل بمعنى مفعل، **ومناسبته هنا:** أن المتقن للأمور لا يفلت مستحق العقوبة، فالكلام وعيد وإلا فإن الناس كلهم يعلمون أن الله عزيز حكيم"[٣].

المثال الثاني:

في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٤].

لو تأملنا في تذييل هذه الآية الكريمة بهذين الاسمين سوف نرى مدى التناسب التام في ذلك، وإن كان الناظر لأول وهلة يتوهم أن الأنسب ختام الآية بذكر المغفرة والرحمة لمناسبة ذلك لذكر الغفران قبلهما، لكن بالتأمل يتبين غاية الإحكام في كلام رب العالمين؛ إذ إنه تعالى يُبَيِّنُ أن الذي يغفر لمن يستحق العقوبة لابد وأن يكون غالبًا على أمره، لا يسأل عما يفعل، عزيز منيع، له العزة الكاملة،

(١) الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٢٨٠ بتصرف يسير.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

فلم يغفر له لغفلة منه -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، ثم إنه إذا فعل ذلك فإنما يفعله لحكمة، وحاشاه أن يكون شيء من أفعاله من قبيل العبث، بل الحكمة كل الحكمة في فعله سبحانه، وهذا الاحتراس الحسن حتى لا يتوهم أن غفرانه لمستحق العقوبة خارج عن الحكمة، فبيَّن الله تعالى أن الأمر ليس كذلك(١).

المثال الثالث:

في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾(٢).

جاء اقتران الاسمين هنا مناسب لسياق الآية، وفيه تمكين المعنى المسوق إليه، ووجه مناسبته هنا: أن بُعث الرسول تولية، والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندًا إلى حكمة مُرْسِلِه؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه، فلا بد وأن يكون حكيمًا فلا جرم كان اقترانهما مناسبًا(٣).

***

---

(١) يُراجع: هداية الرحمن في علوم القرآن، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الحميد وتد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، ص: ١٥٨، ١٥٩ بتصرف. ط: مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٨٨.

(٢) العليم الحكيم

هذان الاسمان متغايران في المعنى، وفي ذكر الحكيم بعد العليم، احتراس حسن يدل على أن علمه القديم سبحانه وتعالى يسير على وفق حكمته تعالى وإرادته، وقد تعرض الإمام أبو حامد الغزالي عند بيان معنى اسمه تعالى الحكيم للربط بين اسميه العليم والحكيم فقال: "الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن المعرفة بأفضل الأشياء، فأفضل العلوم العلم بالله، وأجل الأشياء هو الله، وقد سبق أنه لا يعرفه كنه معرفته غيره، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، فهو الحكيم الحق لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي القديم الذي لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء ، ولا شبهة ولا يتصور ذلك إلا في علم الله تعالى، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم، وكمال ذلك أيضًا ليس إلا لله تعالى، فهو الحكيم الحق "[١].

وينقل الإمام محمد الطاهر بن عاشور عن بعض العلماء أن الحكيم: ذو الحكمة، وهي العلم بالشيء وإتقان عمله، وهو الإيجاد بالنسبة إليه والتدبير بأكمل ما تستعد له ذات المدبَّر (بفتح الباء) والاطلاع على حقائق الأمور[٢].

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة النور في قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[٣].

ومناسبة العلم والحكمة في سياق الآية واضح؛ فالمراد من الآيات ما به يعرف المرء ما ينبغي أن يتمسك به، ثم بيَّن أنه تعالى لكونه عليمًا حكيمًا يُؤَثِّرُ بما يجب أن يبينه ويجب أن يطاع لأجل ذلك – أي: بعلمه تعالى وحكمته–؛ لأن من لا يكون عالماً لا يجب قبول تكليفه لأنه قد يأمر بما لا ينبغي، ولأن المكلف إذا أطاعه فقد لا يعلم أنه أطاعه وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة. وأما من كان عالمًا لكنه

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد لغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٧.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١/ ٤١٦.

(٣) سورة النور، الآية: ١٨.

لا يكون حكيمًا فقد يأمره بما لا ينبغي فإذا أطاعه المكلف فقد يعذب المطيع وقد يثيب العاصي وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة، وأما إذا كان عليمًا حكيمًا فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحقين، فلهذا ذكر هاتين الصفتين وخصهما بالذكر(١).

المثال الثاني:

في سورة البقرة: ﴿ قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢).

يفيد اقتران الاسمين أن الله سبحانه وتعالى حكيم في تعليمه ما شاء لمن يشاء، ومنعه ما شاء عمن يشاء، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن كثير: " أي: العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك، والعدل التام "(٣).

فالعلم يُستفاد منه الكشف والإحاطة التام، والحكمة وضع الأمور في نصابها، وأفعال الله تعالى لا تكون إلا عن علم وحكمة، فهو العليم الحكيم الذي يعلم مقتضيات الأمور ويأمر بما فيه الحكمة والصلاح.

***

---

(١) يُراجع: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٢٣/ ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ١/ ٢٥٥.

(٣) الرءوف الرحيم

اقتران هذين الاسمين يفيد المبالغة في صفة الرحمة، وتقديم الرءوف على الرحيم لأن منشأ الرأفة كمال حال الفاعل في إيصال الإحسان ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم في الاحتياج للإحسان، وتأثير حال الفاعل في إيجاد الفعل أقوى من احتياج حال المفعول[١].

وإذا تأملنا المواضع الأخرى من القرآن الكريم التي اقترن فيها هذان الاسمان (الرءوف الرحيم) وجدنا أنها لا تخرج عن امتنان الله سبحانه على عباده بأمر ديني أو دنيوي. فكل ما وهبه الله سبحانه وتعالى لعباده من خير، أو ما دفعه عنهم من سوء، فهو من رأفته ورحمته بهم[٢].

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾[٣].

هذه الآية فيها طمأنة للمسلمين على إيمانهم وعلى صلاتهم، وأن صلاتهم التي كانت منهم تجاه القبلة الأولى لن تذهب هباء، ولما كان الأمر كذلك ناسب ختامها بهذين الاسمين (رءوف رحيم)، وفي اجتماعها مبالغة في بيان رأفة الله سبحانه وتعالى بعباده ورحمته بهم.

يقول العلامة أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ تحقيق وتقرير للحكم، وتعليل له، فإن اتصافه ﷻ بهما يقتضي لا محالة أن لا يُضيعَ أجورَهم ولا يدَعَ ما فيه صلاحهم"[٤].

(١) الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٥٩.

(٢) اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة "حصرها، معانيها، مناسباتها"، (رسالة جامعية) إعداد الدكتور: سليمان بن قاسم العِيد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية. ص: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) تفسير أبي السعود، ١/ ١٧٤.

المثال الثاني:

في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[١].

وفي هذه الآية الكريمة نجد أن الحق سبحانه وتعالى ختم الآية بهذين الاسمين (رءوف رحيم)؛ وذلك لأن من رأفته ورحمته تسخير المخلوقات لبني آدم، وحفظ السموات والأرض، وإبقاؤها وإمساكها لئلا تزول فتختل مصالحهم، ومن رأفته ورحمته أن سخر لهم البحار لتجري الفلك في منافعهم ومصالحهم فرحمهم حيث خلق لهم المسكن وأودع لهم فيه كل ما يحتاجونه وحفظ عليهم وأبقاه[٢].

***

(١) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٢) يُراجع: الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٦٩. ومعه أيضًا: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٦٧٨.

(٤) اللطيف الخبير:

ورد اسم اللطيف في القرآن الكريم سبع مرات، اقترن في خمس منها باسمه (الخبير)، وجاء مفردًا في مرتين، ولهذا الاقتران أسرار مترتبة على معنى اللطيف؛ إذ إن اللطيف في حقه تعالى له عدة معان، وسوف أذكر فيما يلي مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾(١).

واللطيف إما يكون اشتقاقه من لَطُف بالضم إذا دق وخف، والمعنى في جانب الله تعالى: أن ذاته المقدسة تناهت في اللطف والتعالي عن مدركات الحس وأفهام الخلق.

وإما أن يكون اسم فاعل مشتقًا من لَطَف بالفتح إذا أحدث اللطف، والمعنى: أنه تعالى لطيف متصف بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته، فهو على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل.

وهناك معنى ثالث لاسم اللطيف هو: العليم بخفيات الأمور ودقائقها وما لطف منها.

وأرى أنه ينبغي تفسير اللطيف بالمعنى الأول في آية سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾؛ لأنه أنسب بهذا المقام، وتفسيرها بهذا المعنى جوزه غير واحد من المفسرين ويحصل معه أيضًا نكتة بلاغية، وأُوثر نقل كلام العلامة أبي السعود في هذا المقام حيث قال موضحًا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: "أي فيدرك ما لا تدركه الأبصارُ، ويجوز أن يكون تعليلًا للحُكمين السابقين على طريقة اللفِّ أي لا تدركه الأبصارُ لأنه اللطيفُ، وهو يدرك الأبصارَ لأنه الخبيرُ فيكون اللطيفُ مستفادًا من مقابل الكثيفِ لما لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها"(٢).

وقد تعرض الإمام الزركشي في كتابه «البرهان» لبيان المناسبة بين هذين الاسمين عند ذكره لنوع من أنواع الفواصل يكون فيه مناسبة بين بداية الآية وختامها مما يطلق عليه المناسبة المعنوية أو الملاءمة، وفي هذا يقول: "ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٧٠.

ﵟٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ﵞ فإنه سبحانه لما قدم نفى إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله: ﵟوَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﵞ خطابًا للسامع بما يفهم؛ إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون والكون من كل متكون فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات، ولذلك لما قال: ﵟوَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَﵞ عطف عليه قوله: ﵟٱلۡخَبِيرُ ﵞ مخصصًا لذاته سبحانه بصفة الكمال؛ لأنه ليس كل من أدرك شيئًا كان خبيرًا بذلك الشيء، لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره، ولما كان الأمر أخبر سبحانه وتعالى، أنه يدرك كل شيء مع الخبرة به وإنما خص الإبصار بإدراكه ليزيد فى الكلام ضربًا من المحاسن يسمى التعطف ولو كان الكلام لا تبصره الأبصار وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظتا ﵟٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﵞ مناسبتين لما قبلهما"(١).

***

(١) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٨٠، ٨١.

(٥) العفو الغفور

هذان الاسمان متقاربان في المعنى، لكن العفو أبلغ من المغفرة؛ فالغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، ولذلك قدم العفو على الغفور[١].

وهذان الاسمان منسجمان مع بعضهما في نسق محكم، يدلان على عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده، فهو تعالى عليم بذنوبهم وخطاياهم، وفي الوقت نفسه يسترها عليهم، ليس هذا فحسب بل من كمال فضله أنه يمحو هذه الزلات ويجعلها كأن لم تكن.

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾[٢].

والمعنى -كما يقول الإمام أبو جعفر الطبري-: إن الله تعالى لم يزل {عفوًّا} عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به، كما عفا لكم أيها المؤمنون عن قيامكم إلى الصلاة التي فرضها عليكم في مساجدكم وأنتم سكارى -قبل التحريم-، {غفورًا} يقول: فلم يزل يستر عليهم ذنوبهم بتركه معاجلتهم العذاب على خطاياهم، كما ستر عليكم أيها المؤمنون بتركه معاجلتكم على صلاتكم في مساجدكم سكارى، يقول: فلا تعودوا لمثلها، فينالكم بعودكم لما قد نهيتكم عنه من ذلك مُنَكِّلَة[٣].

---

(١) الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٣) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٨/ ٤٢٦.

المثال الثاني:

في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[(١)].

وفيه مبالغة في العفو والمغفرة؛ فهو تعالى يغفر ما سلف، ويعفو عمن ارتكبه مطلقًا بمحض التفضل منه أو بحصول التوبة[(٢)].

***

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٢٨/ ٥.

(٦) القوي العزيز

هذان الاسمان يدلان على معنيين من معاني الجلال؛ القوة والغلبة، والله تعالى ذو القوة والقدرة والمطلقة، يفعل ما يشاء، لا يغلبه غالب.

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

ومن أمثلة ذلك: ما ورد في سورة الأحزاب عند قول الحق سبحانه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[(١)].

ففي هذه الآية الكريمة نجد أن الكلام لو اقتصر على قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم وأنهم لم يبلغوا ما أرادوا وأن ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليُعْلِم المؤمنين ويزيدهم يقينًا وإيمانًا على أنه هو الغالب الممتنع وأن حزبه كذلك، وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقًا، بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته، وأنه يُنَوِّعُ النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانًا وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب، وتارة بالرعب كبني النضير، وَطَوْرًا يَنْصُر عليهم كيوم أحد؛ تعريفًا لهم أن الكثرة لا تغني شيئًا وأن النصر من عنده كيوم حنين[(٢)].

والمعنى كما يقول المفسرون: وكان الله {قويًّا} على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله. {عزيزًا}: لا يغلبه غالب، شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه[(٣)].

وفي ذكر فعل (كان) دلالة على أن العزة والقوة وصفان ثابتان لله تعالى، ومن تعلقات قوته وعزته، أن صرف ذلك الجيش العظيم خائبين مفتضحين وألقى بينه وبين أحلافه من قريظة الشك، وأرسل عليهم الريح والبرد[(١)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٧٩.

(٣) يُراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٠/ ٢٤٣.

(٧) سميع قريب

اقتران هذين الاسمين جاء مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة سبأ في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ ﴾[٢].

وهذا الاقتران يفيد المبالغة في معرفته تعالى وإدراكه لحال كل مهتد وكل ضال؛ فهو جلَّ وعلا لا يخفى عليه قول كلٍّ من المهتدي والضال وفعلهما وإن بالغا في إخفائهما، فسمعه تعالى وقربه إشارة إلى كمال إحاطته سبحانه بجميع خلقه، ثم بعد ذلك يجازي هو كلا بما يليق[٣].

يقول العلامة الطاهر ابن عاشور: "وجملة: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾، تذييل لما أفادته الجملتان المقولتان قبله من الترديد في نسبة الاهتداء والضلال، أي أن الله يعلم أني على هدى أو ضده، وَيَحْصُلُ من ذلك عِلْمُ مُقَابَلَةٍ من أحوال خصومه؛ لأنه سميع لما يقوله الفريقان، قريب مما يضمرونه فلا يخفى عليه، والقرب هنا كناية عن العلم والإحاطة"[٤].

* * *

=

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢١/ ٣١١.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٥٠.

(٣) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٠/ ٤٢٠، ٤٢١. وروح المعاني، للآلوسي، ٢٢/ ١٥٧.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٢/ ٢٤١.

(٨) الحليم الغفور

اقتران هذين الاسمين فيه مبالغة لبيان سعة حلمه سبحانه وتعالى على عباده مع معرفته بذنوبهم واطلاعه عليهم وعصيانهم لهم فلا يعاجلهم بالعقوبة والمؤاخذة وإنما يمهلهم لكي يتوبوا إليه ويرجعوا، وهو تعالى مع حلمه عليهم فإنه يغفر لهم ما بدر منهم ويستر عليهم، وهذا من كمال فضله ورحمته بعباده.

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١].

يقول البقاعي[٢]: "ولما كان تسبيح جميع المخلوقات أمرًا واضح الفهم ظاهر الشأن، فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعدم التأمل في المصنوعات حق التأمل، نبههم على أن عافيتهم إنما هي لحلمه عنهم، فهو ينظرهم إلى المدة التي ضربها لهم لأنه لا يعجل لتنزهه عن شوائب النقص الذي نطق كل شيء بتنزيهه عنها فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على إعراضكم عن صرف الأفكار فيما أمركم بصرفها إليه.

ولما كان الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب لا يغفر، وإن عفا كان عفوه مكدراً، قال تعالى: ﴿غَفُورًا﴾ مشيراً بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيباً في التوبة"[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البِقَاعي، أبو الحسن برهان الدينتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ. من تصانيفه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» ويُعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، و«سر الروح» اختصره من كتاب (الروح) لابن قيم الجوزية، و«مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»، وله ديوان شعر سماه «إشعار الواعي بأشعار البقاعي».

[راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١/ ١٩)، والأعلام، للزركلي (١/ ٥٦)].

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ١١/ ٤٢٧، ٤٢٨. ط: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

المثال الثاني:

في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

ففي هذه الآية نجد أن ختامها بالحلم والمغفرة جاء عقب إخباره سبحانه بأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا، والحكمة في ذلك إظهار حلمه تعالى على المستحقين للعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث أمسك السموات والأرض ثابتتين وقد كان جدير بأن تُهدا عليهم، لكنه تعالى عدل عن الترهيب إلى الترغيب؛ إذ المقام يقتضي ذلك.

يقول الإمام أبو السعود: "قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: غيرَ معاجلٍ بالعقوبةِ التي تستوجبُها جناياتُهم حيثُ أمسكَهما وكانتا جديرتينِ بأنْ تُهدّا هدًّا حسبما قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾"[2].

***

(١) سورة فاطر، الآية: ٤١.

(٢) تفسير أبي السعود، ٧/ ١٥٦. والآية رقم: ٩٠ من سورة مريم.

(٩) الغني الحميد

الحق سبحانه وتعالى هو الغني فلا يحتاج إلى أحد، والجميع محتاجون إليه، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، وهو الحميد أي المستحق للحمد؛ فهو تعالى محمود في ذاته فلا يحتاج إلى حمد أحد. وكل واحد من هذين الوصفين صفة كمال، وفي اجتماعهما زيادة كمال إلى كمال.

وسوف أذكر فيما يلي بعض الأمثلة على مناسبة ذكر هذين الاسمين مقترنين من خلال سياق الآيات:

المثال الأول:

في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[1].

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة مؤكدًا ومبيِّنًا إفادة معنى زيادة الكمال على الكمال الحاصل في اجتماع هذين الاسمين: "قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ نبه سبحانه وتعالى على صفة الغني، أي لا حاجة به إلى صدقاتكم، فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك، فإنما يقدم لنفسه. و﴿حَمِيدٌ﴾ معناه محمود في كل حال"[2].

المثال الثاني:

في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾[3].

اقتران هذين الاسمين في هذه الآية يفيد ما تقدَّم ذكره من أنه تعالى لا يضره كُفْر من كَفَرَ بنعمه سبحانه كما أنه لا ينتفع بشكر الشاكرين؛ فهو الغني. كما أنه تعالى ﴿حَمِيدٌ﴾، أي: محمود في ذاته، فلا يحتاج إلى حمد الناس ولا شكرهم[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٣/ ٣٢٨ بتصرف.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

(٤) يُراجع: تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٣/ ١٩٣. و تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٢/ ١٦٤.

المثال الثالث:

في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

ففي هذه الآية نجد أنه تعالى بعد ما ذكر ملكه للسموات والأرض وما فيها من المخلوقات وأنه لم يخلقها لحاجة منه لها؛ فإنه هو الغنيُّ الغِنَى المطلق، ولا لنقص؛ فإنه الحميد الكامل ليدل خلقه على إنهم كلهم فقراء إليه من جميع الوجوه، فيستوجب عليهم أن يعرفوه بأنه الحميد في أقداره، والحميد في شرعه، والحميد في جزائه، فله الحمد المطلق ذاتًا وصفاتًا وأفعالا[2].

يقول الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: له ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء، هم عبيده ومماليكه وخلقه، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه، وإن الله هو الغنيّ عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم"[3].

***

(١) سورة الحج، الآية: ٦٤.

(٢) يُنظر: الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ص: ٦٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٦٧٧.

(١٠) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول

ما تقدَّم من نماذج كان الاقتران فيها ثنائيًّا بين اسمين من الأسماء الحسنى، وهذا نوع آخر من الاقتران؛ فهو اقتران مركب من أكثر من اسمين، ومثاله الذي معنا من سورة غافر في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[(١)].

وهذا الاقتران فيه جمال وجلال؛ أما الجمال ففي أسماء: (غافر الذنب، وقابل التوب، وذي الطول)، والطول: الفضل والإنعام، وأما الجلال ففي: (شديد العقاب).

وفي ذكر الجمال ثلاث مرات ترغيب في المسارعة إلى التوبة، وتأكيد على أن رحمته تعالى سبقت غضبه.

يقول العلامة أبو السعود: "وفي توحيد صفة العذاب مغمورةً بصفات الرحمة دليل سبقها"[(٢)].

وتقديم (غافر الذنب) على (قابل التوب) مع أنه مرتب عليه في الحصول، للاهتمام بتعجيل الإعلام به لمن استعد لتدارك أمره، فوصف (غافر الذنب وقابل التوب) تعريض بالترغيب[(٣)].

فالمعنى الإجمالي للآية الكريمة: أنه تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾، أي: يغفر ما سلف من الذنوب، ويقبل التوبة في مستأنف الأزمنة لمن تاب وخضع، وهو شديد العقاب لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعصى عن أوامر الله وبغى، وهو المتفضل على عباده، بما هم فيه من المنن والنعم التي لا يطيقون القيام بشكرها ولا شكر واحدة منها كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[(٤)].

وذكر ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لترغيب عباده العاصين، وذكر ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ لترهيبهم، وفي مجموع هذا الحثّ على فعل المراد من تنزيل الكتاب، وهو التوحيد والإيمان بالبعث والإخلاص لله في العمل والإقبال عليه، وقد جمع القرآن الترغيب والترهيب في مواضع كثيرة منه كقوله تعالى:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣.
(٢) تفسير أبي السعود، ٧/ ٢٦٥.
(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٤/ ٧٩، ٨٠ بتصرف.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤. وسورة النحل، الآية: ١٨.

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]؛ ليبقى العبد بين الرجاء والخوف[٢].

***

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) يُراجع: تفسير المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ٢٤/ ٤٢ بتصرف.

الباب الثاني

القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم

(علاقتها بالأسماء - وذكر نماذج منها - وشرحها، وبيان آثارها وتطبيقاتها – وبناء منظومة القيم من خلالها).

ويضم ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في علاقة القيم بأسماء الله الحسنى، وكيفية بناء القيم من الأسماء.

الفصل الثاني: في استنباط القيم من أسماء الله الحسنى، وذكر نماذج منها، وشرحها، وبيان آثارها وتطبيقاتها.

الفصل الثالث: في بناء منظومة القيم من خلال ما تم استنباطه من القيم من أسماء الله الحسنى.

الفصل الأول
في علاقة القيم بأسماء الله الحسنى
وكيفية بناء القيم من الأسماء

أولا: علاقة القيم بالأسماء الحسنى

تكلم العلماء والمهتمون بشرح أسماء الله الحسنى قديمًا وحديثًا عمَّا يُسمى بحظ العباد من أسماء الله تعالى، وهم يريدون بهذا الإشارة إلى مرتبة عالية في فهم أسماء الله الحسنى، فهي ليست لمجرد الفهم الظاهر لمعانيها أو للذكر بها فحسب، بل إنها تتضمن مجموعة من الأخلاق التي ينبغي أن يُتخلق بها، فكأن هناك مرتبتين؛ الأولى: فهم معاني الأسماء من ألفاظها، والثانية: التحلي بمعاني تلك الأسماء، والذي يقتصر على المرتبة الأولى قليل الحظ في الانتفاع بها، وممن أشار لهذا الإمام أبو حامد الغزالي حيث قال في "المقصد الأسنى": "اعلم أن من لم يكن له حظ من معاني أسماء الله عز وجل إلا بأن يسمع لفظه ويفهم في اللغة معنى تفسيره ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله.

فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها.

وأما فهم وضعه في اللغة فلا يستدعي إلا معرفة العربية وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي بل الغبي اللغوي البدوي.

وأما اعتقاد ثبوت معناه لله سبحانه وتعالى من غير كشف فلا يستدعي إلا فهم معاني الألفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها العامي بل الصبي، فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها، وهذه درجات أكثر العلماء فضلا عن غيرهم، ولا ينكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث"(١).

وثمَّت هناك فكرة أخرى وثيقة الصلة بمسألة حظوظ العباد من أسماء الله تعالى ألا وهي: «التخلق بأخلاق الله» أو: «التعبد بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته».

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٤٥.

وقد جاءت الإشارة إليها في كلام العلماء والمفسرين..

وممن أشار لهذا من العلماء الإمام الغزالي حيث بيَّن أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه، ثم ذكر أن حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة، وقال في توضيح الحظ الثالث: "السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها وبه يصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى وبه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى". ثم أفاض وأطال في تفصيل ذلك وبيانه والرد على من استشكله بما لا يتسع المقام له، ومن أراد الاستزادة فليُراجعه في محله[١].

وأشار لهذه الفكرة أيضًا: الإمام العز بن عبد السلام[٢] في كتابه «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» حيث عقد فيه بابين؛ الأول: في التخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان، والثاني: في كيفية التخلق بالأسماء والصفات، وتعرض في الباب الثاني بالشرح والبيان للتخلق بمقتضى كل اسم من أسمائه تعالى على حسب الإمكان[٣].

وكذلك الإمام الفخر الرازي، حيث ذكر في تفسير الحكمة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٤] بقوله: "وأما الحكمة بمعنى فعل الصواب، فقيل في حدها: إنها التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية"[٥].

(١) المرجع السابق، ص: ٤٦ – ٥٥.

(٢) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماءتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ من تصانيفه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، و«قواعد الشريعة»، و«الفتاوى».
[راجع: طبقات ابن السبكي (٨/٢٠٩)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٨٧٣)، والأعلام، للزركلي (٤/٢١)].

(٣) يُنظر: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، للإمام عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ص: ٢٢ – ٤٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٥) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٧/ ٦٠.

وقال أيضًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[١] ما يلي:

"كمال حال العبد ليس إلا في أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، ثم إنه تعالى لما عفا عنهم في الآية المتقدمة -يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾[٢]- أمر الرسول ﷺ أيضًا أن يعفو عنهم ليحصل للرسول عليه السلام فضيلة التخلق بأخلاق الله"[٣].

ونخلص من هذا كله: أن أسماء الله الحسنى لها درجات وأن الدرجة العالية فيها هي التخلق بمعانيها على قدر الطاقة

والإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها؛ فقد حدد الله تعالى الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب في ثلاثة أمور:

أولها: عبادته عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[٤].

وثانيها: عمارة الكون؛ قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾[٥].

وثالثها: تزكية النفس؛ قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٣) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٩/ ٥٣.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

(٦) سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠.

ويحدد القرآن الكريم مهام رسولنا الكريم ﷺ في ثلاثة أمور مترابطة، هي: تلاوة الآيات، والتزكية، والتعليم، يتضح هذا في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾(١).

يوضِّح الشيخ محمد الغزالي هذه الأمور الثلاثة فيقول:

"الأول: تلاوة آيات الله، وذلك أن الوحي الأعلى هو دعامة البناء النفسي والاجتماعي، هناك مجتمعات ترفض الوحي لأنها ملحدة، وأخرى تقوم على وحي مزور أو مشوب بالأباطيل، أما الأمة التي يبنيها الإسلام فأساسها الفذ آيات الوحي الحق، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الثاني: التزكية، وهي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعوج -أي: تتدنَّى به وتَحِيد-.

الثالث: التعليم، وتعني به الآية تنوير الذهن بما يفتقر إليه من هدايات كثيرة في عالم الغيب والشهادة، أي في عالم المادة وما وراء المادة"(٢).

وقد عدَّد العلماء للقرآن الكريم مقاصد محددة، وعدُّوا منها مسائل الأخلاق وتزكية النفس، وذكر غير واحد منهم ذلك، ولخّص الإمام الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره «التحرير والتنوير» مقاصد القرآن الكريم، حيث بيَّن أن المقاصد الأصلية التي جاء القرآن الكريم لتبيانها بحسب ما بلغ إليه الاستقراء انحصرت في ثمانية أمور، وبيانها كما يلي:

الأول: إصلاح الاعتقاد. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق.

الثاني: تهذيب الأخلاق. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٢) نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، للشيخ محمد الغزالي، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقدة في مكة المكرمة في المدة من ١١ – ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ، ص: ١ بتصرف.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾(١).

الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجماعة بقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾(٢).

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة، للتأسي بصالح أحوالهم قال: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾(٣)، وللتحذير من مساويهم قال: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾(٤).

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب. وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾(٥).

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي. انتهى ملخصًا بتصرف كبير(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٦) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، المقدمة الرابعة: (فيما يحق أن يكون غرضَ المفسر)، ١/ ٣٩-٤١.

فنخلص مما سبق أن تزكية النفس وتهذيب الأخلاق من مقاصد القرآن الكريم، بل من مرادات الله تعالى من خلقه، وهذه التزكية والتهذيب عبَّر عنهما القرآن الكريم بصور شتى.

إذن فما موقع القيم المستنبطة من الأسماء الحسنى من قضية الأخلاق في القرآن الكريم؟

أقول: لما كانت الدعوة إلى التخلق بمحاسن الأخلاق من مقاصد القرآن الكريم، ولما تعددت وسائل الدعوة إلى هذا في القرآن الكريم، فإن أسماء الله الحسنى بما تضمنته من معانٍ وتجليات على السلوك تعد من جملة هذه الوسائل التي تَحْصُل بها الدعوة إلى محاسن الأخلاق في القرآن الكريم، وذلك من خلال القيم المستنبطة من الأسماء الحسنى التي لها تطبيقات تفصيلية لسلوك الفرد والمجتمع والأمة كما سيأتي، وهي ربطٌ للمخلوق بخالقه، واستنباطٌ للقيم من مصدرها الأعلى ألا وهو ما يُستخلص من معان وتجليات من أسماء الله تعالى.

ولتأكيد دعوة الإسلام إلى التحلي بمحاسن الأخلاق نجد أن السنة النبوية المطهرة بتفاصيلها تعدُّ نموذجًا تطبيقيًّا للأخلاق الحسنة، حتى نجد أن النبي ﷺ يَقْصُر الغاية من بعثته على إتمام مكارم الأخلاق؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[(١)]. وفي رواية: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[(٢)]. وفي أخرى: «لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»[(٣)].

والمكارم جمع مكرمة وإضافتها إلى الأخلاق من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: بعثت لأتمم الأخلاق الكريمة والشيم الحسنة، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كل واحد منهم

---

(١) أخرجه البزار في مسنده « البحر الزخار»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، حديث رقم (٨٩٤٩)، ١٥/ ٣٦٤. قال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥): "ورجاله رجال الصحيح غَيْرَ محمد بن رزق الله الكَلُوذَانِيِّ، وهو ثقة".

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث (٤٢٢١)، ٢/ ٦٧٠. وقال: "هذا حديثٌ صَحِيحٌ على شرط مُسْلِمٍ ولَمْ يُخَرِّجَاهُ". علَّق الحافظ الذهبي في «التلخيص» بقوله: "على شرط مسلم".

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، رواية يحيى الليثي، حديث رقم (١٦٠٩)، ٢/ ٩٠٤. قال أبو عمر يوسف بن عبد البر في «الاستذكار»: "هذا حديث مسند صحيح عن النبي ﷺ". يُنظر: الاستذكار، بتحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، (٨/ ٢٨٠).

مبعوث بسرٍّ وحكمة إلهية راجعة إلى تكميل البشر وتحسين أخلاقهم، ونبينا ﷺ مبعوث لتتميم تلك الأخلاق الكريمة وتكميلها على وجه التفصيل، ولهذا جاء بشرع جامع لجميع جهات الحسن(١).

ورغَّب النبي ﷺ في امتثال الأخلاق الكريمة ببيان أهميتها وشرف الملتزم بها في الدنيا والآخرة؛ فقد وصفه ﷺ بكمال الإيمان فقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(٢).

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»(٣).

وجهة مساواة مَنْ حَسُن خلقه للصائم القائم: أنه -أي الصائم القائم- يُجاهد نفسه في مُخَالفَة حظه من الطعام والشراب والنكاح والنوم فكأنه يُجاهد نفسًا واحدة، وأما من يَحْسُن خُلقه مع الناس مع تبَاين طباعهم وأخلاقهم فكأنه يُجاهد نفوسًا كثيرة، ومن ثَمَّ أدرك ما أدركهُ الصائم القائم فاستويا فِي الدرجَة بل رُبمَا زَاد(٤).

وأخبر النبي ﷺ أنَّ حسن الخُلق أثقلُ ما يُوضَعُ في الميزان، وإنَّ صاحبَه أحبُّ الناسِ إلى الله تعالى وأقربهم من النبي ﷺ مجلسًا؛ فعن أبي الدرداء(٥) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ»(٦).

---

(١) يُراجع: تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي، ٥/ ٩٠ بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (١١٦٢)، ٣/ ٤٦٦. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٩٩)، ١/ ١٢٨. وقال: "هذا حديثٌ على شرط الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَشَاهِدُهُ، صَحِيحٌ على شرط مُسْلِمٍ". علَّق الحافظ الذهبي في التلخيص بقوله: "على شرطهما".

(٤) يُراجع: التيسير بشرح الجامع الصغير، للحافظ المُناوي، ١/ ٢٨٤ بتصرف.

(٥) هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية، أبو الدَّرْدَاءِ الأنصاري. من بني الخزرج، وقيل: اسمه عَامِر بن مالك، وعويمر لقب، مات بالشام سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ، وقيل: مات سنةَ إِحْدَى وَثَلاَثِيْنَ. [راجع: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (٥/٩٧)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/٢٧٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/٣٣٥)].

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم (٢٠٠٢)، ٤/ ٣٦٢. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

وعن جابر بن عبد الله[١] رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ» وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[٣].

فبناء على ما سبق كله يظهر أهمية تزكية النفس بالأخلاق الحسنة باعتبار أن ذلك عماد مهم من أعمدة الدين، ومقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم، وأن أسماء الله الحسنى بما تضمنته من معان وتجليات مصدر رئيسٌ في هذا الباب.

بين الأخلاق والقيم

اتضح فيما سبق مدى اهتمام الإسلام بالأخلاق وحضه على التخلق بمكارمها، وأن المعاني التي تتضمنها أسماء الله الحسنى يستخلص منها ما يصلح للتخلق، لكن ما العلاقة بين الأخلاق والقيم؟

أقول: ذكرت في مقدمة البحث تعريفًا للقيم، وبيَّنت المراد منها في بحثي هذا، ثم استدعى المقام هنا الكلام عن القيم والأخلاق والعلاقة بينهما، فكان لا بد من ذكر الكلام بشيء من التفصيل عن هاتين اللفظتين مرة أخرى بقدر ما يتضح به الأمر ولا يتعارض مع ما ذكرته في المقدمة.

هناك علاقة تقارب بين الأخلاق والقيم؛ فالأخلاق تستند في أصلها إلى قيم، إلا أن الخلق هو: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طَبَعِيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من

(١) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السّلميّ -يكنى أبا عبد الله، وأبا عبد الرحمن، وأبا محمد- أقوال. له ولأبيه صحبة، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ. [راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٥٤٦)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/١٨٩)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم (٢٠١٨)، ٤/ ٣٧٠. وقال: "هذا حديث حسن غريب".

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٧٩١٩)، ٤/ ٣٦٠. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه". علَّق الحافظ الذهبي في «التلخيص» بقوله: "صحيح".

خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقًا"(١).

أما القيم فهي في بحثي هذا عبارة عن: المعنى والفكرة المجردة المطلقة.

إذن فالقيم تعد المصدر التي تُستقى منه الأخلاق، فالقيم أفكار ومعان مطلقة طُبقت أو لم تطبق، أما الأخلاق فهي حالة تلبس الشخص بالقيمة وممارستها في شكل سلوك.

فكأن الأخلاق ظلال القيم، وهي تمثل الجانب الثالث منها، فالقيم لها ثلاثة جوانب؛ معرفي: وهو معرفة هذه الفكرة وحصولها في العقل، ووجداني: وهو الإيمان بها واعتقادها، وسلوكي: وهو تأثيرها في السلوك بشكل إيجابي إقدامًا وإحجامًا.

***

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب ص: ٤١.

ثانيًا: كيفية بناء القيم من الأسماء الحسنى

تقوم فكرة بناء القيم من الأسماء الحسنى على استخلاص مجموعة من القيم من معاني هذه الأسماء، فهذا البحث لا يقتصر على فكرة حظوظ العباد من الأسماء، ولكنه يُعدُّ تمديدًا لهذه الفكرة، ويذهب بها إلى أبعد من ذلك، ففيه استنباط للقيم من الأسماء ثم شرحها وبيان معانيها وورودها في النصوص الشرعية مع بيان تطبيقاتها.

والقيمة في هذا البحث قد تستنبط من اسم أو من عدة أسماء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والاسم قد يستنبط منه قيمة واحدة أو عدة قيم.

فمثلا: قيمة الرحمة، تستنبط من عدة أسماء: (الرحمن، والرحيم، وأرحم الراحمين، وذو الرحمة)، كما تستنبط أيضًا بواسطة من اسمي: (اللطيف، والرءوف).

وأسماؤه تعالى: (الرحمن، والرحيم) ونحوهما تُستنبط منها: (قيمة الرحمة) مباشرة، ويستنبط منها أيضًا: (قيمة الستر) بصورة مساعدة، فقيمة الستر مستخلصة من الأسماء التي تدل على الغفر، وهو الستر؛ كالغفار والغفور والغافر، لكن لا يتصور الستر من غير الرحمة، فيظهر بهذا العلاقات البينية الوثيقة بين القيم المستخلصة من الأسماء، وهذا سأوضِّحه بشكل أكثر تفصيلا في فصل مستقل.

فبهذا أكون قد قمت بتجريد المعاني التي وردت في الأسماء الحسنى وصياغتها في هيئة قيم، وهذه القيم منظومة مترابطة تشكل منهجًا متكاملا في حياة الفرد والمجتمع والأمة، وهذا ما أحسبه جديدًا في هذا البحث، فلم أتوقف على المعاني الموجودة في الأسماء بشكل مفرد وهو ما عبر عنه العلماء والمؤلفون بحظوظ العباد من الأسماء، وإنما تَخَطَّيْتُ هذا إلى بناء منظومة القيم من أسماء الله الحسنى.

وأسعى في هذا البحث إلى استلهام مجموعة من القيم الفعَّالة التي تتوافق مع التصور الإسلامي، فتؤثر في الفرد معرفيًّا ووجدانيًّا وسلوكيًّا، وتسري الربانية في الجميع، فيَحَصُلُ التحقق بقوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾(١).

وقد توصَّلت في هذا البحث إلى إحدى وعشرين قيمة من خلال الاستنباط على سبيل النماذج والأمثلة لا الحصر، وفي كل قيمة من القيم بيان كيفية استنباطها من خلال إجمال وتفصيل؛ فالإجمال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

ما ذكره العلماء والمهتمون بشرح أسماء الله الحسنى وبيان آثارها وحظوظ العباد منها، وأما التفصيل: فهو ذكر العناصر المتتالية من التطبيقات العملية للقيمة.

وهذه القيم المتضمنة في هذا البحث هي: « الرحمة / الرفق / الود / الستر / الصدق / الشكر / التواضع / الحكمة / التكافل / القوة / العزة / التوكل / الرضا / النصرة / الحلم / البر / السلام / العفو / النزاهة / الإبداع / المراقبة ».

بقي أن أشير إلى أن القيم في هذا البحث كغيرها من سائر القيم الإسلامية تتسق مع النموذج المعرفي الإسلامي(١)، بل تعد مكونًا من مكوناته.

والمراد بالنموذج المعرفي ما يتكون ويتشكل منه العقل، فعندما يُقال: «النموذج المعرفي الإسلامي» فإنما يُعْنَي به الأمور والأشياء التي يتشكل منها عقل المسلم.

والنموذج المعرفي يمثل الصورة الكلية للإنسان والكون والحياة وما قبل ذلك وما بعده، ويجيب إجابات تفصيلية على الأسئلة الكلية عن الماضي والحاضر والمستقبل التي اهتم بها الإنسان وشغلت بال الفلاسفة.. مثل: من أين نحن؟ وماذا نفعل هنا في هذا العالم؟ وماذا سيكون غدًا وبعد الموت؟

---

(١) تكلم عن النموذج المعرفي فيما أتيح لي من بحث واطلاع: فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة –مفتي الديار المصرية– من خلال ثلاث مقالات نشرت في جريدة الأهرام تحت عنوان: **"النموذج المعرفي الإسلامي وتجديد الخطاب الديني"** بتواريخ/ ١٠ أبريل ٢٠٠٤م – و٢٤ أبريل ٢٠٠٤م – ٨ مايو ٢٠٠٤م، وأيضاً من خلال كتابه: "الطريق إلى التراث – مقدمات معرفية ومداخل منهجية" ص٢٢: ٣٠ نشر: نهضة مصر. طبعة أولى: أكتوبر ٢٠٠٤م.

وهناك بحث آخر للأستاذ الدكتور/ نصر محمد عارف –أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة وأستاذ زائر بجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بفرجينيا– بعنوان: **"مفهوم النظام المعرفي الإسلامي"** وقد حصلت عليه من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من موقع بلاغ دوت كوم:

http://www.balagh.com/oldsite٢/islam/١٥١evygl.htm

وهناك أيضاً بحث آخر مهم جدًّا للأستاذ الدكتور/ أحمد داود أغلو –رئيس الوزراء التركي سابقًا، وأستاذ العلاقات الدولية بجامعة بيكنت في استانبول/ تركيا، دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة البوسفور في استانبول سنة ١٩٩٠م– بعنوان: "**تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية**" وقد قدم هذا البحث باللغة الإنجليزية للمشاركة في الحلقة الدراسية عن النظام المعرفي التي عقدت في الأردن في يونيو سنة ١٩٩٨م، وقامت مجلة "إسلامية المعرفة" التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بترجمته ونشره في عددها الثاني والعشرين في خريف عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ويعد النموذج المعرفي من أهم الخصائص التي تميز فكراً عن آخر، وعقيدة عن أخرى، ورؤية معينة عما سواها، وعليه فإن النموذج المعرفي الإسلامي يجيب عن أسئلة نحو.. من المسلم؟ وبماذا يختلف عمن سواه؟ ومع من يشترك في قدر من الآراء والتوجهات؟ ومع من يختلف؟ وما معيار التحسين والتقبيح عنده؟ وما الإطار الكلي المرجعي لمفاهيمه وسلوكياته؟ ونحو ذلك.

والنموذج المعرفي الإسلامي ينبني على وجود الإله، والمسلم يقول بوجود الخالق، وأن هذا الخالق واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله، متصفٌ بصفات الجلال والجمال والكمال، سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب، وختمهم بسيدنا محمد ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

والمسلم يؤمن بأن منظومة القيم الأخلاقية متصفة بالإطلاق والسبق على الواقع الذي يجب أن يحتكم إليها ولا تحتكم هي إليه، وذلك بخلاف القول بالنسبية المطلقة وأن الكون كما يراه الناظر كما هو شأن العلمانية الشاملة.

والمسلم يعتقد أن هناك يومًا آخر للحساب (الثواب والعقاب) وهو أمر يمثل جزءًا مهمًّا من مكونات عقليته ومن ضوابط سلوكه إقداماً وإحجاماً، فَيَجْعَلُه يُقْدِم على ما يوصل إلى الجنة ويحجم عما يوصل إلى النار.

ومنظومة القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى داخلة في هذا الإطار المرجعي ومتسقة معه؛ فهي إسلامية المرجع، ربانية المصدر.

***

الفصل الثاني
في استنباط القيم من أسماء الله الحسنى، وذكر نماذج منها، وشرحها، وبيان آثارها وتطبيقاتها

هذا الفصل عبارة عن شرح للقيم التي تم استنباطها من أسماء الله الحسنى، والتي سبق سردها في الفصل السابق، والقيم المذكورة هنا ليست على سبيل الحصر، وإنما هي من باب ذكر النماذج؛ لإيضاح الفكرة، وقد سرت في شرحي لهذه القيم على منهج محدد يتمثل في ثلاثة محاور؛ الأول: في بيان المراد بالقيمة لغة واصطلاحًا، والثاني: في ذكر ورود القيمة في النصوص الشرعية، والثالث: في ذكر الآثار والتطبيقات والفوائد للقيمة، والآن أشرع في بيان المراد، وأساله تعالى التوفيق والسداد.

***

[١] (قيمة الرحمة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الرحمة)، وتستنبط من الأسماء التي فيها معاني العطف والرقة وإيصال الإحسان، فتستنبط مباشرة من اسمي: (الرحمن، والرحيم) ونحوهما من الأسماء التي تدل بلفظها على معاني الرحمة، وتستنبط بواسطة من الأسماء التي تدل بمعانيها على الرحمة؛ كـ(الرءوف، واللطيف) ونحوهما.

أولاً: المراد بقيمة الرحمة:

في اللغة: الرحمة مشتقة من الفعل الثلاثي (رَحِمَ)، والذي يدور معناه في اللغة حول الرقة والرأفة والعطف، وفي هذا يقول ابن فارس: "الراء والحاء والميم: أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال: من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى"(١)، وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(٢)، أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الضعيف والتعطف عليه، ويقال: رَحِمه رُحْمًا ورُحُمًا ورَحْمَة ورَحَمَة"(٣)، وأم الرُّحْم مكة والمرحومة من أسماء مدينة النبيﷺ(٤)، والرَّحِم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقُّ له من ولد(٥)، وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»(٦)، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (رحم)، ٢/ ٤٩٨.

(٢) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (رحم)، ١٢/ ٢٣٠.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة: (رحم)، ٣/ ٣٣٧.

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة: (رحم)، ٢/ ٤٩٨.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٢٦٥)، ٤/ ١٧٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخَرِّجاه، وقد روي بأسانيد واضحة عن عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعائشة، و عبد الله بن عمرو". قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "على شرط مسلم". وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٠٤٧٤)، ٢/ ٤٩٨. وأبو داود في سننه في كتاب: الزكاة، بابٌ في صلة الرحم، حديث رقم: (١٦٩٤)، ١/ ٥٣٠. وأصله في صحيح البخاري، وسيأتي.

أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»(١)، والمعنى: أن الرحم أثر من آثار رحمة الله تعالى، فالقاطع لها منقطع من رحمته عز وجل.

والرحمة صفة من صفات الله تعالى، ومن أسماء الله تعالى: الرحمن، والرحيم، وهذان الاسمان وردا في القرآن الكريم، كما ورد أيضًا: أرحم الراحمين، وخير الراحمين.

وللرحمة أيضًا إطلاقات أخرى ومعان متعددة(٢):

منها: المغفرة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾(٣).

ومنها: الرزق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾(٤). فمعنى ﴿رَحْمَةً﴾: أي رزقًا.

ومنها: الغيث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٥)؛ وسمي الله الغيث «رحمة» لأنه برحمته ينزل من السماء.

ومنها: القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾(٦).

ومنها: الجنة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾(٧).

ومنها: العصمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾(٨) أي إلا ما عصم ربي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: من وصل وصله الله، حديث رقم: (٥٦٤٢)، ٥/ ٢٢٣٢.
(٢) تُراجع في: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ص: ٣٣١- ٣٣٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.
(٤) سورة هود، الآية: ٩.
(٥) سورة الروم، الآية: ٤٥.
(٦) سورة يونس ، الآية: ٥٨.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٧٥.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

ومنها: العافية من البلاء، قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾[(١)].

ومنها: على التوفيق، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾[(٢)].

ومنها: وصف الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[(٣)].

ومنها: السعة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[(٤)].

ومنها: صفة لله تعالى، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[(٥)].

ومنها: الشفقة: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[(٦)].

ومنها: النصر، قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾[(٧)].

ومنها: الثناء على المرسلين، قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[(٨)].

ومنها: الاستجابة للدعاء، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[(٩)].

ومنها: العفو عن الخطيئة، قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ١٧.

(٨) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٩) سورة مريم، الآية: ٢.

(١٠) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

وقد تطلق الرحمة على الرَّوْح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[(١)]، أي: من رَحْمَة الله، سمّاها رَوْحًا؛ لأن الرَّوْح والرَّاحَةُ بها[(٢)].

وفي الاصطلاح: معنى الرحمة في الاصطلاح لا يَبْعُد عن معناها في اللغة؛ فيدور حول الرقة والعطف والشفقة والرأفة وإيصال الإحسان للمرحوم، وهكذا عرَّفها العلماء؛ يقول الجرجاني: "الرحمة هي إرادة إيصال الخير"[(٣)].

ويقول الجاحظ[(٤)]: "الرحمة خلق مركب من الود والجزع، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رحم"[(٥)].

وفي «الكليات» لأبي البقاء الكفوي[(٦)]: "الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"[(٧)].

يقول الطاهر ابن عاشور: "واسم الرحمة موضوع في اللغة العربية لرقة الخاطر وانعطافه نحو حي بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانته على المشاق، فهي من الكيفيات النفسانية لأنها انفعال ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صاحبها على أفعال وجودية بقدر استطاعته وعلى قدر قوة انفعاله، فأصل الرحمة من مقولة الانفعال وآثارها من مقولة الفعل،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ٥/ ١٤٥.

(٣) التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص: ١٤٦.

(٤) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. توفي سنة ٢٥٥هـ. له تصانيف كثيرة، منها: «الحيوان»، و«البيان والتبيين»، و«البخلاء»، وغيرها.

[راجع: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٥/ ٢١٠١)، والأعلام، للزركلي (٧٤/٥)].

(٥) تهذيب الأخلاق، للجاحظ، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ص: ٢٤.

(٦) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء توفي سنة ١٠٩٤هـ، ودفن في تربة خالد. من تصانيفه: «الكُلِّيَّات»، وله كتب أخرى بالتركية.

[راجع: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (٣٨٠/٤)، والأعلام، للزركلي (٣٨/٢)].

(٧) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٤٧١.

فإذا وصف موصوف بالرحمة كان معناه حصول الانفعال المذكور في نفسه، وإذا أخبر عنه بأنه رحم غيره فهو على معنى صدر عنه أثر من آثار الرحمة، إذ لا تكون تعدية فعل رحم إلى المرحوم إلا على هذا المعنى فليس لماهية الرحمة جزئيات وجودية ولكنها جزئيات من آثارها"(١).

لكن لما كانت المعاني التي تُفهم من الرحمة عبارة عن كيفيات نفسانية تستحيل على الخالق جل وعلا كان لا بد من تأويل هذا بالمعنى اللائق به سبحانه ألا وهو إيصال الخير للمرحوم.

ثانيًا: الرحمة في النصوص الشرعية:

لقد دلت نصوص كثيرة من الشرع الشريف على الرحمة، منها: ما أخبر به الحق تبارك وتعالى عن نفسه فقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾(٢).

قال المفسرون: المعنى: أنه تعالى أوجب على نفسه المقدسة الرحمة، وهذا الإيجاب إيجاب فضل وإحسان وكرم منه تعالى، واخْتُلِفَ في المراد بالرحمة هنا؛ فقال بعضهم: تلك الرحمة هي أنه تعالى يمهلهم مدة عمرهم ويرفع عنهم عذاب الاستئصال ولا يعاجلهم بالعقوبة في الدنيا، وقيل: إن المراد أنه كتب على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب وأناب وصدَّقهم وقَبِلَ شريعتهم. وهذه الجملة فيها احتمال تبشير لهم بسعة رحمة الله تعالى(٣).

ومن رحمة الله تعالى إمهاله العاصين ومنحهم الفرص الكثيرة ليتوبوا ويرجعوا، وفي ذلك يخبر الحق سبحانه عن نفسه بأنه «ذو الرحمة» أي: أنه تعالى صاحب الرحمة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾(٤).

يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسيره هذه الآيه: "قوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ عدل عن أن يوصف بوصف الرحيم إلى وصفه بأنه (ذو الرحمة)؛ لأن (ذو) كلمة يتوصل بها إلى الوصف بالأجناس، ومعناها: صاحب، وهي تشعر بقوة أو وفرة ما تضاف إليه، فلا يقال ذو إنصاف إلا لمن كان قوي الإنصاف، ولا يقال ذو مال لمن عنده مال قليل، والمقصود من الوصف بذي الرحمة هنا تمهيد لمعنى

---

(١) التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ١/ ١٦٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٣) يُراجع: مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ١٢/ ١٣٧. وروح المعاني، للعلامة الآلوسي، ٧/ ١٦٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

الإمهال الذي في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: فلا يقولن أحد لماذا لم يذهب هؤلاء المكذبين، أي أنه لرحمته أمهلهم إعذارًا لهم"(١).

ومن النصوص التي فيها بيان قيمة الرحمة في حقه سبحانه: ما أخبر فيها جلَّ وعلا أن رحمته قد وسعت كل شيء، وهذا من فضله سبحانه وإحسانه وكرمه، فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢).

ومعنى هذه الجملة -كما يقول المفسرون-: أن رحمته سبحانه وتعالى لا نهاية لها، أي: من دخل فيها لم تعجز عنه؛ فقد عمَّت خلقه جميعًا(٣).

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان أن شرَّع له الشرائع التي بها يتعرف على واجباته نحو خالقه والكون الذي يحيط به وبني جنسه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾، إشارة إلى الحكم المذكور وهو قبول العفو وإحسان الأداء والعدول عن القصاص، تخفيف من الله على الناس، فهو رحمة منه أي أثر رحمته؛ إذ التخفيف في الحكم أثر الرحمة، فالأخذ بالقصاص عدل، والأخذ بالعفو رحمة(٥).

ومما ورد في السنة النبوية المطهرة من أحاديث تبين عظيم رحمته سبحانه وتعالى ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٨/ ٨٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) يُراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٣/ ١٥٦. والجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٧/ ٢٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٢/ ١٤٣.

(٦) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧]، حديث رقم: (٣٠٢٢)، ٣/ ١١٦٦. ومسلم في كتاب: التوبة، بابٌ في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: (٢٧٥١)، ٤/ ٢١٠٧.

وفي رواية الترمذي: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(١).

قال العلماء في شرح هذا الحديث: فيه إشارة إلى سعة رحمته ﷻ وشمولها الخلق، كما يُقال: غلب على فلان الكرم، أي: هو أكثر خصاله، وإلا فرحمة الله وغضبه صفتان راجعتان إلى إرادته للثواب والعقاب، وصفاته لا توصف بغلبة إحداهما الأخرى، وإنما على سبيل المجاز للمبالغة(٢).

ومما سبق يتبيَّن أن النصوص الشرعية قد تضافرت للتأصيل للرحمة كقيمة عظيمة مهمة.

ثالثاً: الآثار والتطبيقات والفوائد:

إن معرفتنا بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا لابد وأن يكون لها أثر واضح على الجانب المعرفي والوجداني والسلوكي في حياة الفرد المسلم، فهي ليست لمجرد القراءة والذكر وحسب، وإنما لأخذ الحكمة منها، ومعرفة ما اشتملت عليه، ومن ثم فمعرفتنا باسمه الرحمن والرحيم وما يشتمل عليه هذان الاسمان من صفة الرحمة لابد وأن يكون له أثر في الإنسان، فيتعلم منه كيف يتعامل بالرحمة مع الآخرين؛ لأن التعامل بالرحمة سبيل لحصول رحمة الله تعالى لنا.

فالقيمة المستخلصة هنا هي (الرحمة)، "وإذا نظرنا إلى الرحمة باعتبارها مفهوم قيمي أصله نابع من الخالق عز وجل، فإن هذا المفهوم سوف يرتقي في الواقع العملي لسلوكنا، ولا تصبح الرحمة مجرد لفظ بلا معنى"(٣).

وفي بيان هذا الأمر، أقول: هناك إجمال وتفصيل(٤) ...

أما الإجمال، فيقول العلماء:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: الدعوات، باب: خلق الله مائة رحمة، حديث رقم: (٣٥٤٣)، ٥/ ٥٤٩. وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) يُراجع: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري أبي العلا، ٩/ ٣٧٠.

(٣) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٣٣ بتصرف.

(٤) أعني بالإجمال: ما ذكره العلماء والمهتمون بشرح أسماء الله الحسنى وبيان آثارها وحظوظ العباد منها، وأما التفصيل: فهو ذكر العناصر المتتالية من التطبيقات العملية للقيمة.

من علم أن الله تعالى هو الرحمن الرحيم فينبغي عليه أن يرحم نفسه ويرحم غيره، فمن رحمته بنفسه أن يرفق بها ويتوسط بين طرفي الأمور الإفراط والتفريط، ومن رحمته بغيره أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء، ومن رحمته بغيره أيضًا: أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرًا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء وإظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفًا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته.

فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك. فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم برعوتك، فأقرب الناس من الله أرحمهم بخلقه، ومن كثرت منه الشفقة على خلقه والرحمة على عباده، رحمه الله برحمته وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله؛ إذ كل ذلك من رحمته[(١)].

وأما التفصيل، فمن خلال ذكر التطبيقات العلمية والفوائد والآثار المهمة المترتبة على قيمة الرحمة، ونركز على أهمها، وذلك كما يلي:

◘ التعامل بالرحمة بمفهومها الشامل للإنسان والحيوان والأكوان:

نتعلم من قيمة الرحمة أن نتعامل مع من حولنا بالرحمة، ولقد وضع النبيُ ﷺ لرحمة الإنسان بمن حوله قاعدةً لجعل الرحمة في هذا الجانب ذات طابع شمولي وعام، فلم يَجعلها قاصرة على الأقارب والأصحاب، بل جعلها تشمل الأباعد، بل كل مَن في الأرض، وجعلها ﷺ من كمال الإيمان كما جاء من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا» قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّة»[(٢)].

---

(١) يُراجع: المقصد الأسنى، للإمام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٦٢. ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ص: ١٢٨. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ط: الصحابة بطنطا، ١/٨٧. والآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى لرياض أدهمي، ص: ٢٤، ٢٥ بتصرف كبير.

(٢) ولله الأسماء الحسنى، للدكتور/ يوسف المرعشلي، ص: ١٦٥. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٣١٠)، ٤/ ١٨٥ وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يُخَرِّجَاه" ووافقه الذهبي في «التلخيص».

فهذا توجيه تجلت صورته الإنسانية لتوسيع إطار الرحمة في الوجدان لتشمل العالم كله؛ ذلك لأن طبيعة الإنسان يجب ألا تعرف الحدود أو تحدها الحواجز، أو تمنعها التفرقة العَقَدِيَّة، ثم نرى في سلوك نبينا ﷺ وتوجيهاته أنه لا يستثني منها إنسانًا أو دابة أو طيرًا، بل كانت رحمته تسع الكل فيرحم الكبير والصغير، يشفق على اليتيم والمسكين، وبالمؤمنين رءوف رحيم(١).

ثم إنه ﷺ جعل تلك الرحمة شرطًا في رحمة الله، فمن يَرحم يُرحم ومن لا يَرحم لا يُرحم -كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة-، فالجزاء من جنس العمل، وعلى قدر حظ الإنسان من هذه القيمة ترتفع درجته عند الله، ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام أرحم الناس.

وقد نطقت نصوص الشرع بما سبق؛ فعن جرير بن عبد الله(٢) ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ الناسَ»(٣).

قال الإمام ابن بطال(٤): "في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما اسْتُرْعِيَهُ وَمَلَكَهُ من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق

(١) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٣٥ بتصرف.

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، أبو عمرو وقيل أبو عبد الله، البجلي، صحابي. مات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٥٨١)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/٩٩)]
.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تبارك وتعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) [الإسراء: ١١٠]، حديث رقم: (٦٩٤١)، ٦/ ٢٦٨٦. ونحوه في صحيح مسلم في كتاب: الفضائل، باب: باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: (٢٣١٩)، ١٨٠٩/٤.

(٤) هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن توفي سنة ٤٤٩هـ. من تصانيفه: «شرح البخاري»، و«الاعتصام» في الحديث.
[راجع: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (ص: ١١٥)، والأعلام للزركلي (٤/٢٨٥)].

وتَبْيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترى أن الذي سقى الكلب الذي وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له بتكلفة النزول في البئر وإخراجه الماء في خفه وسقيه إياه، وكذلك كل ما في معنى السقي من الإطعام، ومما يدخل في معنى سقى البهائم وإطعامها: التخفيف عنها في أحمالها وتكليفها ما تطيق حمله، فذلك من رحمتها والإحسان إليها، ومن ذلك ترك التعدي في ضربها وأذاها وتسخيرها في الليل وفى غير أوقات السخرة، وقد نهينا في العبيد أن نكلفهم الخدمة في الليل فإن لهم الليل ولواليهم النهار "(١).

نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» عن ابن أبي جمرة(٢) قوله: "يحتمل أن يكون المعنى: من لا يرحم غيره بأي نوع من أنواع الإحسان لا يحصل له الثواب، ويحتمل أن يكون المعنى: من لا يكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا لا يرحم في الآخرة، أو من لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقًا، أو لا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة، ولو كان عمله صالحًا، قال: وينبغي أن يتفقد المرء نفسه في هذه الأوجه كلها، فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه "(٣).

ومما جاء في السنة النبوية من أحاديث تؤيد هذا المعنى وتؤكده، ما جاء في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمُكُم مَنْ في السَّماءِ»(٤).

قال العلماء في شرح هذا الحديث: (الراحمون) لمن في الأرض من آدمي وحيوان لم يؤمر بقتله بالشفقة والإحسان إليهم والمؤاساة والشفاعة وكف الظلم ثم بالتوجع والتوجه إلى الله والالتجاء

---

(١) شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، المعروف بابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٩/ ٢١٩، ٢٢٠ بتصرف.

(٢) هو: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد، توفى سنة ٦٩٥هـ. من كتبه: «جمع النهاية» اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أَبي جَمْرة، و«بهجة النفوس» في شرح جمع النهاية، و«المرائي الحسان» في الحديث والرؤيا.

[راجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٨/٤٣)، والأعلام، للزركلي (٤/٨٩)]

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٤٠.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأدب، بابٌ في الرحمة، حديث رقم: (٤٩٤١)، ٢/ ٧٠٣. والترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب: رحمة المسلمين، حديث رقم: (١٩٢٤)، ٤/ ٣٢٣، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

إليه والدعاء بإصلاح الحال (يرحمهم) خالقهم (الرحمن) أي يحسن إليهم ويتفضل عليهم فإطلاق الرحمة عليه باعتبار لازمها لتنزهه عما يتعلق بالجوارح، والرحمة مقيدة باتباع الكتاب والسنة فإقامة الحدود والانتقام لحرمة الله تعالى لا ينافي كل منهما الرحمة (ارحموا من في الأرض) أي من تستطيعون رحمته من المخلوقات برحمتكم المتجددة الحادثة (يرحمكم من في السماء) أي من رحمته عامة لأهل السماء الذين هم أكثر وأعظم من أهل الأرض أو المراد أهل السماء كما يشير إليه رواية أهل السماء: ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء.

قال بعض العارفين: فإن كان لك شوق إلى رحمة من الله فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك ورفع غضبك، فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم لخلقه، فكل ما يفعله من خير دقَّ أو جلَّ فهو صادر عن صفة الرحمة[1].

وهذه الرحمة الشاملة في التعامل لها صور ومظاهر عدة، **منها:**

١- رحمة الإنسان بنفسه، والتي نراها في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]، وهي جملةٌ مستقلة جيءَ بها إثرَ حكايةِ تلقِّيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهارًا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسنِ آثارِ الفضل والرحمة ابتداءً لا بعد السؤال.. والتكليفُ إلزامُ ما فيه كُلفةٌ ومشقة، والوُسعُ ما يسَعُ الإنسانَ ولا يَضيقُ عليه، والمعنى: أن سنته تعالى أنه لا يكلف نَفْسًا من النُّفوسِ إلاَّ ما يتَّسع فيه طَوقُها ويتيسّر عليها، رحمة منه سبحانه لهذه الأمة[3].

فإذا كان الله تعالى رحيمًا بعباده، لا يكلفهم ما لا يطيقون، فكذلك على المرء أن يكون رحيمًا بنفسه فلا يُلزمها من الأعمال ما لا تطيق، وهذا ما أفصح عنه صراحة حديث رسول الله ﷺ؛ فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وأرضاها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وعندي امرأةٌ،

---

(١) يُراجع فيض القدير شرح الجامع الصغير للمُناوي، ٤/ ٤٢. وعون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي، ١٣/ ١٩٤، ١٩٥. وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري أبي العلا ٦/ ٤٣ بتصرف.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) يُنظر: تفسير أبي السعود، ١/ ٢٧٦ بتصرف.

فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» فقُلْتُ: امرأةٌ لا تنام تُصَلِّي، قال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(١).

ومما يستأنس به في هذا المقام: ما جاء في الصحيح من قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وندمه لمَّا كبر على عدم أخذه برخصة رسول الله ﷺ، **وفيها:** عن عبد الله بن عمرو، قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتَهُ(٢)، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا، ولم يفتش لنا كنفًا(٣) منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «القَنِي بِه»، فلقيته بعد، فقال: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قال: كل يوم، قال: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قال: كل ليلة، قال: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الجُمُعَةِ»، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: »أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً»، فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار، ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا، فارق النبي ﷺ عليه(٤).

ومن رحمة الإنسان بنفسه أيضًا: عدم اليأس والقنوط من رحمة الله بمعنى ألا يقطع الرجاء والأمل في رحمته تعالى؛ لغلبة ذنبه ومبالغته في التفريط.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم: (١١٠٠)، ١/ ٣٨٦. ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، حديث رقم: (٧٨٥)، ١/ ٥٤٢، واللفظ لمسلم.

(٢) كَنَّتَهُ، بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد. اهـ [يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٩٥].

(٣) كنفًا: بفتح الكاف والنون بعدها فاء هو الستر والجانب، وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها؛ لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته في دواخل أمرها. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون المراد بالكنف الكنيف، وأرادت أنه لم يطعم عندها حتى يحتاج إلى أن يفتش عن موضع قضاء الحاجة كذا قال، والأول أولى. اهـ [يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٩٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: فضائل القرآن، باب: في كَمْ يُقْرَأُ القرآنُ، حديث رقم: (٤٧٦٥)، ٤/ ١٩٢٦.

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾(١).

وهذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر(٢).

جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن أُناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تُخبرنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كَفَّارَةً، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٣)، وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ﴾(4»)(٥).

وقد فسَّرت رواية الطبراني(٦) في «المعجم الكبير» ما جاء في الصحيح؛ فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحْشيّ قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا، وأنا قد صنعت ذلك؟ فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَن

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ١٠٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الزمر، حديث رقم: (٤٥٣٢)، ٤/ ١٨١١. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، حديث رقم: (١٢٢)، ١/ ١١٣.
(٦) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته. ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ. له ثلاثة معاجم في الحديث، «الصغير»، و«الأوسط»، و«الكبير». وله كتب في: (التفسير)، و(دلائل النبوة)، وغير ذلك.
[راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بَرْدي (٤/ ٥٩)، والأعلام، للزركلي (٣/ ١٢١)]

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[(١)]، فقال وحْشيّ: يا محمد هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٢)]، فقال وحشي: يا محمد أرى بعد مشيئة فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٣)]، قال وحْشيّ: هذا، فجاء فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله إذا أصبنا ما أصاب وحشي؟ قال: «هِيَ للمُسْلِمِينَ عَامَّة»[(٤)].

وفي هذا بيان لسعة رحمة الله سبحانه وتعالى بعبادة، وإعلامهم بأن باب الرحمة مفتوح لهم؛ فلا ييأسوا ولا يقنطوا من رحمته تعالى أبدًا.

٢- رحمة الإنسان بأهله، والتي نراها في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٥)]، ونراها أيضًا في قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهي تصف حال النبي ﷺ في بيته فتقول: كان يكون في مِهْنَةِ أهله -تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[(٦)].

٣- الرحمة بالوالدين وبرهما، والتي نراها في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[(٧)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٤٨، ١١٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم: (١١٤٨٠)، ١١/ ١٩٧. قال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠١): "رواه الطبراني، وفيه أَبْيَنُ بْنُ سُفْيَانَ ضَعَّفَهُ الذَّهَبِيُّ" اهـ. وكذا ذكره السيوطي في أسباب النزول (ص: ١٦٩)، وضعّف إسناده. يُنظر: لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ/ أحمد عبد الشافي.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، حديث رقم: (٦٤٤)، ١/ ٢٣٩.

(٧) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

٤- **الرحمة بالأبناء،** والتي نراها فيما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ[١] جالِسًا، فقال الأقرع: إِنَّ لي عشرةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[٢].

وفي هذا الحديث استحباب تقبيل الأطفال شفقة ورحمة، وقول النبي ﷺ: (من لا يَرْحَم) بالبناء للفاعل وحذف المفعول للتعميم (لا يُرْحَم) بالبناء للمفعول: أي إن انتفاء ذلك دليل على قسوة القلب وفقد الرحمة منه للخلق، ومن انتفت منه رفعت عنه، والجزاء من جنس العمل[٣].

فالرحمة بالأولاد والرأفة بهم والعطف عليهم من المشاعر النبيلة التي أودعها الله تعالى في قلبي الوالدين، وهذه المشاعر لها أفضل النتائج في تربية الأولاد وتكوينهم، والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية والغلظة اللئيمة القاسية، ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل على انحراف الأولاد وكرههم أبائهم وأمهاتهم[٤].

٥- **الرحمة بالمؤمنين جميعًا**، والتي نراها في قول الله تعالى، وهو يصف حال النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٥].

وفي هذه الآية الكريمة يُخْبِرُ الحقُّ سبحانه وتعالى عن سيدنا محمد ﷺ، أنه رسوله حقًّا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، وهذا مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثَنَّى بالثناء على أصحابه

(١) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعيّ الدرامي: من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٢٥٢)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (١/١٢٨)].

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: (٥٦٥١)، ٥/ ٢٢٣٥. ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: (٢٣١٨)، ٤/ ١٨٠٨.

(٣) يُنظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ٦/٣٦٦، ٣٦٧ بتصرف.

(٤) يُراجع: فن تربية الأولاد في الإسلام، لمحمد سعيد مرسي، ٢/ ٥٦ بتصرف.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار، غَضُوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضَحُوكًا بَشُوشًا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾[٢]، وفي الصحيحين عن النّعمان بن بشير[٣] رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[٤]. وعن أبي موسى الأشعري[٥] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[٦].

قال الإمام النووي: "هذا صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[٧].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٣) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، أبو عبد الله، الخزرجي، الأنصاري: من أجِلَّاء الصحابة، وأبوه صحابي أيضًا، قتل سنة ٦٥هـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٣٤٦/٦)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (١٢٢/٢)].

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٥) هو: عبد الله بن قيس بن سليم، من الأشعريين، ومن أهل زبيد باليمن: صحابي جليل. قال البغويّ: بلغني أنّ أبا موسى مات سنة اثنتين. وقيل أربع وأربعين، وهو ابن نيّف وستين. قال الحافظ في «الإصابة» بالأول جزم ابن نمير، وغيره، وبالثاني أبو نعيم وغيره. واختلفوا هل مات بالكوفة أو بمكة؟
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١٨١/٤)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٧٨/٤)].

(٦) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، حديث رقم: (٢٣١٤)، ٢/ ٨٦٣. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٥)، ٤/ ١٩٩٩. ويُراجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٧/ ٣٦٠، ٣٦١ بتصرف.

(٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٣٩.

٦- **الرحمة بالحيوان،** والتي نراها فيما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»(١).

وأيضًا في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٢).

فانعدام الرحمة أولا كان سببًا للعذاب، والرحمة ثانيًا كانت سببًا للمغفرة والثواب.

٧- **الرحمة بالجمادات،** والتي نراها في قول رسول الله ﷺ: «أَكْرِمُوا الْخُبْزَ»(٣)، وأيضًا في قوله ﷺ عن جبل أحد: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه»(٤).

فهذه جملة من الأحاديث النبوية الشريفة تُبَيِّنُ عمقَ العلاقة بين المؤمن وما حوله من الأكوان، وتُبَيِّنُ حقوقَ هذه الأكوان على الإنسان في أحكام تفصيلية تأمره وتنهاه، وكل ذلك يدور على الرحمة والرفق والحفاظ على خلق الله، وتفاعله مع ما حوله من حيوان ونبات وجماد.

وقد تأثر المسلمون عبر العصور بهذه النصوص النبوية الشريفة فتراهم وضعوا مساقي للكلاب الضالة في شوارع المدن الإسلامية، وتَعَبَّدُوا بتنظيفها لهذه الحيوانات الضعيفة، وأنشأوا مبرات للبيطرة وصيروها علمًا لتخفيف الألم عن الحيوان.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، حديث رقم: (٣٢٩٥)، ٣/ ١٢٨٤. ومسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم قتل الهرة، حديث رقم: (٢٢٤٢)، ٤/ ١٧٦٠.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، حديث رقم: (٢٢٣٤)، ٢/ ٨٣٣. ومسلم في كتاب: السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم: (٢٢٤٤)، ٤/ ١٧٦١، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧١٤٥)، ٤/ ١٣٦، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولَمْ يُخَرِّجَاه"، ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: خَرْص التمر، حديث رقم: (١٤١١) ٢/ ٥٣٩. ومسلم في كتاب: الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم: (١٣٩٢)، ٢/ ١٠١١.

٨- الرحمة بالأكوان، والتي تتحقق بأن يعبد الإنسان الله تعالى وحده، فينسجم مع الكون ويوافقه، فلا ينفر منه ولا ينفر الكون منه، فالكون كله يسير في طاعة الله طوعًا أو كرهًا.قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٢].

٩- الرحمة في المؤسسات، بأن يسعى المجتمع المسلم لتوفير المؤسسات التي ترفق بالإنسان في حالاته مرضه وضعفه، كالمستشفيات ومعاملة المريض معاملة حسنة، وكذلك العمل على تأهيل الملاجئ للأيتام ورعايتهم وإعدادهم بالشكل الجيد. والرحمة تكون في المؤسسات المُخَصَّصة لرعاية كبار السن، وهو ما يعرف بدار المسنين، ولا أعني بدار المسنين أن يذهب كبير السن وينتزع من أهله وأبنائه ويلقى به في تلك الدار لكبر سنه، وإنما أقصد كبار السن الذين فقدوا العائل وفقدوا الرعاية، فمن الرحمة أن تكون هناك مؤسسات ترعاهم وتعمل على راحتهم والعناية بهم.

١٠- الرحمة في المناهج العلمية، بأن يستحضر المسلم الرحمة في الابتكارات والآلات والأدوات التي يحتاجها في شئونه اليومية، كما كان ذلك بارزًا في حضارتنا وموروثنا.

ومن خلال ما سبق يَتَّضِح أن واجبنا نحو قيمة الرحمة: هو التخلق بها في كل أحوالنا كما مرَّ، وذلك لا يتحقق إلا بتأصيل عدة قيم أخرى، وهي:

١- الرفق الذي هو مظهر من مظهر الرحمة؛ فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عَائِشَةُ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويعطى على الرِّفْقِ ما لَا يعطى على الْعُنْفِ»[٣]، ومن حرمه الله الرفق فلا خير فيه وهو محروم من الخير؛ لأن الرفق باب من الخير يقول ﷺ: «من يُحْرَم الرِّفْقَ، يُحْرَم الْخَيْرَ»[٤].

---

(١) سورة الرعد: ١٥.

(٢) سورة فصلت: ١١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: (٢٥٩٣)، ٤/٢٠٠٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: (٢٥٩٢)، ٤/٢٠٠٣.

٢- العطف، وهو إعانة الناس مطلقًا، ضعيفهم وقويهم، وفي حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

٣- الشفقة، ويتجلى هذا فيما جاء من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، وفيه أنه عندما آذى أهل مكة النبي ﷺ وكذَّبوه، وأخرجه أهل الطائف كسير النفس ورموه بالحجارة، جاءه ملك الجبال وعرض عليه إهلاكهم، فقال ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٢)

٤- حسن العشرة والمعاملة، وحسن العشرة إذا تعلقت بالنساء فإنها تنصرف إلى حق الزوجة في المبيت والنفقة، والإحسان إليها من حيث البشاشة في وجهها، والتحدث معها من غير غلظة، إلى غير ذلك من الأمور الحياتية، وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثال في ذلك، وحديث أم زَرْع خير شاهد على ذلك، وتتعلق مراعاة حسن المعاملة بعامة الناس أيضًا.

٥- المراقبة، فالمؤمن مع تقربه إلى الله بكل عمل وتوقِّيه لكل ذنب: قلبه خائف وَجِل من الآخرة، متطلع إلى رحمة ربه وفضله في كل أحواله، مع مراقبته لله، هذه المراقبة الواجفة الخاشعة، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾(٣).

وباستحضار قيمة الرحمة في كل نواحي الحياة تتحول هذه القيمة إلى حياة معيشة، وسمة حضارية تشيع الهدوء والاستقرار النفسي على الأرض، نسأل الله أن يرزقنا الرحمة، ويرحمنا برحمته الواسعة في الدارين.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (٣٠٥٩)، ٣/ ١١٨٠. ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: (١٧٩٥)، ٣/ ١٤٢٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩٠.

[٢] (قيمة الرفق)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الرفق)، وتستنبط بصورة مباشرة من اسمه تعالى: (اللطيف)، وبواسطة من الأسماء التي تدل على الرحمة كالرحمن والرحيم ونحوهما.

أولا: المراد بقيمة الرفق:

في اللغة: مادة (رَفَقَ) تدلُّ في اللغة على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عُنْف. والرِّفق: لينُ الجَانب ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق، وهو خِلَافُ العُنف؛ يقال: رَفَق يرفُقُ ويرفِق، ورفَقْتُ أرْفُق[١].

وفي الاصطلاح: يقول أبو البقاء الكفوي: "الرفق: التوسط واللطافة في الأمر"[٢]. وقيل: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[٣].

فالمراد بقيمة الرفق: اللطافة ولين الجانب وعدم العنف في القول والفعل، والأخذ بالأسهل.

ثانيًا: الرفق في النصوص الشرعية:

دلت نصوص الشرع الشريف على أهمية رفق المرء ولين جانبه بصفة عامة، مع نفسه ومع غيره، كما بينت ضرورة الابتعاد عن العنف لضرره البليغ على الفرد والمجتمع.

ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا: ما جاء في الخطاب الإلهي لموسى وهارون عليهما السلام بالتمسك بالرفق واللين في حوارهما مع فرعون حيث قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[٤].

والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

---

(١) تُراجع مادة (رفق) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٤١٨. ولسان العرب لابن منظور، ١٠/ ١١٨. وأيضًا: النهاية في غريب الحديث الأثر لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، ٢/ ٦٠٢.

(٢) الكليات، الشيخ: أبو البقاء الكفوى، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٧٦٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام: ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٤٩.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

واللين من شعار الدعوة إلى الحق، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(١)، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾(٢). ومن اللين في دعوة موسى لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾(٣)، وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾(٤)؛ إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى(٥).

والله تعالى لطيف بعباده رفيق بهم، شرع لهم من الدين ما لا حرج فيه ولا مشقة، وأراد بهم اليسر لا العسر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(٦)، والمعنى: أنه عز وجل يريد بعباده التسهيل والتخفيف ولا يريد بهم الشدة والمشقة في جميع ما كلفهم بهم وفي جميع أحوالهم.

وقد كان رسول الله ﷺ النموذج الأعلى في الرفق سواء مع نفسه أو من خلال تعامله مع الآخرين، وامتن الله سبحانه وتعالى عليه بذلك فقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾(٧).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "يقول تعالى مخاطبًا رسوله الكريم ﷺ ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾، والمعنى: أي شيء جعلك لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ أي: لو كنت سيِّئَ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، كما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة النازعات، الآيتان: ١٨، ١٩.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٧.
(٥) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٦/ ٢٢٥ بتصرف.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

أنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفَظٍّ، ولا غليظ، ولا سَخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"(١).

والمتأمل في الأحاديث النبوية الشريفة يجد فيها الكثير من النصوص التي تحث على الرفق، ومن ذلك ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر على بعير صَعْب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً وتُردِّده، فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ»(٢).

وعنها أيضًا: أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويعطى على الرِّفْقِ ما لَا يعطى على الْعُنْفِ وما لَا يعطى على ما سِوَاهُ»(٣).

يقول الإمام النووي في شرحه هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تدعو إلى الرفق: "وفي هذه الأحاديث: فضل الرفق والحث على التخلق وذم العنف، والرفق سبب كل خير، ومعنى يعطي على الرفق أي: يثيب عليه مالا يثيب على غيره، وقال القاضي: معناه يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب مالا يتأتى بغيره"(٤).

فالله تعالى رفيق، أي: لطيف بعباده؛ لا يكلفهم فوق طاقتهم بل ييسر عليهم، يحب الرفق، ويعطي عليه، أي: في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فبقضاء الحاجات وبلوغ الغايات، وأما في الآخرة فبالثواب العميم العظيم، ما لا يعطي على العنف: أي الشدّة، والتي قد تكون سببًا في عدم حصول المراد، فالرفق خير في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (الرفق)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (اللطيف)، وحظ العبد من هذا الاسم: أن يتلطف بعباد الله ويرفق بهم؛ فيسلك معهم مسلك اللين ويبتعد عن الشدة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٢/ ١٤٨ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: (٢٥٩٤)، ٤/ ٢٠٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: (٢٥٩٣)، ٤/ ٢٠٠٣.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٤٥.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "وحظ العبد من هذا الوصف -يعني اللطيف-: الرفق بعباد الله عز وجل والتلطف بهم في الدعوة إلى الله تعالى والهداية إلى سعادة الآخرة من غير إزدراء -أي: تحقير وتهاون بهم- وعنف، ومن غير تعصب وخصام، وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسيرة المرضية والأعمال الصالحة؛ فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المُزيَّنة"(١).

والرفق يتخلق به الإنسان في خاصة نفسه، ومع الناس، بل يَمتد ليشمل الكون بأسره.

أما رفق الإنسان بنفسه؛ فقد حض الشرع عليه، ونرى هذا في قصة الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته عليه الصلاة والسلام؛ ففي الصحيح عن أنس بن مالك ﵁ يقول: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

وفي هذا الحديث: توجيه نبوي بتيسير الإنسان على نفسه؛ فلا يكلفها ما لا تطيقه أو فيه مشقة لها، ولا يُحَرِّم طيِّبًا أحله الله تعالى. ويبتعد عن التشديد في الدين؛ فإن هذا الدين يسر.

وأما الرفق مع الناس فله صور كثيرة؛ منها: **رفق ولاة الأمور برعيتهم،** فينبغي لمن ولي أمر غيره من الناس، بحيث ينفذ أمره فيهم وتلزمهم طاعته، أن يرفق بهم ولا يشق عليهم فيما يكلفهم حتى يمكنهم طاعته، ويتجلى هذا في حديث رسول الله ﷺ الذي قال عنه الإمام النووي: إنه من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم(٣)؛ ففي الصحيح عن أم المؤمنين السيدة

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٣.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم: (٤٧٧٦)، ٥/ ١٩٤٩.
ومسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مُؤَنَهُ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، حديث رقم: (١٤٠١)، ٢/ ١٠٢٠.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٢/ ٢١٣.

عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»(١).

ومنها: **الرفق مع الجاهل**، وهذا النوع من الرفق يعلمنا إياه رسولنا الكريم ﷺ في قصة الإعرابي الذي بال في المسجد؛ فعن أنس بن مالكٍ أَنَّ أعرابيًّا بَالَ في المسجد فقاموا إليه فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ» -أي: لا تقطعوا عليه البول- ثم دعا بِدَلْوٍ من ماء فصُبَّ عليه(٢).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة: أن أعرابيًّا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا على بَوْلِهِ ذَنُوبًا من مَاءٍ أو سَجْلًا من مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين»(٣).

وفي هذا الحديث: دلالة على استحباب الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافًا ولا عنادًا. وعلى دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما من قوله ﷺ: «دَعُوهُ»، وفي هذا مصلحتان:

أولاهما: لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به.

والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: (١٨٢٨)، ٣/ ١٤٥٨.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، حديث رقم: (٥٦٧٩)، ٥/ ٢٢٤٢. ومسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها، حديث رقم: (٢٨٤)، ١/ ٢٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا»، حديث رقم: (٥٧٧٧)، ٥/ ٢٢٧٠.

(٤) يُراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٤٤٩/١٠. والكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي الصالحي، تحقيق: د/ مصطفى عثمان صميدة، ص: ٣٥٧. ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ومنها: **الرفق مع العاصي،** وهذه الصورة من الرفق علمنا إياها رسولنا الكريم ﷺ بسلوكه الفعلي، وكان ذلك مع الفتى الذي جاء يستأذنه في فعل منكر من المنكرات، وهو الزنا؛ فعن أبي أُمَامَةَ قال: إنَّ فَتًى شَابًّا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «ادْنُهْ» فدنا منه قريبًا. قال: فجلس. قال: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قال:«فَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(١).

ويؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للعالم والمتصدر لإرشاد الناس أن يترفق بهم ويتلطف في إرشادهم، فبالرفق تساس الطباع، وتلين القلوب والعقول، وتسهل الأمور، ويجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات جامع للطاعات(٢).

ومنها: **الرفق مع السفيه المتجاهل،** وقد ضرب لنا نبينا محمد ﷺ النموذج المحتذى لهذا، وذلك مع بعض اليهود الذين دخلوا عليه فقالوا: السَّام عليكم، تروي لنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها هذا فتقول: دخل رَهْطٌ من الْيَهُودِ على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السَّامُ واللعنة، قالت: فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ» فقلت: يا رسول أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»(٣).

(١) أخرجه أحمد، ٣٦/ ٥٤٥، رقم: (٢٢٢١١)، قال الحافظ زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "رواه أحمد بإسناد جيد، رجاله رجال الصحيح". [يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ٨١٢].

(٢) يُراجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ٥/ ٤٦١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، حديث رقم ، (٥٦٧٨)، ٥/ ٢٢٤٢.

قيل في إبراز ما في هذا الحديث من فوائد، إن فيه: بيان عظيم خلقه عليه الصلاة والسلام وكمال حلمه، وفيه: حثٌ على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة. وفيه: استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة، وقد قال الله تعالى في التنزيل مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(١)]، وقال الشافعي: الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل، ومن كلام بعضهم: عظموا مقاديركم بالتغافل[(٢)].

وأما **الرفق بالأكون؛** فنراه في الرفق بالحيوان، وقد تقدَّم حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، والذي يُعَدُّ أصلا في هذا الباب، وفيه أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر على بعير صَعْب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً وتُردِّده، فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ»[(٣)].

ومعنى (تُرّدِّده) أي تمنعه وتدفعه بشدة وعنف، ولما رأى منها النبي ﷺ ذلك نصحها بالرفق، وبيَّن لها فضله، أن به يُتغلب على العقبات بخلاف العنف.

ومن الرفق بالحيوان: عدم اتخاذه غرضًا، وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ شيء فيه الروح غرضًا يرمى بالسهام؛ فعن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال: دخلت مع جَدِّي، أنس بن مالِك، دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا. قال: فقال أنس: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ»[(٤)].

وجاء من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً»[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) يُنظر: طرح التثريب شرح التقريب، للإمام زين الدين العراقي، ٨/ ١١١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: (٢٥٩٤)، ٤/ ٢٠٠٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: النهي عن صبر البهائم، حديث رقم: (١٩٥٦)، ٣/ ١٥٤٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: النهي عن صبر البهائم، حديث رقم: (١٩٥٧)، ٣/ ١٥٤٩.

قال العلماء: صبرُ البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى «لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً» أي: لا تتخذوا الحيوان الحي غرضًا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها، وهذا النهي للتحريم؛ لأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه، وتضييع لماليته، وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى(١).

والرفق مع الأكوان يمكن أن نطبقه بالمحافظة على البيئة وعدم تلويثها، سواء الماء أو الهواء، أو نحوهما من نبات وأشجار.

وختامًا: فإن الرفق منهج حياة، يمكن أن يستخدمه الفرد في شتى جوانب حياته وفي معاملاته؛ وذلك لما له من عظيم الأثر في بلوغ المراد وتحقيق الأهداف.

***

(١) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٣/ ١٠٨.

[٣] (قيمة الود)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الود)، وتستنبط بصورة مباشرة من اسمه تعالى: (الودود)، وبواسطة من الأسماء التي تدل على الرحمة؛ كالرحمن والرحيم ونحوهما.

واعلم أن التواد من حسن الخلق، والتباغض من سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب المودة والمحبة والتآلف، وسوء الخلق يثمر البغض والحسد والتنافر.

أولا: المراد بقيمة الود:

في اللغة: يُطلق الودُّ على محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما توده. يُقال: وَدَّ الشيءَ وُدًّا وَوِدًّا وَوَدّاً وَوَدادةً وَوِداداً وَوَداداً ومَوَدَّةً ومَوْدِدةً أَحَبَّه، ووَدِدْتُ الشيءَ أَوَدُّ وهو من الأُمْنِيَّة. قال الفرّاء: هذا أفضل الكلام، يقال: ودِّك ووديدك. كما تقول حبِّك وحبيبك، والودُّ يكون في جميع مداخل الخير، وفي أسماء اللَّه تعالى (الوَدود) هو فَعُول بمعنى مفعول، من الْوُدِّ: المحبَّة. يقال: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أوَدُّهُ وُدّاً إذا أحبَبْتَه. فاللَّه تعالى مُوْدودٌ: أي مَحْبوب في قلوب أوليائه، أو هو فَعْول بمعنى فاعل: أي أنه يحبُّ عباده الصالحين بمعنى أنه يَرْضَى عنهم(١).

وفي الاصطلاح: الودُّ: هو الوداد والمحبة الفؤادية لا اللسانية(٢).

وقيل: هو تَقَرُّبُ شخص من آخر بما يحب أو هو التواصل الجالب للمحبة(٣).

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ودد)، ٣/ ٤٥٣: ٤٥٥. والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٥١٧. والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، ٥/ ٣٦٣.

(٢) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ٣/ ٢٦٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٣٩.

ثانيًا: الود في النصوص الشرعية:

جاء ذكر الود في النصوص الشرعية وعُبِّرَ عنه أيضًا بالحب ونحوه، والود الحب، فمن هذه النصوص قوله تعالى في بيان وُدِّه تعالى للمؤمنين الصالحين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[١].

والمعنى: إن الذين آمنوا يحبهم الله تعالى ويضع محبتهم في قلوب عباده؛ كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[٢].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "وإذا كان محبوبًا في الدنيا فهو كذلك في الآخرة؛ فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمنًا تقيًّا ولا يرضى إلا خالصًا نقيًّا. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه"[٣].

وأيضًا من النصوص التي جاء فيها الحض على التواد والتآلف بين المؤمنين، وتدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله وأن يكونوا جميعًا إخوانًا متحابين في الله: قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[٤].

وفي هذا امتنان من الله تعالى على المؤمنين بأن بدَّل حالهم من التباغض والتفرق إلى التواد والاتحاد فأصبحوا بفضله تعالى إخوانًا متعاونين متوادِّين، فداوموا على هذه المودة وكونوا حريصين على بقاء هذه المحبة.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، حديث رقم: (٢٦٣٧)، ٤/ ٢٠٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١١/ ١٦١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وجاء في السنة النبوية المطهرة أيضًا ما يَحُضُّ على التوادِّ بين المؤمنين؛ فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

وهذا الحديث يعتبر مبدأً عامًّا في بيان حقوق المسلمين بين بعضهم بعضًا، وفيه حث أكيد على التحابب والتراحم والتعاون على الخير وأنواع البر فيما بينهم.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (الودُّ)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (الودود) بطريقة مباشرة، ومن الأسماء التي فيها معاني الرحمة والرفق بواسطة.

وحظ العبد من هذا الاسم: أن يكون مُحِبًّا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمسلمين، وأن يتعامل بالمودة والحب مع الإنسان والأكوان.

قال العلامة الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين في بيان حظ العبد من اسم الودود: "أنْ يُحب الصالحين من عباده -تعالى-، وأنْ يُريد للخلق ما يريده لنفسه ويُحسن إليهم حسب قدرته ووسعه، وأنْ لا يمنعه الغضب منهم عن الإيثار والإحسان إليهم، وأنْ يحتمل أذاهم"(٢).

والتخلق بقيمة الود أو المودة والمحبة يكون بين العبد وخالقه، ويكون بين الإنسان والإنسان، ويكون بين الإنسان والأكوان.

أما محبة العبد لخالقه؛ فتكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتحري مواطن رضاه والبعد عن مواطن سخطه، بل إن الأمر يمتد ليشمل جميع أحوال المرء؛ حركاته وسكناته، جميع ما يأتي وجميع ما يدع؛ كما في الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾(٣).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٢) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

والنبي ﷺ -وهو القدوة الحسنة والمثل الأعلى- يُبيِّن لنا هذه المحبة بسلوكه الفعلي؛ فقد سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ، فقالت: لمَّا كان ليلة من الليالي قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي»قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سَرَّكَ، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال:« فَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾»(١).

فبالرغم من حب النبي ﷺ لزوجه السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها إلا أنه آثر محبة الله تعالى على ذلك.

ومن علامات محبة الله تعالى: اتباع نبيه ﷺ؛ فكما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾(٢).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: التوبة، ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الْحَوْبَاتِ، وإن كان بائنا عنها مجدًّا في إتيان ضدها، حديث رقم: (٦٢٠)، ٢/ ٣٨٦. يقول الدكتور/ حكمت بشير ياسين -أستاذ التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- في كتابه: التفسير الصحيح: «موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور» (١ / ٤٩٢) في تعليقه على هذا الحديث عند تفسير آية سورة آل عمران المذكورة في آخره: "وأخرجه أبو الشيخ في كتاب (أخلاق النبي ﷺ، ص:١٦٠) من طريق عثمان بن أبي شيبة به. وهذا الإسناد رجاله ثقات أئمة، وعبد الملك بن أبي سليمان، وإن تكلم فيه البعض، فإن ثناء الأئمة عليه ووصفه بالحفظ والإتقان مستفيض مشهور (انظر: تهذيب الكمال، ١٨/ ٣٢٢ - ٣٢٨). فيكون الحديث من هذا الطريق حسنًا إن شاء الله. ومع ذلك فللحديث طريق آخر: أخرجه ابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا -كما في تفسير ابن كثير، (١/ ٤٤٠)- من طرق، عن أبي جناب الكلبي، عن عطاء به نحوه. - وأخرجه قوام السنة الأصبهاني في (الترغيب والترهيب، ١/ ٢٨٦ - حديث رقم: ٦٣٩) من طريق ابن مردويه- وأبو جناب وإن كان مدلِّسًا، إلا أن أبا الشيخ أخرجه من طريقه مصرحًا فيه بالسماع، فنزول الخشية من تدليسه، وبذلك يكون هذا الطريق متابعة قوية لطريق ابن حبان المتقدم، ويتأكد بذلك حسن الحديث كما قدمنا. وقد قوى إسناده الأرناؤوط في حاشية (الإحسان)، وحكم بحسنه الشيخ محمد رزق في (موسوعة فضائل القرآن ١/ ٢١٩ حديث رقم: ٩٠)" اهـ. والآية رقم: ١٩٠ من سورة آل عمران.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فهذه الآية الكريمة تضمنت أمرين؛ أحدهما: أن محبة الله تعالى تستلزم اتِّبَاع النبي ﷺ والتصديق بما جاء به، والثاني: أن من صَدَقَ في هذه المحبة ووفَّى بشروطها حصل له ما هو أفضل من محبته لله تعالى ألا وهو محبة الله سبحانه وتعالى له.

يقول الإمام ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، ولهذا قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول"(١).

وأما المحبة والمودة مع الآخرين؛ فأولى الناس بذلك هما الوالدان والأشقاء والزوجة والأولاد وذوو القربى والعلماء والصالحون، وأيضًا عامة الناس تأليفًا لقلوبهم.

وهناك وسائل تساعد على تحصيل الود بين الأفراد والجماعات، من أهمها: **إفشاء السلام، والمبادرة بالتحية والمصافحة،** والقرآن الكريم يوجِّهنا إلى هذا فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾(٢).

وفي السنة النبوية بيانٌ بأن إفشاء السلام يؤدي إلى حصول المحبة والمودة؛ ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم»(٣).

وقد طبَّق أصحاب رسول الله ﷺ هذا الأدب في حياتهم، حتى إنه كان إذا حُجب بعضهم عن بعض بشجرة وهو يمشون في طريق واحدة، سلَّم بعضهم على بعض(٤).

ومن الوسائل التي تساعد على تحصيل الود بين الأفراد والجماعات أيضًا: **التزاور،** وقد حث الإسلام على هذا الفعل؛ لأنه يقوي روح الود والمحبة وأواصر الجماعة بين أفراد المجتمع، وقد جاء

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٢/ ٣٢.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٧.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، حديث رقم: (٥٤)، ١/ ٧٤.
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، ٢/ ٤٦٦ بتصرف.

في السنة النبوية ما يَحض على هذا ويُبيِّن فضله؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(١).

وفي هذا الحديث: فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه أيضًا: فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب(٢).

ومن وسائل المساعدة على تحصيل الود بين الأفراد والجماعات أيضًا: **التهادي،** فالهدية تزيد من توثيق الروابط بين الأفراد والجماعات، وتؤدي إلى تعميق جذور الود والمحبة فيما بينهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ يقول: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»(٣).

وقد بيَّن الشيخ عبد الرحمن حبنكة الفرق بين الهبة والهدية، وأوضح أن الهدية قد لا تؤتي ثمارها المنشودة، وأن هذا يكون بسبب عوارض الانحراف التي تطرأ على مفهومها عند التطبيق العملي لها أحيانًا، فتنحرف بها عن أهدافها، حيث قال كلامًا طويلا لكنه من الأهمية بمكان، لذا آثرت أن أَنْقُلَهُ بنَصِّه، حيث قال: "والفرق بين الهبة والهدية، أن الأصل في الهبة أن لا يُلاحظ فيها معنى انتظار المكافأة، بخلاف الهدية فقد يُلاحظ فيها هذا المعنى عرفًا أو عند بعض الناس.

ومن الخير في الهدية أن لا يُلاحظ فيها أيضًا معنى العوض، وإلا كانت لونًا من ألوان المعاوضة، ومتى لوحظ فيها معنى العوض فسد معناها الإسلامي، وصار الناس يحاسب بعضهم بعضًا على مقدار ما يُهْدِي كلٌّ منهم أخاه، وعلى مقدار ما يأتيه من قِبَلِه من هدايا، فإذا أهدى شيئًا ذا قيمة عالية، وكوفئ عليها بهدية دونها في القيمة، وجَّه لأخيه انتقاده ولومه، ووصفه بالبخل وبقلة الوفاء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، بابٌ في فضل الحب في الله، حديث رقم: (٢٥٦٧)، ٤/ ١٩٨٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: قبول الهدية، حديث رقم (٥٩٤)، ص: ٢٠٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. قال الحافظ ابن حجر: "إسناده حسن". يُنظر: «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير»، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ٣/ ١٥٢، ١٥٣. وقال الزين العراقي أيضًا عن إسناد هذا الحديث: "جيِّد". [يُنظر: تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ص: ٤٧٨].

وحين يصل التهادي بين الناس إلى هذا المستوى الشحيح فإنه يصبح معاوضة مادية بحتة في ثوب مكرمة خلقية، وهذا الثوب ثوب زور لا محالة.

فعطاء الهدية ينبغي أن يكون صلة مودة، لا مظهر رياء، ولا وسيلة تفاخر، ثم إن المودة التي ترجى منها لا تتحقق متى تحولت عن غرضها ومفهومها الإسلامي الصحيح. ومتى دخل عنصر التفاخر في الهدايا صار أغنياء الناس يحتقرون هدايا فقرائهم، وينظرون إليها بازدراء واستكبار.

لذلك لما حث الرسول ﷺ على التهادي بين المسلمين حذر من عوارض الانحراف الذي يمكن أن ينحرف إليها مفهوم الهدية لدى التطبيق العملي"(١).

يتأكد هذا بما جاء في السنن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاة»(٢).

ووَحَر الصدر، بفتح الواو والحاء المهملة، أي: غشه ووساوسه، وقيل: الحقد والغيظ، وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغضب.

والفِرْسِن، بكسر الفاء والسين المهملة بينهما راء ساكنة وآخره نون، هو: عظم قليل اللحم وهو للبعير موضع الحافر للفرس، ويطلق على الشاة مجازًا، وفي هذا إشارة إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن لأنه لم يجر العادة بإهدائه. والمعنى: لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلا فهو خير من العدم، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة ويحتمل أن يكون النهي إنما وقع للمهدى إليها وأنها لا تحتقر ما يهدى إليها ولو كان قليلا وحمله على الأعم من ذلك أولى.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، ٢/ ٤٤٦، ٤٤٧ بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الولاء والهبة، بابٌ في حث النبي ﷺ على التهادي، حديث رقم: (٢١٣٠)، ٤/ ٤٤١. وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأبو معشر اسمه نجيح مولى بني هاشم، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه". وقد حسَّن هذا الحديث الإمام جمال الدين الزيلعي في كتابه «نصب الراية»، [يُنظر: نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، ٥/ ٢٥٦].

وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشحناء ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة والهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة وأسقط للمؤنة وأسهل على المهدي لاطراح التكلف والكثير قد لا يتيسر كل وقت والمواصلة باليسير تكون كالكثير(١).

ما سبق كان عبارة عن وسائل تحصيل المودة و المحبة بالفعل، **وهناك وسائل أخرى تساعد على حصول المودة بالترك**، ومنها: ترك التفتيش عن عيوب الآخرين وتتبع عوراتهم، والتغافل عن عيوبهم، ومنها البعد عن جدالهم ومماراتهم، فكل هذا يمنع البغضاء ويودي إلى المحبة والمودة.

وهناك أيضًا أمر لا ينبغي إهمال التنبه إليه والتنبيه عليه، ويكون سببًا في حصول الألفة والمودة بين أبناء الأمة الواحدة، ألا وهو: البعد عن التخطئة في الفروع، وليسعنا الخلاف كما وسع سلفنا الصالح، فهناك دائرتان؛ دائرة المتفق عليه، وهذه هي التي يكون فيها التصويب والتخطئة، وهناك دائرة المختلف فيه، وهذه ليست محلا لذلك؛ لأن مدار الأمر فيها على الظن بين راجح ومرجوح.

وقد صرح بعض العلماء بهذا المعنى؛ حيث عدَّ القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه: «أحكام القرآن» ما سبق من الأوجه المحتملة في معنى التفرق المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، فذكر منها: "ترك التخطئة في الفروع والتبري فيها، وليمض كل أحد على اجتهاده؛ فإن الكل بحبل الله معتصم، وبدليله عامل؛ وقد قال ﷺ: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»(٢)؛ فمنهم من حضرت العصر فأخرها حتى بلغ بني قريظة أخذًا بظاهر قول النبي ﷺ. ومنهم من قال: لم يرد هذا منا يعني وإنما أراد الاستعجال فلم يعنف النبي عليه السلام أحدا منهم.

والحكمة في ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهي عنه إنما هو المؤدي إلى الفتنة والتعصب وتشتيت الجماعة؛ فأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة. قال النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب

---

(١) يُنظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، ٦/ ٢٧٥، ٢٧٦ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في أبواب صلاة الخوف، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء، حديث رقم: (٩٠٤)، ١/ ٣٢١. عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، ولفظه: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ».

فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»[١]. وجاء في رواية أخرى: أنه إن أصاب فله عشرة أجور[٢]"[٣].

وأما أثر قيمة الود على الإنسان في تعامله مع الكون فيكون من خلال السعي في الإصلاح والإعمار لا الفساد والدمار، فعلاقة الإنسان بالكون تنبني على التوافق والانسجام، فقد خلق الله تعالى الإنسان وأوجد له الكون وسخر له ما فيه ليقوم بالعبادة والعمارة؛ فكما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[٤]، قال أيضًا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٥].

والمعنى: أمركم بعمارتها وإنشاء ما تحتاجون إليه فيها من بناء المساكن وغرس الأشجار وحفر الأنهار ونحو ذلك.

ومن مظاهر الود بين الإنسان والكون: المحافظة على موارده، فلا ينبغي له القيام بالإتلاف أو التدمير، كما لا ينبغي له أيضًا استنزاف ما فيه من خيرات واستهلاكها دون النظر أو التفكير في حقوق الأجيال القادمة، فالرؤية الإسلامية تقول بالانتفاع بالموارد والخيرات لا بالاستهلاك؛ لأن الاستهلاك من الهلاك والسين والتاء تدخل للطلب فيكون المعنى طلب الهلاك. وقد حذَّر القرآن الكريم من السعي في الأرض فسادًا وإهلاك الحرث والنسل، ونعى على من يفعل ذلك وتوعده بالعقاب الأليم؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم: (٦٩١٩)، ٦/ ٢٦٧٦. مسلم في كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم: (١٧١٦)، ٣/ ١٣٤٢. عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٧٨٥٩) ٤/ ٢٠٥. والدرقطني في سننه، ٤/ ٢٠٣. وضعَّف سندها الحافظ ابن حجر في «الفتح»، ١٣/ ٣١٩. وأيضًا في «التلخيص الحبير»، ٤/ ٣٣٣. وأخرجها أيضًا الحاكم في مستدركه على الصحيحين، حديث رقم: (٧٠٠٤)، ٤/ ٩٩، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه بهذه السياقة"، إلا أن الإمام الذهبي علَّق في «التلخيص» بأن في إسنادها فرج بن فضالة وقد ضعَّفُوه.

(٣) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر ابن العربي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ١/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[١].

وتخصيص إهلاك الحرث والنسل بالذكر؛ لأنهما أعظم ما يُحتاج إليه في عمارة الدنيا، فكان إفسادهما غاية الإفساد[٢].

ومما سبق يتبيَّن أن الود قيمة مهمة في حياة الأفراد والجماعات والأمم، تؤدي إلى حصول الوئام والألفة والخير إذا طبقت بطريقة سليمة ووفق المنظور الإسلامي، بأن كانت خالصة لله تعالى ولم تخضع لمصالح متقلبة أو أغراض دنيوية زائلة، كما أنها تكون بين الإنسان والكون فتؤدي به إلى احترام الطبيعة، وعمارة الأرض.

***

(١) سورة البقرة، الآيات: من ٢٠٤ إلى ٢٠٦.

(٢) يُنظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل. تقريظ: فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الحي الفرماوي، ٢/ ١٢٥.

[٤] (قيمة الستر)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الستر)، وتستنبط من أسمائه تعالى: (الغفور، والغفار، والغافر)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الستر:

في اللغة: يدور معنى السَّتر في اللغة حول التغطية والإخفاء، فالسين والتاء والراء: كلمة تدل على غطاء، يُقال: ستر الشيء يستره ويستره سَترًا وسِترًا أخفاه، وتستر أي تغطى. وجارية مسترة أي مخدرة. والسترة: ما استترت به من شيء كائنا ما كان[١].

وتستعمل المغفرة بمعنى الستر، تقول: غفرت له كذا أي سترته، إلا أن بين المغفرة والستر فروقًا؛ "فالغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري تعالى، والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي نيل الثواب ويستعمل في العبد أيضًا؛ كالتكفير، حيث يقال: كفَّر عن يمينه. والستر أخص من الغفران؛ إذ يجوز أن يستر ولا يغفر، والغفران في الآخرة فقط"[٢].

وفي الاصطلاح: لا يبعد المعنى الاصطلاحي للسَّتر عن المعنى اللغوي، فكل التعريفات مردُّها إلى معنى "التغطية" سواء كانت حسية أو معنوية، وإن شئت فقل: وسواء كانت إيجابية أو سلبية.

فالستر: هو إخفاء ما يظهر من زلات الناس وعيوبهم، أو هو: تغطية لهنَّات وعيوب المخطئ وإخفائها.

يقول الحافظ ابن حجر عند شرح قوله ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا»: "أي رآه على قبيح فلم يظهره أي للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله: في معصية قد

(١) تُراجع مادة (ستر) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ١٣٢. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٣٤٣.

(٢) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٦٦٦. ويُراجع معه: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم، ص: ٢٣٦.

انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها، فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة"(١).

وقال الإمام النووي: "المراد بالستر الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد"(٢).

ثانيًا: الستر في النصوص الشرعية:

دلت النصوص الشرعية على أهمية الستر بصفة عامة؛ لما في ذلك منع شيوع الفاحشة، ولأن في إذاعتها نشرًا للمفاسد، وقد حذر الشرع الشريف من ذلك وتوعد من يفعله.

ومن آيات القرآن الكريم التي تشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾(٣).

جاءت هذه الآية الكريمة في ختام الآيات التي تحدثت عن حادثة الإفك، فلما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل بقوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤) أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما قد يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين.

والوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيه على أن ذلك مستوجب للعقوبة؛ لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين. ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيرًا حتى يصدر عنه ما هو محب له أو يُسَر بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه.

ومعنى: ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾، أي: أن يشيع خبرها؛ لأن الشيوع من صفات الأخبار والأحاديث كالفشو، وهو: اشتهار التحدث بها. فتعين تقدير مضاف، أي: أن يشيع خبرها؛ إذ الفاحشة هي الفعلة البالغة حدًّا عظيمًا في الشناعة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٥/ ٩٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ١٩.

(٤) سورة النور، الآية: ١٧.

وفي هذه الآية الكريمة من الآداب: أن شأن المؤمن أن لا يحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحب لنفسه، فكما أنه لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء كذلك يجب عليه أن لا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين. ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية؛ فإن مما يزع الناس عن المفاسد: تهيبهم وقوعها، وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها، بله الإقدام عليها رويدًا رويدًا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة. هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضر بالناس ضرًّا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب. ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، أي: يعلم ما في ذلك من المفاسد فيعظكم لتجتنبوا، وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضر(١).

وفي السنة النبوية المطهرة بيان لأهمية الستر وفضله، وقد تضافرت الأحاديث للتأكيد على ذلك؛ ومن ذلك أنه سبيل لتحصيل الثواب العظيم يوم القيامة، وأنه يكون مانعًا وحجابًا لصاحبه من النار، دلَّ على ذلك: ما جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وفي هذا الحديث حض على إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، وبيان فضل ذلك، وروى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْتُرُ الله على عَبْدٍ في الدُّنْيَا إلا سَتَرَهُ الله يوم الْقِيَامَةِ»(٣).

(١) يُراجع: التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ين عاشور، ١٨/ ١٨٤، ١٨٥ بتصرف.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه، حديث رقم: (٢٣١٠)، ٢/ ٨٦٢. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: (٢٥٨٠)، ٤/ ١٩٩٦. واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة، حديث رقم: (٢٥٩٠)، ٤/ ٢٠٠٢.

نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله في بيان معنى الستر في الحديث أنه: "يحتمل وجهين: أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف، والثاني: ترك محاسبته عليها وترك ذكرها، قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر: يُقرره بذنوبه يقول: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ» "(١).

وغير ذلك من النصوص التي لا يخرج المعنى فيها عن التغطية، وستأتي شواهد أخرى لذلك في التطبيقات والآثار.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

والقيمة المستخلصة هنا هي (الستر)، وتستنبط من أسماء الله تعالى التي تدل على الغفر، وهو الستر؛ كالغفور والغفار ونحوهما، كما معنا في هذا البحث، وأيضًا من أسمائه الأخرى التي تدل على الستر؛ كالستار والستير؛ يقول الإمام القرطبي في كتابه "الأسنى" عند الكلام على اسم الساتر والستار: ".. هذان الاسمان لم أر من ذكرهما، ولا من جعلهما في عداد الأسماء، إلا أن الفعل منهما وارد في غير ما حديث، منها حديث النَّجْوى، وهو متفق عليه، وفيه قوله تعالى -في الحديث القدسي-: «فإني قد سترتها عليك»، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» "(٢).

ويَجعل القرطبي علاقة وطيدة بين اسمه تعالى الساتر أو الستار وبين اسمه الغفار من حيث إن الغفر يقتضي الستر، وذلك حيث قال: "تقول: غفر الله لك اليوم يغفر الله لكم غفرًا فهو الغفار والغفور والغافر وهو يدل على الستر والإمهال وترك العجلة والاستعجال إذا قلنا: إن المغفرة من الغفر وهو الستر، والستر يكون في الحال وفي المآل، وينقسم إلى ستر يقترن بالعفو وإسقاط الحق،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٤٣. والحديث: متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: قول الله تعالى: (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: ١٨]، حديث رقم: (٢٣٠٩)، ٢/ ٨٦٢. ومسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: (٢٧٦٨)، ٤/ ٢١٢٠.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ١/ ١٦٧ - ط: دار الصحابة بطنطا. والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم: (٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤.

وإلى تغطية القبيح عن اطلاع الغير إليه.. قال الحليمي: الغفار هو المبالغ في الستر فلا يشهر في الدنيا ولا في الآخرة"(١).

والستر أيضًا من آثار العفو، فالعفو كما يكون بمحو السيئات يكون أيضًا بسترها، وعفو الله عن المسيء وستره لا يكون بعدم الفضيحة وحسب، بل قد يمتد إلى تبديل السيئات بالحسنات شريطة الصدق والإخلاص والعمل الصالح: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(٢)، وفي الصحيح من حديث أبي ذر بيانٌ لذلك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا». فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه(٣).

فحظ العبد من اسمي الغفور، والغفار، ونحوهما: أن يستر من غيره ما يستره الله منه، وكل إنسان لا ينفك عن كمال ونقص، وحسن وقبح، فمن تغافل عن القبائح وذكر المحاسن فهو ذو نصيب من هذه الأسماء(٤).

والتخلق بالستر يكون في خاصة النفس، ويكون مع الآخرين.

أما الذي مع النفس؛ فإن الإنسان إن ألَمَّ بشيء من المخالفات فعليه أن يستر على نفسه ولا ينشر ما اقترفه بين الناس؛ فقد حذرنا النبي ﷺ من المجاهرة بالذنب؛ فعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ

(١) يُراجع: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ١/ ١٥٥ - ط: دار الصحابة بطنطا.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: (١٩٠)، ١/ ١٧٧.
(٤) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٧٦.

عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»(١).

نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» قول ابن بطال: "في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ومن التعزير إن لم يوجب حدًّا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك"(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قام بعد أن رجم الأسلمي فقال: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

ويتأكد هذا بما جاء في الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ، قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة، قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كتاب الله، قال: «أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا» قال: نعم، قال: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ»(٤).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: (٥٧٢١)، ٥/ ٢٢٥٤، صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم: (٢٩٩٠)، ٤/ ٢٢٩١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٨٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٦١٥)، ٤/ ٢٧٢، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاه ، قال الذهبي في «التلخيص»: "على شرط البخاري ومسلم"، وحسَّن إسناده الحافظ زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، [يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ١٠٣٠].

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الحدود، باب: إذا أقر بالحد ولم يُبَيِّنْ هل للإمام أن يستر عليه، حديث رقم: (٦٤٣٧)، ٦/ ٢٥٠١. ومسلم في كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]، حديث رقم: (٢٧٦٤)، ٤/ ٢١١٧.

فهذا الرجل لم يفصح بما يوجب الحد، ولعله كان بعض الصغائر فظن أنه يوجب الحد عليه، فانظر كيف فعل معه النبي ﷺ؟ لم يُحقق معه، ولكنه أرشده إلى التوبة والستر.

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "الحد: معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير، وهى هنا من الصغائر؛ لأنها كَفَّرَتْهَا الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحدٍّ أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة؛ فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة، هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث.

وحكى القاضي -يعني عياضًا- عن بعضهم أن المراد بالحد المعروف، قال: وإنما لم يَحُدَّه لأنه لم يفسر موجب الحد، ولم يستفسره النبي ﷺ عنه؛ إيثارًا للستر، بل اسْتُحِبَّ تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صَرِيحًا"(١).

إذن فيُسْتفاد من تلك الأحاديث ونحوها: أن مَن فعل ما دون الحد وستره الله فلا يفضح نفسه ويتوب ويفعل الحسنات فإنها تُذهب السيئات، وكذلك إذا ارتكب ما يوجب الحد ولم يَصِل إلى الحاكم؛ فإن ماعزًا لما أصاب الحد أخبر هزَّال فأشار على ماعز أن يذهب إلى النبي ﷺ فيخبره بما وقع منه، وأقرَّ ماعز عند رسول الله ﷺ أربع مرات فرجمه، وقال النبي ﷺ لِهَزَّالٍ: «لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَك»(٢).

والتوجيه النبوي لا يهدف إلى أن يتجرأ العباد على المعصية واقتحامها، بل يهدف إلى جعل صفحة العباد دائمًا بيضاء، فكلما تعثَّروا انتفضوا وهبُّوا إلى التوبة والاستغفار، وعلى العاصين أن يستشعروا ستر الله عليهم المنبثق عن رحمته وكرمه وحلمه وعفوه فيغَلَب عليهم الرجاء ويُسارعوا في التوبة، ويعلموا أيضًا أن الذي ستر قد يفضح، والله عز وجل إذ يعفو فهو شديد العقاب.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٧/ ٨١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الحدود، بابٌ في الستر على أهل الحدود، حديث رقم: (٤٣٧٧)، ٢/ ٥٣٨. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٨٠٨٠)، ٤/ ٤٠٣. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه، وقد تفرد بهذه الزيادة أبو داود عن شعبة". علَّق الحافظ الذهبي في «التلخيص» بقوله: "صحيح".

أما التخلق بالستر مع الآخرين؛ فهو أصل من أصول هذا الدين، وقد حضت عليه نصوص الشرع الشريف؛ فقد روى الإمام البخاري في «الأدب المفرد» أنَّ قومًا سألوا عقبة بن عامر[١] ﷺ فقالوا: إن لنا جيرانًا يشربون ويفعلون، أفنرفعهم إلى الإمام؟ قال: لا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْ مُسْلِمٍ عَوْرَةً فَسَتَرَهَا، كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا»[٢].

فمن رأى قبيحًا أو معصية من إنسان ولم يُجاهر بها فستره كان ثوابه كثواب من رأى حيًّا في قبره فأنقذه كي لا يموت، فالساتر دفع عن المستور الفضيحة التي هي كالموت؛ ذلك لأن حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة، وفي الحديث: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» "[٣]، فالجزاء من جنس العمل، والعكس أيضًا، فإنه: «وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ»[٤].

---

(١) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عديّ بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنيّ: الصحابي المشهور، يُكنَّى أبا حمَّاد. ولي إمرة مصر من قِبَلِ معاوية سنة ٤٤هـ وتوفي في خلافته.

[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٤/٤٢٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (٣/ ٥٥٠)].

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: من ستر مسلمًا، حديث رقم: (٧٥٨)، ١/ ٢٦٦. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، بابٌ في الستر على المسلم، حديث رقم: (٤٨٩١)، ٢/ ٦٨٩. والنسائي في السنن الكبرى، كتاب: الرجم، باب: الترغيب في ستر العورة، حديث رقم: (٧٢٨١)، ٤/ ٣٠٧. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٨١٦٢)، ٤/ ٤٢٦. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه"، علَّق الإمام الذهبي في التلخيص بقوله: "صحيح".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم: (٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الحدود، باب: الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، حديث رقم: (٢٥٤٦)، ٢/ ٨٥٠. قال الإمام البوصيري في: «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (٣/ ١٠٤): "هذا إسناد فيه مقال؛ محمد بن عثمان بن صفوان الجمحي. قال فيه أبو حاتم: منكر الحديث ضعيف الحديث، وقال الدارقطني: ليس بقوي، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه مسلم في صحيحه وأصحاب السنن ورواه الترمذي من حديث ابن عمر". قلت: هذا حديث حسن بشواهده، والله أعلم. وقد صرح الإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي بِحُسْنِ سند هذا الحديث في كتابه: «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/ ٢٠٧).

والشرع الشريف يتشوَّف إلى الستر، ولعل في تحديد عدد الشهود في الزنا بأربعة شهود، والتشدد في بيان صفة الفعل تغليظًا على الشهود لئلا يقود إلى إثبات الفعل فيكون سببًا لدرء الحد تغليبًا لجانب الستر، فإن الشيء إذا كثرت شروطه قلَّ وجوده.

ومن صور الستر على الآخرين: **عدم التجسس عليهم وتتبع عوراتهم والبعد عن تعييرهم**؛ فقد نَهَى الشرع عن التعيير وتتبع العورات، فالمسلم يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيِّر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾(١)، أي: لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها، وجاء في السنن بيان عاقبة تتبع عورات الناس والتحذير منه؛ فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»(٢).

وفي الحديث أيضًا: «إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ»"(٣)، ومعنى قوله: «وَلاَ يُثَرِّبْ» أي: لا يعنِّف ولا يؤنِّب ولا يعيِّر، أي: فلا يجمع عليها الجلد والتعيير، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ نادى بصوت رفيع: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِه»(٤).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، بابٌ في النهي عن التجسس، ٢/ ٦٨٨، حديث رقم: (٤٨٨٨)، قال الحافظ زين الدين العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" عن إسناد هذا الحديث: "صحيح". [يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ٦٦٠].

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: بيع العبد الزاني، حديث رقم: (٢٠٤٥)، ٢/ ٧٥٦. ومسلم في كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، حديث رقم: (١٧٠٣)، ٣/ ١٣٢٨.

(٤) أخرجه أبو داود، في كتاب: الأدب، بابٌ في الغيبة، حديث رقم: (٤٨٨٠)، ٢/ ٦٨٦. والترمذي، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث رقم: (٢٠٣٢)، ٤/ ٣٧٨. وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد، وروى إسحق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه".
قال الحافظ زين الدين العراقي: "أخرجه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد، وللترمذي من حديث ابن عمر وحسنه". [يُنظر: تخريج أحاديث الإحياء، ص: ٦٦١].

ويؤكد الشرع على النهي عن التعيير بالذنب؛ لأن شأن الإنسان الخطأ، ومَن سلم من الذنوب إلا المعصومون؟ وفي الحديث: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١)، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(٢).

فالله عز وجل يحب الستر وجعله اسمًا له، وإذا لم يذنب العباد أو يخطئوا فلمن يغفر ويعفو ويستر؟

وأولى من ينبغي أن نستر عليهم إن رأينا منهم شيئًا: ذوي الهيئات أو نحوهم ممن لم يعرف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد ولم يكن داعيًا إليه أمر بالستر عليه، ويقول النبي ﷺ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُود»(٣)، أي: اعفوا لأصحاب المروءات والخصال الحميدة زلاتهم إلا الحدود لأنه يعفى عنها ما لم تبلغ الحاكم.

وقال رسول الله ﷺ: «تَعَافُّوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ»(٤)، أي: تجاوزوا الحدود فاعفوا عنها فإذا وصلت للإمام فلا يجوز له العفو.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٣٠٧٢)، ٣/ ١٩٨. والترمذي في سننه في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٤٩٩)، ٤/ ٩٠٦. وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة". وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٦١٧)، ٤/ ٢٧٢. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه". قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "عليٌّ بن مسعدة لَيِّنٌ". وقد انتصر الحافظ ابن القطان لتصحيح الحاكم، وقال: "هو عندي صحيح؛ فإن إسنادَه هو هذا: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عليّ بن مسعدة الباهلِي، حدثنا قتادة، عن أنس. وعليّ بن مسْعدَة صالح الحديث، قاله ابن معين، وغرابته هي أن عليّ بن مسْعدَة، ينْفَرد به عن قتادة" اهـ. [يُنظر: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، للحافظ أبي الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، ٥/ ٤١٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث رقم: (٢٧٤٩)، ٤/٢١٠٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٥٥١٣)، ٦/ ١٨١. وأبو داود في سننه في كتاب: الحدود، بابٌ في الحدِّ يُشْفَعُ فيه، حديث رقم: (٤٣٧٥)، ٢/ ٥٣٨. وهو حديث يرقى إلى مرتبة الحسن لغيره بما له من شواهد تقويه؛ يقول الحافظ المُناوي في تعليقيه على هذا الحديث: "والحاصل أنه ضعيف، وله شواهد ترقيه إلى الحسن، ومن زعم وضْعَه كالقزويني أفرط أو حُسْنَه كالعلائي فرَّط" اهـ. يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٧٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الحدود، باب: العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، حديث رقم: (٤٣٧٦)، ٢/ ٥٣٨. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٨١٥٦)، ٤/ ٤٢٤. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه". قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "صحيح".

ومن صور الستر أيضًا: **كتم الأسرار**؛ فإفشاء السر نوع خيانة، ففي حديث أنس ﷺ قال: أتى عليّ النبي ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلَّم علينا، فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تحدثن بسرِّ رسول الله أحدًا[(١)].

ويدخل في هذا الباب دخولا أوَّليًّا: حفظ الأسرار الزوجية، حيث يجب على كلٍّ من الزوجين أن يستر سر الآخر، فكما جاء في الحديث: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[(٢)].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه إلى بعض ضوابط الستر حتى نضع الأمر في نصابه ويزداد وضوحًا، ومن أهم هذه الضوابط: **ألا يكون للمجاهر بذنبه المشتهر بفسقه**؛ لأن الستر عليه قد يجعله يتمادى أكثر في معصيته، وهذا قد يشجع غيره على أن يسلك سلوكه، يقول الإمام النووي: "وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الامر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت أما معصيةً رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة"[(٣)].

ويلتحق بالضابط السابق: **مراعاة المصلحة والمفسدة في الستر**، فقد يؤدي الستر إلى مفسدة أكبر، **وحاصل ذلك:** أن يستر الإنسان على من يقوم بمعصيته ظنًّا منه أن هذا قد يثنيه عما يقوم به، ويستخدم معه الشفقة، فيؤدي به هذا إلى التجرؤ على المعصية وإذاعتها بين الناس، فالمصلحة في هذه الحالة ليست في الستر عليه وإنما في الإنكار عليه ودفعه بشدة، بل إن اشتد فسقه ولم يرتدع فيجب أن

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: حفظ السر، حديث رقم: (٥٩٣١)، ٥/ ٢٣١٨. ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: (٢٤٨٢)، ٤/ ١٩٢٩.

(٢) يُراجع: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤/ ١٧١. والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب: النكاح، باب: تحريم إفشاء سرِّ المرأة، حديث رقم: (١٤٣٧)، ٢/ ١٠٦٠.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٣٥.

لا يستر عليه بل يرفع إلى ولي الأمر حتى يؤدبه ويقيم عليه ما يترتب على فساده شرعًا من حد أو تعزير.

كما أنه في بعض الحالات يكون ترك الستر هو عين المفسدة؛ كمن شوهدت وهي تفعل مقدمات المحرم، ولم تقع فيه ولم تعرف به أو يشتهر عنها، فإنه يتعين الستر عليها؛ لأن في فضحها تمكينًا للسفلة من معايرتها وإغوائها، فالمصلحة هنا في الستر، كل هذا مع إسداء النصيحة لها في أحسن الوجوه خالصة لوجه الله تعالى. إذن فمراعاة المصالح والمفاسد عند الستر مسألة من الأهمية بمكان، ينبغي أن تُراعي وألا تُهمل.

ومن ضوابط الستر أيضًا: **ألا يكون الأمر قد رُفِعَ إلى القضاء؛** لأن مقام القضاء ليس مقام ستر، فُهم هذا مما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال: إني لأذكر أول رجل قطعه رسول الله ﷺ أتى بسارق فأمر بقطعة فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه قال: «وما يمنعني، لَا تَكُونُوا أعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ على أَخِيكُمْ، إنه لا ينبغي للإمام إذا انْتَهَى إليه حَدٌّ إلا أَنْ يُقِيمَهُ، إنَّ اللهَ عَفُوٌّ يُحِبُ العَفْوَ، وليَعْفُوا وليَصْفَحُوا ألا تُحِبُونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(١). وهذا الحديث أصل في الباب، ويُبَيِّنُ المطلوب، وهو من أعجب ما رأيتُ في الستر؛ فالرسول ﷺ لَمَّا كره ذلك فكأنه كان يرى أن الستر أولى أولا، لكن لَمَّا رُفع الأمر إليه صار واجبًا عليه إقامة الحد، ولم يعد للستر فائدة في هذا المقام.

ولترك الستر آفات كثيرة، منها: أن ترك الستر غالبًا ما يُفسد ولا يُصلح؛ لأن من لا يجهر بمعصيته عندما يراه أحد بغتة ثم لا يستر عليه فإنه يكون بهذا قد فضحه، فيؤدي به إلى الجهر والإعلان بما كان يستتر منه ويسر به؛ عنادًا منه أو غير ذلك، فتحصُل بذلك مفسدتان؛ مفسدة المجاهرة بالمعصية، ومفسدة إشاعتها وإذاعتها بين الناس.

ومنها: -ما سبقت الإشارة إليه- من أن عدم الستر فيه نشر المفاسد وإذاعة الفواحش، وهذا يؤدي إلى هدم الأمن المجتمعي، فيفقد الناس ثقتهم ببعض، ويحل التنافر والتناحر محل التآلف والتعاون، وليس أدل على هذا من حادثة الإفك، وما حصل فيها من نشر الإشاعات وتناقل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٨١٥٥)، ٤/ ٤٢٤، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

الأكاذيب وتَحَدُّث الإنسان بكل ما يسمع، وقد حذرنا الشرع من ذلك؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»(١).

قال الإمام النووي: "في هذا الحديث زجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان؛ فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، ومذهب أهل الحق: أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه إثمًا، والله أعلم"(٢).

وللستر فوائد متعددة، منها: أنه يطفئ نار المفاسد الواقعة في المجتمع فالستر علاج اجتماعي فعال يختفي تحته كثير من أمراض المجتمع حتى لا تنتشر، ومن ثَمَّ يظل المجتمع نقيًّا طاهرًا، والمجتمع النقي الطاهر يعد بيئة صالحة تساعد على الطهارة والنقاء.

ومنها: أن الستر يكون سببًا في تأليف القلوب، وإعانة من وقع في المعاصي على عدم العودة إليها إذا وجد من يستر عليه خوفًا عليه؛ فمن طبيعة الإنسان أنه يكره أن تظهر عيوبه وأخطاؤه أمام الآخرين، فإذا فُضح أمامهم فإن هذا قد يكون سببًا لعناده وتمسكه بما هو عليه من الأخطاء والمخالفات، فبالستر يتحقق الهدف ويحصل المطلوب، وبتركه غالبًا يكون المحذور.

ومنها: أنه سبيل لحفظ الأعراض والعورات، والمراد بالعرض هنا ليس فقط ما يتعلق بأمر الشرف، وإنما كل ما من شأنه أن يوقع المسلم في حرج أو ضيق، كما أن به تَحْصُل حماية الأعراض وصيانتها عن الانتهاك، وهذا بخلاف نشر المفاسد وإذاعتها.

ومنها: أن من ستر على غيره ستره الله في الدّنيا والآخرة؛ فالجراء من جنس العمل.

جعلنا الله تعالى ممن يَسْتُرُون فيَسْتُرُهم في الدنيا والآخرة. آمين. والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم: (٥)، ١/ ١٠.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١/ ٧٥ بتصرف.

[٥] (قيمة الصدق)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الصدق)، وتستنبط من اسمه تعالى: (الصادق)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الصدق:

في اللغة: مادة الصاد والدال والقاف: تدل في اللغة على قوة في الشيء قولا وغيره، ومن ذلك الصدق وهو خلاف الكذب ونقيضه؛ سمي بذلك لقوته في نفسه، ولأن الكذب باطل لا قوة له،يُقال: صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه قَبِل قولَه، وصَدَقَهُ الحديث أنبأه بالصدق(١).

وفي الاصطلاح: يقول أبو البقاء الكفوي: "كل خبر مخبره على مَا أخبر به فهو صدق"(٢). وفي التعريفات للجرجاني: "الصدق في اللغة مطابقة الحكم للواقع. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب. وقيل: الصدق ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب"(٣).

والصدق يكون في النية وفي القول وفي الفعل، وفي الظاهر والباطن.

ثانيًا: الصدق في النصوص الشرعية:

دلت نصوص الشرع الشريف على أهمية الصدق وأعلت من شأنه وحثت عليه ومدحت فاعله، والصدق صفة وصف الله تعالى بها نفسه، ووصف بها الأنبياء والمرسلين، وعباده الصالحين.

ومن النصوص التي جاء فيها ذكر ما سبق ما جاء من وصف الله تعالى نفسه بها؛ فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾(٤). والمعنى: أنه سبحانه وتعالى صادق في كل ما يخبر به.

---

(١) تُراجع مادة (صدق) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٣٣٩. ولسان العرب لابن منظور، ١٠/ ١٩٣، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٧٤.

(٢) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٥٤٣.

(٣) التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص: ١٧٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

والنصوص في وصف الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين بالصدق كثيرة، منها: ما جاء في وصف سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[1]. وفي وصف سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[2]. وفي وصف سيدنا إدريس عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾[3]. وفي وصف المؤمنين: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[4].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[5].

والآية نداء من الحق تبارك وتعالى لأهل الإيمان بأن يكونوا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم، في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، في كلِّ شأنٍ من شئون حياتهم.

"ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه قد جاءت كخاتمة وتذييل للآيات التي ذكر فيها الكلام عن الثلاثة الذين تخلّفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ، وأن الله قد تاب عليهم، وعفا عنهم، وأنزلهم منازل رضوانه، وجعلهم معلمًا من معالم الثبات على الحق والولاء له؛ وذلك كله بسبب أنهم أقاموا أنفسهم على كلمة الصدق، فلم يكذبوا على رسول الله، ولم يجيئوا إليه بأعذار ملفقة، بل جاءوا إليه يقولون قولة الحق على أنفسهم!

فقالوا: يا رسول الله.. إننا لا عذر لنا في تخلفنا عن الجهاد معك، فخذ لله ولك من أنفسنا وأموالنا ما تشاء! فكانت ثمرة صدقهم، هو هذا الذي انتهى إليه أمرهم. فأجرى لهم في القرآن الكريم ذكرًا، وجعل لهم في العالمين قدرًا.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

فالدعوة إلى الصدق هنا وإلى التمسك به دعوة مقرونة بالمثال الواقعي للفضل العظيم والخير العميم الذي يناله الصادقون بصدقهم، وإن احتملوا في سبيل كلمة الحق شيئًا من الأذى والضرّ في أول الأمر، فإن العاقبة دائما لهم، وهى عاقبة طيبة، تهيئ لصاحبها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة"(١).

ومما جاء في السنة النبوية المطهرة مما يدل على فضل الصدق ويحض عليه ويُبيِّن جزاءه: ما جاء عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»(٢).

قال العلماء في بيان معنى هذا الحديث: إن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر: اسم جامع للخير كله، وقيل البر: الجنة، ويجوز أن يتناولهما. وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهو الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي.

وفي هذا: حث على تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه؛ فإنه إذا تساهل فيه أكثر منه وعرف به فلا يعتمد نطقه ولا ينتفع به فينسلخ من الإنسانية لخصوصية الإنسان بالنطق إلى البهيمية فيصير هو والبهيمة سواء بل هو شر منها لأنها وإن لم ينفع نطقها لا يضر، والكاذب يضر ولا ينفع(٣).

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (الصدق)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (الصادق)، وقد عدَّ الإمام القرطبي -صاحب التفسير- هذا الاسم من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن الكريم نصًّا، ونعى على من لم يشر إلى وروده في القرآن الكريم حيث قال: "وقد خفي على جماعة من العلماء

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، للأستاذ عبد الكريم الخطيب، ٦/ ٩١٣ بتصرف.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] وما يُنْهَى عن الكذب، حديث رقم: (٥٧٤٣)، ٥/ ٢٢٦١. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم: (٢٦٠٧)، ٤/ ٢٠١٢.

(٣) يُراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٦٠، ١٦١. وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني، ٤/ ٥٢٥.

استخراجه من كتاب الله تعالى حتى قال أبو القاسم الزجاجي: وهذه الصفة من صفاته سبحانه مستنبطة من سورة مريم من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾[١]، أي: آتيًا، مفعولٌ بمعنى فاعل، وإذا كان وعده آتيًا فهو صادق فيه، وكل شيء وعد الله عز وجل عباده فهو كائن كما وعدهم لا محالة. وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه «الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى»: إن هذا الاسم لم يرد به القرآن الكريم، وجاء في السنة من حديث أبي هريرة من طريق عبد العزيز بن الترجمان، وورد فعلا فيهما. وقال الأُقْلِيشي: لم ترد هذه الصفة عند الترمذي ولا وردت في القرآن بهذه الصيغة، لكن ورد: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[٢]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[٣]. قلت -والكلام للإمام القرطبي-: عجبًا لهؤلاء الأئمة مع تبحرهم في كتاب الله تعالى، والبحث في معانيه وتفسيره، وتلاوته ليلا ونهارًا، كيف غفلوا عن هذا الاسم العظيم حتى يقولوا: إنه لم يرد في القرآن وإنما ورد فعله؟! فكأنهم رحمهم الله لم يقرأوا سورة الأنعام، لكن الذهول والنسيان يعتري الإنسان، والكمال إنما هو لذي الكمال..

ثم بيَّن حظ العبد من هذا الاسم الشريف فقال: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا أحد أصدق من الله، وأن كل صادق وصدق فمن عنده، ثم يجب عليه الصدق في جميع أقواله وكل أفعاله"[٤].

والصدق له صور ومظاهر، ويكون مع الله ومع النفس ومع الآخرين.

أما صدق الإنسان الله ربه وخالقه؛ فيكون بالإخلاص له سبحانه في العبادة، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[٥].

وهذه الآية الكريمة جاءت في سياق الآيات التي افتتحت بها سورة الزمر، والتي من أهم أغراضها ومقاصدها: وجوب توحيد الله تعالى وإفراد العبادة خالصة له. وفي هذه الآية الكريمة تقرير حاسم في هذا الشأن، ومن شدة الرابطة بين هذه الآية الكريمة والتي قبلها أنه سبحانه وتعالى

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦ بتصرف. ط: دار الصحابة بطنطا

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣.

قال في الآية السابقة: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(١)، ثم جاء في هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾، "وهي جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص: أي أن الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به"(٢).

و«الإخلاص» معناه: أن يخلص المؤمن لله رب العالمين لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجه الكريم، خالصًا من الشرك، صادقًا خالصًا من الرياء، وهذا كله يعود إلى نية الإنسان.

لذلك فإن حديث رسول الله ﷺ الذي افتتح به الإمام البخاري صحيحه يعد تعبيرًا صريحًا عن ذلك؛ فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك و تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه»(٤).

وقد قرر القرآن الكريم هذا في مواضع أخرى، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾(٥)، وعدَّ هذا أيضًا معيارًا لقبول الأعمال وردِّها. يقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾(٦).

(١) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٥١٥،

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: (١)، ١/ ٣. ونحوه في صحيح مسلم في كتاب: الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال)، حديث رقم: (١٩٠٧)، ٣/ ١٥١٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم: (٢٩٨٥)، ٢٢٨٩/٤. ونحوه في سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة، حديث رقم: (٤٢٠٢)، ٢/ ١٤٠٥.

(٥) سورة البينة، الآية: ٥.

(٦) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

وأما صدق الإنسان مع النفس؛ فيكون بمعرفته بعيوبها وأخطائها، ويبدأ في معالجتها وإصلاحها؛ لأجل الوصول إلى السلام النفسي مع الذات.

ولا يخدع نفسه؛ فالصدق تطمئن به القلوب، والكذب تحصل به الريبة والاضطراب فلا تسكن به القلوب. وهذا يحصل في صدق الإنسان مع نفسه ومع غيره. فلَمَّا سُئل الْحَسن بن عليٍّ عمَّا حَفِظَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ»(١).

قال الحافظ المُنَاوِي(٢): "والحاصل أن الصدق إذا مازج قلب الكامل امتزج نوره بنور الإيمان فاطمأن وانطفأ سراج الكذب؛ فإن الكذب ظلمة والظلمة لا تمازج النور"(٣).

فمن كان صادقًا مع نفسه استنار قلبه وتبصَّر بعيوبه فداواها.

وأما الصدق مع الناس فله صور كثيرة؛ منها: **الصدق في الحديث،** وهذا يتجلى في التوجيه النبوي الذي يحث على صدق الآخرين في الحديث، ويُحذِّر وينفِّر من الكذب معهم؛ فعن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ(٤)، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٥١٨)، ٤/ ٦٦٨. وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٠٤٦)، ٤/ ١١٠، وقال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "سنده قويٌّ".

(٢) هو: محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المُناوي القاهري، زين الدين: توفي سنة ١٠٣١هـ. له نحو ثمانين مصنفًا، منها: «كنوز الحقائق» في الحديث، و«التيسير في شرح الجامع الصغير» اختصره من شرحه الكبير المسمى «فيض القدير» و«شرح الشمائل للترمذي» و«إحكام الأساس» اختصر به أساس البلاغة ورتبه كالقاموس، وغير ذلك كثير.

[راجع: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٤١٢/٢)، والأعلام، للزركلي (٢٠٤/٦)].

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، ٣/ ٥٢٩.

(٤) هو: النَّوَّاس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي. له ولأبيه صحبة.

[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٣٧٧/٦)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (٥٩١/٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/ ١٥٣٤)].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (١٧٦٧٢)، ٤/ ١٨٣. ط: مؤسسة قرطبة – القاهرة، قال الحافظ زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء عن إسناد هذا الحديث: "جيِّد". [يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ١٠٢٤].

فانظر كيف بالغ رسول الله ﷺ في التحذير من الكذب على الآخرين، والأصل أن المسلم لا يكذب أبدًا، وسمى ﷺ ذلك خيانة لأن من يُحَدَّثُ مُؤْتَمِن للمتحدث فلما كذبه فقد خانه، وفي هذا تصوير مدى بشاعة هذا الفعل وتنفير منه.

ومنها: **الصدق في المعاملات،** فإنه ينبغي على المسلم أن يكون صادقًا في معاملاته مع الآخرين، وهذا يبينه لنا رسول الله ﷺ؛ فعن حكيم بن حزام[١] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ ما لم يَتَفَرَّقَا أو قال حتى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[٢].

وهذا الحديث أصل في الصدق في المعاملات، والتحذير من الكذب فيها، وبيان عاقبة كل منهما؛ فبالصدق تحصُل البركة وبالكذب تُمْحق البركة.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في بيان معنى الصدق في الحديث: "قوله ﷺ: «فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا» أي: صدق البائع في إخبار المشترى مثلا وبيَّن العيب أن كان في السلعة، وصدق المشترى في قدر الثمن مثلا وبيَّن العيب أن كان في الثمن، ويحتمل أن يكون الصدق والبيان بمعنى واحد، وذكر أحدهما تأكيد للأخر "[٣].

ومنها: **الصدق في الشهادة،** والمراد بذلك الشهادة بالحق وقول الصدق من غير اتباع هوى أو مجاملة أحد، فالكذب شنيع لكن من أشنعه الكذب في مقام الشهادة، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[٤]. والرسول ﷺ يحذِّر من شهادة الزور؛ فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ

---

(١) هو: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، أبو خالد: صحابي، قرشي، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين. كان صديقًا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٩٧/٢)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٤٤/٣)].

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، حديث رقم: (١٩٧٣)، ٢/ ٧٣٢. ومسلم في كتاب: البيوع، باب: الصدق في البيع والبيان، حديث رقم: (١٥٣٢)، ٣/ ١١٦٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٣٢٩/٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

الكَبَائِرِ؟» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وجلس وكان مُتَّكِئًا فقال: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّور» ، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[١].

ومما يندرج تحت الصدق في مقام الشهادة: "تزكية المرشحين للمجالس النيابية، أو المناصب العامة؛ فهذا نوع من الشهادة، فمن انتخب المغموط في كفايته وأمانته، فقد كذب، وزوَّر، ولم يقم بالقسط"[٢].

ومنها: **الصدق في الوعود والمواعيد**، وقد حذر الشرع الشريف من إخلاف الوعود والمواعيد؛ وذلك بجعل هذا الفعل من صفات المنافقين؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا أؤتمن خَانَ»[٣].

قال الإمام النووي في «الأذكار»: "أجمعَ العلماءُ على أن من وعد إنسانًا شيئًا ليس بمنهيٍّ عنهُ، فينبغي أن يفي بوعدِهِ، وهل ذلك واجبٌ أم مستحبٌّ؟ فيه خلافٌ بينهم؛ ذهب الشافعيُ وأبو حنيفةَ والجمهورُ، رحمهمُ الله، إلى أنه مستحبّ، فلو تركهُ فاتهُ الفضلُ، وارتكب المكروه كراهةَ تنزيهٍ شديدة، ولكن لا يأثم. وذهبَ جماعةٌ إلى أنه واجبٌ، قال الإمامُ أبو بكرٍ ابن العربي المالكي: أَجَلُّ مَن ذهبَ إلى هذا المذهب عمرُ بن عبد العزيز[٤]، قال: وذهبتِ المالكية مذهبًا ثالثًا: أنه إن ارتبط الوعدُ بسببٍ، كقوله: تزوّج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعدًا مُطلقًا لم يجب. واستدلّ مَن لم يوجبه بأنه في معنى الهبةِ، والهبةُ لا تلزمُ إلا بالقبضِ عند الجمهورِ، وعند المالكية: تلتزم قبل القبض"[٥].

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، حديث رقم: (٥٦٣١)، ٥/ ٢٢٢٩. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم: (٨٧)، ١/ ٩١. واللفظ للبخاري.

(٢) خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٤١ بتصرف.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم: (٣٣)، ١/ ٢١. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، حديث رقم: (٥٩)، ١/ ٧٨.

(٤) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، القرشي، الأموي، التابعي، الخليفة الصالح، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين لعدله وحزمه. ولد سنة ٦١هـ ونشأ بالمدينة، وتوفي سنة ١٠١هـ.

[راجع: الطبقات الكبرى، لان سعد (٥/٢٥٣)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/١١٤)].

(٥) الأذكار، للإمام النووي، ص: ٥٠٨، ط. ابن حزم.

ومنها: **الصدق في المجاملات،** والمراد بذلك ألا يبالغ المسلم في مدحه للآخرين، فيمدحهم بما ليس فيهم؛ لكسب ودهم أو لنيل ما عندهم. وألا يثني على ظالم ونحوه، فهذا مذموم شرعًا؛ وقد ورد الأصل الشرعي الذي يُبْنى عليه ذلك؛ فقد جاء في السنن عن بريدة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُولُوا لِلمُنافِقِ سيدٌ، فإنَّه إنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

يقول الشيخ محمد الغزالي: "وتَمَدُّح الناس مدرجة إلى الكذب، والمسلم يجب أن يحاذر حينما يُثنى على غيره فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، ولا يجنح إلى المبالغة في تضخيم المحامد وطي المثالب. ومهما كان الممدوح جديرًا بالثناء فإن المبالغة في إطرائه ضرب من الكذب المحرم.

وهناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، فيكيل الثناء جزافًا ويهرف بما لا يعرف، وربما وصف بالعدالة الحكام الجائرين، ووصف بالشجاعة الأغبياء الخوارين، ابتغاء عرض من الدنيا عند هؤلاء وأولئك"(٢).

ومنها: **الصدق في المزاح،** فينبغي الالتزام بالصدق دائمًا حتى في المزاح، وقد حذَّر النبي ﷺ عليه من يحدث الناس بالكذب ليجعلهم يضحكون؛ فقال ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»(٣).

والعلة في منع المزاح كذبًا وتكرر الوعيد عليه؛ "أن الكذب وحده رأس كل مذموم، وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: لا يقول المملوك "ربي" و"ربتي"، حديث رقم: (٤٩٧٧)، ٧١٣/٢، وصحَّح إسناده كلٌّ من: الإمام النووي في كتابه: «الأذكار»، ص: ٥٧٣، ط. ابن حزم، والحافظ زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، ص: ١٠٥٦.

(٢) خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٣٩ بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له، كتاب: الأدب، بابٌ في التشديد في الكذب، حديث رقم: (٤٩٩٠)، ٧١٦/٢، والترمذي في سننه، في أبواب الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، حديث رقم: (٢٣١٥)، ٤/ ٥٥٧، وقال: " هذا حديث حسن". وقال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث: "إسناده قويٌّ". [يُنظر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: سمير بن أمين الزهيري، ٢/ ٢١٨].

كان أقبح القبائح"(١)، ولذلك قال الراغب الأصفهاني: "إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة"(٢).

ومنها: **الصدق في تربية النشء،** فلا يصح من الوالد أن يكذب على ولده، ولا المُعلم أو المُربِّي على من يقوم بتعليمه وتربيته؛ فعن عبد الله بن عامر(٣)، أنه قال: دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»(٤).

والمقصود في هذا التوجيه النبوي غَرْسُ فضيلة الصدق في نفوس الأطفال من خلال التربية بالقدوة، فالولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم منه الصدق مهما أعطى له والده دروسًا نظرية في الصدق وأهميته، وكم نرى الآباء يلقنون أولادهم الكذب في بعض المواقف -كالرد على من يسأل عنهم ونحو ذلك- استهانة منهم فتتزعزع قيمة الصدق في نفوس الصغار ويَشُبُّوا على ما رأوه من آبائهم.

بقي تنبيهان لا ينبغي إغفالهما:

الأول: أنه كلما اتسع نطاق الصدق كلما اتسعت فائدته وعمَّت منفعته، وكذلك الكذب كلما اتسعت دائرته كلما زاد خطره وعمَّ ضرره، فكذب الفرد على الفرد -وإن كان خطأً- إلا إنه لا يتساوى مع كذب فرد على جماعة أو رئيس على مرؤوسيه، وأبعد من ذلك في الشناعة كذب الحكام

(١) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُنَاوي، ٦/ ٣٦٨.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص: ٢٠٢ بتصرف.

(٣) هو: عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي. وهو الأصغر؛ لأن أخاه الأكبر اسمه عبد الله أيضًا، يكنى أبا محمد. ذكره الترمذي في الصحابة، قيل: إنه مات سنة بضع وثمانين. وقيل: سنة خمس وثمانين.
[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١١٩/٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (١٨٣/٣)].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، بابٌ في التشديد في الكذب، حديث رقم (٤٩٩١)، ٢/ ٧١٦. قال الحافظ زين الدين العراقي: "رواه أبو داود وفيه من لم يسم. وقال الحاكم: إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه. قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة". تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ١٠٢٦. قُلْتُ: وصنيع الحافظ العراقي هنا يُفهم منه تحسينه لهذا الحديث بطرقه وشواهده.

على شعوبهم، فعن عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ -وزِيدَ: ولا ينظر إليهم- وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(١).

وعن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْكَذَّابُ، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ»(٢).

والحكمة في بلوغ هذه الأفعال من هؤلاء الثلاثة هذا المبلغ في الشناعة: هو انتفاء الأغراض الباعثة عليها. والكذب يكون لجلب منفعة أو لدفع ضرر، وهذا لا ضرورة لوقوعه من الإمام أو الحاكم وهو كبير قومه.

والثاني: أن الصدق في الأعمال عبادةً وعمارةً له أثرٌ عظيم في نهضة الأمم وتقدمها؛ وذلك "لأن نجاح الأمم في أداء رسالتها، يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة. فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة، سبقت سبقًا بعيدًا، وإلا سقطت في عرض الطريق، فإن التهريج والخبط، والادعاء والهزل، لا تغنى فتيلا عن أحد"(٣).

***

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنِّ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، حديث رقم: (١٠٧)، ١/ ١٠٢.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، مسند سلمان الفارسي رضي الله عنه، حديث رقم (٢٥٢٩)، ٦/ ٤٩٣. قال نور الدين الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح غير العباس بن أبي طالب، وهو ثقة". يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ٦/ ٢٥٥. وقال الإمام ابن حجر الهيتمي عن إسناد هذا الحديث: "جيِّد". [يُنظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ١١٣، ٢/ ٣٢٥].

(٣) خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٤٣.

[٦] (قيمة الشكر)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الشكر)، وتستنبط من اسميه تعالى: (الشاكر، والشكور)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الشكر:

في اللغة: الشُّكْرُ في اللغة مصدر شَكَرَ يَشْكُرُ، ومعناه: الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكه، وقالوا: الشكر: عرفان الإحسان ونشره، وقالوا: الشكر: تصور النعمة وإظهارها. ومضاد الشكر: الكفر، وهو: نسيان النعمة وسترها.

والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل. ورجل شكور: كثير الشكر.

الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته. والشكر: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليها[(١)].

في الاصطلاح: أصل الشُّكْرُ: تصوّر النّعمة وإظهارها، وهو عرفان الإحسان، الشُّكْرُ: شكران: الأوّل شكر باللّسان وهو الثّناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا[(٢)].

ثانيًا: الشكر في النصوص الشرعية:

دلَّت نصوص الشرع الشريف على الشكر، ودعت إليه، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[(٣)].

---

(١) تُراجع مادة (شكر) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عيد السلام هارون، ٣/ ٢٠٧. لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٢٦٥.

(٢) يُراجع: الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص: ٥٢٣، ٥٣٤. والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص: ٢٠٦، ٢٠٧. ويُنظر نحو هذا في: تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١/ ١٣٣، ١٣٤.

(٣) سور البقرة، الآية: ١٥٢.

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الحق تبارك وتعالى عباده بشكره جزاء ما أنعم عليهم من نعمه التي لا تعد ولا تحصى وألا يجحدوا إحسانه إليهم.

يقول الإمام أبو جعفر الطبري: "يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي، "ولا تكفرون"، يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رَضيت عنه من عبادي، فإنّي وعدت خلقي أنّ من شكر لي زدته، ومن كفرني حَرمته وسلبته ما أعطيتُه"[١].

ومن النصوص أيضًا ما جاء في القرآن الكريم في قصص بعض الأنبياء الذين وصفهم الله تعالى بأنهم شاكرين لنعم الله تعالى عليهم؛ فقال تعالى في وصف سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[٢].

والمعنى: أن نوحًا عليه السلام كان عبدًا شكورًا في السراء والضراء، والشكر: مقابلة النعمة بالثناء على المنعم. روي أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال: الحمد لله، فإن قيل: ما وجه ملاءمة قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ لما قبله؟ كان الجواب: كأنه قال: لا تتخذوا من دوني وكيلا، ولا تشركوا بى؛ لأنَّ نوحًا عليه السلام كان عبدًا شكورًا، وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم.

ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح، فهم متصلون به، فاستأهلوا لذلك الاختصاص[٣].

وجاء أيضًا وصف نبي الله إبراهيم عليه السلام بأنه يشكر الله تعالى على نعمه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[٤].

---

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: احمد محمد شاكر، ٣/ ٢١٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣.

(٣) يُنظر: تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦. والكشاف، للزمخشري، ٢/ ٦٤٨.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

وفي هاتين الآيتين مدح لسيدنا إبراهيم ﵇، ومما مُدح به أنه كان شاكرًا لأنعم الله تعالى، وجاء التعبير بصيغة جمع القلة (أَنْعُم) للإيذان بأنه ﵇ كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة.

وفيها أيضًا: تعريض بأهل مكة الذين جحدوا نعمة الله وكفروها، وكانت بلدهم آمنة مطمئنة، والمراد: أنه لا يليق بكم هذا الكفر والجحود، وأنتم تدَّعُون أنكم من ذرية إبراهيم ﵇ أو على ملِّته؛ فإبراهيم لم يكن كذلك، بل كان شاكرًا لله على نعمه(١).

ومما جاء في السنة النبوية المطهرة من الحديث عن الشكر: ما جاء عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَه»(٣).

وفي هذين الحديثين جاءت جملة "فشكر الله له"، والمعنى: أي رضي منه ذلك، وجازاه عليه، فالله تعالى هو الشكور؛ الذي يعطي الجزيل من الثواب على القليل من العمل.

قال الحافظ ابن حجر: "وقع في رواية عبد الله بن دينار بدل «فغفر له»، «أدخله الجنة»، وكذا في رواية بن حبان"(٤).

---

(١) يُنظر: تفسير أبي السعود، ٥/ ١٤٩. والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤/ ٣١٧.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، حديث رقم: (٢٢٣٤)، ٢/ ٨٣٣. ومسلم في كتاب: السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم: (٢٢٤٤)، ٤/ ١٧٦١، واللفظ لمسلم.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الجماعة والإمامة، باب: فضل التهجير إلى الظهر، حديث رقم: (٦٢٤)، ١/ ٢٣٣. ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: بيان الشهداء، حديث رقم: (١٩١٤)، ٣/ ١٥٢١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٥/ ٤٢.

ثالثاً: الآثار والتطبيقات والفوائد:

والقيمة المستخلصة هنا هي (الشكر)، وأساس الشكر: المعرفة. فأنت لا تشكر ما لم تعرف. والمراد بالشكر هنا ما يشمل شكر الخالق وشكر المخلوق، فحظ العبد من اسمي (الشاكر والشكور) أن يكون شاكرًا لله على نعمه التي لا تعد تحصى، وكذلك أن يكون شاكرًا لمن أسدى إليه معروفًا.

أما شكر الخالق؛ فلأنه المنعم المستحق للشكر على الحقيقة، وهو تعالى يرضى لعباده الشكر ولا يرضى لهم الجحود والنكران، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[1].

ولمَّا كان الشكر يقابله الكفر، فمن لم يشكر الله فقد جحد بنعمه، والجحود بالله ونعمه هو الكفر بذاته.. لكن من رحمة الله بخلقه أنه لا يرضى لهم الكفر والجحود، بل يرضى بشكرهم على تصور نعمه وتذكرها، وتوجيه منه تعالى بأن الشكر يصون صاحبه من العذاب وبأنه مثار الرضا الإلهي والرضا النفسي، وإن كان الله تعالى غنيًّا ومستغنيًا عن عباده، لكنه تعالى يربيهم على مقابلة الفضل والإحسان بالعرفان والبعد عن الجحود والنكران[2].

وشكر العبد لله عز وجل لا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع، فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر؛ لأنه لا يحصي ثناء عليه، وإن أطاع فطاعته نعمة أخرى من الله عليه بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة، وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله عز وجل أن لا يستعملها في معاصيه بل في طاعته وذلك أيضًا بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكرًا لربه[3].

ومن ثَمَّ فالشكر على أقسام:

شكر اللسان: وهو ألا تستعمله في غير ذكر الله والثناء عليه.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٢) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ: عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٦٤.

(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٦.

فعن أبي سعيد الخدري[١] مرفوعًا قال: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[٢].

وشكر القلب: وهو ألا تشغله بغير الله ومعرفته، وتبتعد عن الحقد والضغينة والحسد.

وشكر البدن: وهو ألا تستعمل جوارحك إلا في طاعته، مثل غض البصر، إمساك اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب، مسك اليد عن سرقة.. وهكذا.

وشكر المال: وهو ألا تنفقه في غير رضاء الله ومحبته. وأن تكون مؤدِّيًا لزكاة مالك، كثير التصدق محافظًا على حق الله تعالى في هذا المال.

شكر العمل: الشكر بالأفعال أن تساعد الناس في أمورهم، وتُدْخل السعادة عليهم، وتسعى معهم في قضاء حوائجهم، وتعطيهم من وقتك وخبرتك ومجهودك[٣].

ويوجهنا النبي ﷺ إلى أهمية الشكر بسلوكه الفعلي؛ فقد ورد أنه ﷺ كان يقوم حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[٤]. والمعنى: إذا

---

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو سعيد الخدريّ: أنصاري، مدني، مشهور بكنيته، من صغار الصحابة وخيارهم.. قال الواقديّ: مات سنة أربع وسبعين.

[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٣/٦٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/١٦٨)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: حفظ اللسان، حديث رقم: (٢٤٠٧)، ٤/ ٦٠٥. عن شيخه محمد بن موسى، ثم ساق إسنادًا عقبه فقال حدثنا هناد، حدثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد نحوه، ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث محمد بن موسى، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري قال أحسبه عن النبي ﷺ فذكر نحوه. وقال الزين العراقي عن هذا الحديث في تخريج أحاديث الإحياء: "أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعًا وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه الترمذي موقوفًا على عمار بن زيد وقال هذا أصح" اهـ. [يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ٩٩٧].

(٣) يُنظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي، ط: دار الصحابة بطنطا، ١/٣٢٦. ومعه أيضًا: الجمال والجلال والكمال في أسماء الله الحسنى، للأستاذة: زينب عباس ذكي. جمع: إبراهيم أحمد خليل ص: ١٤٨، ١٤٩ بتصرف.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الفتح، حديث رقم: (٤٥٥٦)، ٤/ ١٨٣٠. ومسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم: (٢٨١٩)، ٤/ ٢١٧١.

أكرمني ربي بنعمه وغفرانه أفلا أكون شاكرًا عطاياه وإحسانه، طالبًا للمزيد منها؛ فقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١) أي: نعمة على نعمة.

وأما شكر المخلوق، فهو ليس على الحقيقة وإنما لجريان النعمة من الله تعالى على يديه؛ يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "العبد يتصور أن يكون شاكرًا في حق عبد آخر؛ مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه، وأخرى بمجازاته بأكثر مما صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة"(٢).

وقد حثنا الشرع الشريف على ذلك؛ فقد قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾(٣).

والمعنى: اشكر لي نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما لك، ومشقتهما في تربيتك وأنت صغير حتى كبرت واشتد عودك واستحكمت قواك.

وبيَّن رسول الله ﷺ أن على المسلم أن يشكر من أسدى إليه معروفًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»(٤).

ومعنى هذا الحديث: أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله؛ وذلك إما لأنه لم يُطِعْه في امتثال أمره بشكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله عليه، والشكر إنما يتم بمطاوعته فمن لم يُطِعْه لم يكن مؤدِّيًا شكره، أو لأن من لم يشكر الناس مع ما يرى من حرصهم على حب الثناء على الإحَسان فأولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران(٥).

وكذلك يرشدنا النبي ﷺ إلى أهمية مكافأة من قدم إلينا معروفًا؛ فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(٦).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٦.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، بابٌ في شكر المعروف، حديث رقم: (٤٨١١)، ٢/ ٦٧١. والترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب: الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (١٩٥٤)، ٤/ ٣٣٩، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، واللفظ للترمذي.

(٥) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للحافظ المُنَاوي، ٦/ ٢٢٤ بتصرف.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الزكاة، باب: عطيه من سأل بالله عز وجل، حديث رقم: (١٦٧٢)، ١/ ٥٢٤. والنسائي في سننه، كتاب: الزكاة، باب: من سأل بالله عز وجل، حديث رقم: (٢٥٦٧)، ٥/ ٨٢. والحاكم في =

والمعنى: إذا صنع لكم أحد معروفًا سواء كان ماديًّا كمعونة ونحوها أو معنويًّا فأعطوه ما تظنون أنه يكافئ معروفه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه أو كان ممن لا يحسن مكافأته كالملك والرئيس وما أشبه ذلك، فعليكم بالدعاء له حتى تظنون أنكم قد كافأتموه جزاء ما قدَّم لكم.

وصور شكر من صنع لنا معروفًا ومكافأته متنوعة، فتشمل الهدية، والدعاء له، والكلمة الطيبة، والسعي في قضاء حوائجه.

إذن فنتعلم من هذين الاسمين (الشاكر، والشكور): شكر الله سبحانه وتعالى؛ فشكر النعمة هو الذي يحفظ بقاءها ودوامها، وكذلك نتعلم شكر الناس كما جاء في التوجيه النبوي الشريف.. ولكن ألا يمكن لنا أن نوسع من تطبيق هذه القيمة في واقعنا الذي نعيشه؟

في الواقع أننا لو نظرنا إلى ما أشرنا إليه من أقسام الشكر، وأن منه شكر المال، وجدنا أنه يمكن لنا أن نفعِّل قيمة الشكر في الواقع العملي في دنيانا، بمعنى أن الأغنياء لا يكتفون بإخراج زكاة أموالهم فحسب، وإنما أيضًا يقومون بشكر هذه النعمة -أي المال- بالتصدق من أموالهم لإقامة المشروعات التي تخدم المجتمع، وترفع من مستوى معيشة أفراده، ولو قام الأغنياء بواجب الشكر على هذه النعمة بهذا الشكل في كل بقاع العالم لما بقى فقير أو محتاج.

وكذلك سبق وأن أشرت إلى قسم آخر من أقسام الشكر وهو شكر العمل، أو قل إن شئت الشكر بالفعل، فمن أسدى معروفًا أو قدم خيرًا يجب أن يكون جزاؤه من جنس عمله، فيكون شكره لا بالقول فحسب، وإنما أيضًا يكون بالفعل، كل هذا على مستوى الأفراد والجماعات بل الأمة، فكم من أفراد قدموا لمجتمعهم وأممهم الكثير والكثير ولا يُقابل هذا بشيء من الشكر، بل قد لا يعلم أحدٌ عنهم شيئًا.

***

=

المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٢٣٦٩)، ٢/ ٧٣. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاه؛ للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه". علَّق الحافظ الذهبي في «التلخيص» على هذا الحديث بقوله: "على شرط البخاري ومسلم".

[٧] (قيمة التواضع)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة التواضع)، وتستنبط من اسمه تعالى: (المتكبر)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة التواضع:

في اللغة: مادة وضع تدل في اللغة على خفض الشيء وحطِّه، يقال: وضع الشيء من يده يضعه وَضْعًا ومَوْضِعاً ومَوْضُوعًا، والمصدر: التواضع، وصيغة تفاعل من هذا الأصل تدل على الإظهار كما في تغافل بمعنى أظهر الغفلة وإن لم يكن غافلاً على الحقيقة، وكما في تعامى أي أظهر العمى، وتباكى أظهر البكاء، والتواضع هو التذلل، ومن ثم تكون صفة التّواضع سمة لمن أظهر الضعة والذل لله ولرسوله وللمؤمنين وإن كان المرء عزيزًا في نفسه[١].

في الاصطلاح: التواضع بضم الضاد المعجمة مشتق من الضِعة بكسر أوله وهي الهوان، والمراد بالتواضع إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه فضله[٢]، وقيل: التواضع: تحقير النفس وإهانتها بالنسبة إلى عظمة الله وقبول الحق بحسن الخلق. وقيل: هو التبرؤ من القوة والحول. وقيل: هو تذلل القلوب لعلام الغيوب بالتسليم لمجاري أحكام الحق[٣].

ثانيًا: التواضع في النصوص الشرعية:

دلت نصوص الشرع الحنيف على التواضع، وبيَّنت أهميته مما يجعله من شِيَّمِ الكرام أكابر النفوس، وليس أدل على ذلك من خلق الرسول الكريم ﷺ، وقد أمره الحق سبحانه بالتواضع ولين الجانب مع المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٤].

وهذا الأمر الإلهي لنبيه ﷺ بهذا الخلق الرفيع لأن التواضع يؤلف القلوب ويملؤها بالمحبة، ولا سيما إذا كان من عظيم القوم لأتباعه، فلقد كان الرسول ﷺ خافض الجناح لين الجانب.

---

(١) تراجع مادة (وضع) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٦/ ١١٧، ومعه: مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٤١، ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٣٩٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١١/ ٣٤١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: ١١١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسير آية سورة الحجر: "وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع، وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثَل في التواضع واللّين في المعاملة، وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للجفاء والشدّة"(١).

ومن النصوص التي دعت أيضًا إلى خلق التواضع ولين الجانب وعدم الكبر: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾(٢).

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم "(٣).

ومن النصوص التي حضت على التواضع أيضًا ما جاء فيها النهي عن الكبر والخيلاء، وذلك باعتبار مبدأ الخلف، فالنهى عن الشيء دعوة إلى ضده وضد الكبر التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾(٤).

وفي هذه الآية نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع، حيث إن الكبر خصلة من خصال الجاهلية، وكان أهل الجاهلية يتعمدونها، والخطاب هنا لغير معين ليعم كل مخاطب، والمقصود منه التهكم والتشنيع على هذا الفعل، فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام؛ لأنه فساد في خلق صاحبه وسوء في نيته(٥).

وفي السنة النبوية المطهرة تأكيد على الأمر الإلهي بالتواضع؛ وهذا يتمثل في أحاديث كثيرة، منها: ما جاء في الصحيح من أن النبي ﷺ قام ذات يوم خطيبًا في الناس، وكان مما قال حينئذٍ: «.. إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلي أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ولا يَبْغِ أَحَدٌ على أَحَدٍ»(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤/ ٨٣.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٨.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٦/ ٣٣٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.
(٥) يُراجع في هذا: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٠/ ٢٦٠. ومعه أيضًا: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٥/ ١٠٣، ١٠٤.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: (٢٨٦٥)، ٤/ ٢١٩٧.

وقد كان النبي ﷺ هو المثال والقدوة في التواضع؛ "فقد كان ﷺ إذا جلس بين أصحابه كان كأحدهم فيأتي قاصده فلا يعرفه فيقول: أيكم محمد؟ وإذا سار مع أصحابه كان كأحدهم، لا يتعالى ولا يترفع عليهم، ولا يعطي لنفسه امتيازًا إلا ما تقتضيه طبيعة القيادة والأمر "(١).

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (التواضع)، وتستنبط من اسمه تعالى: (المتكبر)؛ "فمن آداب من عرف كبرياء الله تعالى: أن يخضع لأمره ويتذلل بين يديه، فلا تتحقق العبودية لله عز وجل إلا بكمال الخضوع مع كمال المحبة. وكمال الخضوع يكون بمعرفة الله سبحانه وتعالى بصفات الجلال، وكمال المحبة يكون بمعرفة الله سبحانه بصفات الجمال. ومن آداب من عرف الله سبحانه وكبرياءه: أن يلزم طريق التواضع، ولا يرى لنفسه فضلا، ولا يشهد لنفسه حقًّا، يرى الكبير خيرًا منه لأنه عرف الله وأطاعه قبله، ويرى الصغير خيرًا لأنه أقل منه معصية "(٢).

ويقول الإمام القرطبي، وهو يُبيِّن أثر اسمه تعالى (المتكبر) على العبد: "يجب على كل مكلف أن يعتقد العظمة والكبرياء لله وحده، وأنه لا حظَّ له من هذا الاسم، إنما حظه: الذل و الاستصغار والافتقار للمتكبر الجبار..

ثم يقول: وكل ذنب يمكن التستر به وإخفاؤه إلا التكبر فإنه يلزمه الإعلان، وهو أصل العصيان كله، فلا تردن حقًّا عن صاحب، ولا تنظر إلى أحد بعين الاستصغار، وإياك ومشية الخيلاء وهي جر الثياب، وهو الإعطاف بها؛ فإنها فِعْلَةُ المتكبر المتجبر وعلامته..

وَجَانِبْ الكبرَ ومصاحبةَ أهل النفاق والمتكبرين، وعليك بلين الجانب مع عباد الله المؤمنين، واتصف معهم بالتواضع "(٣).

إنَّ التواضع يتولَّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولَّد من ذلك كله خلق هو

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، ١/ ٤٧١.

(٢) الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، جمع وترتيب: رياض أدهمي، ص: ٣٩، ٤٠ بتصرف.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للإمام أبي عبد الله القرطبي، ص: ٣٩٠، ٣٩١ بتصرف. ط. المكتبة العصرية، بيروت.

التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذّل والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقّا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقرّبه(١).

بناء على ما سبق: فإن التواضع يكون لله، ويكون مع الناس، وله صور ومظاهر.

أما التواضع لله؛ فيكون بالخضوع لعظمته تعالى والخشوع لعزته، ويكون أيضًا بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. جاء في السنن من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْ مُنِيبًا»(٢).

وقوله ﷺ: «مُخْبِتًا» أي خاضعًا خاشعًا متواضعًا من الْخَبْتِ وهو المطمئن من الأرض، يقال: أخبت الرجل إذا نزل الْخَبْتَ ثم استعمل الْخَبْتَ استعمال اللين والتواضع، قال تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾(٣)، أي: اطمأنوا إلى ذكره، وسكنت نفوسهم إلى أمره، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع(٤).

أما التواضع مع الناس؛ فيكون بالرفق ولين الجانب لهم، وأولى الناس بهذا هما الوالدان؛ قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾(٥).

---

(١) تُراجع: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، ٤/ ١٢٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلَّم، حديث رقم (١٥١٠)، ١/ ٤٧٤. والترمذي في سننه، كتاب: الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٣٥٥١)، ٥/ ٥٥٤، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (١٩١٠)، ١/ ٧٠١، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه".

(٣) سورة هود، الآية: ٢٣.

(٤) يُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري، ٥/ ١٧٢٣. وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٢/ ٥٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

والإنسان يتواضع أيضًا مع أهله، وقد كان رسول الله ﷺ هكذا؛ فقد سأل رجلٌ أمَّ المؤمنين السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئًا؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ[(١)].

والتواضع أيضًا يكون مع عامة المسلمين؛ يقول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)]. أي: متوادُّون متعاطفون، لا يتكبر منهم أحد على أحد بل يتواضع كل للآخر، ويلين له جانبه، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٣)].

ونهى رسول الله ﷺ عن احتقار المسلم وعدم التواضع له؛ ففي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» ويشير إلى صدره -الشريف- ثلاث مرات «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[(٤)].

وللتواضع مظاهر؛ كالتواضع في المأكل، والملبس، والمشية والجلسة؛ ففي صحيح البخاري في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[(٥)]، وقال النبي ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ» وقال ابن عباس: "كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٥٣٩)، ص: ١٩٠. والإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٥٣٨٠)، ٦/ ١٦٧. قال الحافظ زين الدين العراقي: "رجاله رجال الصحيح". يُنظر: تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ٨٤١.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٥٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم: (٢٥٦٤)، ٤/ ١٩٨٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"(١). وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ»(٢).

وهذا كله يدل على جواز أن يأكل الإنسان أو أن يلبس ما شاء ما لم يكن محرمًا لذاته كالخنزير أو الحرير للرجال وما لم يُجاوز الحد إما بالإسراف أو التكبر والخيلاء، وفي هذا حض على التواضع في المأكل الملبس والمشية، وتنفير من الإسراف والتكبر، بل ورد الوعيد في خصوص الملبس والمشية بصيغة أقوى؛ فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأرض إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

وأما بخصوص الجلسة؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل الذي يصرفه، ولم يُر مقدمًا على ركبتيه بين يدي جليس له(٤).

قال العلماء في بيان معنى قوله: (ولم يُر مقدمًا على ركبتيه بين يدي جليس له)، أي: ما كان يجلس في مجلس تكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم، وقيل: ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه بل كان يخفضها تعظيما لجليسه، وقالوا: أراد بالركبتين الرجلين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلَّقًا هكذا، ٥/ ٢١٨٠، ووصله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «تغليق التعليق» على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ٥/ ٥٢. ط/١: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان - الأردن، ١٤٠٥هـ.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، حديث رقم (٥٤٤٦)، ٥/ ٢١٨١. ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، حديث رقم: (٢٠٨٥)، ٣/ ١٦٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} [الكهف: ٩]، حديث رقم: (٣٢٩٧)، ٣/ ١٢٨٥.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ، حديث رقم: ٢٤٩٠، ٤/ ٦٥٤، وقال: هذا حديث غريب. وقد حسَّنَه أيضًا: المُتَّقِي الهندي في كتابه «كنز العمال»، حديث رقم (١٨٦٥٧)، ٧/ ٢٠٩. [يُنظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا].

وتقديمهما مدهما وبسطهما كما يقال قدم رجلا وأخر أخرى، ومعناه: أنه ﷺ كان لا يمد رجله عند جليسه تعظيمًا له[١].

وفي هذا ما ترى من تواضعه ﷺ في جلسته.

ومن مظاهر التواضع أيضًا: عدم التعالي على الحق، بل المسارعة إلى قبوله والرجوع إليه، حتى ولو كان من عدو أو خصم، وهذا المظهر من التواضع دليل على فطرة صاحبه السوية ونفسه العالية، فلا تقف العداوة أو التعصب أو الهوى أو التكبر عائقًا أمام اعترافه بالحق وقبوله والرجوع إليه، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ نموذجًا يُحتذى في ممارستهم لهذا المظهر من مظاهر التواضع، وبصفة خاصة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ؛ "فالذين بادروا فاستجابوا لدعوة الحق التي جاء بها الرسول ﷺ وهجروا ما كانوا عليه من باطل، قد كانوا أصحاب فطر عالية؛ لأنهم استطاعوا أن يطرحوا عصبياتهم جانبًا، وينبذوا أنانياتهم الخاصة، ويستهينوا بمصالحهم مع قومهم، ويتبعوا رسول الله ﷺ حين رأوا أن دعوته هي دعوة الحق، وأن ما كانوا عليه في جاهليتهم باطل.

ومن أمثلة هؤلاء عمر بن الخطاب ﷺ؛ فقد كان من أصحاب الفطر العالية، رجَّاعًا إلى الحق، وقَّافًا عنده، فقد كان يستطيع أن يدوس نفسه وعزتها وكبريائها بقدميه، ويستطيع أن يعلن ذلك على رؤوس الأشهاد متى ظهر له أن الحق في غير الأمر الذي كان يقول أو يأمر به، وكان في ذلك نموذجًا فريدًا. وقصة إسلامه تدل على فطرته العالية في حبه للحق ووقوفه عنده ورجوعه إليه[٢].

ومن فوائد التواضع: أنه سبيل للرفعة الإنسان وعلو مكانته عند الله ومحبة الناس له؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ الله»[٣].

هناك وجهان في معناه؛ أحدهما: أن الله تعالى يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا[٤].

---

(١) يُراجع: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ٧/ ١٦٢.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ: عبد الرحمن حبنكه، ١/ ٦٧٤، ٦٧٥ بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: (٢٥٨٨)، ٤/ ٢٠٠١.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٤٢.

ومن فوائد التواضع أيضًا: أنه سبيل لدخول الجنان وحماية من النيران؛ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ قال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس»(١).

وإنما صار الكبر حجابًا دون الجنة؛ لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأن المتكبر لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، وهو رأس أخلاق المتقين، ولا يقدر على ترك الحقد، ولا يقدر أن يدوم على الصدق، ولا يقدر على ترك الغضب، ولا يقدر على كظم الغيظ، ولا يقدر على ترك الحسد، ولا يقدر على النصح اللطيف، ولا يقدر على قبول النصح، ولا يسلم من الإزراء بالناس ومن اغتيابهم، وبالجملة فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطرٌ إليه ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجزٌ عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه(٢).

وهنا يأتي سؤالٌ: هل يُعدُّ كلُّ كبرٍ مذمومًا، وكلُّ تواضعٍ محمودًا؟

الجواب: ليس كل كبر مذمومًا؛ فالكبر على أهل الكبر جائز حتى لا يتكبروا ويتجبروا على غيرهم، وليعلموا أن كل متكبر يُوجد من هو أكثر منه تكبرًا، وكما قالوا: التكبر على ذوي التجبر تواضع. وقد أشار لهذا الشيخ محمد مصطفى الخادمي الحنفي(٣) المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري في كتابه في الآداب الشرعية: «بَرِيقَة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية»، حيث قال ما مُحَصَّله: "التكبر حرام على كل أحد؛ لأنه عظيم الآفات ومنبع أكثر البليات وموجب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: (٩١)، ١/ ٩٣.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ص: ٢٤٣، ٢٤٤ بتصرف. ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) هو: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي قيل: إنه توفي سنة ١١٧٦هـ. من تصانيفه: «البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية»، و«الشريقة النبوية في السيرة الأحمدية»، و«حاشية على درر الحكام في شرح غرر الأحكام» في فروع الفقه الحنفي، و«خزائن الجواهر ومخازن الزواهر»، و«منافع الدقائق في شرح مجمع الحقائق». [راجع: هدية العارفين، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤)، والأعلام، للزركلي (٦٨/٧)، ومعجم المطبوعات، ليوسف سركيس (٢/ ٨٠٨، ٨٠٩)].

سرعة عقوبة الله تعالى؛ لأنه لا يحق إلا له تعالى فإذا فعل العبد ما يختص بالمولى اشتد غضب المولى، إلا على المتكبر من الناس، فالتواضع على المتكبر ليس بجائز، والتكبر عليه صدقة؛ لأنه إذا تواضعت له تمادى في ضلاله وإذا تكبرت عليه تنبه.

ومن هنا قال الشافعي: تَكَبَّرْ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ مَرَّتَيْن، وقال الزُّهْرِي(١): التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام.

وعن أبي حنيفة أنه قال: أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يلتفت إليه، وقيل: قد يكون التكبر لتنبيه المتكبر لا لرفعة النفس فيكون محمودًا كالتكبر على الجهلاء والأغنياء. وقيل أيضًا: التكبر على من تكبر عليك بماله تواضعٌ"(٢).

وكذلك أيضًا ليس كل تواضع يُعدُّ محمودًا يُمدح عليه صاحبه؛ فالتواضع والذلة مع أهل العصيان والفسوق من الأمور المذمومة لما فيها إهانة النفس وإضعاف شأن الدين.

يقول الحافظ المُنَاوِي: "إن القصد بالتواضع خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين، فالتواضع الذي يعود على الدين بالنقص ليس بمطلوب، ومن ثمَّ قيل: الإفراط في التواضع يورث الذلة والإفراط في المؤانسة يورث المهانة"(٣).

ومن ثَمَّ: فإن التواضع لا يكون تواضعًا إلا إذا كان الإنسان ممتلئًا كالسنابل بالقمح فينحني، فالانحناء هنا لا يضر بمقدار ما يحمله الإنسان من علم ومن قيم ومن أخلاق عالية، بل إن ذلك سيزين صورته في أذهان الناس ويحببهم فيه؛ لأنه بذلك يكون قد جمع بين القوة والتواضع.

* * *

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، الزُّهْري، القرشي، التابعي، ولد سنة ٥٨هـ، وتوفى سنة ١٢٤هـ. أخذ عن بعض الصحابة، وأخذ عنه عكرمة، ومالك بن أنس وطبقته. وأخذ عنه الأوزاعي، وطاوس، وابن كيسان، وغيرهم.

[راجع: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (٩/ ٤٤٥)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ٨٣)].

(٢) بَرِيقَة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، للشيخ/ محمد مصطفى الخادمي الحنفي، ٢/ ١٨٦ بتصرف.

(٣) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمُنَاوِي، ٤/ ٢٧٧ بتصرف كبير.

[٨] (قيمة الحكمة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الحكمة)، وتستنبط من اسمه تعالى: (الحكيم)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الحكمة:

في اللغة: مادة (حكم) تدل على المنع، ومن هذا الأصل أخذ أيضًا الحكم في معنى المنع من الظلم، وحكمة اللجام لأنها تمنع الدابة عما لا يريده صاحبها، والحكمة لأنها تمنع من الجهل، وهي مصدر قولهم حكم أي صار حكيماً، والحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم(١).

وفي الاصطلاح: يقول أبو البقاء الكفوي: "الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وصواب الأمر وسداده، وأفعال الله كذلك لأنه يتصرف بمقتضى الملك فيفعل ما يشاء وافق غرض العباد أم لا، وفي عرف العلماء هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها وقال بعضهم الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع "(٢).

ويقول الجرجاني: "الحكمة الإلهية علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بقدرتنا واختيارنا، وقيل: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية "(٣).

وقيل: الحكمة في حق العبد الإصابة في القول والعمل بقدر الطاقة البشرية(٤).

---

(١) تراجع مادة (حكم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٩١. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٧٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ١٤٠.

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمود المصري، ص: ٥٩٦.

(٣) التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص: ١٢٤.

(٤) أسماء الله الحسنى، للشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية سابقًا، وعضو هيئة كبار العلماء، ص: ٦١.

ومما سبق أرى أن التعريف المختار للحكمة في هذا السياق هو: أنها وضع الأشياء في مواضعها مع الإصابة في القول والفعل.

ثانيًا: الحكمة في النصوص الشرعية:

لقد دلت نصوص الشرع على قيمة الحكمة؛ ففي القرآن الكريم وردت في عدة مواطن، ودلت على معان مختلفة.

جاء في «بصائر ذوي التمييز» للفيروزابادي أن الحكمة وردت في القرآن الكريم على ستَّة أَوجهٍ:

الأَوّل: بمعنى النبوّة والرسالة: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(١)، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾(٢)، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٣)، أَي: النبوّة.

والثاني: بمعنى القرآن والتفسير والتأويل وإصابة القول فيه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٤).

والثالث: بمعنى فهم الدّقائق والفقه في الدّين: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٥)، أي: فهم الأَحكام.

والرّابع: بمعنى الوعظ والتَّذكير: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٦)، أي: المواعظ الحسنة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

والخامس: آيات القرآن وأَوامره ونواهيه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(٧).

والسّادس: بمعنى حُجّة العقل على وَفْق أَحكام الشَّريعة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾(٨)، أي قولاً يوافق العقل والشرع(٩).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٥) سورة مريم، الآية: ١٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٧) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٨) سورة لقمان، الآية: ١٢.
(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، ٢/ ٤٩٠، ٤٩١.

وهناك بعض الآيات التي سبق ذكرها آنفًا تستدعي التوقف عندها بشيء من التأمل والدراسة؛ لأهميتها في تأصيل هذه القيمة، فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[١].

وفي بيان العلاقة بين هذه الآية وبين ما قبلها[٢] ما يُجلِّي معنى لفظة (الحكمة) فيها، وفي هذا يقول الإمام الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبّه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الحس والشهوة والنفس توقع الإنسان في البلاء والمحنة، فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول"[٣].

وفي الآية أيضًا تنبيه على أن من حاز الحكمة فقد حاز خيرًا كثيرًا؛ فالحكمة، وهي الإصابة في القول والفعل ووضع الأشياء في مواضعها، من أكبر العطاءات الإلهية.

ومن الآيات التي تؤكد هذا: قوله تعالى في شأن لقمان الحكيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[٤].

وامتن الحق تبارك وتعالى على سيدنا داود ﷺ بأن آتاه الحكمة فقال في شأنه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) هي قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٨].

(٣) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ٧/ ٥٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٠.

قيل في معنى الحكمة هنا: أنها النبوة، وقيل: أنها بالمعنى الأعم، من العلم بالأشياء كما هي، والعمل بالأمور على ما ينبغي، والمعنى : أن داود أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلم جاء بكلام فاصل بين الحق والباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء(١).

وجاء في السنة النبوية ما يشير إلى قيمة الحكمة؛ فقد دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأن يعلمه الله الحكمة؛ فعنه أنه قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ»(٢).

واختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا؛ فقيل: القرآن، وقيل: العمل به، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة(٣). ولا مانع من إرادة جميع المعاني أو بعضها؛ فالكل محتمل ولا مرجح لمعنى على آخر.

ومن الأحاديث الدالة على منزلة الحكمة وأهميتها: أنها من الأمور التي تُسْتَحق أن يُغْبط عليها الإنسان؛ فعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسُلِّطَ على هَلَكَتِهِ في الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا»(٤).

والحسد في الحديث معناه الغبطة، وهي تمنى ما عند الغير من خير، وأعلى درجاتها أن يقول الإنسان لمن رآه في نعمة: بارك الله لك في نعمائه، وزادك خيرًا، وآتانا مثلك. أما الحسد بمعنى تمني زوال الخير من الغير فممنوع. والحديث يُبَيِّنُ أهمية الحكمة ومنزلتها حتى جعلها أحد أمرين عظيمين يتمنى الإنسان حصولهما في نفسه إذا رآهما في غيره.

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٣/ ٢٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم (٣٥٤٦)، ٣/ ١٣٧١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١/ ١٧٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم: (٨١٦)، ١/ ٥٥٩.

والمراد بالحكمة في الحديث معناها الأعم؛ يقول الإمام النووي: "الحكمة: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح"(١).

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (الحكمة)، وتستنبط من اسمه تعالى: (الحكيم)، وأثر هذا الاسم على العبد -كما يقول الإمام القرطبي- أنه: "يجب على المؤمن تعلم الحكمة وطلبها عند أهلها حتى يكون حكيمًا يضع الأشياء مواضعها. وحقيقة الحكمة إصابة الصواب وموافقة الحق والعدل في القول والعمل. وفي الحديث: «الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ»(٢)، فإذا تعلمها وجب عليه بذلها لأهلها ومنعها من غير مستحقيها. ولذلك قيل: لا تمنعوا الحكمة من أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها"(٣).

إذًا فالحكمة قيمة مهمة لها كثير من الآثار والتطبيقات على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، لكن كيف نحول هذه القيمة إلى سلوك عملي واقعي نطبقه في حياتنا على هذه المستويات حتى يعم النفع الجميع.

أولاً: الحكمة على مستوى الأفراد، وتكون بأن يعرف الإنسان نفسه أولاً وإمكاناته وقدراته، ويستغلها أفضل استغلال، لنفع نفسه وغيره، وأن يستعمل ما أنعم الله تعالى عليه من النعم في الخير لا الشر في البناء لا الهدم في الإعمار لا الدمار.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٦/ ٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه بلفظ: «الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا». في كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل الفقة على العبادة، حديث رقم: (٢٦٨٧)، ٥/ ٥١. وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يُضَعَّفُ في الحديث من قبل حفظه". وأخرجه أيضًا ابن ماجه في سننه في كتاب: الزهد، باب: الحكمة، حديث رقم: (٤١٦٩)، ٢/ ١٣٩٥. وحسَّن إسناده الحافظ المُناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير»، ٢/ ٢٢٧. وأشار في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٥/ ٦٥) إلى أن المُصنِّف -يعني: الإمام السيوطي- قد رمز لحُسْنِهِ.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص: ٣٠٧ بتصرف. ط. المكتبة العصرية، بيروت.

والإنسان الحكيم لا يضيِّع وقته فيما لا ينفع، ولا يسرف في إنفاقه لماله، بل يضعه في موضعه، والإنسان الحكيم يخطط لمستقبله جيدًا، وتكون له رؤية مستقبلية لنفسه، وهدفًا يضعه أمامه ويسعى لتحقيقه بالعلم والعمل والجد والاجتهاد.

"ولما كان الحكيم من البشر والرجل الحصيف هو الذي استحكم عقله وخلصت فطرته فنراه يُحكم الأمر إحكامًا ليس فيه خلل، بل يَجعل من عقله رقيبًا على وجدانه، ووجدانه مشاركا لعقله ويهدف دائما إلى اختيار الوسائل المشروعة لبلوغ أهدافه، لا يبخل بالمشورة ولا يضن بالخبرة، يستطيع أن يكون صائب الرأي عند اشتباه الآراء والتنازع عليها بما لديه من علم وإحاطة وسعة أفق، ولا يخرجه ذلك عن تواضع العلماء وحكمة البلغاء؛ ومن ثم نرى أن علاقة الحكمة بالأخلاق علاقة لا ينكر مردودها الإيجابي باعتبارها قيمة تحتم بذاتها معرفة الواجب الخلقي تجاه الله والإنسان"(١).

ثانيًا: الحكمة في المجتمع، إن المجتمع المتخلق بالحكمة هو الذي يحافظ أفراده على مصلحته وبقائه، ويجعلون مصلحته مقدمة على مصلحة أي أحد من أفراده، فالمجتمع الحكيم ترى أفراده يتعاونون على البر والخير لا على الإثم والشر، ونواة المجتمع الأسرة، وكم من بيوت تُهدم وأسر تُشتت، لفقدان قيمة الحكمة والتخلق بها سواء من الرجل أو المرأة.

ثالثاً: فهم قيمة الحكمة على مستوى الأمة، إن استخدام الأمة لما تملكه من قدرات دون هدر لها من الحكمة، فأي أمة من الأمم لها من الرصيد الحضاري والتاريخي ما يجعلها مزدهرة بين الأمم لها من المقدرات ما إن حافظت عليه واستخدمته أمثل استخدام عاد بالنفع على أبناءها، فلا تكون عالة على أمة أخرى ولا تابعة لها من الناحية الفكرية والاقتصادية وغيرها، فالحكمة سبيل لحل الكثير من المشكلات الواقعية التي نعيشها.

ويمكن أيضًا توسيع معنى الحكمة لتشمل الكون كله، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون بحكمة، فعلى الإنسان أن يتعامل مع الكون حوله بحكمة، فعمران الكون من الحكمة، والسعي إلى تدميره من الحمق.

---

(١) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٨٤ بتصرف.

وللحكمة مظاهر ومجالات بالإضافة إلى ما سبق، ومن ذلك:

في مجال الدعوة: مخاطبة الناس تحتاج إلى حكمة، فمخاطبتهم بما يفهمون وما يعرفون وتقريب الحق إليهم بالأمثال والقصص والصدق في مطابقة القول للعمل حكمة يؤتيها الله من اختصه برحمته وفضله، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾(١).

فالدعوة إلى الله تعالى وما يتعلق بها من مخاطبة للعقول على اختلاف أفهامها واتساع مداركها تحتاج إلى الحكمة في التعامل معها، بل تَحتاج أيضًا إلى الموعظة الحسنة التي تُرقِّقُ القلوب وتستميل النفوس، وهذا كله يحقق المصلحة على مستوى الأفراد والجماعات.

في مجال إدارة الجانب الاقتصادي: الحكمة في هذا تكون بمعرفة طاقات البلاد وقدراتها، والاستفادة منها، والانتفاع منها بقدر ما تدعو إليه الحاجة، مع الاحتفاظ ما تبقى كمخزون يُلجأ إليه في أوقات الأزمات؛ وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجًا لهذا، في قصة سيدنا يوسف في تأويله رؤيا الملك، وفيها: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧﴾(٢).

جاء في تفسير «المنار»: "قوله: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ أي قال يوسف مبينًا للملأ ما يجب عليهم عمله، لتلافي ما تدل عليه هذه الرؤيا من الخطر على البلاد والعباد، قبل وقوع تأويلها الذي بينه في سياق هذا التدبير العملي، خاطب أولي الأمر بما لقنه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دأبًا مستمرًا، سبع سنين بلا انقطاع. وقوله ﴿تَزۡرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر، وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه وُجِدَ فهو يخبر عنه.

والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي فكل ما حصدتم منه في كل زَرْعَةٍ فاتركوه -أي ادخروه- في سنبله بطريقة تحفظه من السوس بعدم سريان الرطوبة إليه: الحب لغذاء الناس والتبن لغذاء البهائم والدواب ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ في كل سنة من هذه السنين، مع مراعاة القصد والاكتفاء بما يسد حاجة الجوع، فإن الناس يقنعون في سني الخصب والرخاء

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٧.

بالقليل، فهذه السنين السبع تأويل للبقرات السبع السمان، والسنبلات السبع الخضر على ظاهرها في كون كل سنبلة تأويلا لزرع سنة"(١).

في السرية والكتمان في قضاء الحوائج: فمن من أبواب الحكمة: الاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان؛ فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِن كل ذِي نِعْمَة مَحْسُود»(٢).

وهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفًا إلا أن معناه لا غبار عليه، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر نحو هذا؛ وذلك في قصة أهل الكهف، قال تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾(٣).

فقوله: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ أي: يكون ذلك في سر وكتمان يعني دخول المدينة وشراء الطعام ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ أي لا يخبرن بمكانكم أحداً من أهل المدينة(٤).

وهكذا فمن حكمة الإنسان أنه إذا أراد أن يقدم على فعل أمر من الأمور المهمة أن يستعين على قضائه بالكتمان إلا على نحو مستشار أمين يستشيره. وقد كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يستعين بهذه الحكمة، ألا وهي: الاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان؛ فكان ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها، وربما كان يُرسل رسولاً بمهمة ما، ويعطيه كتابًا ثم يقول له: امضِ إلى مسيرة يومٍ أو يومين ثم اقرأ الكتاب واعمل بما فيه. والخلاصة: أن من الحكمة الكتمان؛ ففيه حصول السلامة وتمام الأمر، وقد يكون في الإفشاء التعرض لحاسد أو حاقد أو عدوٍ ماكر متربص.

في مراعاة المصالح والمفاسد: ويظهر هذا بجلاء في حكمة النبي ﷺ في قصة صلح الحديبية، وسوف أركز على موطن الشاهد فيها، جاء في صحيح البخاري: فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك

---

(١) تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ١٢/ ٢٦٣.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، حديث رقم (١٨٣)، ٢٠/ ٩٤. وضعَّف إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ١٠٨٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٩.

(٤) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ٢١/ ٨٨.

اللّهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمّ». ثم قال: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه»(١).

فالمُتأمل في هذا يظهر له مدى حكمة رسول الله ﷺ وعدم استجابته لاستفزاز الطرف الآخر أو وقوفه عند أمر شكلي، وإنما سعة الأفق والنظر إلى ما يحقق للمسلمين مكاسب باهرة في العاجل القريب، وهذا من باب النظر في المصلحتين والسعي لتحصيل أعلاهما، ولذلك سمَّى الله تعالى هذا الصلح فتحًا، فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾(٢).

وكذلك المُسلم ينبغي له ألا يكتفي بالنظر تحت قدميه فحسب، بل عليه أن ينظر إلى الأمر من جميع جهاته، وأن يوازن بين المصالح والمفاسد ليحقق أفضل المكاسب؛ فإن ذلك من الحكمة.

***

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: (٢٥٨١)، ٢/ ٩٧٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١.

[٩] (قيمة التكافل)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة التكافل)، وتستنبط من اسمه تعالى: (الوكيل)، ونحوه مثل: (الكفيل)، وسيأتي تفصيل ذلك في بيان الآثار والتطبيقات.

أولا: المراد بقيمة التكافل:

في اللغة: التكافل مأخوذ من مادة (كفل)، وتأتي هذه المادة على معان متعددة، من أهمها:

- النصيب، وبمعنى المثل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾[1]، قيل: معناه نصيبين، وقيل: ضعفين، وقيل: مثلين. ومن استعمالات الكفل بمعنى المثل قولهم: فلان ليس له كفل أي مثل.

- الحظ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾[2].

- العائل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3]، يقال لمن هو قائم على أمر اليتيم كافله، وفي الحديث: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[4].

- الضامن، قال الله تعالى: ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾[5]، أي: أيهم يعولها ويضمن معيشتها، ومنه عَقد الكفالة في الفقه الإسلامي.

وفي الاصطلاح: يُعرِّفُ الشيخُ أبو زهرة[6] التكافلَ قائلا: "أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه، يمده بالخير، وأن تكون كل القوى

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيمًا، حديث رقم: (٥٦٥٩)، ٥/ ٢٢٣٧. عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٦) هو: محمد بن أحمد أبو زهرة: من أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة ١٨٩٨م له تآليف كثيرة تزيد على أربعين مؤلَّفًا، منها: «الخطابة»، و«أصول الفقه»، و«مذكرات في الوقف»، و«تواريخ مفصلة ودراسة فقهية أصولية للأئمة الأربعة»، فأخرج لكل إمام كتابًا ضخمًا: أبو حنيفة، مالك، =

الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة"[١].

فالتكافل ما هو إلا تضامن أبناء المجتمع وتساندهم فيما بينهم سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، حكامًا أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية الأيتام ونشر العلم وغير ذلك، وذلك بدافع من الشعور الوجداني النابع من العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل، ودفع الضرر عن أفراده. على أن التكافل الإسلامي في مغزاه شعور كل فرد في المجتمع أن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أن يقوم بها ويؤديها على أكمل وجه، وإن قصَّر في أدائها فقد يؤدي ذلك إلى تفكك المجتمع وانهياره[٢].

وكل ما قيل في تعريف التكافل يَدور في فَلَكِ هذا المعنى السابق، ولعلنا بذلك ندرك أن العلاقة بين المعنى اللغوي للتكافل والمعنى الاصطلاحي هي: العموم والخصوص المُطْلَق؛ فكل تكافل في الاصطلاح تكافل في اللغة ولا عكس، والأنسب من المعاني والاستعمالات اللغوية السابقة للمعنى الاصطلاحي هما المعنيان الأخيران.

والتكافل في معناه أقوى من التعاون، فالتعاون الذي أمر الله به في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٣]، يشمل ما فيه مصلحة الأفراد جميعًا ويعود عليهم بالنفع، أما التكافل الاجتماعي الذي يتميز به الإسلام فهو التعاون والتآزر بين طبقات المجتمع بلا مقابل أو اشتراك أو تضحية من الطرف الآخر، فلا ينظر الغني إلى ما يقدمه الفقير أو المحتاج، بل ينظر في ذلك رضا الله وامتثال أوامره.

= الشافعيّ، ابن حنبل. ومن كتبه أيضًا: «الأحوال الشخصية» و«تنظيم الإسلام للمجتمع»، و«محاضرات في مقارنات الأديان»، وغيرها. كانت وفاته بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

[راجع: الأعلام، للزركلي (٦/٢٥)].

(١) التكافل الاجتماعي، لفضيلة الشيخ/ محمد أبو زهرة، ص: ٧ بتصرف. ط: مؤسسة دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢) يُنظر: المرجع السابق.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.

ثانيًا: التكافل في النصوص الشرعية:

ورد لفظ «التكافل» بالمعنى الاصطلاحي في نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية لفظًا ومعنًى، فمن الورود اللفظي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[(1)]. وقال تعالى في قصة سيدنا موسى: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾[(2)]. وقال تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾[(3)]. وقال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[(4)].

ومن الورود المعنوي للتكافل في النصوص الشرعية قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(5)]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[(6)].

فهاتان الآيتان فيهما دلالة واضحة على ضرورة التعاون والتكافل، ففي الآية الأولى الأمر بالتعاون، وفي الآية الثانية: نفى الله الخير عن كثير من نجوى الناس وكلامهم والمحادثات بينهم إلا ما يتعلق بثلاثة أمور تعود بالنفع على الجميع، على الكافل المتعاون وعلى المكفول المُعان، وهي: الأمر بالصدقة والحث عليها، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس، وكلها من أعظم مقاصد الدين.

وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٤.

وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢)، وهذه الأخوة تستلزم التكافل والتكامل.

وأغلب الأحاديث الواردة في التكافل إنما هي بالمعنى لا باللفظ، ومن ذلك قوله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»(٣).

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٥)، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾(٦)، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حتى قال- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفه تعجز

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: (١٣)، ١/ ١٤. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: (٤٥)، ١/ ٦٧.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه، حديث رقم: (٢٣١٠)، ٢/ ٨٦٢. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: (٢٥٨٠)، ٤/ ١٩٩٦. واللفظ لمسلم.

(٥) سورة النساء، الآية: ١.

(٦) سورة الحشر، الآية: ١٨.

عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ تهلل كأنه مُذْهَبَةٌ[(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[(٢)].

ولعل أبلغ تعبير جامع وأصدق وصف شامل لمفهوم التكافل نصُّ الحديث النبوي الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٣)]، وأيضًا ما جاء عن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[(٤)]. فإحساس كل فرد من المجتمع بأن عليه واجبات في مقابل حقوقه هو الصورة الكاملة للتكافل، والمعنى الأكمل والأعم لكل صوره.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (التكافل)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (الوكيل)، وقد ورد في تفسيره عدة معانٍ، منها أنه المتكفِّل بمصالح عباده، فأحياهم ويسَّر لهم سبل الحياة، وكذلك اسمه

---

(١) نقل الإمام النووي عن القاضي عياض وجهين في تفسير هذا اللفظ؛ أحدهما: معناه فِضَّةٌ مُذْهَبَةٌ، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني: شَبَّهَهُ فِي حُسْنِهِ وَنُورِهِ بِالْمُذْهَبَةِ مِنَ الْجُلُودِ، وَجَمْعُهَا: مَذَاهِبُ، وَهِيَ شَيْءٌ كانت العرب تَصْنَعُهُ مِنْ جُلُودٍ وَتَجْعَلُ فيها خُطُوطًا مُذْهَبَةً يُرَى بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْض. اهـ [يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٧/ ١٠٣].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث رقم: (١٠١٧)، ٢/ ٧٠٤.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، حديث رقم: (٢٣١٤)، ٢/ ٨٦٣. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٥)، ٤/ ١٩٩٩.

تعالى: (الكفيل)، وقد قيل في بيان معناه وجهٌ قريبٌ جدًّا من المعنى المذكور آنفًا في معنى اسم (الوكيل).

يقول العلامة الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين عند الكلام على اسم الله الوكيل: "وحظ العبد منه: السعي في حاجة أخيه المؤمن"(١)، ولا ريب في أن الصراع بين بني آدم وجد بوجوده، وجرَّ هذا الصراع همومًا وويلات، وإزاء تحليل هذا الصراع والوقوف على أسبابه ونتائجه وملابسات حدوثه، لا يختلف اثنان أن من أسبابه عدمَ التوازن والتكافؤ في متطلبات الحياة من حاجات ومعايش وخدمات بين سكان المعمورة، وذلك من خلال التفاوت في نسب الحصول عليها، وكان لهذا السبب دور في بروز مشكلة أخرى وهي: «غياب قيمة التكافل الاجتماعي»، ويُعَدُّ صوابًا إذا قلنا: إن التكافل الاجتماعي بين بني الإنسان أفرادًا وجماعات صمام أمان للحفاظ على مقوِّمات الحياة بكل عناصرها، والتي هي -أعني الحياة- حق مكفول لكل إنسان على هذه البسيطة.

وإذا كان لقيمة التكافل الاجتماعي هذه الأهمية، فالإسلام الذي ارتضاه الله عز وجلَّ دينًا وبعث به أفضل الرسل ﷺ لم يُهْمِل هذا الجانب الأساسي من الحياة، بل قنَّنه وهيكله بما لا يخفى وجوده على باحث عن الحقيقة؛ فهو موجود بكل صوره في أوامر الدين وتعاليمه، وسوف أتعرض بشيء من التفصيل لبيان بعض صور هذا الجانب من خلال ما يلي.

من آليات الإسلام إزاء تطبيق هذا القيمة: نظامُ الزكاة وما أشبهه من النذور والكفارات والصدقات، فالزكاة أحد ركائز الدين وأعمدته، فهي حق في المال وإن لم يكن صاحبه عاقلا مكلَّفًا؛ ولذا وجبت الزكاة على الصغير والمجنون، وقد توعَّد الله الذين يكنزون الأموال ولا يخرجون زكاتها بالعذاب الشديد حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(٢). وجعل إيتاء الزكاة شرطًا للإسلام فقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾(٣)، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا

(١) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١.

رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(١).

وتتجلى معاني التكافل في شرع فريضة الزكاة بما فيها من دفع حاجة الفقراء، وإزالة الطبقية بين أفراد المجتمع، واجتثاث الأحقاد والضغائن التي تكون في صدور الفقراء والمعوزين، فالفقراء إذا رأوا تمتع الأغنياء بالأموال وعدم انتفاعهم بشيء منها لا بقليل ولا بكثير، فربما يحملون عداوة وحقدًا على الأغنياء حيث لم يراعوا لهم حقوقًا، ولم يدفعوا لهم حاجة، فإذا صرف الأغنياء لهم شيئًا من أموالهم على رأس كل حول زالت هذه الأمور وحصلت المودة والوئام.

والمتصفح للتاريخ يجد أن المسلمين سطَّروا مواقف مشرِّفة لما طبقوا هذه الفريضة وحصلت صورة من أبهى صور التكافل بين الأفراد رغم بساطة العيش والزهد الذي كان سمة ظاهرة وسائدة في تلك العصور، ففي عهد عمر بن عبد العزيز مثلًا لم يكن هناك فقراء، فقد نجح في تطبيق نظام الزكاة وترشيده في محاربة الفقر، وجعل الناس في أتم نعمة، حتى إن الرجل في عهد عمر بن عبد العزيز كان يطوف بصدقته لا يجد من يأخذها منه، وذلك لشمول الزكاة كل الفقراء والمحتاجين.

ومن معاني الزكاة النذور، وهي إلزامُ المكلفِ نَفْسَهُ بأداء شيء معين، وقد أوجب الشرع الوفاء بما ألزم الإنسان به نَفْسَهُ. قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾(٢)، وقد مدح الله عباده وأثنى عليهم وبيَّن أن من أسباب دخولهم الجنة وفاءهم بالنذر: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾(٣)، وفي النذر صورة تكافل اجتماعي؛ لأن الإنسان إذا نذر عاد عائد الوفاء بالنذر على الفقراء وصبَّ في مصلحة المحتاجين.

ومن معاني الزكاة أيضًا الكفارات بأنواعها، فجُعلت محوًا للذنب جراء الوقوع في الخطأ، أو التراجع عن فعل ما ألزم به العبد نفسه كالنذر واليمين، ولكنها في نفس الوقت يعود نفعها على المحتاجين والبائسين.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، حديث رقم: (٢٥)، ١/ ١٧. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: (٢٢)، ١/ ٥٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٧.

ومن آليات الإسلام في تطبيق قيمة التكافل أيضًا: ندبه إسعاف الجائع والمحتاج، فمن فروض الكفاية إطعام الجائع، بل قد نزع النبي ﷺ صفة الإيمان -أي كماله- عن من يَبيت شبعانًا ويعلم أن جاره جائع، فلا يصح في شريعة الإسلام وليس من المروءة أن يرى المسلم جاره أو قريبه يتلوى في العري والجوع والحرمان ولا يقدم له معونة من مال أو لباس أو طعام، أو يرى الغريب الذي انقطعت به السبل ثم لا يضيفه، وقد تكاثرت الآثار في الدلالة على هذا والحث عليه.

جاء في الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ»(١).

ولا يتوقف التكافل على الطعام فحسب، وإنما يتعدى إلى وسائل التنقل وما يشبه وسائل المواصلات الآن؛ ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ -أي مركوب-، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل(٢).

وفي حق الضيف يقول عليه الصلاة والسلام: «أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ»(٣).

وقال ﷺ أيضًا: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قال: وما جائزته يا رسول الله ؟ قال «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٤).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٣٨٨)، ١٣١٢/٢. ومسلم في كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: (٢٠٥٧)، ٣/ ١٦٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: اللقطة، باب: استحباب المؤاساة بفضول المال، حديث رقم: (١٧٢٨)، ٣/ ١٣٥٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (٨٩٣٥)، ٢/ ٣٨٠. قال نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": "رواه أحمد، ورجاله ثقات". يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ١٧٥/٨.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم: (٥٦٧٣)، ٥/ ٢٢٤٠. ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا =

وثَمَّ روافد أخرى تتجلى فيها صور التكافل في الإسلام، ومنها الأوقاف، والوصيَّة، والعارية، والهدية، ويجمع ذلك كله خلق الإيثار الذي هو علامة على حب الله ورسوله وعلى الإيمان الصادق، فتقديم الغير على شهوة وملذة النفس الدنيوية رغبة في الأجر من أرفع خصال درجات الإيمان؛ لأن المحققين له قلة قليلة، ولهذا امتدح الله الصحابة الكرام بهذا الشرف العظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأَرْسَلَ إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله – أي بيته- فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، وفي رواية: قال لامرأته: هل عندكِ شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وَأَرِيهِ أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين -أي جائعين- فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»[2].

فهذه صورة من صور التكافل الاجتماعي في الإسلام، ولئن شئتَ قسمتَه إلى أقسام وأنواع باختلاف الحيثيات، فمن الممكن تقسيم التكافل إلى تكافل معنوي ، وتكافل حسي، فمن الأول التكافل الأدبي، والأخلاقي، ومن الثاني التكافل الاقتصادي، والتكافل المعيشي، ونحن نرى التكتلات في المجتمعات من أجل تحقيق غاية مشتركة سواء كانت إيجابية أم سلبية، وإنما ذلك خير برهان على ما للتكافل من أثر على تحقيق الغايات المنشودة، وإذا كان كذلك فإن الإسلام لم يأت بالتكافل الفردي وحسب، بل تخطاه إلى التكافل الإنساني وهو بذلك يخطو خطوة نحن الرقي الإنساني والحضاري الذي يعلو فيه البشر بلا فوارق دينية أو عرقية أو إقليمية، والتكافل بين جميع المجتمعات الإنسانية هو الذي ترسم ملامحه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

=

عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، حديث رقم: (٤٨)، ١/ ٦٩.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: (٢٠٥٤)، ٣/ ١٦٢٤.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1]، فهي تعلن مبادئ تكافل دولي بموجبه تنتظم كافة المجتمعات الإنسانية في رباط عالمي هدفه النهائي والحقيقي إقامة مصالح العالمين ودفع المفاسد عنهم، فالتكافل دِعَامَة أساسية من دعائم المجتمع الإسلامي، وهو يشمل صورًا كثيرة من التعاون والتآزر والمشاركة في سدِّ الثغرات؛ تتمثَّل في تقديم العون والحماية والنصرة والمواساة، وذلك إلى أن تُقضى حاجة المضطر، ويزول هَمُّ الحزين، ويندمل جرحُ المصاب، وبذلك يصدق الوصف النبوي أن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

❊❊❊

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

[١٠] (قيمة القوة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة القوة)، وتستنبط من أسمائه تعالى التي تدل على القوة والشدة، مثل: (القوي، وذي القوة، والمتين)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا : المراد بقيمة القوة:

في اللغة: مادة (قوى) تدل على شدّة وخلاف ضعف، والقوة جمعها: قُوًى وقِوًى، والوصف من ذلك: القويّ خلاف الضّعيف، وتكون في البدن والعقل، وقد قَوِيَ فهو قَوِيّ وتَقَوَّى، واقْتَوى كذلك، ويُقال: قَوِيَ الرجل، والضَّعيف يَقْوَى قُوَّة فهو قَوِيٌّ، وقَوَّيْتُه أَنا تَقْوِيةً وقاوَيْتُه فَقَوَيْتُه أَي غَلَبْته، ورجل شديد القُوَى أَي شدِيدُ أَسْرِ الخَلْقِ، وقَوَّى الله ضعفَك، أَي: أُبدَلك مكان الضعف قُوَّة، وهى في حق الله تعالى تدل على كمال القدرة والسطوة والإرادة(١).

وفي الاصطلاح: عرَّفوا القوة بأنها قدرة يُتَمَكَّن بها من الفعل أو الترك. وقالوا: إن قوى النفس النباتية تسمى قوى طبيعية وقوى النفس الحيوانية تسمى قوى نفسانية وقوى النفس الإنسانية تسمى عقلية(٢).

ونعني بها هنا قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بناء على ما أعطيه من إمكانات فطرية أو مكتسبة.

ثانيًا : القوة في النصوص الشرعية :

القوة من الخصال التي يهبها الله تعالى من يشاء من عباده ويفاضل فيها بين الناس كما يفاضل بينهم في الرزق وغيره من عطائه، وهي نعمة عظيمة وفضل كبير من الله لمن عرف قدرها وأحسن

---

(١) تراجع مادة (قوى) في: معجم مقاييس، اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٣٦، ٣٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٢٦٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) يُنظر: التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص: ٢٣١. والكليات لأبي البقاء الكفوي تحقيق: عدنان درويش، ومحمود المصري، ص: ١١٣٨. ودستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ٣/ ٦٨.

استعمالها شكرًا لله عليها. وقد دلت نصوص الشرع الشريف على القوة كقيمة خِلقية وخُلقية، وصف الحق سبحانه وتعالى بها نفسه، وما يتبع هذا الوصف من كمال القدرة والإرادة، بل دعا إليها في سبيل الحق والدفاع عنه، وتوعد من استخدمها في الباطل والتجبر والطغيان.

ومن النصوص التي جاء فيها ذكر القوة: ما جاء من وصف الله تعالى نفسه بها؛ فقال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(١). وقال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(٢).

والقوة كقيمة لها شقان خِلقي وخُلقي، وأما الأول: فهو الذي يكون في الجسم من القدرة والسطوة والتي تستعمل في جانب الخير كالغلبة على الأعداء وإعلاء كلمة الحق سبحانه وما يسبق ذلك من الاستعداد بالقوة للحرب فهذا من باب الأخذ بأسباب القوة.

والأخذ بأسباب القوة فريضة على المسلمين على اختلاف صنوفها وألوانها، وأسبابها، مادية كانت أو معنوية قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٣)، والخطاب لكافة المسلمين، وتشمل كل ما يطيقونه مما يفيد في الحرب من الوسائل ماديًّا كان كالسلاح والإنفاق وتدريب المجاهدين في فنون الحرب، وإتقان استعمال أنواع السلاح المختلفة، لقوله: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ أو معنويًّا، كالتصافي واتفاق الكلمة والثقة بالله وعدم خوض الحرب بغير إذن الإمام، والاختيار لإمارة الجيش من كان ثقة في دينه، والتوصية بتقوى الله، وأخذ البيعة عليهم بالثبات على الجهاد وعدم الفرار، وغير ذلك مما يؤدي إلى القوة البدنية والمعنوية(٤).

يقول الطاهر بن عاشور وهو يُبيِّن معنى القوة في آية سورة الأنفال المذكورة آنفًا: "تطلق القوة مجازًا على شدَّة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضًا على سبب شدَّة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو، وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين، فاتخاذ السيوف

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ٣٤/ ٨٤.

والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا"[١].

وعن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[٢].

وفي الحديث حض على الجهاد واستعمال القوة واستخدام أسبابها ووسائلها من السلاح وغيره كما أشرنا سابقًا.

وأما الشق الثاني -من القوة- وهو الخُلقي: والمقصود به قوة الإرادة المتحكمة في الإنسان وهى الإرادة الخيِّرة التي تدفعه إلى فعل المأمور به واجتناب المنهي عنه، وأيضاً أخذ الأمور بمحمل الجد لا الاستهانة والمزاح، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[٣].

يُبيِّن الإمام الفخر الرازي المراد بقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ في الآية فيقول: "ليس المراد منه القدرة على الأخذ؛ لأن ذلك معلوم لكل أحد، فيجب حمله على معنى يفيد المدح وهو الجد والصبر على القيام بأمر النبوة، وحاصلها يرجع إلى حصول ملكة تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به والإحجام عن المنهي عنه"[٤].

ومما جاء في السنة النبوية المطهرة مما يدل على عظيم فضل هذه الصفة ما دامت في الخير: أن النبي ﷺ ذكر أن من اتصف بهذه الصفة من المؤمنين فهو محبوب لله تعالى ومُفَضَّلٌ على غيره؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلي اللَّهِ من الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجَزْ..»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ١٠/ ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه، حديث رقم: (١٩١٧)، ٣/ ١٥٢٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٤) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ٢١/ ١٦٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: القدر، بابٌ: في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، حديث رقم: (٢٦٦٤)، ٤/ ٢٠٥٢.

ذكر الشُّرَّاحُ أن المراد بالقوة في الحديث: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه وأشد عزيمةً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك، وأنَّ قوله صلى الله عليه و سلم: «وفي كُلٍّ خَيْرٌ» فمعناه: في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان[١].

فعندما تقوى النفس ينعكس هذا على الجوارح، فتتحرك نحو ما فيه الخير والصلاح في العاجل والآجل.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (القوة)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (القوي، وذي القوة، والمتين)، "وحظ الإنسان من هذا الاسم -القوي-: أن يكون قويًّا صلبًا في التمسك بالحق، قويًّ في حمل الأمانة؛ فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي هو الذي لا يدخر وسعًا في الإعداد والاستعداد لإعلاء كلمة الله وإقرار الحق ونفي الفتنة"[٢].

لكن كيف نُفَعِّل هذه القيمة في حياتنا كقيمة سلوكية يكون لها أثرها البارز بالفعل في واقع الحياة؟

إن "مظاهر القوة كثيرة، ويتشابه بعضها فيما بين الفرد والمجتمع، ومن مظاهرها: الطاقة على العمل، الإرادة، ملك النفس عند الغضب، وضبطها عند الشذوذ ومخالفة أوامر الله تعالى، الصبر، الجد والثبات، وقد كان النبي ﷺ يطلب القوة من الله، ويدعو ويُعَلِّم صحابته هذا الدعاء، فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي»[٣]؛ لإيمانه بأنه لا قوة إلا بالله، أي: بمعونته وتأييده للفرد والمجتمع والامة"[٤].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ٢١٥.

(٢) الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، للأستاذ/ رياض أدهمي، ص: ١٠٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (١٩٣١)، ١/ ٧٠٨. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه"، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٤) يُنظر: الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني، صفوان محمود صنوف، ص: ٢٢٥ بتصرف، عند شرح اسمه تعالى (القوي).

وأزيد ما سبق تفصيلا فأقول: يكون المسلم قويًّا بابتعاده عن المعصية، ولزومه الاستمساك بحبل الله تعالى، وأن يألف مسالك النزاهة والاستقامة، فإن هذا سيجعله قويًّا.

وليس الأمر بالصورة التي يبدو عليها المرء؛ فقد كان قوم سيدنا هود عمالقة في الظاهر لكنهم ليسوا أقوياء في الحقيقة، لذلك لما أرسل الله تعالى إليهم نبيه هود أرشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة. قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[١].

يقول الإمام الفخر الرازي: "ولـمّا كان القوم مفتخرين على سائر الخلق بهذين الأمرين -الأول: أن بساتينهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب والبهجة، والثاني: أنهم كانوا في غاية القوة- وعدهم هود عليه السلام أنهم لو تركوا عبادة الأصنام واشتغلوا بالاستغفار والتوبة فإن الله تعالى يقوي حالهم في هذين المطلوبين ويزيدهم فيها درجات كثيرة"[٢].

ومن ثم فالرجوع إلى الحق سبحانه والسير في طريق الرشاد والابتعاد عن مظاهر الهلكة والمعاصي سبيل للقوة.

ويكون المسلم قوياً أيضاً عندما يكون هدفه واضحًا أمامه، فيجمع النية على إدراك هدفه بالأخذ في الأسباب، واتخاذ الوسائل الصحيحة التي تقربه منه، باذلا قصارى جهده في بلوغ مأربه، غير تارك للحظوظ أن تصنع له شيئاً أو للأقدار أن تدبر له ما قصرت نفسه عن تدبيره، فهناك من الأقوام من يجعلون هذه الأمور ستارًا يُوارُون به تفريطهم المعيب، وتخاذلهم الذميم، وهذا النوع قد كرهه الإسلام وجعله من الضعف المعيب الذي لا ينبغي أن يتصف به الشخص المسلم، كما أن الإسلام يكره أن يكون الفرد المسلم متردِّدًا في أموره محتارًا في اختيار أصوبها وأسلمها؛ لأن هذا التردد يخلق بداخله هواجس تدفعه إلى الريبة والشك، وهذا كله مكروه وليس من القوة في شيء[٣].

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ١٨/ ١٠.

(٣) يُنظر: خلق المسلم للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ١٠١، ١٠٢ بتصرف كبير.

جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال: النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ على الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فإذا غَلَبَكَ امرؤ فَقُلْ حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(١).

وحاصل معنى هذا الحديث: أن الله تعالى لا يرضى بالتقصير، ولكن يحمد على التيقظ والحزم، فلا ينبغي للمرء أن يكون عاجزًا ثم يقول: حسبي الله، بل عليه أن يكون كيسًا متيقظًا حازمًا، فإذا غلبه الخصم، قال: حسبي الله، وأما قول حسبي الله بلا تيقظ كما جاء في الحديث فهو من الضعف، فلا ينبغي(٢).

وفي هذا أيضًا: أنه يجب على المرء أن يأخذ بأسباب القوة، وأن يؤدي ما عليه على أكمل وجه، فيقوم بتعبئة قواه كلها لمغالبة مشاكله حتى تنحل، فإن غُلب على أمره أمامها بعد استفراغ جهده فلا لوم عليه، وإلا فلا، وهو بهذا يكون قويًّا على كلا الحالين بعمله وبتوكله.

ومن عناصر القوة التي ينبغي أن تتحقق في شخصية المسلم: ضبط النفس عند الغضب، فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(٣).

وفي هذا الحديث يُبَيِّن رسول الله ﷺ مظهرًا من مظاهر قوة المرء، فيخبر ﷺ بأنه ليس القوي هو من يصارع الناس فيغلبهم، ولكن القوى هو من يستطيع أن يملك نفسه حال الغضب، وفي هذا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأقضية، باب: الرجل يحلف على حقه، حديث رقم: (٣٦٢٧)، ٢/ ٣٣٧. قال الحافظ المناوي في كتابه «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٧٧) عن هذا الحديث: "ضعيف للجهل بحال سيف الشامي". غيَّر أن هناك من المعاصرين من حسَّنه، ومنهم: الشيخ/ عبد القادر الأرنؤوط، في تحقيقه لكتاب «الأذكار» للنووي، (ص: ١٢٥)، ط/ دار الفكر، بيروت - لبنان. وأيضًا: الدكتور/ فاروق حمادة، في تحقيقه لكتاب: «عمل اليوم الليلة للنسائي»، (ص: ٤٠٣)، وقال عن سيف هذا: "هو سيف الشامي، وقد وثَّقه العجلي، وباقي رجال الحديث من رجال مسلم" اهـ.

(٢) يُنظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي، ١٠/ ٤٠ بتصرف.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم: (٥٧٦٣)، ٥/ ٢٢٦٧. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: (٢٦٠٩)، ٤/ ٢٠١٤.

تحويل لمعنى القوة من البدنية الظاهرة إلى النفسية الباطنة. أو أن القوة الحقيقة التي فيها عموم المنفعة هي في التحكم في النفس عند الغضب

وأولى الناس في ضرورة أن تتحقق فيه القوة هو من يتولى نوع ولاية أو أمر إمارة من أمور المسلمين؛ فإنها أمانة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يوم الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إلا من أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذي عليه فيها»(١).

قال الإمام النووي: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة"(٢).

ما سبق عن قيمة القوة كان بالنسبة للفرد، أما قوة المجتمع فتتحقق بعدة أمور، منها:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه عماد قوة المجتمع فضلا عن بقائه، وقد حذر القرآن الكريم من التقاعس عن أداء هذه الفريضة، وأخبر أن فاعل ذلك يستحق اللعن فقال في حق الذين كفروا من بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(٣).

وضرب لنا رسول الله ﷺ مثالا بديعًا في بيان عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن هذا يؤدي إلى غرق السفينة سفينة المجتمع؛ ففي الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم: (١٨٢٥)، ٣/ ١٤٥٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٢/ ٢١٠، ٢١١.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

فالمجتمع الذي يؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر تراه مجتمعًا متماسكًا قويًّا؛ لأن مصلحة الجميع تطغى على المصالح الفردية، والعكس صحيح إذا أُهمل هذا وترك؛ فإنه سيؤدي إلى ضعف المجتمع بل فنائه وإن بقي في الظاهر.

ومن الأمور التي تتحقق بها قوة المجتمع: التكافل والتعاون بين أفراده؛ فبهما يحصل التوادُّ والتآلف بين أفراده، ومن ثم يظل المجتمع قويًّا متماسكًا، لا عداوة بين أفراده، ولا حقد ولا كراهية ولا بغضاء.

ومن أسباب قوة المجتمع أيضًا: العدل والمساواة بين أفراده، وقد أكد الإسلام هذا في نفوس أتباعه؛ ففي تأكيد مبدأ العدل يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾(٢)، وفي بيان مبدأ المساواة يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾(٣).

فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى.

وأما عن قوة الأمة فتتحقق بإتحاد كلمتها واعتصامهم جميعًا بحبل الله تعالى وحبل رسوله فالاتحاد قوة والفرقة ضعف، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم: (٢٣٦١)، ٢/ ٨٨٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا، يريد بذلك تعالى ذكره وتَمَسَّكُوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله؛ لأن الناس إن لم يجمعهم الحق شغلهم الباطل، وإن لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان، وإذ لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا، ولذلك كان التطاحن المر من خصائص الجاهلية المظلمة، وديدن من لا إيمان لهم، ومن ثم كان النبي ﷺ شديد التحذير من الاعتزال والفرقة وكان في حله وترحاله يوصى بالتجمع والاتحاد(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جميعًا ولا تَفرَّقُوا. وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وقال، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ»(٢).

يُبَيِّن الإمام النووي معنى الاعتصام بحبل الله فيقول: "وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده، وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده، والتأدب بأدبه، والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق، فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور، وأما قوله ﷺ: «ولا تَفَرَّقُوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام"(٣).

بالإضافة إلى ما سبق، فإن من أهم أسباب قوة الأمة: تحقيق الاكتفاء الذاتي من الأشياء الأساسية، والاعتماد على القدرات والإمكانات الداخلية والموارد الطبيعية وعقول أبنائها، فلا يُحتاج إلى التذلل وطلب مساعدات من أحد، قد يكون في الوفاء بها مطالبات تضر بالمصلحة.

كما أن اتباع سياسة المقاطعات التجارية وغيرها من أسباب قوة المسلمين عندما يستلزم الأمر؛ فالتوقف عن شراء بضائع من يغتصبون الأرض وينتهكون العرض من قوة الشخصية الإسلامية، وصون كرامتها وعزتها.

---

(١) يُراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٧/ ٧٠. ومعه أيضًا: خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات؛ وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، حديث رقم: (١٧١٥)، ٣/ ١٣٤٠.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٢/ ١١.

بقي تنبيهان؛ الأول: أن هناك سببًا للقوة يشترك فيه الفرد والمجتمع والأمة ألا وهو العلم، فالعلم مصدر قوة للجميع، وبه يحصل التقدم والرقي والتنمية، ولا نعني بالعلم هنا مجرد العلم النظري، بل لا بد من تحويل هذا العلم إلى تطبيق وعمل وطاقة إنتاجية فيعطي مزيد قوة على قوة.

والثاني: أن القوة في المنظور الإسلامي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأخلاق؛ فالقوة التي ننشدها هي القوة التي لا تُطْغِي صاحبها، كما أن استخدام القوة في غير موضعها أمر مرفوض.

***

[١١] (قيمة العزة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة العزة)، وتستنبط من اسم الله (العزيز)، وهي من صفات الجلال والجمال معًا، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولاً: المراد بقيمة العزة:

في اللغة: العزة مصدر عز يعز عزًا وعزة، ومادته (ع ز ز) وتدل على قهر وشدة، وعَزَّ الرجُلُ: بلغ حدَّ العِزَّة واعتزَّ بفلان: تشرَّفَ به والمُعازَّةُ: المغالَبة في العِزِّ. وقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[١] أي غلبني، ويقال أعزز عليَّ بما أصاب فلانًا أي أعظم عليَّ، ولا يقال: أعززت.

والعِزُّ فِي الأَصل: الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ وَالْغَلَبَةُ. والعِزُّ والعِزَّة: الرِّفْعَةُ وَالِامْتِنَاعُ، والعِزَّة لِلَّهِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] أَي لَهُ العِزَّة وَالْغَلَبَةُ سُبْحَانَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٣] أَي مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَ اللَّهِ فإِنما لَهُ العِزَّة فِي الدُّنْيَا وَلِلَّهِ العِزَّة جَمِيعًا أَي يَجْمَعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بأَن يَنْصُر فِي الدُّنْيَا وَيَغْلِبَ[٤].

وفي المصباح المنير: "عزَّ عليَّ أن تفعل كذا يَعِزُّ من باب ضرب، أي: اشتد كناية عن الأنفة عنه، وعز الرجل عِزًا بالكسر وعزازة بالفتح قوي.. وتعزز تقوى، وعزَّزته بآخر قويته بالتثقيل، وبالتخفيف من باب قتل وعز ضعف، فيكون من الأضداد"[٥].

وفي الاصطلاح: لا تخرج العزة في معناها الاصطلاحي عما وردت في اللغة، فمن تعريفاتها ما أورده الراغب أنها: "حالة مانعة للإنسان من أن يُغلَب"[٦]. وعرَّفها الكفوي بأنها: "الغلبة الآتية على

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) يُراجع: لسان العرب لابن منظور، مادة: (عزز)، ٥/ ٣٧٤.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ٢/ ٤٠٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: ٣٣٢، ٣٣٣.

كلية الباطن والظاهر" وهذا في جناب الله تعالى(١)، وقال الراغب الأصفهاني أنها: الترفع بالنفس عما يلحق غضاضة(٢).

ثانيًا: العزة في النصوص الشرعية:

دلت النصوص الشرعية على العزة كقيمة ينبغي أن يتحلى بها المسلمون وتؤثر في سلوكهم أفرادًا وجماعات؛ فقد حضَّ الإسلام أتباعه على العزة، ووصف القرآن الكريم المؤمنين بلين الجانب وخفض الجناح والرحمة فيما بينهم كما وصفهم أيضًا بالعزة والشدة والإباء مع غيرهم؛ فقال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣)، وقال أيضًا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٤).

والمعنى: أنهم يُظهرون الرحمة والتواضع مع المؤمنين، والعزة والصلابة في الإيمان مع غيرهم.

وأخبر الحق تبارك وتعالى أن العزة له وحده سبحانه على الحقيقة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾(٥)، وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾(٦)، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾(٧).

وعلى المؤمنين أن يحرصوا عليها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٨).

والمعنى: ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من الرسول والمؤمنين لا لغيرهم.

---

(١) يُراجع: الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص: ٦٣٩.

(٢) يُراجع: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص: ٢١٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٦) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٧) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٨) سورة المنافقون، الآية: ٨.

والإسلام وهو يحث على العزة يدعو أتباعه إلى البعد عن التذلل والمهانة والاستضعاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾(١).

كما عاب القرآن الكريم على من ظلُّوا مستضعفين في ديارهم يتعرضون للظلم من أهل الظلم ولم يتركوها إلى مكان آخر طلبًا للعزة وإقامة شعائر الله، بل توعَّدهم بالعقاب الشديد، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾(٢).

وجاء في السنة النبوية المطهرة قول النبي ﷺ: «اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ بِعِزَّةِ الْأَنْفُسِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِالْمَقَادِيرِ»(٣).

قال الحافظ المُنَاوِي في شرح هذا الحديث: "يعني لا تذلوا أنفسكم في الجد بالطلب والتهافت على التحصيل، بل اطلبوا طلبًا رفيقًا بعزة نفس وعدم تذلل للميول، فإن ما قدر سيكون وما لم يقدر لم يكن فلا فائدة في الانهماك إلا إذاية الجسم وكثرة الهم"(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٣) أخرجه تمام الرازي في فوائده، برقم: (١٩٤)، ١/ ٨٥. وابن عساكر في تاريخه، برقم: (٦٣٨٣)، ٥٣/ ٧٠. وأورده الضياء المقدسي في المختارة، برقم: (٢٨)، ٩/ ٥٣. من حديث عبد الله بن بُسْرٍ.
ورَمَزَ الإمام السيوطي لضعفه، كما في «التيسير بشرح الجامع الصغير»، للحافظ المناوي، ١/ ١٦٥. وقال العجلوني في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» (١/ ١٣٩): "رواه تمام وابن عساكر بسند ضعيف عن عبد الله بن يسر، لكن يقويه ما رواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي أمامة: «إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، وفي لفظ: «نفث في روعي روح القدس أن نفسًا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»، ورواه البزار عن حذيفة بلفظ: «هذا روح القدس نفث في روعي لن تموت.. الحديث»، وفي الباب عن جابر كذا في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر". اهـ.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُناوِي، ١/ ٥٤٣.

ثالثًا: التطبيقات والآثار والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (العزة)، وتستنبط من اسم الله (العزيز)، ومن معاني هذا الاسم في حقه تعالى: المنيع الذي لا يرام جنابه. والقاهر الذي لا يغلب ولا يقهر. والقوي الشديد[١]. ففي هذا معنى القوة والقدرة المطلقة.

"وعلى ضوء ما ذُكر من معاني العزيز في القرآن الكريم نجد أن قيمة العزة ومردودها الإيجابي على الأخلاق والسلوك لا يستهان بها.. فهي خصوصية لله تعالى، وخصوصية للرسول الكريم، وخصوصية للمؤمنين، ومن خصائص التكريم الحقيقي للبشر، لتتربي الأجيال المسلمة عليها؛ لكي لا يعرفوا القهر ولا يُسلِّموا بالمذلة، وتضفي روح العقيدة على المسلم ليمشي على الأرض بقدم ثباته ورأسه وقلبه مشدودين إلى السماء.. هي معيار لخوف المشرك والجبان.. فهم يخشون أهلها ويضعون لهم ألف حساب وحساب .. وليس ذلك فحسب.. بل يحصل لهم من حالات الرعب البدني إذا تنامي لأسماعهم صوت الأعزة.. قال تعالى:﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[٢].. فما أحوجنا في هذا العصر وكل عصر أن نتفهم معناها لتوضع ضمن إطارنا القيمي نستمد منها القوة والصلابة في الحق والبعد عن الذل والهوان.. وعلاقتها بالمجال الأخلاقي لا يفرضها الضمير الإنساني فحسب، بل التكوين الفطري لما جبل عليه الإنسان من يوم أن نفخ فيه، ولذا كان مأمورا بتأدية حقها في نفسه لإعلاء كلمة الحق فيه، والزود عن حياض الشرف والكرامة، ومناهضة الباطل، ومكافحة الظلم والبهتان ..والعزة ليست في حق المسلمين تكبرًا أو تفاخرًا، أو هي حمية جاهلية تهضم الحقوق وتظلم الإنسان وإنما تعني الحفاظ على الكرامة الإنسانية، وصيانة ما يجب أن يصان، وأن العزة لا تتعارض مع الرحمة، ولا تبعد عن منطق العدل، بل تجعل من التواضع مرتكزًا أساسيًا لفهما.. لأن من تواضع لله رفعه وأعزه.. والعز يبني المجد ويؤثر الهلكة على الذل والانقياد لأهواء الباطل "[٣].

---

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، د/ محمود الحمود النجدي، ١/ ١٣٧، ١٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥١.

(٣) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٥٣، ١٥٤ بتصرف.

وعلى ذلك؛ فحظ العبد من اسم الله (العزيز): أن يَغلِب نفسه وسلطانه بالاستقامة والاستعانة به تعالى(١)؛ وذلك لأن الضعيف بحاجة إلى القوي، والذليل بحاجة إلى الرفيع، وإذا رجع أمر العزة في جنابه تعالى إلى القدرة فلا ريب في طلب الاستعانة به في شؤون الحياة كلها، ويتجلى ذلك في أبهى صوره حين تخضع الجباه لرب العزة في السجود.

وحظ العبد من هذا الاسم أيضًا: أن يعز نفسه عن الخضوع لغير الله عز وجل ولا يتذلل ولا يبذل وجهه لشيء من الدنيا؛ وأن يعز نفسه بمعالي الأمور والبعد عن السفاسف والسفاهات.

وكذلك: أن يشمخ بإيمانه ويرفع رأسًا بالهدى الذي أكرمه الله به تحقيقًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾(٢)، فالمؤمن يستعلي بإيمانه ويظهر معاني العزة قوة في الحق وصلابة في الدين وجهادًا لإعلاء كلمة الله ولتكون كلمة الذين كفروا السفلى، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

ما سبق كان إجمالا، وهناك تطبيقات تفصيلية نذكرها فيما يلي فأقول:

المسلم يبتغي العزة في مرضاة الله تعالى والالتجاء إليه والالتزام بشرعه ونصرة دينه والدفاع عنه؛ فإن مقاليد الأمور بيده سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾(٤).

فمن طلب العزة فليطلبها من رب العزة تبارك وتعالى، ففي القرآن الكريم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾(٥). والمعنى: من كان يريد العزة التي لا ذلة معها. فليطع الله تعالى ويلزم طاعته وليعتمد عليه وحده فلله العزة كلها في الدنيا والآخرة، فكل عز بغير الله ذل، فالله وحده هو مصدر العزة.

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٠.
(٢) سورة آل عمران: ١٣٩ .
(٣) الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، للأستاذ/ رياض أدهمي، ص: ٣٦، ٣٧، والآية رقم ٨ من سورة المنافقون.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٥) سورة فاطر: ١٠.

يقول الإمام القرطبي: "فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر، ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به، فإنه من اعتز بالعبد أذله الله، ومن اعتز بالله أعزه الله"(١).

وبذلك يتبين ضلال من يبحث عن العزة عند غير الله تعالى، وبغير طاعته والتزام منهجه، فعادى رب العزة وحزبه، ووالى أعداء الله ظنًّا منه أن هذا هو سبيل العزة وطريقها، وكيف هذا وقد قال تعالى منكرًا على من فعل ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(٢).

جاء في الآثر: أن عمر بن الخطّاب خرج إلى الشَّام ومعه أبو عبيدة بن الجرّاح فأتوا على مخاضةٍ(٣)، وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أنت تفعل هذا؟ تخلع خفّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرّني أنّ أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوه! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمّة محمّد ﷺ، إنَّا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلّنا الله(٤). والعزة هنا معناها القوة.

ويندرج تحت هذا أن يستغني عما في يد الآخرين، فلا يَمُد عينه إلى الخلق، ومن لم يُسَلِّم بذلك سُلِّط عَلَيْهِ داء الحرص والطمع ولم يقنع بالكفاية، فضلًا عن ذلة وسلب يعاني منها ويشعر بها في مهماته كلها، فالبشر ولو اجتمعوا بأسرهم أذلُّ من أن يمنعوا شيئًا أعطاه الله، وأقلُّ من أن يعطوا شيئًا منعه الله، فعلى المسلم أن يرد الأمور إلى مدبرها الأعظم، وأن يجعل فيه الثقة وعليه المعوِّل، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٤/ ٣٢٩.

(٢) سورة النساء: ١٣٩.

(٣) الخَوْضُ: المَشْيُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ: مَخاضةٌ، وهي: مَا جازَ الناسُ فيها وعبروها مُشاةً ورُكْباناً. اهـ. [يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: خوذ، (٧/ ١٤٧)].

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٢٠٧)، ١/ ١٣٠. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "على شرطهما".

(٥) يُراجع: خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٢٠٥. والآية رقم: ٢ من سورة فاطر.

ومن عزة المؤمن: أن يتعفف عن سؤال الناس ما دام قادرًا على العمل والكسب؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»(١).

ومن عزة المؤمن: ألا يكون مستباحًا لكل طامع أو غرضًا لكل هاجم، بل عليه أن يستميت دون نفسه وعرضه وماله وأهله وإن أريقت في ذلك الدماء؛ فإن هذا رخيص لصيانة الشرف الرفيع(٢)؛ ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قَاتِلْهُ» قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هُوَ فِي النَّارِ»(٣).

ويتأكد هذا في القرآن الكريم بنحو معناه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ أي: عزةً لا انتقامًا أو حبًّا في رد الإساءة بمثلها.

ومن العزة: أن يؤدي الإنسان ما هو مطلوب منه على أكمل وجه؛ فالإنسان العزيز يعرف واجباته جيدًا كما يعرف حقوقه، فيقوم بأداء الأعمال المطلوبة منه على الوجه الأكمل، ومن ثم لا يكون لأحد سبيل عليه، فيتعرض له بلفظ محرج فيه انتقاص له ولعزته وكرامته.

ومن العزة أيضًا: ترك متابعة الغير من غير ضرورة أو احتياج بل لمجرد المتابعة والتقليد الأعمى؛ فالمؤمن الكامل الإيمان لا يرضى بالذلة والمهانة والانهزامية وإن تلاطمت عليه أمواج بحر الحياة، بل يظل معتزًا بنفسه ودينه، شامخًا محافظًا على هويته، وقد عاب رسول الله ﷺ هذه الروح عند حصولها في الأمة؛ فعن أبي سعيد ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: «فَمَنْ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم: (١٤٠١)، ٢/ ٥٣٥.

(٢) يُراجع: خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٢٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قُتِلَ كان في النار، وأن مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، حديث رقم: (١٤٠)، ١/ ١٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: (٣٢٦٩)، ٣/ ١٢٧٤.

وليس معنى هذا الحديث الإقرار بهذه الحال والرضا عنها، وإنما هو إخبار عن حال الضعف و الهوان الذي سيُصيب الأمة بصفة عامة في حين من الأحيان وزمن من الأزمان.

ومن مظاهر عزة الأمة: الحرص على الاستقلال بشئونها؛ فالأمة التي أشربت نفوسها العزة لا تقبل وصاية من أحد، ولا تحتاج إلى أحد، ولا توقع نفسها في حال تساوم فيه بما يضر بمصلحتها.

لذلك عدَّ الشرع من أسباب زوال العزة عن الأمة وعدم حصولها: حب الدنيا وكراهية الموت؛ فقد جاء في حديث رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا» قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

"فَيَوْمَ أن نحب الدنيا ونكره الموت تهون علينا نفوسنا ويركبنا أعدائنا ويستذل الإنسان فينا.. ويوم أن نعز أمر الله ونصون عقائدنا عن التحريف والتبديل، وينعكس سلوك العزة علينا.. نكون قد عرفنا معناها ومن ثم ننبذ المقابل السلبي لها المتمثل في الذل والذلة والمهانة والصغار"(٢).

إذن كيف نطبق قيمة العزة في واقعنا؟

* عدم ابتغاء العزة من إنسان أبدًا مهما كان قويًّا ومهما نرى الدنيا عنده: فالعزيز يجعل الدنيا في يده ولا يجعلها في قلبه، ولا يطمع فيما في أيدي الناس.

* عدم الرضا بالظلم والاستبداد: فالمجتمع المتخلق بخلق العزة بفطرته لا يرضى بالذل والمهانة.

* السعي دائمًا إلى أسباب العزة: فالأمة العزيزة ترفض أن يفرض عليها شيء من غير إرادتها، لذلك عليها أن تسعى دائمًا إلى الاستقلال الاقتصادي، والعمل والإنتاج، والتسلح بالعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٢٤٥٠)، ٥/ ٢٧٨. وأبو داود في سننه، كتاب: الملاحم، باب: في تداعي الأمم على أهل الإسلام، حديث رقم: (٤٢٩٧)، ٢/ ٥١٤. واللفظ لأحمد، والغثاء: ما يحمله السيل من وسخ. قال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٢/ ٢٨٧) عن إسناد الإمام أحمد: "جيِّد".

(٢) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٥٤.

بقي تنبيهٌ في ضابط العزة، وهو: أن العزة التي يحض عليها الإسلام هي العزة بالحق لا بالإثم؛ لأنها عزة كاذبة، وقد نعى القرآن الكريم على من تأخذه العزة بالإثم، فلا يرجع إلى الحق، بل توعده بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾(١).

فالعزة التي ينشدها الإسلام عزة بالحق لا بالباطل، "إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه هو كبرياء إيمانه، وكبرياء الإيمان غير كبرياء الطغيان، فالأول أنفة المؤمن أن يصغر لسلطان أو يتَّضع في مكان، أو يكون ذنَبًا لإنسان -أي: تابعًا له-، فهي الترفع على مغريات الأرض ومزاعم الناس وأباطيل الحياة، وفيها الانخفاض إلى خدمة المسلمين والتبسط معهم واحترام الحق الذي يجمعه بهم"(٢).

***

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) خلق المسلم، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٢٠٢.

[١٢] (قيمة التوكل)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة التوكل)، وتستنبط من اسمه تعالى: (الوكيل) بصورة مباشرة، ومن غيره من الأسماء بواسطة كما سيأتي، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة التوكل:

في اللغة: مادة (وكل) تدل على اعتماد الإنسان على غيره في أموره، يقال: وكلت أمري إلى فلان فهو موكول في فعل هذا الأمر فهو يليه دوني وينظر فيه، فهو من باب إظهار العجز، والاسم منه التكلان، والحق سبحانه هو الوكيل: أي الكفيل، والحافظ، وهو الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق، والمتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافلٌ رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره[١].

وفي الاصطلاح: قال العلماء في بيان حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وَكِلَةُ الأمورِ كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[٢].

ويذكر الشيخ محمد الغزالي كلامًا مهمًّا في هذا الشأن أُثر أن أَنْقُلُه، حيث قال: "التوكل: إيمان بالغيب بعد استنفاد كل الوسائل المقررة في عالم الشهادة، إيمان بالله بعد أداء كل ما يرتبط بالنفس من واجبات"[٣].

وهو بهذا يَفْرُق بين التوكل والتواكل، ويُبيِّن أن الأخذ بالأسباب لا يُنافي التوكل بل هو منه. فالتوكل: أن يسعى الإنسان، ويبذل أقصى ما في وسعه وطاقته، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانيًا: التوكل في النصوص الشرعية:

دلت نصوص الشرع الحنيف على أهمية التوكل، وجعلته من أرقى الأمور التي تدل على مدى ارتباط الإنسان بخالقه وثقته فيه واعتماده عليه، وتفويضه جميع أموره إليه سبحانه وتعالى، وهو من

(١) تراجع مادة (وكل) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٦/ ١٣٦. ولسان العرب لابن منظور، ١١/ ٧٣٤. ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٤٤.
(٢) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٢/ ٤٩٧.
(٣) الجانب العاطفي من الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، ص: ٢٧٥.

أعمال القلوب فلا اطلاع للناس، ولا يصلح فيه الادعاء، وإنما يُري أثره في السلوك والتصرفات. والله سبحانه سَّمى نفسه الوكيل، وهو بهذا يُرسل رسالة لعباده أن توكلوا عليَّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾(٢).

ثم جاء الأمر الصريح منه تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين بأن يتوكلوا عليه ويفوضوا الأمور إليه، قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣)، وقال: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾(٤).

أي فتوكل على الله في إمضاء ما أنت عازم عليه وكن واثقًا بمعونته وتأييده لك فيه، ولا تتكل على حولك وقوتك، بل اعلم أن وراء ما أتيته وما أوتيته قوة أعلى وأكمل يجب أن تكون بها الثقة وعليها المعول، وإليها الملجأ إذا تقطعت الأسباب وأغلقت الأبواب؛ ذلك لأن الموانع الخارجية للأمر والعوائق دونه لا يحيط بها إلا الله تعالى، فلا بد للمؤمن من الاتكال عليه والاعتماد على حوله وقوته، حيث إن الاتكال حقيقته الاعتماد وهو شأن أهل الإيمان، ومن ثم فالتوكل انفعال قلبي عقلي يتوجه به الفاعل إلى الله راجيًا الإعانة ومستعيذًا من الخيبة والعوائق، وربَّما رافقه القول اللساني وهو الدعاء بذلك، ويكون تقدير ما سبق: فإذا عزمت، فبادر ولا تتأخر وتوكل على الله؛ لأن للتأخر آفات، والتردد يضيع الأوقات(٥).

وأما أمره سبحانه للمؤمنين بالتوكل: فقد جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها: في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(٦)، وقال أيضًا:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٨.

(٥) يُراجع في هذا: التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٤/ ١٥١. ومعه: تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ٤/ ١٦٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾(١).

أي: وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمثالهم، لا على حولهم وقوتهم، ولا على أعوانهم وأنصارهم، وإنما يبذلون حولهم وقوتهم ويأخذون أهبتهم وعدتهم إقامة لسنن الله تعالى في خلقه؛ إذ جعل الأسباب مفضية إلى المسببات، وهو الفاعل المسخر للسبب والمسبب والموفق بينهما، فينصر الفئة القليلة على الكثيرة إن شاء كما نصر المؤمنين يوم بدر، وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل، ومن ثم فيتوكلوا عليه دون سائر خلقه، ويرضوا به دون ما عداه، فيستسلموا لقضائه ويجاهدوا أعدائه فيكفيهم بمعونته وعونه ويمدهم بمدده ونصره(٢).

ومما جاء في السنة النبوية المطهرة مما يدل على أهمية التوكل: ما جاء من جوامع كَلِمِهِ ﷺ في الدعاء؛ فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: «اللّٰهم رَبَّنَا لك الْحَمْدُ أنت قَيِّمُ السموات وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أنت رَبُّ السموات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أنت نُورُ السموات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أنت الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللّٰهم لك أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ وما أنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إلا أنت»(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٢) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٧/ ٣٤٧. ومعه: تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ٤/ ٩٠، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ٨/ ١٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]، حديث رقم: (٧٠٠٤)، ٦/ ٢٧٠٩.

قال الإمام البدر العيني[(١)]: "قوله ﷺ: «وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»، أي: فوضت الأمر إليك قاطعًا النظر عن الأسباب العادية، ويقال: أي تبرأت من الحول والقوة وصرفت أمري إليك، وأيقنت أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي وعلي، ففوضت أمري إليك ونعم المفوض إليه"[(٢)].

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (التوكل)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (الوكيل) بصورة مباشرة؛ "فمن عرف أن الله تعالى هو الوكيل، وكل إليه أموره واعتمد عليه في قضاء حوائجه وكشف همه وغمه، فإذا تولى الله تعالى أمر عبده بجميل العناية كفاه وأغناه.. ومن آداب من عرف أنه الوكيل سبحانه وتعالى: أن يمتثل لما تعبده الله به من القيام بالأسباب وطلب الأمور بمقدماتها وما جعله الله سبحانه قرينة لحصولها، كل ذلك مع تعلق القلب بخالق الأسباب، والاطمئنان إليه في الحفظ والقيام بالمصالح وعدم الركون إلى الأسباب والوقوف عندها مهما بلغت في الكثرة والدقة والإحكام"[(٣)].

كما أن هذه القيمة تستنبط بواسطةٍ من أسماء أخرى، منها: الحسيب، والقوي، الوهاب، وغير ذلك من الأسماء الحسنى.

وقد ذكر بعض العلماء الوثيقة الواضحة بين التوكل وبين أسماء الله الحسنى، ومنهم الإمام ابن القيم؛ فقد جاء في كتابه «مدارج السالكين»: "التوكل من أعم المقامات تعلُّقًا بالأسماء الحسنى. فإن له تعلُّقًا خاصًّا بعامة أسماء الأفعال، وأسماء الصفات.

فله تعلق باسم: الغفار، والتواب، والعفو، والرءوف، والرحيم. وتعلق باسم: الفتاح، والوهاب، والرزاق، والمعطي، والمحسن. وتعلق باسم: المعز المذل، الخافض الرافع، المانع. من

---

(١) هو: محمود بن أحمد بن موسى، أبو الثناء وأبو محمد، قاضي القضاة بدر الدين العيني توفي سنة ٨٥٥هـ. من تصانيفه: «عمدة القارئ في شرح البخاري»، و«البناية في شرح الهداية»، و«رمز الحقائق» شرح الكنز، وكلاهما في الفقه الحنفي.

[راجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (١٠/ ١٣١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٩/ ٤١٨)، والأعلام، للزركلي (٧/ ١٦٣)].

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين العيني، ٧/ ١٦٧.

(٣) الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، للأستاذ/ رياض أدهمي، ص: ١٠٤، ١٠٥ بتصرف.

جهة توكله عليه في إذلال أعداء دينه، وخفضهم ومنعهم أسباب النصر. وتعلق بأسماء القدرة، والإرادة. وله تعلق عام بجميع الأسماء الحسنى. ولهذا فسره من فسره من الأئمة بأنه المعرفة بالله.

وإنما أراد أنه بحسب معرفة العبد يصح له مقام التوكل. وكلما كان بالله أعرف، كان توكله عليه أقوى"(١).

ونُفَصِّلُ القول في الآثار والتطبيقات فيما يلي:

الأخذ بالأسباب المشروعة لا يتنافى مع التوكل على الله؛ فالتوكل في الإسلام نشاط وعمل لا سكون وكسل، حيث إن الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالى مع الثقة بأنه عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملا هو التوكل المأمور به، أما القعود عن الأسباب وعدم السعي فليس من التوكل في شيء، وإنما هو تواكل واتكال. وقد قيل في حقيقة التوكل: أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وتتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

ومن النصوص الدالة على ذلك: ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ -يعني: ناقته- قال: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(٢).

يقول الحافظ المُنَاوِي: "قوله: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»؛ لأن عقلها لا ينافي التوكل الذي هو الاعتماد على الله وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها، وفيه بيان فضل الاحتياط والأخذ بالحزم"(٣).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، يتضح هذا جليًّا في حادثة الهجرة؛ حيث قام ﷺ بالأخذ بأسباب نجاح هذه الرحلة: من اختيار الرفيق، وهو صاحبه الصدِّيق رضوان الله عليه، ومن إعداد الزاد من الطعام والشراب، ومن تجهيز الراحلة التي

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٥١٧). وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه من حديث أنس بن مالك إلا من هذا الوجه. وقد روى عن عمرو بن أمية الضمرى عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا". قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٣/ ٧٢٢، حديث رقم: (٦٦١٦)، عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه بلفظ: «قَيِّدْهَا وَتَوَكَّل». قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "سنده جيِّد".

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُنَاوِي، ٢/ ٧.

تَقْوَى على هذا السفر الطويل والشاقِّ، ومن اصطحاب الدليل الخبير بمسالك الطرق ليكون دليلا وهاديًا في هذه الرحلة الصعبة. كل هذا مع التخطيط الجيد من وقت الخروج، ومدة المكوث في الغار، وغير ذلك، وكل هذا ومعه وقبله وبعده التوكل على الله تعالى، فلما أوى إلى غار ثور هو وصاحبه ودخلا فيه ليستترا عن أعين الطالبين ثم طلبهما المشركون وأخذوا يبحثون عنهما ووصلوا إلى باب الغار قال له صاحبه الصدِّيق: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، قال له: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟. فهذا هو عين التوكل؛ سعيٌ وأخذٌ بالأسباب مع اعتماد القلب على الله وثقةٌ لا حدَّ لها في تأييد الله تعالى ونصره.

قصَّ علينا القرآن الكريم هذا؛ فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(١)].

وفي الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ: ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا»[(٢)].

قال الإمام النووي: "معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وفيه بيان عظيم توكل النبي ﷺ حتى في هذا المقام"[(٣)].

والتوكل له علاقة قوية بمسألة الرزق؛ فالرزق من الأمور التي تشغل بال الإنسان مع أن الله سبحانه وتعالى قد كتبه لكل إنسان لحظة نفخ الروح فيه وهو ما زال جينًا في بطن أمه، بل ضمنه له، فقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(٤)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضائلهم، حديث رقم: (٣٤٥٣)، ٣/ ١٣٣٧. ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، حديث رقم: (٢٣٨١)، ٤/ ١٨٥٤، واللفظ لمسلم.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٥/ ١٤٩، ١٥٠ بتصرف.

(٤) سورة هود، الآية: ٦.

فيعلم كل إنسان أن الرزق مقسوم، ولا يحمل همَّه، بل عليه أن يسعى في طلبه وهو متوكل على الله تعالى؛، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كما يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1].

ومعنى هذا الحديث: لو أنكم تعتمدون على الله تعالى حق الاعتماد بأن تعلموا يقينًا أن لا معطي ولا مانع إلا الله، ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل، ففيه إشارة إلى أن التوكل ليس التبطل والتعطل بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب، فلو فعلوا هذا لانصرفوا غانمين سالمين كالطير[2].

فإذا توكل المسلم على ربه في أمر الرزق مع سعيه في طلبه، وعلم أن رزقه لن يأخذه غيره، فإن هذا سينعكس بالإيجاب على سلوكه وتصرفاته؛ فلا تراه يتحايل علي الرزق، ولا يطلب الرزق من باب محرم، ولا ينافق أحدًا أو يتملقه ظنًّا منه أنه بهذا سيرزق، بل إنه بالتوكل والسعي سيظل عفيفًا عزيزًا راضيًا.

ومن فوائد التوكل: أنه مصدر قوة للمؤمن؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3]. فإنَّ مَنْ اعتمد على الله فقد اعتمد على من بيده مقاليد الأمور، على من يقول للشيء كن فيكون، فمن كان كذلك كان الله معه وكافيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

وهذا معنى حديث رسول الله ﷺ وهو يُعلِّم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ فعن ابن عبَّاسٍ، قال: كنت خَلْفَ رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «يَا غُلَامُ: إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، بابٌ: في التوكل على الله، حديث رقم: (٢٣٤٤)، ٤/ ٥٧٣. وقال: "هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه". وأيضًا: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٨٩٤)، ٤/ ٣٥٤، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه". وسكت عنه الحافظ الذهبي في «التلخيص».

(٢) يُراجع: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للشيخ: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ٧/ ٧، ٨ بتصرف كبير.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١).

ومن فوائد التوكل: أنه يورث راحة البال وطمأنينة النفس والثبات في المواقف المختلفة؛ فالمتوكل على الله بصدق يعلم يقينًا أنه تعالى ناصره ومؤيده ولن يضيعه أبدًا.

وقد جاء في القران الكريم، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾(٢).

والمعنى: أنهم لمَّا فوضوا أمورهم إليه سبحانه وتعالى، واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا؛ فرضَّاهم عنه، ورضي عنهم(٣).

ومن فوائد التوكل: أنه سبيل للحماية من كيد الشيطان وحبائله، فإنه ليس له ولاية أو سلطان إلا على الذين يتولونه أما المؤمنون المتوكلون على ربهم فإنه لا سلطان له عليهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾(٤).

ويؤكد لنا رسول الله ﷺ هذا المعنى؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال يَعْنِي إذا خَرَجَ من بَيْتِهِ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ لَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ يُقَالُ له كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عنه الشَّيْطَانُ»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٥١٦)، ٤/ ٦٦٧، وقال: " هذا حديث حسن صحيح ".

(٢) سورة آل عمران، الآيتان، ١٧٣، ١٧٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٤/ ٢٨٢.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ٩٨، ٩٩.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم: (٣٤٢٦)، ٥/ ٤٩٠. وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". قال الحافظ ابن حجر: "هذا حديث حسن". [يُراجع: نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ١/ ١٦٤].

فإذا قال المؤمن هذا ابتعد عنه الشيطان، وهُدِى وكُفِى ووُقِي.

ومن فوائد التوكل: أنه يورث محبة الرب سبحانه ومعيته ورعايته لعباده المتوكلين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١).

فالتوكل علامة صدق الإيمان، واعتقاد الحاجة إليه الله سبحانه وتعالى، وعدم الاستغناء عنه، وهذا أدب عظيم مع الخالق يدل على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله(٢).

إلى غير ذلك من الآثار والفوائد، "فللتوكل آثار عظيمة في حب الله وحب رسوله صلي الله عليه وسلم، وحسن السلوك إلي الله والسير إليه، وزيادة الإيمان، وغفران الذنوب، والترقِّي في درجات الجنان.

وللتوكل أيضًا آثار ايجابية علي المسلم في حب الوطن والمجتمع والنفع حيث حل، فإذا دخل التوكل الصحيح في قلب العبد المؤمن لا يؤذي الناس ولا يحسد الناس ولا يحقد علي أحد، بل لن تراه إلا متعاونًا معهم علي الخير راضيًا بكل ما يقضيه الله من الأمور.. نسأل ربنا الكريم أن يجعلنا من المتوكلين عليه، ومن المطمئنين به وبقضائه سبحانه وتعالي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"(٣).

***

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٤/ ١٥٢، ومعه: تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ٤/ ١٦٨.

(٣) مقال بعنوان: «بناء المنظومة الأخلاقية: خلق التوكل»، بقلم: فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة، مفتي الديار المصرية. نُشِرَ بجريدة المساء القاهرية، عدد رقم: ١٩٩٦٥، يوم الأربعاء، بتاريخ: ٢٨ ديسمبر ٢٠١١م.

[١٣] (قيمة الرضا)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الرضا)، وتستنبط من عدة أسماء منها: (الحكيم، والولي، والرزاق)، وغيرها. وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الرضا:

في اللغة: مادة (رضي) تدل على خلاف السُّخط، يُقال: رضِي يرضَى رِضًى، وهو راضٍ، والاسم الرّضاء (بالمد) والرّضا (بالقصر)، و(الرضوان) بكسر الراء وضمها: الرضا. ورَضيتُ الشيءَ وارْتَضَيْتُه فهو مَرْضيٌّ، وعيشة راضية أي مرضية(١).

وفي الاصطلاح: يقول الجرجاني: "الرضا سرور القلب بِمُرِّ القضاء"(٢). وقال المُناوي: "الرضا: طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير"(٣). ويقول أبو البقاء الكفوي: "والرضا قسمان؛ قسم يكون لكل مكلف، وهو ما لا بد منه في الإيمان، وحقيقته قبول ما يرد من قبل الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره. وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي"(٤).

فمعنى الرضا يدور حول: التسليم بقضاء الله تعالى ثقة في حكمته وحسن تقديره، وقد ينضاف إلى هذا أيضًا: الفرح والسرور بكل ما يقضي به الله تعالى ويُقدِّره.

ثانيًا: الرضا في النصوص الشرعية:

دلت النصوص الشرعية على أهمية قيمة الرضا، وأنها من القيم التي إذا ما تحلَّى بها الفرد عادت عليه وعلى المجتمع بالخير الوفير، والرضا صفة جليلة من أعظم صفات المؤمنين. وقد جاء ذكر

---

(١) تراجع مادة (رضي) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٤٠٢. ولسان العرب، لابن منظور، ١٤/ ٣٢٣. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٢٤.

(٢) التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص: ١٤٨.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: ١٧٨.

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمود المصري، ص: ٧٥٦.

الرضا في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها؛ قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾(٢).

قال الراغب الأصفهاني: "ورضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه"(٣).

والرضا من القيم التي تؤثر في سلوك الفرد فتدفعه إلى أن يُسلِّم بقضاء الله وقدره ويرضى بلا أدنى سخط أو دجر، وتُفهم هذه المعاني من خلال نصوص شرعية كثيرة، منها: ما كان من نبي الله إبراهيم عليه السلام لـمَّا رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق، فسارع بإخبار ولده وقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾(٤)، فما كان من ولده إسماعيل إلا أن سلم ورضي بما قدره الله عليه وعلى أبيه وليس له في هذا إلا الصبر على هذا البلاء، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي من الراضين، وكان عرض إبراهيم هذا على ابنه عرض اختبار لمقدار طواعيته بإجابة أمر الله في ذاته لتحصل له بالرضا والامتثال مرتبة بذل نفسه في إرضاء الله، وهو لا يرجو من ابنه إلا القبول؛ لأنه أعلم بصلاح ابنه وليس إبراهيم مأمورًا بذبح ابنه جبرًا، بل الأمر بالذبح تعلق بمأمورين؛ أحدهما: بتلقي الوحي، والآخرِ: بتبليغ الرسول إليه، فلو قدر عصيانه لكان حاله في ذلك حال ابن نوح الذي أبى أن يركب السفينة لما دعاه أبوه فاعتُبر كافرًا(٥).

ومن النصوص الدالة على الرضا أيضًا: ما كان من قصة موسى مع قومه وإيذاء فرعون له ولهم بأشد أنواع الإيذاء فما كان من موسى إلا أن وجههم إلى العلاج الناجح الناجع. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: ١٩٧.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٥) يُنظر: التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور، ٢٣/ ١٥١ بتصرف.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[(١)]، فههنا أمرهم بشيئين، وبشرهم بشيئين، أما اللذان أمر موسى عليه السلام بهما؛ فالأول: الاستعانة بالله تعالى، والثاني: الصبر على بلاء الله. وإنما أمرهم أولاً بالاستعانة بالله وذلك لأن من عرف أنه لا مدبر في العالم إلا الله تعالى انشرح صدره بنور معرفة الله تعالى وحينئذ يسهل عليه أنواع البلاء ولأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء الله تعالى وتقديره واستعداده بمشاهدة قضاء الله خفف عليه أنواع البلاء[(٢)].

فكانت خلاصة العلاج الاستعانة بالله تعالى ثم الرضا والصبر على هذا البلاء الذي لحق بهم وما يتبع ذلك من الطمأنينة والراحة النفسية، وهذا أثر من آثار الرضا كما سيأتي بعد ذلك.

وجاء في السنة النبوية المطهرة ما يدل على الأمر بالرضا والقناعة وعظيم ثواب المتحلي بهما؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[(٣)].

وفي حديث آخر: أن رسول الله ﷺ قال: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إلى الْإِسْلَامِ وكان عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»[(٤)].

قال الحافظ المُناوي في بيان معنى قوله ﷺ: «وكان عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ» أي: "لم يطلب زيادة عليه؛ لعلمه بأن رزقه مقسوم لن يعدو ما قدر له، ولهذا قيل لحكيم: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك وقنعك بما يكفيك.

واحتج بهذا مَنْ قال بفضل الفقر على الغنى، وعكس آخرون، وقال قوم: ينبغي ترك الاختيار ومراعاة قسمة الجبار، فمن رزقه مالا شكره أو كفافًا لم يتكلف الطلب وبذلك يرتقي إلى مقام الزاهدين "[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٢) يراجع: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ١٤/ ١٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، بابٌ في الكفاف والقناعة، حديث رقم: (١٠٥٤)، ٢/ ٧٣٠.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: الكفاف والصبر عليه، حديث رقم: (٢٣٤٩)، ٤/ ٥٧٦. وقال: "هذا حديث حسن صحيح". والحاكم في المُستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٩٨)، ١/ ٩٠. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وبلغني أنه خرَّجه بإسناد آخر"، قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "على شرط مسلم".

(٥) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُناوي، ٤/ ٢٨٢.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (الرضا)، وهي مستنبطة من عدة أسماء منها: الحكيم، والولي، والرزاق، وغيرها.

أما الحكيم؛ فلأن من عرف أن الله تعالى هو الحكيم رضي بحكمه وقضائه وقدره. وأما الولي والرزاق؛ فلأن من عرف أنه تعالى هو الذي يتولى أمور الخلق، وهو المتكفل بأرزاقهم رضي بعطائه، وقنع بما قسمه الله تعالى له، وعلم أن رزقه آتيه لا محالة، ولن يأخذه أحد غيره، فليس عليه إلا السعي والأخذ بالأسباب.

الرضا من أخص صفات المؤمنين، وهو درجات: **فهناك: الرضا بالله،** وهو ما أخبر عنه النبي ﷺ، فيما جاء عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ من رضي بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(١).

و"معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره. فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ونُقِل عن القاضي عياض قوله في معنى الحديث: صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه، فمن رضي أمرًا سَهُلَ عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات الله تعالى ولذت له"(٢).

ويندرج تحت هذا: الرضا بحكم الله تعالى وشرعه، فمن رضي بالله حقًّا، لم يقبل غيره حاكمًا ولا مشرعًا، ومن ثمَّ فإنه ينساق لحكمه وشرعه لا جبرًا ولا قسرًا وإنما بكمال الرضا عن الله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر، حديث رقم: (٣٤)، ١/ ٦٢.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٢/ ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

يقول ابن كثير: "أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليمًا كليًّا من غير ممانعةٍ ولا مدافعة ولا منازعة"(١).

وهذا الذي ذكره ابن كثير هو الرضا بعينه، فعدم وجود الحرج أي الضيق، والانقياد والتسليم ظاهرًا وباطنًا هو أساس الرضا.

وهناك أيضًا: الرضا عن الله، وهذه الدرجة لا تتحقق إلا بسابقتها فمن رضي بالله تعالى ربًّا رضي بجميع وأحكامه وقضائه وقدره، وهذا هو المفهوم من حديث النبي ﷺ؛ فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رضي فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٢).

والمعنى فمن رضي بما ابتلاه به ربه، واطمأنت إليه نفسه، فله الرضا منه تعالى في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا: فيعوِّضه خيرًا، وأما في الآخرة فبجزيل الثواب. ومن سخِط بكسر الخاء أي سخط وكره قضاء الله وفزع ولم يرض بما نزل به من بلاء، فله السخط منه تعالى في الدارين أيضًا؛ أما في الدنيا فبتتابع الهموم عليه، وفي الآخرة فبالعذاب الأليم. لذلك على المرء أن يعلم: أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

ويندرج تحت هذا: الرضا باختيار الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾(٣).

فالمؤمن الذي يرضى بحكم الله تعالى وحكمته، ويتوكل عليه عز وجل في جميع أموره، لا يرى لنفسه اختيارًا، بل يعتمد على حسن اختيار الله له، وكما قيل: من اعتمد على حسن اختيار الله له لم يرض بغير ما اختاره الله له، فهو راض في جميع أحواله، مُسَلِّمٌ أمره لربه، على ثقة منه بتأيده ونصره، وهذا هو عين الرضا والتوكل على الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٢/ ٣٤٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: الصبر على البلاء، حديث رقم: (٢٣٩٦)، ٤/ ٦٠١. وقال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٨.

والتخلق بالرضا له مجموعة من الآثار والفوائد في واقع الفرد والمجتمع، **ومن أهم ثماره وأفضلها: أنه يحقق السلام النفسي والاجتماعي**؛ فالرضا يؤدي إلى القضاء على كثير من المشاكل والأمراض النفسية التي نهانا الشرع عنها؛ كالحسد والضغينة والبغض والكراهية؛ وذلك لأن الراضي يقبل ما قُسِمَ له وقُدِّر فلا ينظر إلى غيره. هذا فضلاً عن أن الرضا بحكم الله وقضائه والثقة في تقديره جزء من حقيقة الإيمان، فيكون من تحلى بهذه الفضيلة من أسعد المؤمنين في الدنيا إن لم يكن أسعدهم على الإطلاق، وكيف لا وقد أراح نفسه من السعي وراء التساؤلات والجري وراء الغوامض والمشكلات بغية أن ينال كل ما يمكن أن يتطلع إليه من المهمات وغير المهمات، وكيف لا يكون المتحلي بفضيلة الرضا أسعد أهل الدنيا، وقد سلم مسبقًا بأن ما سبق في تقدير الله له هو الخير دون ما سواه فأنى للجزع والقلق بأن يعرفا سبيلهما إلى قلب مثل هذا الإنسان، ولذلك كان الرضا من صفات المؤمنين، وهو أيضًا من نعَّم الله وأفضاله عليهم(١).

والرضا بهذا المفهوم الذي نتحدث عنه ما هو إلا تطبيق للمنهج النبوي؛ حيث إن النبي ﷺ قد نهى عن التحاسد والتباغض والتدابر، ودعا إلى أن يكون الجميع إخوة متحابين لا يبغي أحد على أحد ولا يضمر أحد سوءًا لأحد، مما يكون له أثره في إصلاح حال الأفراد والجماعات؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» ويشير إلى صدره -الشريف- ثلاث مرات «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(٢).

التدابر: المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد: تمني زوال النعمة عن الآخرين، وهو حرام، ومعنى كونوا عباد الله إخوانًا: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب

---

(١) يُراجع: التصوف الإسلامي بين الأصالة والتبعية، للدكتور/ حسن محرم الحويني، ص: ١٤٧ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم: (٢٥٦٤)، ٤/ ١٩٨٦.

والنصيحة بكل حال، قال بعض العلماء: وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض(١).

ومما يُذهب المودة ويبعث على التباغض: السُّخْط وعدم الرضا، والرضا بالمقسوم والتسليم بالمكتوب من الأسباب الباعثة على طمأنينة النفس، ومن ثَمَّ تطهر من أمراضها، فلا تبغض أحدًا على شيء، ولا تحسد غيرها على نعمة، ونتيجة ذلك حصول السلام النفسي والاجتماعي.

ومن ثمرات الرضا أيضًا: أنه يورث النفس عزة وغنى وقناعة؛ فالنفس الراضية غنية قانعة راضية بما قُسِم لها وقُدِّر؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أو يُعَلِّمُ من يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» فقال أبو هريرة فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدَّ خمسًا، وقال: «اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ»(٢).

والمراد بالرضا المأمور به هنا: القناعة، والمعنى: اقنع بما أعطالك الله وقسمه لك، وجعله حظك في الرزق؛ فإن هذا الغنى الحقيقي، فليس الغنى بكثرة العَرَض، أي ما يُنتفع به من متاع الحياة الدنيا،ولكن الغنى غنى النفس.

"والقناعة غنى وعز بالله، وضدها فقر وذل للغير، ومن لم يقنع لم يشبع أبدًا، ففي القناعة العز والغنى والحرية، وفي فقدها الذل والتعبد للغير، تعس عبد الدنيا تعس عبد الدينار، فيتعين على كل عاقل أن يعلم أن الرزق بالقَسْم"(٣).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١١٦.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، حديث رقم: (٢٣٠٥)، ٤/ ٥٥١. وقال: هذا حديث غريب. وابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، حديث رقم: (٤٢١٧)، ٢/ ١٤١٠. وقال في الزوائد: هذا إسناد حسن. قال محقق «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري، (١١/ ٦٨٧): "وأخرجه أحمد في "المسند"، البيهقي في "شعب الإيمان"، وهو حديث حسن". اهـ. ط/١، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُناوي، ١/ ١٢٤.

وإنما كان الممدوح غنى النفس لأنها حينئذ تكف عن المطامع وتعظم ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله مع كونه فقير النفس، وفقر نفسه هذا يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله وحرصه، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما قسم الله له لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ويرضى بما قسم، وغنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره، وإن ممارسة الرضا والقناعة في الحياة تضفي على صاحبها طبيعة غير متكلفة وتشعره بحلاوة هذه الخلة فينطلق بمزايا القناعة(١).

والرضا من علامات حسن ظن العبد بربه؛ فمن رضي بما قسمه الله له فقد أحسن الظن به سبحانه وتعالى، وكان على يقين بأنه لن يضيعه، وأن جميع أقداره له خير؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يقول: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا دَعَانِي»(٢).

جاء في شرح هذا الحديث أن معناه: "أي: أنا أعامله على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر. والمراد بهذا: الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله، والمعنى: أنا عند يقينه بِي وعلمه بأن مصيره إليَّ وحسابه عليَّ، وأن ما قضيت به له أو عليه من خير أو شر لا مرد له، لا معطي لما منعتُ ولا مانع لما أعطيتُ"(٣).

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في الصحيح عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا له وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا له"(٤).

وفي هذا الحديث بيان وتأكيد على أن جميع أفعال الله تعالى وأقداره لعباده خير لهم على كل حال.

---

(١) يُنظر: الفضيلة والفضائل في الإسلام، للدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، ص: ٨٣، ٨٤ بتصرف. سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الخامسة عشرة، الكتاب الأول، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: حسن الظن بالله، حديث رقم: (٢٣٨٨)، ٤/ ٥٩٦. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للشيخ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ٧/ ٥٣، ٥٤ بتصرف.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: (٢٩٩٩)، ٤/ ٢٢٩٥.

[١٤] (قيمة النصرة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة النصرة)، وتستخلص من أسمائه تعالى: (الناصر، والنصير، والقوي، والولي)، وفيما يلي بيان هذه القيمة، وآثارها وتطبيقاتها.

أولاً: تعريف النصرة:

في اللغة: النصرة مصدر من فعل الثلاثي المتعدي (نصر)، ومادة (ن ص ر) تدل في أصلها على معنيين، أولهما: إتيان الخير أو إيتائه، فمن المعنى الأول قولهم: نصرت بلد فلان إذا قصدته، ومن المعنى الثاني قولهم: نصر الله المؤمنين أي آتاهم النصر، وعلى هذين المعنيين تدور اشتقاقات مادة (نصر)، فالنُّصْرةُ حُسْنُ المَعُونةِ والانْتِصارُ والانْتِقامُ، والاسْتِنْصارُ اسْتِمدادُ النَّصْرِ، والتَّناصُرُ التَّعاونُ على النَّصْر، وترك النصرة يُسمَّى خُذلانًا. وتَناصَرَتِ الأخبارُ صَدَّقَ بعضُها بعضًا، والنَّواصِرُ مَجارِي الماءِ إلى الأَوْدِية واحِدُها ناصِرٌ. ونَصَرَه يَنْصُرُه نَصْرًا أعطاه، والنَّصَائِرُ العطايَا والمُسْتَنْصِرُ السائلُ.

ويقال: تَناصَروا: نَصَرَ بعضُهم بعضًا. ونَصَرَ الغيث الأرضَ أي غاثَها. ونُصِرَتِ الأرضُ فهي مَنْصورَةٌ أي مطرت(١). وما ذكر من المعاني دال على ما لم يذكر.

وفي الاصطلاح: النصر والنصرة: بمعنى العون، والتناصر: التعاون(٢). هذا ما قالوه في كتب التعريفات، لكن يمكن القول بأن النصرة من القيم التي يتجلى معناها في قيم أخرى؛ فالتعاون والتكافل وجبر الكسير كلها من باب النصرة، وإن شئتَ قلتَ إن ما ذكر آثار للنصرة، وعلى أي حال فإن معنى النصرة الاصطلاحي يظهر بالنظر في أنواعها ومجالها، فقد تكون النصرة بين العبد وربه، وقد تكون النصرة بين الإنسان وأخيه الإنسان، فليس ثَمَّ تعريف بالحد نستطيع وضعه لقيمة النصرة. أما الكلام على أنواع النصرة وأقسامها فسيأتي عند ذكر التطبيقات والآثار.

---

(١) تُراجع مادة (نصر) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤٣٥. والمحكم والمحيط الأعظم لابن سِيدَه، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ٨/ ٢٩٩. والصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٢/ ٨٢٩. ومعهم أيضًا: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ٤/ ٢٤٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: ١١٠.

ثانيًا: النصرة في النصوص الشرعية:

دلَّت نصوص الشرع على النصرة؛ فقد أخذ الله تعالى العهد على نفسه بنصرة من نصره فالتزام حدوده، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾(١)، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢).

ويقرر سبحانه وتعالى حقيقة وهي: أنه لا ناصر للعباد غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٣)، وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾(٤)، وعلى سبيل تشريف الله للمؤمنين الذين أطاعوه قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾(٥).

جاء في تفسير هذه الآية أن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وليهم وناصرهم، ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾، أي: لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعًا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم، ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة(٦).

وفي مقابل تشريف الله تعالى للمؤمنين فإن هناك إذلالا للكافرين ولمن لم يلتزم بأوامره تعالى، فكما وعد الله تعالى المؤمنين بالنصرة، توعَّد غيرهم بالخذلان؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(٧)، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣﴾(٨)، وقال

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٣) تكررت هذه الجملة في أربع آيات في القرآن الكريم: في سورة البقرة، الآية: ١٠٧. وفي سورة التوبة، الآية: ١١٦. وفي سورة العنكبوت، الآية: ٢٢. وفي سورة الشورى، الآية: ٣١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.
(٥) سورة محمد، الآية: ١١.
(٦) تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ٣/ ٣٢٤.
(٧) سورة الحج، الآية: ٧١.
(٨) سورة محمد، الآية: ١٣.

سبحانه: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾(٢).

وليس المقصود من نصر الله تعالى للمؤمنين وخذله للكافرين النصر في المعارك والحروب وحسب، فكما أن هذا النصر في المعارك واقع لا محالة، فإنه يمتد ليشمل باقي مناحي الحياة، فالتوفيق للعبادة والاستقامة على الطاعة والسعة في الأرزاق كلها من سمات النصر الموعود به المؤمنين، والنصر أو الخزي لا يقتصران على الجانب الدنيوي، بل يمتدان ليشملا الجانب الأخروي، ولذلك قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٣٩﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾(٤).

وفي بشارة يُجملها الله تعالى لعباده المؤمنين ولا سيما عند استبطاء الغَلَبة في الحروب وطول أمدها، يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤﴾(٥).

يقول الإمام ابن كثير: "قوله: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: يستفتحون على أعدائهم، ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة. قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ كما قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٦﴾(٦)، وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾"(٧).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٩.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٦) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ١/ ٥٧٢.

ويؤكِّد الحق سبحانه وتعالى على حقيقة مهمة ثابتة ألا وهي: أنه لا ناصر في الحقيقة غيره عز وجل، وذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾[١].

ومن خلال ذلك نقرر أن النصر الذي وعد الله المؤمنين به ليس سهلا، لكنه يتحقق للذين يستحقونه بإخلاصهم لعقيدتهم وثباتهم عليها وجهادهم في سبيلها، كما أن النصر والتمكين للمؤمنين في الحياة الدنيا مترتبان على ما يبذلونه في سبيل عقيدتهم.

هذا من ناحية نصر الله تعالى لأوليائه، وهناك نوع آخر من النصرة حث الشرع أتباعه على إيجادها وتطبيقها، وهي التي تتجلى في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[٢]. والمعنى، أي: في التناصر والتراحم[٣].

وما جاء في السنة النبوية المطهرة من الحث على هذا النوع من النصرة: ما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبَّكَ بين أصابعه[٤].

قال الإمام النووي: "هذا صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[٥].

وعن النّعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ٦٩٣.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، حديث رقم: (٢٣١٤)، ٢/ ٨٦٣. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٥)، ٤/ ١٩٩٩.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٣٩.

(٦) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

وفي خصوص النصرة: جاء عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». فقال رجل يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال ﷺ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُه»(١).

قال الإمام ابن بطال في شرحه هذا الحديث: "النصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله ﷺ أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يقتص منه، فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا من باب الحكم للشيء وتسميته بما يئول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة"(٢).

ويُحذِّر النبي ﷺ من عواقب عدم نصرة المسلم، فعن جابر بن عبد الله وأبي أيوب الأنصاري(٣) قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»(٤).

ومن مظاهر عناية وحرص الشرع الشريف على وحدة صف المسلمين وتناصرهم فيما بينهم ما أسسه من الإخوة التي جعلها أساسًا بينهم فقال ﷺ وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه: إنه أخُوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، حديث رقم: (٦٥٥٢)، ٦/ ٢٥٥٠.

(٢) شرح صحيح البخاري للإمام: أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٦/ ٥٧٢.

(٣) هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري. من بني النجار: صحابيٌ معروفٌ باسمه وكنيته. مات سنة اثنتين وخمسين.

[الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٢/١٩٩)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/٤٠٢)].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: من رد عن مسلم غيبةً، حديث رقم: (٤٨٨٤)، ٢/ ٦٨٧. والطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: (٨٦٤٢)، ٨/ ٢٨٢. قال نور الدين الهيثمي في: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧/ ٢٦٧): "إسناده حسن".

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

ومعنى قوله ﷺ: «وَلاَ يُسْلِمُهُ» أي: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبًا وقد يكون مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال[٢].

وسيأتي مزيد بيان لعناية الشرع الشريف بقيمة النصرة في التطبيقات والآثار.

ثالثًا: التطبيقات والآثار والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا قيمة: (النصرة)، وتستخلص كما قلنا من اسم الله: الناصر والنصير والولي؛ يقول أبو إسحاق الزجاج: "الوليُّ هو فعيل من الموالاة، والولي: الناصر، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣]، وهو تعالى وليهم بأن يتولَّى نصرهم وإرشادهم كما يتولى ذلك من الصبي وليه، وهو يتولَّى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم"[٤].

والنصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأنَّ كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصرًا إذا أعانه على عدوه وشدَّ منه[٥]، والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله، وقد سمى نفسه تبارك وتعالى باسم النصير فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[٨]، و قال: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[٩].

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه، حديث رقم: (٢٣١٠)، ٢/ ٨٦٢. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: (٢٥٨٠)، ٤/ ١٩٩٦.

(٢) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، ٥/ ٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) يُراجع: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٥٥.

(٥) يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، مادة: (نصر)، ٥/ ٦٤.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٧) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٨) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٩) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

وممن أشار إلى ارتباط النُّصرة بأسماء الله الحسنى: الإمام أبو حامد الغزالي: في كتابه «المقصد الأسنى» في شرح اسمه تعالى (الولي) حيث قال: "الولي مِن العباد: مَن يُحب الله عز وجل ويحب أولياءه وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه، ومن أعدائه النفس والشيطان، فمن خذلهما ونصر أمر الله تعالى ووالى أولياء الله وعادى أعداءه فهو الولي من العباد"(١).

وأشار لهذا أيضًا: الإمام القرطبي في كتابه «الأسنى»، فقال في شرح اسمه تعالى (الولي): "يجب على كل مؤمن أن يوالي من تولَّاه وأن ينصره، ويجب على المؤمنين قطع ولاية الكافرين"(٢). وقال أيضًا في شرح اسميه تعالى (الناصر والنصير): ثم يجب عليه إن كان له قوة ينصر بها ظالمًا أو مظلومًا فعل؛ قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». فقال رجل يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال ﷺ: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»(٣).

وقيمة النصرة تتنوع من حيث ماهيتها ومن حيث المنصور: أما من الحيثية الثانية؛ فقد تكون النصرة للمسلم كما مرَّ استعراضه في الآيات والأحاديث السابقة، وقد تكون لغير المسلم، فكل مسلم مظلوم في دينه أو في دنياه، أو معتدى عليه في نفسه أو في أهله أو ماله، فهو أهل للنصرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾(٤).

ويلحق بالمسلم في وجوب النصرة: أهل الذمة والمعاهدون في دار الإسلام.

يقول الإمام ابن قُدامة الحنبلي(٥): "وعلى الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يقصدهم بأذى من

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشتن ص: ١١٥.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبي، ط/ صحابة، ١/ ٣٠٣، ٣٠٤ بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٣٢٠. والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٦٥٥٢).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٥) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، موفَّق الدين، المقدسي الجمَّاعيلي، ثم الدمشقي الصالحي ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ. من تصانيفه: «العمدة»، و«الكافي»، و«المقنع»، و«المغني» في الفقه، و«روضة الناظر وجُنَّة المناظر» في الأصول، و«لمعة الاعتقاد».

[راجع: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٣/ ٢٨١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٧/ ١٥٥)].

المسلمين والكفار واستنقاذ من أسر منهم بعد استنقاذ أسارى المسلمين واسترجاع ما أخذ منهم لأنهم بذلوا الجزية لحفظهم وحفظ أموالهم"[(١)].

وليس معنى نصرتهم موالاتهم وتفضيلهم على المسلمين، بل المعنى أن نقسط إليهم، وهذا في قوم غير معادين للإسلام أو محاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته؛ وقد وضحت ذلك آيات أخر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[(٢)]، على أنه لا بأس أن يستعين المسلمون -حكامًا ورعية- بغير المسلمين في الأمور الفنية التي لا تتصل بالدين من طب وصناعة وزراعة وغيرها، وإن كان الأجدر بالمسلمين أن يكتفوا في كل ذلك اكتفاء ذاتيًّا.

وأما من الحيثية الأولى -أي بالنظر إلى ماهيتها-: فقد تكون **النصرة بالمال** لمن قدر عليه، ولذلك فإن الله تعالى عند ذكر أغلب مواضع الجهاد قدَّم المال على النفس؛ لأن المال يكون في مقدور الكثير بخلاف النفس.

وقد تكون بالنفس، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[(٤)].

وقد تكون بالخدمة، كما في قوله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[(٥)].

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد، للإمام موفق الدين ابن قدامة الحنبلي، ٤/ ١٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: السلام، باب: استحباب الرُّقْيَةِ من العَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَة، حديث رقم: (٢١٩٩)، ٤/ ١٧٢٦.

لذلك نجد أن الإسلام قد حثَّ على قضاء حوائج الخلق، وقد مرَّ حديث رسول الله ﷺ: « .. وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ..»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»(٢).

وباب خدمة الخلق باب يلج منه الخواص إلى الله تعالى، فطوبى لمن كان من العباد الذين يُفزَع إليهم في قضاء الحوائج وابتغاء الخير.

وقد تكون النصرة بالجاه والسلطان من باب الشفاعة الحسنة، فعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»(٣).

ولا تقتصر النصرة على الأعمال المادية التي يشعر بها المنصور، فقد تكون بالكلمة الطيبة، أو بالدعاء، أو بمجرد التألم والحزن على ما يصيب الشخص من أذى أو مكروه، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»(٤)، فالمسلم حين يعجز عن نصرة المظلوم ورفع الظلم عنه وردِّ الحقوق إليه فلا يعجز كلمة طيبة يواسيه بها تخفيفًا عنه وتسلية له، ويأتي هنا دور الإعلام في تصعيد مواقف المظلومين والعمل كحائط صدٍّ للدفاع عنها، وأقصد بالإعلام أي المرئي والمسموع على اختلاف

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه، حديث رقم: (٢٣١٠)، ٢/ ٨٦٢. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: (٢٥٨٠)، ٤/ ١٩٩٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: (٥١٦٢)، ٥/ ٢٢٨. وأبو نعيم في حلية الأولياء، ٦/ ١١٥. والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: (٧٦٦٢)، ٦/ ١١٧. وقال الحافظ المُناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٢٨) عن إسناد هذا الحديث: "حسن". وقال الإمام المُنْذِري في: «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٦٣): "ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنًا".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: (١٣٦٥)، ٢/ ٥٢٠. ونحوه في صحيح مسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، حديث رقم: (٢٦٢٧)، ٤/ ٢٠٢٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضائل حسان بن ثابت ﷺ، حديث رقم: (٢٤٩٠)، ٤/ ١٩٣٥.

أنواعها، فله دور في تغذية شعور المظلوم بأن له من يشاطره أحزانه ويسعى لحلها، وكم مِن قضايا وقف الإعلام فيها كموقف المحامي أمام القاضي في ساحة المحكمة، وكان عاملا هامًّا في إعطاء المظلوم حقه من الظالم، وردع الظالم من أن تُسَوِّل له نفسُه إيقاع الظلم بالغير، والواقع خير دليل على هذا.

كما أن المسلم حين يسعى لنصرة الغير ولا يقدر فلا يعجز أيضًا عن دعوة صادقة في مكان أو زمان يستجاب فيه الدعاء، ولا سيما وأن الدعاء سلاح المؤمن؛ ففي الحديث: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»(١).

وقد وعد الله بالإجابة لمن دعاه؛ فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾(٤).

وخلاصة القول: إن نصرة الغير واجبة ما أمكن إلى ذلك سبيلًا، وفي حدود المتاح والمباح، والله تعالى أعلم.

***

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٨١٢)، ١/ ٦٦٩. وقال: "هذا حديث صحيح". وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

[١٥] (قيمة الحلم)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الحلم)، وتستخلص مباشرة من اسمه تعالى: (الحليم)، كما تستخلص بالواسطة من أسمائه تعالى: (الرحمن والرحيم، والعفو، واللطيف). وفيما يلي بيان هذه القيمة، وآثارها وتطبيقاتها.

أولاً: المراد بقيمة الحلم:

في اللغة: تكاد تتفق المعاجم اللغوية على أن مادة (حلم) تدل على ترك العجلة في الأمر، والحِلم: خلاف الطيش، وهو الأناة والعقل. وقد حَلُمَ الرجلُ يَحْلُمُ فهو حليم(١).

ويَفْرِقُ أبو هلال العسكري(٢) بين مفهوم الحلم وبين ما يشبهه من المفاهيم، فيفرق بين الحلم والإمهال بأن كل حلم إمهال وَلَيْسَ كل إمهال حلمًا؛ لِأَن تَعَالَى لَو أمْهل من أَخذه لم يكن هَذَا الإمهال حلمًا لِأَن الْحلم صفة مدح والإمهال على هَذَا الْوَجْه مَذْمُوم، وَإِذا كَانَ الْأَخْذ والإمهال سَوَاء فِي الاستصلاح، فالإمهال تفضل والانتقام عدل، وَيفرق بَين الْحلم والإمهال من وَجه آخر وَهُوَ أَن الْحلم لَا يكون إِلَّا عَن الْمُسْتَحق للانتقام، وَلَيْسَ كَذَلِك الْإِمْهَال، أَلا ترى أَنَّك تمهل غريمك إِلَى مُدَّة وَلَا يكون ذَلِك مِنْك حلمًا، وَقَالَ بَعضهم: لَا يجوز أَن يُمْهل أحد غَيره فِي وَقت إِلَّا ليأخذه فِي وَقت آخر.

ويَذكُر في الفرق بين الحلم والأناة أَن الأناة هِيَ البطء فِي الْحَرَكَة وَفِي مقاربة الخطو فِي المشي وَلِهَذَا يُقَال للْمَرْأَة البدينة أَنَاة، وَيكون المُرَاد بهَا فِي صِفَات الرِّجَال المتمهل فِي تَدْبِير الْأُمُور ومفارقة

---

(١) تُراجع مادة (حلم) في: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ٣/٢٤٦، ٢٤٧. ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٩٣. ولسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ١٤٦.

(٢) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد، أبو هلال، العسكري -نسبة إلى عَسْكَر مُكْرَم من كور الأَهْوَاز توفي سنة ٣٩٥هـ. من تصانيفه: «المحاسن» في تفسير القرآن، و«الحث على طلب العلم»، و«التلخيص»، و«جمهرة الأمثال»، و كتاب «الصناعيتن».

[راجع: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٩١٨/٢)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٥٠٦/١)].

التَّعْجِيل فِيهَا كأنه يقاربها مقاربة لَطِيفَة من قَوْلك أَنى الشَّيْء إِذا قرب، وتأنى أَي تمهل ليَأْخُذ الْأَمر من قرب(١).

في الاصطلاح: ذكروا عدة تعريفات للحلم؛ يقول الراغب الأصفهاني: "الحلم: إمساك النفس عن هيجان الغضب، والتحلم: إمساكها عن قضاء الوطر منه إذا هاج. ومتى أطلق الحلم في حق الباري تعالى فإنه يراد به العمل بمقتضاه، وهو العفو دون انفعال بعرض له، ولن يتم حلم الإنسان إلا بإمساك الجوارح كلها، اليد عن البطش، واللسان عن الفحش، والسمع عن استماعه، والعين عن فضول النظر، وأقرب لفظ يستعمل في ضد الحلم التذمر"(٢).

وقال الشريف الجرجاني: "الحلم: هو الطمأنينة عند سَوْرة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم"(٣).

وقيل في تعريفه أيضًا أنه: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، أو: احتمال الأذى من الأدنى، وهو يرجع إلى الأول؛ لأن من احتمل الأذى ممن دونه مع القدرة عليه فقد ضبط نفسه عند الغضب. ولا يسمى المرء حليمًا إلا إذا كان ذلك طبعًا لا تكلفًا، وقد وصف الله به سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(٤)، وكما قال في ولده: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.(٥).

ويتبين من المعاني الاصطلاحية المذكورة أن الحلم اللغوي أعم من الاصطلاحي، فالتعاريف الاصطلاحية تُعنَى بجانب ضبط النفس عند الغضب، وكفها عن الثأر، وهذا أحد أفراد التأني وعدم العجلة الذي هو المعنى اللغوي للحلم.

---

(١) يُراجع: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ص: ٢٠١، ٢٠٢. ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
(٢) يُراجع: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص: ٢٤١.
(٣) يُراجع: التعريفات للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص: ١٢٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٤.
(٥) يُراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد السلمان، ٤/ ٢٠٣. والآية رقم: ١٠١ من سورة الصافات.

ثانيًا: الحلم في النصوص الشرعية:

الحلم قيمة محمودة شرعًا وعقلا، فالعقل السليم يدرك خطر الاندفاع وراء العواطف والغرائز، أو وراء الانفعالات والشهوات، أو وراء كل ما يميل بصاحبه نحو الجنوح والانحراف. كما أنه يعلم فضيلة التأني والتريث، وضبط النفس وعدم العجلة، وما وراء ذلك من منافع جمة، ومقاصد مهمة.

وأما في الشرع، فيكفي الحلم فضيلة أن يتصف الله تعالى به ويتسمى به، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالحليم اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العلا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(١)، وفي السنة المطهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم»(٢).

وقد ورد في القرآن الكريم ما يُبيِّن فضل الحلم؛ فقد ذكر الحق تبارك وتعالى أن من صفات عباد الرحمن أنهم يَحْلَمُون على يجهل عليهم، ولا يقابلون السيئة بمثلها، بل يقابلونها بالخير، فقال تعالى في وصفهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾(٣).

والمعنى: أن من صفات هؤلاء القوم الذين يستحقون أن يوصفوا بأنهم عباد الرحمن: أنهم إذا تعرَّض لهم السفاء والجاهلون بسوء أدب لم يردوا عليهم بالمثل، وإنما يقابلون هذا بالحلم والكلام الطيب وإلقاء ما فيه السلام من القول، وهذا فيه من الصبر والحلم ما فيه، ونحو هذا ما جاء في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾(٤).

وقد امتدح الله رسوله عليه الصلاة والسلام على كل أخلاقه، ومنها الحلم الذي كان شامة في أخلاقه ﷺ، يظهر هذا جليًّا فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: بينا نحن في المسجد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥. وسورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الكرب، حديث رقم: (٥٩٨٥)، ٥/ ٢٣٣٦. ومسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: دعاء الكرب، حديث رقم: (٢٧٣٠)، ٤/ ٢٠٩٢، واللفظ لمسلم.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٥.

مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ»، قال أنس: فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ». قال أنس: وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فَشَنَّهُ عليه(١).

والحلم من أخلاق أنبياء الله تعالى عليهم جميعًا الصلاة والسلام؛ ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبيًّا من الأنبياء صلوات الله عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»(٢).

قال الإمام النووي: "فيه: ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا ﷺ مثل هذا يوم أحد"(٣).

والحلم صفة يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ، كما جاء في قصة وفد عبد القيس؛ ففي السنن عن أحد الصحابة الذين كانوا في هذا الوفد يقول: لمَّا قَدِمْنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عَيْبَتَه(٤)، فلبس ثوبيه ثم أتى النبي ﷺ فقال له ﷺ:

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، حديث رقم: (٥٦٧٩)، ٥/ ٢٢٤٢. ومسلم، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، حديث رقم: (٢٨٥)، ١/ ٢٣٦. واللفظ لمسلم. وقولهم: "مه، مه": كلمة زجر، معناها: اسكت. وتُقال مكررة: مه مه، وتُقال مفردة: مه. ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُزْرِمُوهُ» أي: لا تقطعوا عليه بوله. ومعنى قول أنس "فَشَنَّه": أي صبَّه.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، حديث رقم: (٣٢٩٠)، ٣/ ١٢٨٢. ومسلم في كتاب: الجهد والسير، باب: غزوة أحد، حديث رقم: (١٧٩٢)، ٣/ ١٤١٧.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٢/ ١٥٠.

(٤) أي: مستودع الثياب والمكان الذي تحفظ فيه.

«إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ(١) يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» قال يارسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله(٢).

وترك العجلة في الأمور وضبط النفس وعدم المسارعة في الغضب من وصايا النبي ﷺ لأحد أصحابه؛ فعن أَبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»(٣).

وتتجسد قيمة الحلم في تصرفه ﷺ مع من آذوه في ثقيف، حيث عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين فقال ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٤).

ويحكي لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وأرضاه أحد مواقف الحلم النبوي حين يقول: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء(٥).

---

(١) هكذا بفتح الخاء -كما في لسان العرب لابن منظور-، قال: "الخَلَّةُ الْخَصْلَةُ. وَفِي التَّهْذِيبِ: يُقَالُ فِيهِ خَلَّة صَالِحَةٌ وخَلَّة سَيِّئَةٌ، والجمعُ خِلال. وَيُقَالُ: فُلَانٌ كَرِيمُ الخِلال وَلَئِيمُ الخِلال، وَهِيَ الخِصال" اه بتصرف، مادة: (خلل)، ١١/ ٢١٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، بَابٌ فِي قُبْلَةِ الرِّجْلِ، حديث رقم: (٥٢٢٥)، ٢/ ٧٧٨. وأصله في الصحيح؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأشج -أشج عبد القيس-: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ». كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حديث رقم: (١٧)، ١/ ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم: (٥٧٦٥)، ٥/ ٢٢٦٧.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (٣٠٥٩)، ٣/ ١١٨٠. ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: (١٧٩٥)، ٣/ ١٤٢٠.

(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم: (٢٩٨٠)، ٣/ ١١٤٨. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من يسأل بفحش وغلظة، حديث رقم: (١٠٥٧)، ٢/ ٧٣٠.

ويضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في تعليم الناس والحلم بهم وعدم الغلظة في التعامل معهم، فيروي لنا معاوية بن الحكم[(١)] رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاه ما شأنكم تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيدهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[(٢)].

وبهذا العرض السابق للآيات والأحاديث الواردة في الحلم يتبين لنا مكانة هذه القيمة؛ "فقد سمَّى الله نفسه الحليم في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، وذكر الحلم كصفة فعل له في نحو عشرين موضعًا، واقترن الحلم بالغفر والغنى والشكر في أكثر من موضع من القرآن الكريم"[(٣)].

ثالثًا: التطبيقات والآثار والفوائد:

القيمة الأخلاقية المستفادة هنا هي قيمة الحلم، وهو قيمة رفيعة تبعد بنا عن السفه والطيش اللذين في حقيقتهما نقيضان للحلم والتروي، وتستخلص هذه القيمة بصورة مباشرة من اسمه تعالى الحليم، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[(٤)]، ومعناه في حقه تعالى -كما قال الإمام أبو حامد الغزالي-: "هو الذي يُشَاهِد معصية العصاة ويرى مُخَالفَة الأَمر ثم لا يستفزه غضب ولا يَعْتَرِيه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[(٥)].. ثم قال رحمه الله تعالى وهو يربط بين

---

(١) هو: معاوية بن الحكم السلمي: صحابي.

[راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٦/١١٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (٤/٤٣١)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم: (٥٣٧)، ١/ ٣٨١.

(٣) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ: عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٧٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

اسمه تعالى الحليم وسلوك العباد: "وحَظُّ العَبْد من وصف الحليم ظاهر، فالحلم من محاسن خصال العباد وذلك مستغن عن الشَّرْح والإطناب"(١).

وفي حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين: "الحليم هو الذي لا يعجل بالانتقام، وكيف يعجل من لا يخاف الفوت. وقيل معناه: من كان صفاحًا عن الذنوب ستارًا للعيوب. وقيل: هو الذي يحفظ الود ويحسن العهد وينجز الوعد. وقيل: هو لا يستخفه عصيان عاص ولا يستفزه طغيان طاغ. وقيل: هو الذي يحلم على عباده ويتجاوز عن سيئاتهم.. ثم قال: وحظ العبد منه أن يتخلق بالحلم ويحمل نفسه على كظم الغيظ وإطفاء نار الغضب بالحلم"(٢).

فالحلم للإنسان أناة وتثبت في الأمر، وضبط النفس وكظم الغيظ، فالحليم هو الذي لا يستفزه الغضب، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يتريث، ويتصرف على وفق مقتضيات الحكمة. وليس معنى الحلم التباطؤ والكسل، وإنما هو وسط بين طرفين، وفضيلة بين رذيلتين، فإذا زاد عن حدُّه كان توانيًا وإهمالًا أو تبلُّدَ طبع، وانعدامه أو ضعفه عجلة وطيش وسرعة غضب، والأصل هو القصد والاعتدال.

وقيمة الحلم تكمن في معرفة الغضب، فشرط القدرة على أداء الحلم في مواقف الإساءة والغضب يصبح شرطًا لوجود الحلم والسمو بقيمة الحلم ذاتها، وذلك لأن العاجز يكف غضبه لأنه يخاف من مقابلة الإساءة له لافتقاده إلى القدرة أو أن الجبن يسطير عليه أو للسببين معًا(٣).

وفي سبيل وأد الإسلام لمكامن الغضب وإفساحه الطريق الممهدة لأسباب الحلم نبَّه الإسلام على عدة أشياء إيجابية وسلبية، فحثَّ حثًّا أكيدًا على الابتعاد عن المشاحنات السفيهة وتبادل السباب بين المتخاصمين، ليس هذا فحسب بل أرشد إلى مسلك أنبل من ذلك وأرضى لله وأدل على العظمة والمروءة، وهو أن يكظم الإنسان غضبه فلا ينفجر، وأن يقبض يده فلا يقتص، وأن يجعل عفوه على المسيء من شكر الله الذي أقدره على أن يأخذ بحقه إذا شاء.

---

(١) يُراجع: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٩٤.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٦٩٦.

(٣) يُراجع: أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ: عبد العظيم إبراهيم فرج، ص: ١٧٤.

وقد جعل النبي ﷺ هذا من علامات قوة المرء لا ضعفه وخضوعه واستسلامه فقال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(١).

والإنسان في حياته اليومية قد يتعرض لمواقف تُسْتَثَار فيها أعصابه، وهو في هذه الحالة إما أن يفقد أعصابه ويثور وهذا يؤدي إلى كثير من السلبيات، للشخص نفسه، وفي علاقته مع الآخرين، ولكن عليه أن يكون حليمًا فلا يستجيب لاستثارة أعصابه أو لاستدراج الآخرين لإغضابه، والأسلوب الأنسب والأنجح لتلافي ذلك هو تذكُّر فضل الحلم وتطبيقه عمليًّا. وهذا يكون بتطبيق التوجيه النبوي؛ فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»(٢).

وعلينا أن نتذكر أنه على قدر ما يضبط المسلم نفسه ويكظم غيظه ويملك قوله ويتجاوز عن الهفوات تكون منزلته عند الله، لذا ينبغي تغليب الحلم على الغضب؛ لأن فيه سدًّا لأبواب الشر، ومنع لكثير من المنازعات التي تحدث بين الناس، وقد جعل القرآن الكريم هذه الشمائل -من حلم وصفح وغير ذلك- طريق الفلاح التي تسرع بصاحبها إلى جنات العلا، وجعلها أيضًا من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾(٣).

قال الإمام الطاهر بن عاشور: "كظم الغيظ: إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كَظَمَ الْقِرْبَةَ إِذَا مَلَأَهَا وَأَمْسَكَ فَمَهَا، فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، ولا شك أن أقوى القوى تأثيرًا على النفس القوة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم: (٥٧٦٣)، ٥/ ٢٢٦٧. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: (٢٦٠٩)، ٤/ ٢٠١٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم: (٢١٣٨٦)، ٥/ ١٥٢. قال الحافظ زين الدين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء عن إسناد هذا الحديث: "جيد". اهـ. [يُراجع: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ١٠٧٠].

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

الامتلاء منها، دلَّ ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة"[١].

***

(١) التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٤/ ٩١ بتصرف.

[١٦] (قيمة البِرِّ)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة البر)، وتستنبط مباشرة من اسمه تعالى: (البرِّ)، كما تستنبط بواسطة من أسمائه تعالى: (الرحمن والرحيم، والرءوف، والودود، واللطيف) وغيرها. وفيما يلي بيان هذه القيمة، وآثارها وتطبيقاتها.

أولا: تعريف البر:

في اللغة: البِرُّ مصدر للفعل الثلاثي المتعدي (برَّ)، تقول: برَّ يبر برًا، ومادة (برر) تدل على معان، **منها**: الصدق، تقول: بَرَّتْ يَمِينُه، أي: صَدَقَتْ، وأَبَرَّها اللَّهُ، أي: امضاها على الصِّدْق، وأَبْرَرْتُ يميني إبرارًا[(١)].

ومنها: الصلاح والخير، ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَن نَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(٢)]، يعني حتى تبلغوا في الصدقة ما تحبون، ومنه قيل الْحَجُّ الْمَبْرُورُ أي الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ الْمَأْثَمِ، وَالْبَيْعُ الْمَبْرُورُ الَّذِي لَا شُبْهَةَ فِيهِ وَلَا كَذِبَ وَلَا خِيَانَةَ[(٣)].

ومنها: الصلة، تقول: برَّ رحمه أي وصلها.

ومنها: الطاعة، تقول: برَّ فلان ربه أي أطاعه، ومنه قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[(٤)]، أراد بالبر الطاعة وترك المعصية، وقال في سورة مريم: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾[(٥)]، ومثلها في قصة سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾[(٦)]، أي مطيعًا لوالدتي، ومنه قوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[(٧)].

---

(١) تُراجع مادة (برر) في: العين، للخليل بن أحمد، ، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ٨/ ٢٥٩. ولسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٥١. وتاج العروس، للمرتضى الزبيدي، ١٠/ ١٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) يُراجع: المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح المُطَرِّزِىّ، مادة: (برر)، ص: ٤٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٤.

(٦) سورة مريم، الآية: ٣٢.

(٧) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، حديث رقم: (١٨٤٤)، ٢/ ٦٨٧. ومسلم في كتاب: الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في =

وقد سمَّى الله نفسه: (البَرّ)، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)، يقول ابن الأثير: في بيان معناه: "هو العطوف على عباده ببره ولطفه، والبر والبار بمعنى، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البر دون البار. والبِر بالكسر: الإحسان. ومنه الحديث في بر الوالدين، وهو في حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم. يُقال: بَرَّ يَبَرُّ فَهُوَ بَارّ، وجمعه: بررة، وجمع البَر: أبرار، وهو كثيرًا ما يُخَص بالأولياء والزهاد والعباد"(٢).

في الاصطلاح: يكاد يقترب المعنى الاصطلاحي للبر من المعنى اللغوي، فمن الاستقراء وجدت أن من عرَّف البر إنما عرَّفه بالمعنى اللغوي، فقد عرفه بعض المفسرين بانه اسم جامع للطاعات ولكل عمل خير وفعل مُرْضٍ(٣).

يقول الإمام النووي عند شرحه حديث: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»(٤): "قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق"(٥).

ويقول الإمام الفخر الرازي: "البر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقرِّبة إلى الله تعالى، ومن هذا بر الوالدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ (٦)، فجعل البر ضد

=

شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر، حديث رقم: (١١١٥)، ٢/ ٧٨٦، واللفظ للبخاري.

(١) سورة الطور، الآية: ٢٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ١/ ١١٦.

(٣) يُنظر: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١/ ٢٠٣. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ١٢١، وتفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ١٥٣، وتفسير الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ١/ ١٠٥، وغيرهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، حديث رقم: (٢٥٥٣)، ٤/ ١٩٨٠.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١١١.

(٦) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

الفجور، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (١)، فجعل البر ضد الإثم، فدل على أنه اسم جامع لجميع ما يؤجر عليه الإنسان"(٢).

فالمعنى اللغوي على ذلك مساو للمعنى الاصطلاحي، وهو واضح من استعمال العلماء للبر، ولكن ثمَّ معان آخر تقترب من قيمة البر لكنها تفترق عنها، ومن تلك المعاني: الإحسان، يقول الراغب في مادة (حسن): "الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى. والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، يقال رجل حسن وحسان وامرأة حسناء وحسانة، وأكثر ما جاء في القرآن من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾(٣)، أي: الأبعد عن الشبهة، وقوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٤) أي: كلمة حسنة.

والإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، يقال أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا، وعلى هذا قول أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ: "الناس أبناء ما يحسنون" أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة"(٥).

فالبر هو التوسع في فعل الخير فيشمل الإحسان وزيادة، وهذه الزيادة قد تكون: صدق المقصد، أو دوام العطاء، وهذا ما هو كائن في الأنبياء دون غيرهم من آحاد البشر، فقد يُحْسِن بعضنا إلى بعض لهدف دنيوي، في هذه الحال نقول: أحسن إلى فلان ولا نقول بَرَّ به، وهو ما يفهم من عبارة الراغب عندما قال: "الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه"(٦).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ٥/ ٣٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: (حسن)، ص: ١١٩.

(٦) المرجع السابق، ص: ١١٨.

ويقول أبو هلال العسكري في «الفروق»: "اللطف هو البر وجميل الفعل من قولك: فلان يبرني ويلطف بي، ويسمى الله تعالى لطيفًا من هذا الوجه أيضًا لأنه يواصل نعمه إلى عباده"(١). وهذا فرق دقيق؛ حيث إن البار يواصل برَّه بخلاف المحسن الذي قد يصدق ولو مرة واحدة. فمن الممكن القول إن كل بر إحسان وليس كل إحسان بر.

ثانيًا: البر في النصوص الشرعية:

كثرت معاني البر في القرآن الكريم وتصريفات هذه الكلمة، فالبر يأتي في القرآن على أوجه لكل وجه معناه؛ فالبَر بالفتح قد يأتي بمعنى اللطيف، ومنه سمى الله تعالى نفسه بالبر، وقد يكون البر بمعنى البار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ (٢)، وقد يكون بمعنى الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾(٣).

أما البِر بالكسر فقد يأتي بمعنى الطاعة أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ (٤)، وقد يأتي بمعنى صلة الرحم، كما في قوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾(٥)، وقد تأتي بمعنى تصديق اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾(٦).

أما الأحاديث النبوية: فمن الممكن أن نُقسِّم أعمال البر فيها إلى جزأين، أولهما: الإحسان إلى الخلق، والثاني: الإتيان بآداب الشريعة كلها من الطاعات والتقرب إلى الله تعالى بكافة القربات، وقد بيَّن النبي ﷺ معنى البر فقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»(٧)، وقد فسَّر العلماء ذلك على معنيين:

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ص: ٢١٨. ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٢) سورة مريم: ١٤.

(٣) سورة عبس: ١٦.

(٤) سورة البقرة: ١٧٧.

(٥) سورة الممتحنة: ٨.

(٦) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٥٣).

المعنى الأول: أن البر هو الإحسان إلى الخَلْق، وحسن معاملتهم، ونقل الجميل من القول والفعل إليهم، وأن يقوم بما يكون سببًا لصلاحهم من الكلام الحسن والفعل الحسن والوجه الحسن وطيب كلامك وطلاقة الوجه ونحو ذلك، شريطة أن يكون ذلك على الرضا والمحبة وانشراح الصدر، وذلك قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: "البر شيء هين، وجه طلق وكلام ليّن"(١).

ومن ذلك القِسْم برُّ الوالدين، وفي الحديث سُئِل النبيُّ ﷺ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ»(٢).

والمعنى الثاني: أن البر الإتيان بآداب الشريعة من أولها إلى آخرها، والدليل على ذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح تصف خلق النبي ﷺ؛ فقد قدم عليها لمَّا حكيم بن أفلح وسعد بن هشام بن عامر فسألها حكيم فقال يا أم المؤمنين: أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قلت: بلى، قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»(٣)، فلما كان القرآن جامعًا لآداب الشريعة من أولها إلى آخرها، وكان ﷺ متأدباً بآدابه في الأوامر والنواهي، والاعتقادات والمعاملات، والأخلاق والسلوك، فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، فكان إتيانه ﷺ لهذه الآداب القرآنية هو حسن الخلق الذي هو البر.

وهناك مزيد من صور البر والنصوص الشرعية الوارد فيها البر سنتناوله بالتفصيل في الكلام على التطبيقات.

---

(١) أورده البيهقي في شعب الإيمان هكذا موقوفًا على ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، رقم (٨٠٥٩)، ٦/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب: بر الوالدين، حديث رقم (١٨٩٧)، ٤/ ٣٠٩. وقال: "هذا حديث حسن". وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٢٤٢)، ٤/ ١٦٦. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه، على شرطهما". وقال رحمه الله تعالى أيضًا: "ثم وجدنا لهذا الحديث شواهد". علَّق الحافظ الذهبي في «التلخيص» بقوله: "صحيح ".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مَرِضَ، حديث رقم: (٧٤٦)، ١/ ٥١٢.

ثالثًا: التطبيقات والفوائد والآثار:

القيمة المستخلصة هنا هي (البِرُّ)، وتستنبط مباشرة من اسمه تعالى: (البَرِّ)؛ ومن آداب من عرف أن ربه تعالى هو (البَرِّ): أن يكون حسن الخلق، لا ينطوي قلبه إلا على الإخلاص والمودة ومحبة الخير للناس. وأولى الناس بالبر: الوالدان وأولو الأرحام وأهل الجوار[1].

والبر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله، والتي يسعى المسلم عند القيام بها إلى الكمال، وهو تصور وشعور وأعمال وسلوك، وليس مجرد مظاهر وصور وأشكال بل إحسان يقارنه ويبعث عليه حب الله وحب الخير للناس[2].

وقد تحدثت آية جامعة في سورة البقرة عن البر وأنواعه، قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[3].

ومن خلال ما ورد في هذه الآية فيمكن تقسيم البر من حيث نوعه إلى بر الإيمان، وبر العمل، وبر الخُلق.

فبر الإيمان هو النوع الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾، فلا يكمل الإيمان والإسلام حتى يؤتى بها كلها، وكذلك لا يكمل البر بدونها.

وبر العمل هو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

---

(١) الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، للأستاذ/ رياض أدهمي، ص: ١٢٨ بتصرف.

(٢) تُراجع: البر في القرآن الكريم، دراسة موضوعية (رسالة ماجستير)، للباحثة: هناء عبد الله سليمان، ص: ٤٢، كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

فمن البر: إيتاء المال المحبوب لدى المرء، بأن يؤتيه أولي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأن يعم هذه الأنواع كلها بالإحسان إليها، ولهذا قال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِى مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِى أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ وَعِنْدِى مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»(١)، وقد حث الشرع على الصدقة، وأمر النبي ﷺ بلالا ؓ بالإنفاق فقال: «أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»(٢)، في الصحيح عن أبي هريرة ؓ، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»(٣).

ذكر العلماء في بيان معنى قوله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» وجهين؛ أحدهما: أن معناه أنه يُبَارَكُ فيه ويَدْفَعُ عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني: أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة(٤)

وقد ذكر الله تعالى بعد ذلك الصبر، كما قال: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾(٥)، ليُفْهَم معنى الإنفاق على الحب؛ فإنه لا يصبر على نفسه وعلى حبه للمال وأن يدفعه وأن يبذله إلا هؤلاء الصابرون الذين ذكرهم الله تعالى، فإن الشح أصيل في النفوس، وأكثر ما يصيب المرء أن يبذل ماله، وأن غيره سيستفيد به، لذا حصل المدح لهؤلاء الذين ينفقون المال طاعة لله وبرًّا لغيرهم برغم حبهم الطبعي له وكرههم لبذله.

وبر الأخلاق: كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾، وهذا القسم هو أوسع الأقسام ويدخل تحته من الصور والتطبيقات ما لا يحصى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٢٥٩)، عن أبي هريرة ؓ، ونحوه في صحيح مسلم، (٩٩١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الاوسط، حديث رقم (٢٥٧٢)، ٣/ ٨٦. وقال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ١٢٦ عن إسناده: "حسن". قريب منه ما جاء في الصحيحين من كلام رب العزة سبحانه وتعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .. » صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة هود، حديث رقم: (٤٤٠٧)، ٤/ ١٧٢٤. ونحوه في صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٩٩٣)، ٢/ ٦٩٠. ومعنى (سَحَّاء): أي دائمة العطاء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: (٢٥٨٨)، ٤/ ٢٠٠١.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٤١.

(٥) سورة الحج: ٣٥.

يقول العلامة الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين بعده شرح اسمه تعالى (البر) وبيان معناه: "وحظ العبد منه أن يكون مشتغلًا بأعمال البر واستباق الخيرات، وأن لا يضمر الشر، ولا يؤذي أحدًا"(١).

وألصق شيء بهذا النوع وآكده: بر الوالدين، وكفى بمقام البر بالوالدين أن قرن الله برهما بعبادته في القرآن الكريم، ثم بر ذي القربى، والزوجة، والجار، وابن السبيل، وبر اليتامى، بل إن البر يتعدى لغير المسلم ما دام أنه لم يعتد، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾(٢).

ومن هذا النوع أيضًا: صنائع المعروف: يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٣)، يقول ابن القيم: "اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضًا وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله، وواجب بينه وبين الخلق، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونًا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله"(٤).

وقد رسم النبي ﷺ الدعوة إلى ذلك واضحة في عدة أحاديث، منها قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»(٥)، وقوله ﷺ أيضًا: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ

---

(١) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٧٠٢.

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٤) زاد المهاجر إلى ربه، للإمام ابن القيم، تحقيق: د/ محمد جميل غازي، ص: ٦، ٧.

(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم، حديث رقم: (٢٣١٤)، ٢/ ٨٦٣. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٥)، ٤/١٩٩٩.

الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١)، وقوله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»(٢).

وفلسفة قضاء حوائج الناس وجعلها من البر: أن الله تعالى خلق الخلق وكان من سننه الكونية فيهم أنه فاضل بينهم في الشرف والجاه، والعلم والعبادة، والغنى والسلطان، وسخَّر بعضهم لبعض ليتحقق الاستخلاف وتعمير الأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٤)، ففي شكوى الفقير ابتلاء للغني، وفي انكسار الضعيف امتحان للقوي، وفي حاجة الملهوف اختبار لذوي الجاه والسلطان؛ ولذلك كان من السنن الشرعية ومحبوبات الدين الحث على قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وبذل الشفاعات.

فنحن أبناء الأمة الواحدة، يتألم أحدنا لألم الآخر، يشاطر بعضنا بعضًا الأفراح والأحزان.

وإذا تعددت صور العمل وكثرت فلا ريب في عظم الثواب عليه، والبر من ذلك، فهو سبب من أسباب الألفة لأنه يوصل إلى القلوب ألطافًا، ويثنيها محبة وانعطافًا، ولذلك ندب الله إلى التعاون والتآزر والتآخي فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٥)، ففي التَّقْوَى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت له السعادة والنعمة.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨. ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: (١٣)، ١/ ١٤. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: (٤٥)، ١/ ٦٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

[١٧] (قيمة السلام)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى (قيمة السلام)، وتستخلص من اسمه تعالى: (السلام). وفيما يلي بيان هذه القيمة، وآثارها وتطبيقاتها.

أولًا: المراد بقيمة السلام:

في اللغة: السلام في اللغة مصدر من الفعل (سلم)، وهذه المادة تأتي على معان: منها: الصحة والعافية؛ يقول ابن فارس: "السين واللام والميم: معظم بابه من الصحة والعافية؛ ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل. فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قال الله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾(١)، فالسلام الله جل ثناؤه، وداره الجنة. ومن الباب أيضًا الإسلام وهو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع. والسلام: المسالمة، والسُلَّم معروف، وهو من السلامة أيضًا؛ لأن النازل عليه يرجى له السلامة. ومن الباب الأول السَّلْم وهو الصلح، وقد يؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾"(٢).

ومن المعاني أيضًا: البراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(٣)، أي: تسلمًا وبراءة لا خير بيننا وبينكم ولا شر. وقوله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾(٤)، أي لا داء فيها، ولا يستطيع الشيطان أن يصنع فيها شيئًا.

ومنها: التحية، ومنه استحباب إلقاء السلام، أي تحية الإسلام(٥).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٢) تُراجع مادة (سلم) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٣/ ٩١. والآية رقم: ٦١ من سورة الأنفال.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٤) سورة القدر، الآية: ٥.

(٥) تُراجع مادة (سلم) في: لسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٢٨٩. وتهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ١٢/ ٣١٠، ٣١١. وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ٧/ ٢٦٥. وجمهرة اللغة للأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ٢/ ٨٥٨، ٨٥٩. وتاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٣٢/ ٣٧٠.

في الاصطلاح: السلام من القيم التي تختلف معناها باختلاف مجال تطبيقها، فلم أجد تعريفًا بالحد جامعًا لكل أفراد قيمة السلام، بل المتاح هو التعريف بالمثال، ولعدم تكرار الكلام سأرجئ التعاريف إلى حين الحديث عن تطبيقات قيمة السلام وفوائدها وآثارها.

ثانيًا: السلام في النصوص الشرعية:

ذكر الإمام ابن الجوزي أن لفظ «السلام» ورد في القرآن الكريم على خمسة أوجه[1]:

أحدها: اسم من أسماء الله عز وجل، ومنه قوله تعالى: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[2]، وقوله: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[4].

والثاني: التحية المعروفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾[5]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾[6].

والثالث: السلامة من كل شر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾[7]، وقوله: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾[8].

والرابع: الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾[9]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[10].

والخامس: الثناء الجميل، ومنه قوله تعالى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[11].

---

(١) يُنظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ص: ٣٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(٧) سورة هود، الآية: ٤٨.

(٨) سورة الحجر، الآية: ٤٦.

(٩) سورة هود، الآية: ٦٩.

(١٠) سورة مريم، الآية: ٤٧.

(١١) سورة الصافات، الآية: ١٨١.

وقد زِيدَ على هذه المعاني السابقة في خصوص (السلام) أو في عموم مادة (سلم): السلم بمعنى الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾(١). أي: الإسلام، على أحد أوجه التفاسير التي قيلت في ذلك(٢).

ومن المعاني أيضًا: خلوص الشيء من كل شائبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾(٣). أي: رجلًا خالصًا لرجل.

ومن معاني السلام أيضًا في القرآن الكريم: المهادنة وترك القتال، كما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾(٤).

وإذا انتقلنا إلى الأحاديث النبوية سنجدها تنحى منحى آخر في استعمالات مادة (سلم)، فبالإضافة إلى تنوع الورود كما مر في الاستعمال القرآني نجدها تتحدث عن فضائل كل نوع من أنواع السلام، فعلى سبيل المثال: السلام بمعنى التحية المعروفة لم تكتف الأحاديث بمجرد التدليل على وجود السلام بهذا المعنى في الشرع، بل نبَّهت أيضًا على فضليته، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٥).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٢) يُراجع تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ١٧٥. وتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١/ ١٣٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم: (٥٤)، ١/ ٧٤.

(٦) متفق عليه؛ أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام في الإسلام، حديث رقم (١٢)، ١/ ١٣. ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم: (٣٩)، ١/ ٦٥.

ونحو ذلك نجده في الاستعمالات الأخرى لمادة: (سلم)، ففي سبيل أن يكون المسلم سالمًا من الشرور يروي لنا علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي اخْتِلَافٌ، أَوْ أَمْرٌ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السِّلْمَ فَافْعَلْ»[1].

وعن كف الأذى عن الغير يحدثنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2]. وكل الأحاديث التي وردت في ترفُّع المسلم عن النقائص وتحلِّيه بالفضائل وإرادة الشر يصح جعلها مثالًا من السنة النبوية على السلام، لكنه من السلام المعنوي لا اللفظي كما لا يخفى، وبيان ذلك سيأتي.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

قيمة السلام مأخوذة من محاكاة اسمه تعالى: (السلام)، ويعتقد المسلمون أن السلام قضية متكاملة تحيطهم من كل جانب، فهم يؤمنون بأن السلام اسم خالقهم سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3]. كما يؤمنون بأن طُرق ربهم هي طرق السلام، وأن الله يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام، يؤمنون أن الجنة جزاء المؤمنين يوم القيامة هي دار السلام، وموطن السلامة الأبدية من كل خوف وحزن، يؤمنون أن السلام حالة يحتاجها الإنسان في كل وقت وحين، ويشتد احتياجه لها في وقت مولده، ووقت موته، ووقت بعثه، ولذا يحكي القرآن الكريم هذا على لسان الأنبياء، ومنهم سيدنا عيسى ﷺ أنه قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (٦٩٥)، ١/ ٩٠. ط: مؤسسة قرطبة. قال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٤): "رجاله ثقات". وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند عن إسناد هذا الحديث: "صحيح". يُنظر المسند، ١/ ٤٦٩. (طبعة أخرى): ط/١: دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. عدد مجلدات الطبعة: ٢٠ مجلدًا، تحقيق الشيخ أحمد شاكر حتى المجلد الثامن، وأكمله الأستاذ: حمزة الزين.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم: (١٠)، ١/ ١٣. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم: (٤٠)، ١/ ٦٥. واللفظ للبخاري

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٣.

جاء في حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين: "السلام -في حقه تعالى-: قيل هو الذي سلمت ذاته عن الحدوث والعيب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر المحض، فيرجع معناه إلى التنزيه، ويباين القدوس باشتمال القدوس على مبالغة. وقيل معناه: المسلَّم على عباده فيرجع إلى الكلام القديم. وقيل معناه المُسلِم عبادَه من المعاطب والمهالك فيرجع إلى القدرة أو إلى أسماء الأفعال، وقيل غير ذلك.

وحظ العبد منه بالمعنى الأول أن ينزِّه نفسه عن كل لهو ولسانه عن كل لغو وقلبه عن كل غير ويأتي ربه بقلب سليم. وبالمعنى الثاني إفشاء السلام. وبالمعنى الثالث دفع المضار عن الناس "[١].

وكل معنى من هذه المعاني له فوائد وآثار تطبيقية.

فبداية: إذا كان الإسلام قد أرسى مفهوم الدين القيم وحمل ضمن أصوله اسم السلام كاسم شريف وأصل قيمي، فما ذلك إلا لتأكيد معنى السلام النفسي، بل سلام الكون في ظل شريعة أصلًا نزلت في موكب السلام، ولكي تتجرد النفس الإنسانية من نوازع الشر وإبعادها عن ظلم نفسها أو ظلم غيرها[٢].

ومظاهر ذلك في عدة مناح وأنواع شتى يجمعها السلام مع الغير والسلام مع النفس.

فالسلام مع النفس لا يتأتى إلا لمن سلم قلبه من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر، وسلمت جوارحه عن المحظورات والآثام، ولن يوصف الإنسان بالسلامة الحقيقية إلا إذا سلم المسلمون من لسانه ويده، بل أفشى السلام والأمن بين الناس. لكن كيف يكون ذلك والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، وهنا تطالعنا إجابة المنهج القيمي التي تعطينا دلالات تؤكد في معناها قيمة الطهارة وأهمية هجر الدنس ومقاومة الغواية والارتسام الحقيقي على طريق الاستقامة وصولًا للنقاء النفسي الذي ينأى بصاحبه عن الانجرار في مهاوي الرذيلة، أو الانخداع بالمعاصي.

وقد أكَّد هذا المعنى الإمام أبو حامد الغزالي حين قال: "كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد وَإِرَادَة الشَّرّ قلبه وسلمت عَن الآثام والمحظورات جوارحه وَسلم عَن الانتكاس والانعكاس

---

(١) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٨٩.

(٢) يُراجع: أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم فرج، ص: ٢٣٦.

صِفَاته فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي الله تَعَالَى بقلب سليم، وَهُوَ السَّلَام من الْعباد الْقَرِيب فِي وَصفه من السَّلَام الْمُطلق الْحق الَّذِي لَا مثنوية فِي صفته. وأعني بالانتكاس فِي صِفَاته أَن يكون عقله أَسِير شَهْوَته وغضبه، إِذْ الْحق عَكسه وَهُوَ أَن تكون الشَّهْوَة وَالْغَضَب أَسِير الْعقل وطوعه فَإِذا انعكس فقد انتكس وَلَا سَلامَة حَيْثُ يصير الْأَمِير مَأْمُورًا وَالْملك عبدًا، وَلنْ يُوصف بِالسَّلَامِ وَالْإِسْلَام إِلَّا من سلم الْمُسلمُونَ من لِسَانه وَيَده فَكيف يُوصف بِهِ من لم يسلم هُوَ من نَفسه"[١].

وزاد الإمام العز بن عبد السلام الأمر تأكيدًا حيث قال في فصل بعنوان: التخلق باسم السلام: "إن أُخذ من تسليمه على عباده، فعليك بإفشاء السلام؛ فإنه من أفضل خصال الإسلام. وإن أُخذ من السلامة من العيوب فهو كالقدوس، وإن أُخذ من الذي سلم عباده من الجور عند الحساب؛ لانتفاء الظلم عنه تعالى أصلا، فليسلم الناس من غشمك وظلمك، وضرك وشرك؛ فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٢].

والإسلام حينما يؤكد على طهارة الإنسان وسلامته فإنه بذلك يعود به إلى صالح فطرته لينعم بالأمن والسلام، ولكي يكتمل ذلك السلام النفسي في الإنسان أمر بالمجاهدة والصبر[٣].

قلت: ومرد هذا السلام النفسي إلى السلام الأخلاقي، فحينما تكون روح الإنسان صافية من الشرك والذنوب مطبوعة على المسالمة والنقاء مع حمل مشاعر الخير للجميع فقد وصل إلى درجة الكمال في السلام النفسي.

أما السلام مع الغير: فإن الإسلام بنظرته الإنسانية في أن ينعم الكل بالسلام لم يطلب من معتنقيه أن يقفوا عند سلامتهم واطمئنانهم فقط بل عليهم أن يراعوا أمان وسلام الآخرين، وأن يحافظوا عليه ويدافعوا عنه إذا ما تعرض أمنهم وسلامتهم للخطر، وهذا ما كان يوم أن أمروا بالجهاد لحماية النفس والعقيدة والمال والعرض، وهنا لابد من الإشارة إلى حقيقة وهي ورود لفظ السلام وما اشتق منه في القرآن في أربع وأربعين آية منها خمس مدنية والباقيات مكية، ولم يرد لفظ الحرب إلا في

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ٦٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح المعارف والأعمال، للإمام عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ص: ٣٢ بتصرف.

(٣) يُراجع: أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم فرج، ص: ٢٣٧ بتصرف.

ست آيات وكلها مدنية، وفي ذلك دلالة على مكانة السلام في الإسلام وأن قرار الحرب لا يأتي إلا في ظل ظروف معينة تخضع لحسابات ظرفية لا دوام فيها، ولعل مراجعة معارك المسلمين في بداية نشأة الدولة الإسلامية يدل على ذلك.

والسلام عند المسلمين ضد الحرب، وهناك دعوة صريحة واضحة في القرآن الكريم في شأن أولئك الذين يعتدون على الناس وعلى المسلمين يقول فيها القرآن الكريم: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[(١)]، فهي كالدستور في التعامل مع المعتدي في حالة إرادته كفَّ العدواة والرجوع عنها.

إذن فالمسلم لابد أن يسلم نفسه ويزكيها من كل النقائص والعيوب، كما أنه لابد أن يسلم الناس من شروره، كما مرَّ من قول النبي ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[(٢)]. فالتخلق بالسلام مع النفس ومع الأهل والناس أجمعين يحقق مراد الله على أرضه من نشر الحق والعدل والإيمان.

"والمجتمع يسلم بسلامة أفراده، وتسلم المجتمعات بسلامة كل مجتمع. وتبدأ هذه المسؤولية من سلامة قلب الفرد وجوارحه تجاه الآخرين من أبناء المجتمع الذي ينتمي إليه، ولهذا كانت مسؤوليته أكبر، فيسلموا من كل غش وحقد وحسد، وشر يصيبهم منه، وهو بهذا يكون مسلمًا"[(٣)].

ونظرة الإسلام إلى غير المسلم نظرة تكامل وتعاون، ولا يُستغرب هذا من دين يقوم على التسامح والتعاون، لذا فقد انتشر انتشارًا ملحوظًا في سنوات معدودة بين العرب واستمر عبر الأزمان يقود الإنسانية بأسرها قرونًا عدة إلى فضائل الأخلاق وتعمير الأرض.

لقد وضع الإسلام قواعد واضحة للعائلة البشرية؛ حيث أعلن أن الناس جميعًا خلقوا من نفس واحدة، مما يعني وحدة الأصل الإنساني، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (١٠)، ١/ ١٣. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم (٤٠)، ١/ ٦٥. واللفظ للبخاري

(٣) يُراجع: الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني، لصفوان محمود حنوف، ص:٩٠.

وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[١]، والناس جميعًا في نظر الإسلام هم أبناء تلك العائلة الإنسانية، وكلهم له الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز، فالإنسان مكرم في نظر القرآن الكريم، دون النظر إلى دينه أو لونه أو جنسه، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[٢].

ودستور الإسلام في التعامل مع غير المسلمين يتلخص في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾[٣]، فالآية واضحة في أننا نحن المسلمين عندما لا يريد الآخرون أن ينضموا إلى مدرسة الإسلام، فعلينا صلتهم، والعدل معهم، ومعاملتهم المعاملة الطيبة، بناءً على مبدأ الاحترام المتبادل، والعلاقات الإنسانية والمصالح المشتركة.

"والإسلام حينما شرع الجهاد كان السلام النفسي أهم هدف لخلاص الإنسان من الشرور والآثام وتجريد النفس من نوازع الشر وإعلاء كلمة الله في الأرض بسبيل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.. أي أن تشريع الجهاد جاء لسببين:

أولهما: سلامة الإنسان.

وثانيهما: نصرة العقيدة التي ينتمي إليها وحمايتها لمردودها على النفس"[٤].

فالإسلام دين سلام ولم ينتشر بالسيف والقتال، نصوصه تشهد بذلك، وتعاليمه تؤكد ذلك، وخير شاهد تقتنع به عقول غير المسلمين هو شاهد التاريخ، فإن تتبع انتشار الإسلام في أهم أقطاره تؤكد تلك الحقيقة، وتعليل ذلك أن الإسلام يعتبر السلام قضية عقائدية سلوكية تعبدية تحيط بالمسلمين في كل حياتهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) ف، الآية: ٨.

(٤) يُراجع: أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم فرج، ص: ٢٣٨ بتصرف.

والسلام مع الغير لا يقتصر فقط على عدم إلحاق الأذى بالغير، بل إن صبر المسلم على الأذى والدعاء بالسلامة للجاهل عليه من فروع السلام مع الغير، وهو سلوك قويم، وخلق عالٍ أشار إليه ربنا تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[(١)]، فهم دائمًا يعفون ويصفحون ويسالمون الناس، اقتداء بنبيهم حيث أمره ربه عز وجل بذلك فقال: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[(٢)].

ومن مظاهر السلام مع الغير: ما أمرنا به من إفشاء السلام، قال ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٣)]، وإفشاء السلام خلق يحسد اليهود المسلمين عليه، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت: بينا أنا عند النبي ﷺ إِذِ استأذن رجل مِن اليهودِ فأَذِن له فقال: السَّامُ يا محمد، فقال: النبي ﷺ: «وَعَلَيْك». فقالت عائشة: فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي ﷺ لذلك فسكت. ثم دخل آخر فقال: السَّامُ عليك. فقال: «وَعَلَيْك». فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي ﷺ لذلك. ثم دخل الثالث فقال: السَّامُ عليك. فلم أصبر حتى قلت: وعليك السَّامُ وغضب الله ولعنته إخوان القردة والخنازير أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه الله، قالت: فنظر الي فقال: «مَهْ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ»[(٤)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم: (٥٤)، ١/ ٧٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٥٠٧٣)، ٦/ ١٣٤. وابن خزيمة في صحيحه، بتحقيق: الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، حديث رقم (٥٧٤)، ١/ ٢٨٨. قال نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٢/ ١٥): "في الصَّحِيح بَعْضُهُ. رواه أحمد، وفي عليٍّ بن عاصم شيخ أحمد، وقد تُكُلِّمَ فيه بسبب كثرة الغلط والخطأ، قال أحمد: أما أنا فأُحَدِّثُ عَنْهُ، وَحَدَّثْنَا عَنْهُ، وَبَقِيَّةُ رجاله ثِقَاتٌ" اهـ. وقال الدكتور الأعظمى مُحَقِّقُ صحيح ابن خزيمة: "إسناده صحيح" اهـ.

وأنقل في الختام كلمة أخيرة في معرض السلام وهي: "إذا كنا نرى أن تعليم السلام أصبح من القضايا التي نالت اهتمام الدول المتحضرة لأهميته في سلامة البشرية ولدرء خطر الحروب المدمرة والقادمة وصولا لتشكيل المجتمع البشري حتى يصبح أكثر عدلًا وأقل عنفًا، إلا أن ذلك لا يتأتى في ظل مفهوم يستند إلى القوة وبعيدًا عن الحق وتلك العناصر القيمة التي تؤكده خصوصًا في ظل وجود أنظمة متعسفة لا تعرف عنها شيئًا، بل ولا عن السلام باعتباره أصل قيمي فما زالت مساندة الاستعمار الاستيطاني العنصري مستمرة، ونظرات الاستعلاء القومي والتعصب الديني، بل والصراع العقدي موجودة، والأدهى من ذلك والمحزن حقًّا تخلي من يتشدقون بحقوق الإنسان عن مناصرة الإنسان.

ويوم أن يعرف العالم قيمة وأهمية السلام النفسي بالنسبة للإنسان، وباعتبارها قيمة تستمد معاييرها من أصول قيمية متمثلة في الحق والعدل والإيمان والصبر، وينعكس سلوكها على الأفراد والأمم، نكون قد تعلمنا معنى السلام الكفيل بحق بصفاء القلوب ونقاء السرائر والبعد عن العداوة والبغضاء وعلمناه للآخرين.

إن موجات العنف المتلاطم في كل أرجاء العالم، والحروب المدمرة سواء الماضية أو المقبلة، تجعل من حق كل إنسان أن يعيد حساباته ويكتشف ما بقي من أرصده للقيم الحقة في ذاته، يومها نصبح على أبواب عصر نملك فيه زمامه وسلامه، وننبذ من وراءنا كل معايير القوة الزائفة والمصطنعة والانطلاق إلى آفاق رحبة من المحبة والسلام"(١).

فالله هو السلام، وديننا دين السلام، والمسلمون هم دعاة السلام، وينادون في كل المحافل الدولية في عصرنا الحديث بالسلام القائم على العدل، سَلَّمَنَا الله تعالى وَسَلَّمَ أوطاننا من كل مكروه وسوء.

***

---

(١) يُراجع: أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، للأستاذ/ عبد العظيم فرج، ص: ٢٣٩.

[١٨] (قيمة العَفْو)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة العَفْو)، وتستخلص من اسمه تعالى: (العَفُو)، كما تستخلص أيضًا من كل الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة، كـ: (الرحمن، والرحيم، والغفور، والحليم)، وسأتعرض لهذه القيمة ببيان تعريفها وورودها في النصوص الشرعية، وذكر تطبيقاتها وفوائدها، وذلك فيما يلي.

أولا: المراد بقيمة العفو:

في اللغة: مادة العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلُّ أحدهما على تركِ الشيء، والآخر على طَلَبِه. ثم يرجع إليه فروعٌ كثيرة لا تتفاوَتُ في المعنى.

فالأوّل -وهو الموافق لما هنا- العَفْو: عَفْو الله تعالى عن خَلْقه، والعَفُوُ وزنه فعُول من أبنية المبالغة مأخوذ من العَفْو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، يُقال: عَفَا يَعْفُو عَفْواً فهو عافٍ وعَفُوٌّ، وتسميته سبحانه بالعَفُو لكثرة عفوه عن عباده وتجاوزه عن سيئاتهم، وذلك بتركه إيَّاهم فلا يعاقبُهم، فَضْلاً منه. وكلُّ مَن استحقَّ عُقوبةً فتركْتَه فقد عفوتَ عنه

والأصل الآخر الذي معناه الطلب، ومنه ما قيل: إن العُفاة طلاب المعروف، وهم المُعْتَفُون أيضًا. يقال: اعتفيت فلانًا، إذا طلبت معروفه وفضله. فإن كان المعروف هو العفو فالأصلان يرجعان إلى معنى، وهو الترك؛ وذلك أن العفو هو الذي يسمح به؛ يُقال: أعطيته المال عفوًا، أي عن غير مسألة(١).

وقال ابن الأثير: أصل العفو: المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة. يقال: عفا يعفو عفوًا، فهو عافٍ وعفوٌ. والعفو: محو الذنوب، والعافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي الصحة وضد المرض. والمعافاة: هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك: أي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم. وقيل: هي مفاعلة من العفو، وهو أن يعفو عن الناس ويعفو هم عنه. وأمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، بمعنى السهل المتيسر، أي: أمره أن يحتمل

---

(١) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، د/ط، مادة: (عفو)، ٤/ ٥٦، ٥٧. ولسان العرب لابن منظور، مادة: (عفا)، ١٥/ ٧٢. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة: (عفا)، ص: ٢١٣ بتصرف.

أخلاقهم ويقبل منها ما سهل وتيسر، ولا يستقصي عليهم. وقال الجوهري: عفو المال: ما يفضل عن النفقة"[١].

وفي الاصطلاح: علي حسب ما أُتيح لي من اطلاع على تعريفات للعفو أرى أنها لا تخرج عن المعنى اللغوي السابق لمادة (ع ف و)؛ ففي «التوقيف على مهمَّات التعاريف» للمُنَاوِي: "العفو: القصد لتناول الشيء والتجاوز عن الذنب"[٢]، وقال الكفويّ في «الكلّيات» هو: "كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو"[٣].

في بيان الفرق بين العفو والغفران:

قد فُرِّق بينهما بأن العفو: ترك العقاب على الذنب، والمغفرة: تغطية الذنب بإيجاب المثوبة. ولذلك كثرت المغفرة من صفات الله تعالى دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان كما يقال: استغفر الله. وقيل: العفو: إسقاط العذاب.

والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونًا له عن عذاب الخزي والفضيحة، فإن الخلاص من عذاب النار إنما يطلب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة. فالعفو: إسقاط العذاب الجسماني. والمغفرة: إسقاط العذاب الروحاني، والتجاوز يعمهما[٤].

قال الإمام أبو حامد الغزالي: "العفو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه؛ فإن الغفران ينبئ عن الستر والعفو ينبئ عن المحو والمحو أبلغ من الستر"[٥].

ومما سبق يتضح أن العفو من الله محو السيئات والتجاوز عن الذنب، والعفو من العبد المسامحة وترك من يستوجب العقوبة، واحتمال الأذى من الناس، وهذا المعنى هو الذي عليه مدار الحديث،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ٣/ ٢٦٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: ٢٤٣.

(٣) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ص: ٥٣، ٥٩٨. بتصرف.

(٤) يُراجع: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ص: ٣٦٣. ط/١: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قُمّ)، ١٤١٢هـ.

(٥) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٢٤.

أي: في علاقة العبد بالعبد، وقد حث الإسلام على أن تكون هذه العلاقة قائمة على المسامحة والعفو والصفح.

ثانيًا: قيمة العفو في النصوص الشرعية:

وردت مادة (عفو) في القرآن والسنة في مواضع كثيرة؛ ففي القرآن الكريم ورد العفو على معان عدة، **منها:** اسم الله العَفُو، وورد في القرآن الكريم خمس مرات، اقترن باسم الله (القادر) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[1]، وجاء مقترنًا باسمه تعالى (الغفور) أربع مرات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[2]، وفي ذلك مدخل قوي لفهم العناصر القيمية لقيمة: (العفو)، فالعفو لا يكون إلا لمن يقدر عليه، وهو مفهوم (القدير)، كما أن مآل العفو المغفرة، وهو مفهوم (الغفور).

ومنها: الفضل من المال وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[3]، يعني: الفضل على أحد أوجه تفسيرها[4]. وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[5]، قيل معناه: الفضل من أموالهم أي الصَّدقات.

ومنها: العفو بمعنى الترك، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[6].

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "وقوله: إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح استثناء من عموم الأحوال، أي: إلا في حالة عفوهن أي النساء بأن يسقطن هذا النصف"[7]، وإسقاط النصف يعني تركه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٤) يُراجع: تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ١/ ٥٨٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٧) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢/ ٤٦٣.

ومنها: المعروف، كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾(١).

يقول الإمام النسفي: "قوله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾، أي: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ بالقتال"(٢)،

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(٣).

جاء في تفسير ابن كثير: "هذه الآية نزلت في الصدِّيق حين حلف ألا ينفع مِسْطَح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءةَ أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على مَن أقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه وهو مِسْطَح بن أثاثة؛ فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها وضُرب الحد عليها. وكان الصديق معروفًا بالمعروف له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلمَّا نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصدِّيق هو الصدِّيق رضي الله تعالى عنه وعن بِنْتِهِ"(٤).

ومنها: الإسقاط نحو قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡ﴾(٥)، أي: أسقط، وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٢) تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ١/ ١٢٠.
(٣) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦/ ٣١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

ومن الآيات التي فيها حث على استصحاب العفو في معاملة الناس: ما جاء في قوله تعالى في وصف عباده المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾(١).

جاء في تفسير الإمام القرطبي ما يلي: العفو عن الناس أجلّ ضروب فعل الخير، حيث يجوز للإنسان أن يعفو وحيث يتجه حقه، وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه. واختلف في معنى ﴿عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فقيل: المماليك، وهذا حسن على جهة المثال؛ إذ هم الخَدَمَة فهم يذنبون كثيرًا والقدرة عليهم متيسرة، وإنفاذ العقوبة سهل. وقيل: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: عن ظلمهم وإساءتهم. وهذا عام، وهو ظاهر الآية "(٢).

وأما السنة المطهرة فقد دلت على أهمية هذه القيمة في كثير من الأحاديث والمواقف، منها: ما جاء عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ»(٣).

وفي معنى قوله ﷺ «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا»: وجهان؛ أحدهما: أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه(٤).

ثالثًا: الفوائد والتطبيقات والآثار:

القيمة المستخلصة هنا هي: (العفو)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (العفو)، وغيره من الأسماء؛ مثل: (الرحمن، والرحيم، والغفور، والحليم).

ومن علم أن ربه هو العَفُوُ فليكن حظه من هذا الاسم (العفو) -كما لا يخفى-: أن يعفو عن كل من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنًا في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٤/ ٢٠٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: (٢٥٨٨)، ٤/ ٢٠٠١.

(٤) يُراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١٦/ ١٤١.

بالعقوبة، بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم؛ إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا غاية المحو للجناية(١).

العفو من القيم التي لها تشعب وارتباط بكثير من المرتكزات الأخلاقية، ولا تفهم قيمة العفو إلا في ضوء صفة القدرة لله تعالى؛ فالعفو يكون أبلغ مع مقارنته بالقدرة على إيصال العقوبة، وأيضًا لقيمة العفو علاقة بقيمة الستر، والتي هي مستخلصة من أسمائه تعالى التي تدل على الغفر والستر.

يقول العلامة الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين: "العَفُو: معناه ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب، وهو أبلغ من المغفرة؛ فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر، والعفو إزالة الأثر ومنه عفت الديار، ولأن الغفران يشعر بالستر والعفو بالمحو، والمحو أبلغ من الستر. وقيل: معناه الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي. وحظ العبد منه أن يعفو عن كل من ظلمه ولا يقطع بره عن أحد بسبب ما حصل منه، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فإنه متى فعل ذلك فالله تعالى أولى لأن يفعل به ذلك لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين"(٢).

ومن الواضح أن قيمة العفو لها ارتباط وثيق بقيمة الستر لا سيما وأن العفو والغفران لما تقارب معنياهما تداخلا واستعملا في صفات الله تعالى على وجه واحد -كما صرح بذلك العسكري في الفروق، وقد مرَّ-، ويصح القول بأن الستر من آثار العفو، فالعفو كما يكون بمحو السيئات يكون أيضًا بسترها، وكلاهما -العفو والستر- من آثار الرحمة والكرم، يقول الإمام الخطابي: "من كَرِم الله سبحانه وتعالى أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه يا كريم العفو"(٣).

ولعلو قيمة العفو ضمن منظومة القيم الإسلامية فإن القرآن الكريم وجه الأنظار إلى تحقيقها، وذلك بالأمر المباشر إلى الرسول ﷺ بالعفو، قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾(٤)، فأمر نبيه الكريم ﷺ أن يعفو عنهم، ولا يثرب عليهم بما فعلوه، ولا يجازيهم السيئة سيئة،

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٢٤ بتصرف.

(٢) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٧٠٣.

(٣) يُراجع: شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بل أمره بالاستغفار لهم. ولاحظ صدر الآية بأنها تنهى النبي ﷺ عن أن يكون فظًا أو غليظ القلب، والفظ أي سيئ الخلق جافي الطبع. والغليظ القلب: هو القاسي قلبه -حاشاه ﷺ-، ويُلاحظ أيضًا اقتران الفظاظة بالعفو في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١)، وفي ذلك دلالة أنه ليس من العفو والتسامح الفظاظة في شيء، وأن العفو مكمل لصفة كظم الغيظ؛ وذلك لأن كظم الغيظ قد تعتوره ندامة يجد فيها الإنسان الاستعداء على من أغاظه، فالوصف بالعفو مع اقتران ذلك بكظم الغيظ جماع للخير، ولذلك ختمت الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. وعلى ذلك فالعفو من مكارم الأخلاق التي تُجازى بالحسنات وتَسْتَجْلِب رحمة الله وعفوه، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾(٢).

وقد وصفت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها خلق النبي ﷺ، فقالت: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَح»(٣).

وقد طبَّق النبي الكريم ﷺ ما أمره به ربه من العفو، فكان ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى في ذلك، يتجلى هذا في أفعاله ﷺ ومواقفه:

فعفوه ﷺ عمن هو تحته من الخدم ونحوهم نراه في قول الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفًّا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟»(٤).

وعفوه ﷺ عن المسيء نراه فيما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في خلق النبي ﷺ، حديث رقم: (٢٠١٦)، ٤/ ٣٦٩. وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، حديث رقم: (٢٣٠٩)، ٤/ ١٨٠٤.

النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[(١)].

وعفوه ﷺ عن المخالفين له الذين آذوه وآذوا أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فنراه في عفوه ﷺ عن المشركين يوم فتح مكة برغم قدرته عليهم وعلى معاقبته لهم جزاء ما فعلوه معه ومع أصحابه.

والعفو يكون بين الخالق والمخلوق، ويكون بين المخلوقين.

فالأول: عفو الله تعالى عن عباده بمحو السيئات والتجاوز عن المعاصي، والعبد يطمع في عفوه تعالى ورحمه ويظل راجيًا ذلك، وكل هذا من آثار اسمه العفو، والذي منه أخذنا قيمة (العفو)، ولا داعي للإطالة في ذلك فإن الكلام على التخلق بهذه القيمة لا إثبات العفو له سبحانه وتعالى؛ فهو ثابت له بلا ريب.

والثاني: عفو الإنسان عن أخيه الإنسان، ويُذَكِّرُنا الله تعالى بفضل ذلك ويحضننا على فعله؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)].

فلَمّا أمر الله رسوله ﷺ بالدفع بالتي هي أحسن أردفه بذكر بعض محاسنه، وهو أن يصير العدو كالصديق. ولذكر المثل والنتائج عقب الإرشاد شأن ظاهر في تقرير الحقائق وخاصة التي قد لا تقبلها النفوس لأنها شاقة عليها، والعداوة مكروهة والصداقة والولاية مرغوبة، فلما كان الإحسان لمن أساء يدنيه من الصداقة أو يكسبه إياها كان ذلك من شواهد مصلحة الأمر بالدفع بالتي هي أحسن[(٣)].

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الخُمْسِ، باب: ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم: (٢٩٨٠)، ٣/ ١١٤٨. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من يسأل بفحش وغلظة، حديث رقم: (١٠٥٧)، ٣/ ٧٣٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٣) يُراجع: التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٢٤/ ٢٩٢، ٢٩٣ بتصرف.

ومن جملة الدفع بالإحسان العفو عمن أساء، وفي سبيل ذلك بشَّر الله العافي أن عفوه يكسبه حب العدو، وكأن العفو عصًا سحرية ينقلب بها الشيء إلى ضده. فالعفو فيه من المنافع ما ليس في غيره؛ وقد أثبتت التجارب النفسية أن العفو والصفح له فوائد دنيوية متمثلة في حيوية الصحة النفسية والوقاية من الأمراض الناتجة عن التوتر والانفعال، أضف إلى ذلك أن العفو يجعل القلب نقيًّا طاهرًا بعيدًا عن الآلام النفسية والأمراض المعقدة.

وأخيرًا أُوَضِّح: أن دعوة الإسلام للعفو عن الناس والإحسان إليهم دعوة إيجابية وليست سلبية، ولا تحمل في طياتها ضعفًا أو هوانًا أو ذلة، بل إن العفو كقيمة مبناها على العطاء المتمثل في أن: [الحب سلاحٌ يَمْتَصُ الكُرهَ مِنْ قلوب مَنْ يَجْهَلُ علينا]، وذلك قمة في الإيجابية، وليس في فلسفة ذلك أي درجة من الضعف أو الاستكانة، ولذلك عقب الله تعالى على آية الدفع بالحسنى بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[(١)]، "وهذا تحريض على الارتياض بهذه الخصلة بإظهار احتياجها إلى قوة عزم وشدة مراس للصبر على ترك هوى النفس في حب الانتقام، وفي ذلك تنويه بفضلها بأنها تلازمها خصلة الصبر وهي في ذاتها خصلة حميدة وثوابها جزيل كما علم من عدة آيات في القرآن، وحسبك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾"[(٢)]. نسأل الله أن يجعلنا من العافين الصابرين. آمين.

***

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٤/ ٢٩٤. والآيتان رقم: (٢، ٣) من سورة العصر.

[١٩] (قيمة النزاهة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة النزاهة)، وتستخلص من اسمه تعالى (القدوس)، وأيضًا اسمه: (العلي)، وفيما يلي بيان هذه القيمة وورودها في النصوص الشرعية، وآثارها وتطبيقاتها.

أولا: المراد بقيمة النزاهة:

في اللغة: النزاهة مأخوذة من مادة (نزه)، وهذه المادة تدل في العربية على معنى البُعْد مطلقًا، في المكان وغيره، فيُقال: رجل نزيه الخلق: عفيف متكرم بعيد عن المطامع الدنية، ونزَّه نفسه عن القبيح: نحاها، وخرجنا نتنزه، إذا تباعدنا عن الماء والريف، ومكان نزيه: خلاء ليس به أحد، فكل استعمالاتها مشتملة على معنى البعد. والنزاهة: البعد عن السوء. والتنزيه: تسبيح الله عز وجل وإبعاده عما يقول المشركون، وتنزيه الله: تبعيده عما لا يجوز عليه تعالى من النقائص[١].

وفي الاصطلاح: لم أجد -فيما اطلعت عليه- من عرَّف مفهوم النزاهة بالمعنى النظري بحيث يكون تعريفه جامعًا لكل أفرادها، بل عرَّفوها بالمثال أو بفرد من أفرادها؛ يقول الجرجاني: "النّزاهة: هي عبارة عن اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم للغير"[٢]. وقال المناوي: "النزاهة: هي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة"[٣]. وقال الماوردي: "النزاهة تكون عن المطامع الدنية ومواقف الريبة"[٤].

وبذلك يكون التعريف الاصطلاحي أخص من اللغوي، إلا أن الشيخ الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين ربما اقترب من المعنى النظري الذي أقصده لكنه هذا في جانب الخالق لا المخلوق، حيث قال عند بيان معنى اسمه تعالى القدوس: "هو على وزن فعول بالضم من أبنية المبالغة وقد تفتح القاف وليس بالكثير، وهو من القدس بضم الدال وإسكانها الطهارة، والنزاهة والطهارة في

---

(١) تُراجع مادة (نزه) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٥/ ٤١٧، ٤١٨. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٥٤٨.

(٢) التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص: ٣٠٨.

(٣) التوقيف على مهمات التعريف، للمناوي، ص: ٣٢٣.

(٤) أدب الدنيا والدين، للإمام الماوردي، ص: ٣٢٦ بتصرف.

حقه تعالى النزاهة عن سمات النقص وموجبات الحدوث، وسميت الأرض المقدسة لطهارتها عن أوضار الشرك أي أوساخه، وقيل القدوس من تقدس عن الحاجات ذات وتنزه عن الآفات صفاته"(١).

ولو أردنا وضع تعريف شامل للنزاهة فيمكن القول بأنها: البعد عن النقائص مطلقًا، وهو بذلك مساو للتعريف اللغوي، ويندرج تحته كل التعريفات الاصطلاحية السابقة من البعد والترفع عن كل ما يَعِيب النفسَ ويُنْقِصُهَا من أخلاق وأفعال، وذلك كالبعد عن الوقوع في الأخطاء، وعن مواطن الريبة، والترفع عن سفاسف الأمور.

ثانيًا: النزاهة في النصوص الشرعية:

جاء ذكر النزاهة في نصوص الشرع لفظًا ومعنى، والتركيز هنا سيكون على مضمونها ومعناها المتوافق مع تعريفها الاصطلاحي الذي ذكرناه؛ إذ هو المناسب للمقام هنا.

ومن هذه النصوص ما جاء في وصف الحق سبحانه وتعالى لطائفة من الناس اتبعوا الحق وعرفوا سبيله، ومما وصفهم الله به: أنهم يترفعون عن اللغو وينزهون أنفسهم عنه، واللغو: الكلام الذي لا فائدة منه، وفاحش القول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾(٢).

يقول الطاهر بن عاشور: "أن هؤلاء الناس من أهل الكمال، وقد عدَّ الحق سبحانه من خصالهم أنهم كانوا يعرضون عن اللغو، وهو الكلام العبث الذي لا فائدة فيه، وهذا الخلق من مظاهر الحكمة؛ إذ لا ينبغي للعاقل أن يشغل سمعه ولبه بما لا جدوى له، وبالأولى يتنزه عن أن يصدر منه ذلك"(٣).

وفي هذا إشارة إلى أن إعراض هؤلاء القوم عن اللغو وأهله ما هو إلا نزاهةً منهم عن التلبُّس به أو مخالطة من يفعله.

---

(١) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٨٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٣) التحرير والتنوير، للإمام الطاهر بن عاشور، ٢٠/ ١٤٥.

ومن النصوص التي جاء فيها الحض على النزاهة بمعنى عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس من عرض الدنيا الزائل: ما جاء من نهي الحق سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ عن التطلع إلى ما متع الله تعالى به بعض عباده من زينة الحياة الدنيا الزائلة، وإن عليه أن يترفع ويتنزه عن ذلك -وهو ﷺ كذلك؛ فالنهي هنا لأجل المداومة والاستمرار على ما هو عليه، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[1]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾[2]-حيث قال تعالى مخاطبًا له: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[3].

والمعنى: لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها، والمادُّ عينيه إلى الشيء تطلق على الإنسان إذا أدام النظر نحوه، وإدامة النظر إليه تدل على استحسانه وتمنِّيه[4].

وفي السنة النبوية المطهرة فيها إشارة إلى النزاهة من خلال فعل النبي ﷺ وسلوكه مسلك الورع، ونلمح هذا الأمر من ترجمة الإمام البخاري للباب الذي ذكر تحته هذا الحديث حيث عنون له بعنوان: [ما يُتَنَزَّهُ من الشُّبُهَات]؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لَأَنْقَلِبُ إلى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً على فِرَاشِي ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا»[5].

وفي هذا تنزهٌ منه ﷺ أن يتناول التمرة الساقطة على الفراش خشية أن تكون هذه التمرة من تمر الصدقة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام: محمد بن علي الشوكاني، ٣/ ١٧١.

(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: ما يتنزه من الشبهات، حديث رقم: (١٩٥٠)، ٢/ ٧٢٥. ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، حديث رقم: (١٠٧٠)، ٢/ ٧٥٦. وللفظ لمسلم.

يقول الإمام النووي: "وفيه استعمال الورع؛ لأن هذه التمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال، لكن الورع تركها"(١).

وقال الحافظ ابن حجر: "والنكتة في ذكره هنا: ما فيه من تعيين المحل الذي رأى فيه التمرة وهو فراشه ﷺ ومع ذلك لم يأكلها، وذلك أبلغ في الورع"(٢).

ثالثًا: التطبيقات والآثار والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي (النزاهة)، ومورد استخلاصها -كما سبق- اسم الله تعالى: (القدوس)، واسمه: (العليّ)، والعلاقة بين قيمة النزاهة وبين أسماء الله الحسنى واضحة؛ فكما قيل في معنى القدوس: أنه البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا، أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به(٣).

ويزيد العلامة الجمل من إيضاح هذه العلاقة فيقول في بين حظ العبد من هذا الاسم الشريف (القدوس): "وحظ العبد منه: التنزه عما يشينه في أمر دنياه وأخراه"(٤).

وعليه فعلى كل مخلوق أن يعلم الله سبحانه وتعالى هو القدوس بكل اعتبار وأنه المنزه على الإطلاق وأن طهارته منه وبه(٥).

وأما اسمه تعالى العليّ فمما قيل في معناه: أنه بمعنى المترفع عن أمارات النقص ودلالات الحدوث. وقيل أيضًا: العلي من العلو بمعنى السمو والرفعة في المجد والشرف، والقدر والمنزلة(٦).

وفي بيان حظ العبد منه يقول العلامة الجمل: "وحظ العبد منه أن يذل نفسه في طاعة الله ويبذل جهده في العلم والعمل"(٧).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٧/ ١٧٧.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٩٤.
(٣) يُنظر: روح المعاني للآلوسي، ٢٨/ ٦٢.
(٤) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٨٩.
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام: القرطبي، ص: ٢١٥ بتصرف. ط/ المكتبة العصرية، بيروت.
(٦) يُراجع: روح المعاني للآلوسي، ٣/ ١١. وشأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص: ٦٦.
(٧) حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين ، ٢/٦٩٦.

فيُفْهَمُ من هذا أن ينبغي للعبد أن يتنزه عن السفاهات وخوارم المروءات، وأن يكون عليَّ الهمة، ويسعى إلى معالي الأمور ويطلبها ولا يرضى بغيرها بديلا.

فالتخلق بالمعاني التي تضمنها هذان الاسمان يجعل العبد طاهرَ الظاهر والباطن، وكل ما شرعه الإسلام يهدف إلى ذلك؛ فشُرِعت العبادات لطهارة النفس، ونهي عن الفواحش والمعاصي تزكية للنفس، وهذه طهارة باطنية، كما شرعت الطهارة الظاهرية فأمرنا بأخذ الزينة عند كل مسجد، وبالوضوء والغسل، والتجمل عامة بلا إسراف.

ومن تطبيقات النزاهة وصورها: تنزيه المرءِ نفسَه عن الشبهات ومواطن الريبة؛ ولذلك أُمِرْنَا بالتحري في معرفة الحلال والحرام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[(١)]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[(٢)]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[(٣)]، فمعرفة الحلال والحرام من الأمور المطلوبة شرعًا حتى يستقيم حال العبد. وقد ذكر الفقهاء بعض الأعمال المنهي عنها لا من حيث كراهتها في ذاتها، بل من حيث إن المروءة والنزاهة لا تقضيها، كالجلوس في الطرقات العامة، والأكل في الأسواق، وغير ذلك مما يدخل في تحديده الأعراف والعادات.

ويتأكد هذا بما جاء عن الْحَسن بن عليٍّ لَمَّا سُئل عمَّا حَفِظَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مالا يَرِيبُك»[(٤)].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم: (١٠١٥)، ٢/ ٧٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٥١٨)، ٤/ ٦٦٨. وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٧٠٤٦)، ٤/ ١١٠، وقال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: "سنده قويٌّ".

وقد حث الشرع أيضًا على التنزه عن الشبهات؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول -وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه-: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ من الناس، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيه..»(١).

ومعنى المشتبهات: "أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، أي: حصل له البراءة لدينة من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه"(٢).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن من النزاهة: البعد عن مواطن الريبة واتقاء الشبهات.

ومن معاني النزاهة أيضًا: اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم للغير وإنفاقه في المصارف الحميدة -كما مرَّ في تعريفها اصطلاحًا-، فقد حثَّنا الشرع الشريف على التنقيب عن مصادر الرزق الحلال وابتغاء الفضل، ووجَّه أنظارنا ولفت مسامعنا أيضًا إلى أن ذلك لا ينبغي أن يُطْغِي على الطالب فيجعله يطلب وهو خانع راض بالدُّون، بل يطلبه بعزة المؤمن من غير مهانة أو انكسار نفس، وما ذلك إلا لأن الله وعد في كتابه الكريم فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾(٣)، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نتحرى الوجوه الحميدة في الإنفاق والصرف لما نكتسبه من مال، وفي هذا من التنزه عن إنفاقه في وجوه الشر؛ فعن أبي هريرة قال: أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار، فقال: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ»، قال: عندي آخر، قال: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ»، قال: عندي آخر، قال: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِك» -أو قال: «زَوْجِك»-، قال: عندي آخر، قال: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِك»، قال: عندي آخر، قال: «أَنْتَ أَبْصَرُ»(٤).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: (٥٢)، ١/ ٢٨. ومسلم في كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (١٥٩٩)، ٣/ ١٢١٩. واللفظ لمسلم.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١١/ ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الزكاة، بابٌ: في صلة الرحم، حديث رقم (١٦٩١)، ١/ ٥٢٩. وصحَّح إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء =

ومن النزاهة أيضًا: ترك الإنسان من الأشياء ما لا يعنيه وترفُّعه عنها؛ فمن سفاسف الأمور التي ينبغي للمرء أن يُنَزِّه نفسه عنها: أن يتدخل فيما لا يعنيه، ومن هنا حضَّ ديننا على أن يتنزه الإنسان ويترفع عن كل ما لا يعنيه، سواء كان هذا بالتدخل في شئون الغير، أو أن يكون هذا الذي لا يعني الإنسان شيئًا من فضول الكلام، فهذه كلها أمور ينبغي للمؤمن أن يترفع عنها ويُنَزِّه نفسه عنها؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ»(١).

وهذا الحديث من جوامع كَلِمِهِ ﷺ؛ فقد جمع المعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو مما لم يقله أحد قبله(٢).

فمن جملة محاسن إسلام الشخص وكمال إيمانه: تركه مالا يعنيه، ومعنى قوله ﷺ «تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ»: "أي: ما لا يريده ولا يحتاج إليه ولا ضرورة إليه فيه ولا ينفعه بكون عيشه بدونه ممكنًا، وذلك يشمل الأفعال الزائدة والأقوال الفاضلة، فينبغي ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشًا ومعادًا بتحصيل ما لا بد منه في قوام البدن وبقاء النوع الإنساني، ثم بالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العلية، التي هي وسيلة لنيل السعادة الأبدية، والفوز بالنعم السرمدية، وأن يعرض عما عدا ذلك"(٣). وهذا فيه من النزاهة وكمالها ما لا يخفى.

والحكمة من إفهامه ﷺ قبح إسلام المرء أخذه ما لا يعنيه -كما قال العلماء-: "أن فيه ضياع الوقت النفيس الذي لا يمكن تعويض فائته فيما لم يخلق لأجله، فإن الذي يَعْنِيه هو الإسلام والإيمان

=

من الأخبار، ص: ٢٥٠. وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (١٥١٤)، ١/ ٥٧٥. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخَرِّجَاه". وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(١) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب: الزهد، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٣١٧)، ٤/ ٥٥٨. وحسَّنه الإمام النووي في «الأربعين النووية»، ص: ٦٤. الحديث الثاني عشر، ط/١: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، بعنايةِ: قصي محمد نورس الحلاق، وأنور بن أبي بكر الشيخي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. وفي كتابه «الأذكار» أيضًا، ص: ٥٣٣. ط/ ابن حزم.

(٢) يُنظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ٩/ ١٩٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ١/ ٢٤٩.

والعمل الصالح، وما تعلق بضرورة حياته في معاشه من شبع وروي وستر عورة وعفة فرج ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون مزيد النعم، وبهذا يسلم من جميع الآفات دنيا وأخرى "(١).

وفي بيان منزلة هذا الحديث وفضله؛ يروي لنا الإمام الخطابي في كتابه «معالم السنن»، وهو شرح لسنن أبي داود عن أبي داود(٢) قوله: "كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يَعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، **ويكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث:** أحدها قوله ﷺ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، والثاني: قوله: «وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، والثالث: قوله: «وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ»، والرابع: قوله: «وَالْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ» "(٣).

ومن النزاهة أيضًا: متابعة الحق ومخالفة الهوى؛ ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٤).

فالحق سبحانه في هذه الآية يرشد إلى سلوك حميد، وهو وجوب العدل والإنصاف مع الآخرين، حتى ولو كان هذا الإنصاف على النفس، أو على من له صلة قرابة، أو علاقة صداقة مثلا، فهذا هو المعنى الذي يظهر ابتداء من الآية، إلا أننا لو أَمْعَنَّا النظر أكثر، وأطلقناه بصورة أعمق، لوجدنا أنه يشير إلى معنى من معاني النزاهة؛ حيث إن من نزاهة الفرد ألا يرتبط إقامة العدل والإنصاف عنده بمدى النفع الذي سيأتي له، وإنما النزاهة أن يكون العدل والإنصاف معنيين قائمين بالنفس، حتى

(١) يُنظر: شرح الزرقاني على الموطأ، للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ٤/ ٣٩٩ بتصرف.

(٢) هو: سليمان بن الأشعث بن بشير، الأزدي، السجستاني، ولد سنة ٢٠٢هـ. من أئمة الحديث وأحد أصحاب الكتب الستة المشهورة «السنن». وأبو داود معدود من كبار أصحاب الإمام أحمد، وروى عنه «المسائل». توفي سنة ٢٧٥هـ. من مصنفاته أيضًا: «المراسيل»، و«البعث».
[راجع: طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (١/ ١٥٩)، وتاريخ بغداد، للخطيب (١٠/ ٧٥)].

(٣) يُنظر: معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، للإمام الخطابي، ٤/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

ولو أدى إقامة ذلك إلى مخالفة هوى الإنسان، فالنزاهة هنا ترفع عن شهوات النفس، ومتابعة لسلطان الحق.

وقد تقرر هذا المعنى في القرآن الكريم في غير آية، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾(١).

وقوله تعالى مخاطبًا نبيَّه داود ﷺ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

ومن النزاهة أيضًا: علو الهمة والترفع عن المطامع الدَّنية مطلقًا، وهذا ما يفيده اسمه تعالى: (العلي)، وهذ ما عبَّر عنه حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»(٣).

ومما يَحْصُلُ به هذا: بذل الجهد في العلم والعمل؛ فعلم العبد بعلو منزلة الله تعالى ونفي النقائص عنه يوجهه إلى اختيار معالي الأمور والتنزه والبعد عما يشينه أو ينقصه، وأكمل الكمالات وأعظم المعالي العلم وما يتبعه من العمل، فالعلم والعمل كالشجر والثمر، فلا تكون الثمرة بغير شجر، والشجر بغير ثمرة لا فائدة منه، فالعلم أعظم ما رُغِّب فيه الإنسان وأفضل ما جَدَّ فيه الطالب.

لذا نرى العلماء قد بيَّنوا منزلة العلم وأظهروا نفاسة قدره ليجتهد الطالبون في تحصيله.

يقول الإمام ابن الجوزي: "تأملت عجبًا، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله. فإن العلم لَمَّا كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة"(٤).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: (٢٨٩٤)، ٣/ ١٣١. قال الحافظ المُناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٧٢) عن إسناد هذا الحديث: "رجاله ثقات".

(٤) صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، ص:٢٨١.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل العلم وأخبار العلماء العاملين في الحرص على طلب العلم أكثر من أن تحصى، وكفى لبيان مكانة العلم في الإسلام قوله ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(١).

ولابد من ملاحظة: أن طموح العقل والقلب إلى الأمور العالية وتركهما الصغائر والسفاسف وما لا يَعنِي لا يخلو ذلك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي، ومتى أكرهت النفس على طلب المعالي، وسيقت طائعة وكارهة إليها، وصبرت على شدتها، أفضت منها إلى رياض مُؤنَّقةٍ ومقاعد صدق ومقام كريم، تجد كل لذة دونها لعب الصبي بالعصفور بالنسبة إلى لذات الملوك. فالمكارم منوطة بالمكارة والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد، ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتقاتلوا عليها بالسيوف، ولكن حفت بحجاب من المكاره وحجبوا عنها بحجاب من الجهل ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم(٢).

وفي كلام ابن القيم السابق ربط واضح بين علو الهمة في طلب الكمال وبين المشقة في تحصيل ذلك، وأن الأمر لا يكون سهلًا ليِّنًا على النفس، بل إن الأمر فيه ضرب من الإكراه والتأذي الذي لو لم يُتحلَّ فيه بالصبر جذع العبد ولما قدر على المواصلة، وهذا شأن كل عزيز، والكمالات أعز الأعزاء.

وهناك وسائل تُساعد المرء على أن يكون متنزهًا عن صغائر الأمور متطلعًا إلى معاليها، منها:
تفريغ القلب من الهموم وجعل الهم الأكبر الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾(٣)، وفي الحديث: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(٤).

---

(١) رواه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٥)، ٥/ ٥٠. وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) مفتاح دار السعادة، للإمام ابن قيم الجوزية، ١/ ١٠٨، ١٠٩ بتصرف.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، حديث رقم (٤١٠٥)، ٢/ ١٣٧٥. قال الإمام البوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (٤/ ٢١٢): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". وقال =

ومنها: مصاحبة ذوي الهمم العالية والأخلاق السامية، والبعد عن مثبطي الهمم والداعين إلى الكسل والخمول.

يقول الإمام ابن الجوزي -وهو ينصح طالب العلم الذي هو في حاجة إلى علو الهمة ليصل لمراده-: "فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم؛ فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم"(١).

وعلى العبد في كل أحواله الاستعانة بالدعاء فإنه جالبٌ كلَّ خير، ومعينٌ على قضاء الحاجات، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾(٢). والله تعالى أعلم.

***

=

الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، (ص: ١٧٣٢): "أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد".

(١) يُراجع: صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، ص: ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

[٢٠] (قيمة الإبداع)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة الإبداع)، وتستنبط من اسمه تعالى: (البديع)، وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة الإبداع:

في اللغة: مادة (بدع) أصل يدل في العربية علي ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، يقال: بدَعَ الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه أَنشأَه وبدأَه، وأَبْدَعَ وابْتَدَعَ وتَبَدَّعَ: أي أتى ببدعة، والبدعة هي كل أمر جديد مستحدث، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾[(١)]، والشيء البديع: هو الشيء الجميل، والبديع: فعيل بمعنى فاعل، ومن أسمائه تعالى (البديع)؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها على غير مثال سبق، وهو البديع الأول قبل كل شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي: بدأه[(٢)].

وفي الاصطلاح: يقول الراغب الأصفهاني: "الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء، وإذا استعمل في جانب الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله"[(٣)].

وقال المُنَاوي: "البدائع: جمع بديعة وهي الصنعة التي لم يسبقها مثلها"[(٤)].

ثانيًا: الإبداع في النصوص الشرعية:

الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة ويحض على السعي إليهما، وقد بيَّنت لنا نصوص الشريعة الغراء كيف أن هذا الدين العظيم قد أرسى قواعد الابتكار والإبداع، وهذا ما سنعرضه من خلال السطور التالية، أقول: لو نظرنا إلى الإبداع باعتباره قيمة فكرية وسلوكية نجد أن تأصيلها واستلهامها من الحق سبحانه وتعالى؛ فهو المبدع الأول للأمور ومنشأها على غير مثال سابق.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٢) تراجع مادة (بدع) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٢٠٩. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ٣٠. ولسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،ص: ٣٨، ٣٩.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: ٧٢.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[(١)].

ومعنى كونه تعالى بديعَ السموات والأرض: أي خالقهما ومبدعهما فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق، أو هو بديع سمواته وأرضه من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق، والمعنى على اختلاف التقدير: أن الله هو الذي بدع السموات والأرض، أو البديع سماواته وأرضه بما كان من إبداعه واختراعه لهما، أو البديع فيهما بمعنى أنه لا شبه له ولا نظير فيهما[(٢)].

إرشاد الخالق عز وجل الناسَ إلى الإبداع وهدايتهم إليه:

جاء في النصوص الشرعية ما يشير إلى أن أمر الإبداع من جانب المخلوقين قد بدأ بأمر الله تعالى وبإرشاده وهدايته، وهذا مما يزيد من أهميته، ونَلْمَحُ هذا في قصة نبي الله نوح ﷺ؛ فقد أمره ربه أن يقوم بصنع مخترع جديد لم يعهده القوم من قبل ذلك، وكان هذا الابتكار على غاية من البداءة في الصنع والتصميم بإشراف وتوجيه إلهي، فأمر الله تعالى نبيه نوحًا أنْ يصنعَ سفينة تقي المؤمنين من الطوفان، وما كان من ردة فعل الكافرين إلا أن استهزءوا بنوحٍ وسخروا منه لأنهم لا يعرفون هذا المخترع ولم يعهدوه من قبل ولا يعرفون آلية صنعه وفائدته فالإنسان دائمًا عدو ما يجهل، قال تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٣)].

والمفسرون عند تعرضهم لتفسير الآيات السالفة يبينون ما ذكرنا، فقد ذكروا أن قوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ تدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفُلْك، ولذلك فنوحٌ ﷺ أول من صنع الفلك ولم يكن ذلك معروفاً للبشر، ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي وطفق يصنع الفلك ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾ استهزءوا به وضحكوا منه لحسبانهم أنه مصاب بالهوس والجنون، وروي أنهم كانوا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.
(٢) يُراجع: تفسير المنار، للشيخ رشيد رضا، ٧/ ٥٤١. وروح المعاني، للعلامة الآلوسي، ٧/ ٢٤٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٣٧، ٣٨.

يسألونه عما يصنع فيجيبهم أنه يصنع بيتًا يجري على الماء، ولم يكن هذا معروفًا ولا متصورًا، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾ إي قال مجيبًا لهم: إن تسخروا منا وتستجهلونا اليوم لرؤيتكم منا ما لا تتصورون له فائدة ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ اليوم لجهلكم، وغدا لما يحل عليكم(١).

وبهذا نلاحظ أن نقطة البداية لبناء السفن البحرية قد كانت وحيًا ربانيًّا لرسول من رسل الله، وهداية ربانية للناس، دفعهم الله بها إلى طريق العمل الصناعي الضخم لركوب البحار، والابتغاء من فضل الله على متونها(٢).

ومن النصوص القرآنية التي تشير إلى الإبداع والابتكار والاختراع، وأن كونه تحت رعاية ربانية يضمن له التوفيق والنجاح: ما كان من توجيه الحق سبحانه وتعالى نبيه داود ﷺ إلي اختراع دروع الحرب، بل إتقان ذلك وتطويره.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾(٣).

قال قتادة: أول من صنع الدرع داود ﷺ، وإنما كانت صفائح قبله، فهو أول من سردها واتخذها حلقًا، وفيه دلالة على أن أول من عمل الدرع داود، ثم تعلم الناس منه فتوارث الناس عنه ذلك فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق إلى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على النعمة(٤).

وهذه الآيات بيان واضح من الله في أن اختراع دروع الحرب وصناعتها قد كان بتعليم من الله لداود ﷺ، وبتحريض له على أن يصنعها بيده، وهو نبي من أنبيائه، لتكون حصنًا للمؤمنين من بأس الكافرين، ولم يكتف الله تبارك وتعالى بذلك، ولكنه أمر داود عليه السلام أن يتقن صناعته ويحكمها، فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾(٥).

---

(١) يُراجع: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٢/ ٦٦. ومعه: تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ١٢/ ٦٢، ٦٣.

(٢) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، للشيخ/ عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، ص: ٣٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٤) يُراجع: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الرازي، ٢٢/ ١٧٤.

(٥) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، للشيخ/ عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، ص: ٣٤٤، ٣٤٥. والآية رقم: ١١ من سورة سبأ.

ويوضِّح الإمام القرطبي الآية السابقة فيقول: "سابغات: أي دروعًا سابغات، والمعنى: كوامل تامات واسعات، وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ قال قتادة: كانت الدروع قبله صفائح فكانت ثقالا، فلذلك أمر هو بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة، أي: قدِّر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه، أي: لا تقصد الحصانة فتثقل، ولا الخفة فتزيل المنعة، وقال ابن زيد: التقدير الذي أُمر به هو في قدر الحلقة، أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فينال لابسها، وقال ابن عباس: التقدير الذي أمر به هو في المسمار، أي لا تجعل مسمار الدرع رقيقًا فيقلق، ولا غليظًا فيفصم الحلق(١).

وبهذا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد شق للناس طريق الابتكار الاختراع وأرشدهم إلى مراعاة الإتقان واستكمال الشروط التي تحقق الأهداف.

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي الإبداع، وهي مستنبطة من اسم الله (البديع)، والله سبحانه وتعالى قد أبدع خلق الإنسان، وخلقه في أحسن صوره، وكرَّمه وميَّزه بالعقل ووهبه التفكير؛ "فالإنسان يجب أن يجتهد ويتعلم، وأن يبحث دائمًا عن ما هو جديد، وأن يتطور، ولكن ذلك بعيدًا عن الدين؛ فالدين الإسلامي تامٌّ كامل، يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢). فالإنسان يمكن أن يبدع في مجالات كثيرة؛ كالمجال الزراعي، والصناعي، والتكنولوجي، ومجال الطب وعلاج الأمراض، وغير ذلك. أما الممنوع فهو الإبداع في الدين"(٣).

فحظ العبد من هذا الاسم: أن يجتهد في الابتكارات والاختراعات والإبداع في كل ما يؤدي إلى الخير وفيه مصلحة. وأن لا يبتدع في الدين ما ليس منه؛ فقد أكمله تعالى وأتمه على أحسن وجه.

وقيمة الإبداع تدفع إلى الرقي والتحضر، ولها أسس ووسائل وأسباب تساعد في تحقيقها، ومن أهم هذه الوسائل ما يلي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٤/ ٢٦٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) الجمال والجلال والكمال في أسماء الحسنى، للأستاذة: زينب عباس ذكي، جمع وإعداد: إبراهيم أحمد خليل، ص: ٣٦٦ بتصرف.

١- الطموح أول خطوات الإبداع:

إن الطموح يدفع الإنسان إلى معالي الأمور، ومن كان هذا حاله نجده دائمًا جادًّا في تغيير حاله إلى ما هو أرقى وأنفع، وكلّما نال مرتبة نظر إلى ما فوقها، وهذا يدفعه إلى الإبداع والابتكار في التفكير، فلا يرضى أن يكون تابعًا لأراء الغير مستتبعًا إياهم فيما يقولون ويفعلون، بل هو متجدد دائمًا، يتخطى جميع الصعوبات والمشكلات التي تواجهه، ويسعى إلى الوصول إلى حلول وبدائل أخرى، وكل هذا يدفعه إلى التجديد والإبداع.

ولو نظرنا إلى الشرع الحنيف سنجده يدعو إلى أن يكون الإنسان طموحًا محبًّا لمعالي الأمور، متطلعًا إلى ما هو أعلى وأنفع له ولمجتمعه.

فعن الْحُسَيْن بن عليٍّ قال: قال رسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»(١).

جاء في «فيض القدير» للحافظ المُناوي ما يلي: "تنبيه: عُلِم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ ترفع همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني.

قال بعض الحكماء: بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال"(٢).

ومن ثم فطلب معالي الأمور والأخلاق، والهمة العالية كل هذا يُصفي عقل الإنسان وفكره وروحه فيكون أقدر على الإبداع والإنتاج من غيره.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: (٢٨٩٤)، ٣/ ١٣١. قال الحافظ المُناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٧٢) عن إسناد هذا الحديث: "رجاله ثقات".

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المُناوي، ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦ بتصرف.

كما نعى الشرع على المتكاسلين الذين يُؤَخِّرون أنفسهم ولا يسعون إلى المعالي؛ ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا فقال لهم: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله»(١).

قال العلماء في شرح هذا الحديث: قوله ﷺ «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ» أي عن الصفوف الأولى «حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله» تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك. وفيه آكدُ حَثٍّ على التسابق إلى معالي الأمور والأخلاق، وأبلغ زجر عن الميل إلى الدعة والرفاهية، وأبلغ تنبيه إلى أن ذلك يؤدي إلى تجرع غصص البعد والغضب، أعاذنا الله من ذلك بمنِّه(٢).

٢- العلم مقدمة الإبداع:

من كان طموحًا متطلعًا إلى الغاية القصوى في الرقي لابد وأن يكون عالماً بما يريد إبداعه وإنتاجه، متمكنًا من أدواته محيطاً بجميع جوانبه، فلا يقدر على الإبداع من لا يعلم؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، إذن فالعلم مقدمة الإبداع. وقد دعا الشرع إلى العلم وحضَّ عليه، ومع ذلك: "فالإسلام ليس دين العلم فحسب، بل نري موقفه من البحث العلمي: أنه لا حرج ولا قيد مطلقًا علي البحث العلمي، فليبحث من شاء فيما شاء، وليحاول أن يدرك حقيقة العالم كما شاء، ويكشف عن خلق الله في كونه كما يريد، وأن ذلك ضمانة للإبداع، وهذا مؤسس علي أن الله قد أنزل أول ما أنزل في كتابه الكريم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾(٣)، وذكر أن القراءة الأولى في الوجود، والثانية في الوحي، وأنهما قد صدرا عن الله؛ الأولى: من عالم الخلق، والثانية: من عالم الأمر: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤)، وعلي هذا فلا نهاية لإدراك الكون حيث إنه يمثل الحقيقة؛ لأنه من صنع الله، ولا نهاية لإدراك الوحي؛ قال رسول الله ﷺ: «لَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث رقم: (٤٣٨)، ١/ ٣٢٥.

(٢) يُراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٤/ ١٥٩. ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ٦/ ٥٦٨.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١ – ٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ»(١)، وأيضا لا تعارض بينهما حيث إن كلا من عند الله، وهذا التأسيس يتأكد في قوله تعالي علي صفه الإطلاق: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

إلا أن استعمال المعلومات يجب أن يكون تحت السقف الأخلاقي للتطبيق المأخوذ من مهمة الإنسان في الدنيا: العبادة، والعمارة، والتزكية. هذا السقف الذي يمنع من استعمال ما يوصلنا إليه فيما يخالف الأوامر والنواهي الربانية أو يَكُرُّ علي المقاصد الكلية بالبطلان، فنكون بذلك من أهل التعمير لا من أهل التدمير، وهذا السقف للاستعمال من الأهمية القصوى حيث هو الضمان الوحيد لتلك العمارة"(٣).

ومن ثم فالعلم بضوابطه التي بها تتحقق المصلحة الشرعية ويحصل مراد الله تعالى من خلقه سبيل للخروج من ظلمة الجهل إلى نور الحق والمعرفة واليقين، ويدفع الإنسان إلى السعي إليه والاستكثار منه لينال الحظ الأعظم الذي يكون الابتكار والإبداع.

٣- التفكير من وسائل الإبداع:

من وسائل الإبداع: التفكير، والذي يأتي متوازيًا مع الطموح والعلم، فلا يوجد طموح وعلم بدون تفكير جاد في موضوع البحث وحله، وقد دعا الشرع الشريف إلى التفكر، ودائمًا ما يخاطب أولي الألباب والعقول التي تدرك الأمور وما ورائها، كما يعيب أيضًا على السابقين الذي لم يؤمنوا بأنبيائهم وأصروا على عبادة غير الله تعالى، ويُبيِّن كيف أنهم لم يتفكروا ولم يستعملوا نعمة العقل التي وهبها الله تعالى لهم، ليعلموا أن ما يدعون من دونه من آلهة لا تجلب لهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، والآيات الكريمات التي خاطب الحق سبحانه فيه إلى التفكر بالعقول وحضَّ فيها على ذلك كثيرة؛ ومنها: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤)، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾(٥)، ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٦)، ﴿يَٰٓأُوْلِي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم: (٢٠٤٠)، ١/ ٧٤١. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِصَالِحِ بْنِ عُمَرَ". وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) يُراجع: من مقال بعنوان: «توليد العلوم فرض علي المسلمين (١-٣)» بقلم: فضيلة الدكتور/ علي جمعه، مفتي الديار المصرية، نُشر بجريدة الأهرام القاهرية، يوم السبت الموافق ١٧ من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ، ٥ يونيو ٢٠٠٤م، للسنة: ١٢٧، العدد: ٤٢٩١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

ﭽﭐﻷَﺑۡﺼَٰﺮِﭼ(١). وهذا يدل على عظيم فضل التفكير، وأنه من الأدوات المهمة التي تسوق إلى المعرفة والإبداع الجيد المبني على تنظيم الأفكار وترتيبها، مما يعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات.

(فوائد):

* ممن أشار إلى ما يقارب فكرة الإبداع من العلماء، وكأنه يشير إلى بعض ما ينفرد به الشخص الْمُبْدِع من صفات الإبداع: الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه «الرد علي من أخلد إلي الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، وذلك فيما نقله عن ابن بَرهان(٢)، حيث قال: "لا ينعقد الإجماع مع مخالفه مجتهد واحد خلافًا لطائفة. وعمدة الخصم أن عدد التواتر من المجتهدين إذا اجتمعوا علي مسألة كان انفراد الواحد منهم يقتضي ضعفًا في رأيه. قلنا: ليس بصحيح؛ إذ من الممكن أن يكون ما ذهب إليه الجميع رأيًا ظاهرًا تبتدر إليه الأفهام، وما ذهب إليه الواحد أدق وأعوص، وقد يتفرد الواحد عن الجميع بزيادة قوه في النظر ومزية في الفكر، ولهذا يكون في كل عصر مقدم في العلم يفرع المسائل ويولد الغرائب"(٣).

* ويشبه هذا ما ذكره ابن النجار الحنبلي(٤) في «شرح الكوكب المنير» في الأصول، وأيَّده بنماذج ووقائع حدثت بالفعل في العصر الأول، حيث قال: "(ولا ينعقد) الإجماع (مع مخالفة) مجتهد

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن بَرْهان -بفتح الباء- أبو الفتح، شرف الدين، البغدادي الشافعي، ولد سنة ٤٧٩هـ، وتوفي سنة ٥١٨هـ. من تصانيفه الأصولية: «الوسيط»، و«الوجيز».
[راجع: طبقات ابن السبكي (٦/ ٣٠)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (١/ ٢٧٩)].

(٣) الرد علي من أخلد إلي الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، للإمام السيوطي، ص: ٨٢. ط/ مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، مصر.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن إبراهيم، أبو البقاء، تقي الدين، الفتوحي، المصري، المعروف بـ«ابن النجار»، الأصولي، أحد متأخري الحنابلة. ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي في حدود سنة ٩٧٢هـ. من تصانيفه: «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» في الفقه الحنبلي، و«شرح الكوكب المنير» في علم الأصول، و«حاشية على شرح عصام الدين السمرقندي» في البلاغة، و«التحفة» في السيرة النبوية.
[تراجع ترجمته في: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لابن حميد (ص: ٣٤٧)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (١٠/ ٥٧١)].

(واحد) يُعْتَدُّ بقوله عند الإمام أحمد[١] رضي الله عنه وأصحابه، والأكثر، لأنه لا يسمى إجماعًا مع المخالفة؛ لأن الدليل لم ينهض إلا في كل الأمة؛ لأن [المؤمن] لفظ عام، والأمة موضوعة للكل؛ ولأن من الجائز إصابة الأقل وخطأ الأكثر، كما كشف الوحي عن إصابة عمر في أسرى بدر، وكما انكشف الحال عن إصابة أبي بكر في أمر الردة"[٢].

* من صفات المبدع أيضًا: العمل بجد لأجل هدف محدد، والقدرة على مواجهة الأزمات، وهذا يكون بالنشاط لا بالكسل، ونماذج المبدعين الموصوفين بذلك من علماء الإسلام كثيرة؛ وأذكر منهم الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ فهو صاحب "المصنفات العظيمة التي سارت مسير الشمس، والتي أبدع في تأليفها غاية الإبداع، ولا سيما كتابه الجليل «فتح الباري» الذي شرح فيه صحيح الإمام البخاري شرحًا لم يُشرح بمثله، حتى قال الإمام الشوكاني لما طلبوا إليه أن يؤلف شرحًا على الصحيح:لا هجرة بعد الفتح!"[٣]، وقد بلغت مؤلفاته الثابتة له رحمه الله تعالى -كما ذكر الدكتور/ شاكر محمود عبد المنعم-: اثنين وثمانين ومئتي مصنف[٤].

* الإبداع يَظهر جليًّا في الحضارة الإسلامية من تاريخ المسلمين الأوائل الذين أبدعوا في أحوالهم: في سلمهم وحربهم؛ ففي سلمهم: باستحداث ما يُعينهم على معايش الحياة من أدوات في

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، الذُّهلي، الفقيه، المُحَدِّث، إمام المذهب الحنبلي، وأحد أئمة الفقه الأربعة. ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٤هـ. له: «المُسنَد»، و«المسائل»، و«الأشربة»، و «فضائل الصحابة» وغيرها.

[راجع: مقدِّمة أبي يعلى لكتابه: «طبقات الحنابلة» (١/ ٤: ٢٠)، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٦/ ٩٠)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٣/ ١٨٥)].

(٢) شرح الكوكب المنير للإمام محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠. ط/٢: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٣) يُنظر: الإبداع العلمي، دراسة تأصيلية تكشف أسس التفوق في مجال العلم ومقوماته ووسائل تحصيله، للدكتور/ أحمد بن علي القرني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص: ١٧٤. ط/١: دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ١٤٢٨هـ.

(٤) يُراجع: ابن حجر العسقلاني.. مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، للدكتور/ شاكر محمود عبد العليم، ١/ ١٧٣: ٣٨٦. ط/١: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الطب والعلوم، وغير ذلك. وفي حربهم: بابتكار ما يندرج تحت وسائل الاستعداد من أدوات وخطط، ويبدو هذا واضحًا في قصة حفر الخندق كمثال ونموذج.

* الإبداع عملية مركبة من العلم والتربية؛ فالعلم للوصول إلى المعرفة وإدراك المعلومات، والتربية لإقرار القيم الأخلاقية التي تضبط الإبداع، فنُبْدِع فيما يَحْصُل به التقدم والتعمير لا التدهور والتدمير.

***

[٢١] (قيمة المراقبة)

من القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى: (قيمة المراقبة)، وتستنبط من عدة أسماء، منها: (الرقيب، والسميع، والبصير، والعليم، والخبير، والمُهَيمِن)، وغيرها. وسوف أتعرض لهذه القيمة بالشرح والبيان من خلال العناصر التالية.

أولا: المراد بقيمة المراقبة:

في اللغة: مادة (رقب) تدل في العربية على انتصاب لمراعاة شيء، والترقب والارتقاب: الانتظار، والاسم: المراقبة، وهي مصدر للفعل الرباعي رَاقب، وهذا الفعل يدل على عدة معانٍ، منها: الحراسة والملاحظة، يقال: راقبه مراقبة ورقابًا، ورَقَبَهُ: أي حرسه ولاحظه، ومنها: الخشية والخوف، يقال: راقب الله أو ضميره في عمله أو أمره: خافه وخشيه، وفلان لا يراقب الله في أمره: لا ينظر إلى عقابه، فيركب رأسه في المعصية، ومنها:الحفظ. ومن هذا اسمه تعالى الرقيب أي الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ويقال راقبَ اللهَ تعالى أي خافه[(١)].

وفي الاصطلاح: كل المعاني الاصطلاحية للمراقبة لا تكاد تخرج عن معنى الحراسة والملاحظة أو الخشية والخوف، أما باقي المعاني اللغوية فلا مدخل لها بالأصالة في مفهوم المراقبة الاصطلاحي.

وفي السنة المطهرة بيان واف لحقيقة المراقبة؛ وذلك في حديث الإسلام والإيمان والإحسان المشهور، إذ يُبيِّن النبي ﷺ المراقبة بأنها مقام الإحسان فيقول ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٢)].

وبناء على هذا الكلام النبوي الشريف تدور تعاريف العلماء.

---

(١) تراجع مادة (رقب) في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ٢/ ٤٢٧. ومختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: ١٢٦. ولسان العرب، لابن منظور، ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري، في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم: (٥٠)، ١/ ٢٧. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم: (٨)، ١/ ٣٦.

جاء في «الرسالة القشيرية» للإمام القشيري(١) أن المراقبة هي: "علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له"(٢).

وقال الحافظ المُنَاوي: "المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب في جميع أحواله"(٣).

وقد فصَّل الإمام أبو حامد الغزالي الكلام عن معنى المراقبة؛ فنقل عن بعضهم قوله إن: "المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة".. ثم أعطي تعريفًا أكثر تفصيلًا للمراقبة فقال: "اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يُقال إنه يراقب فلانًا ويراعى جانبه، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالًا في الجوارح وفي القلب، أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه، وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك، فهذه المعرفة إذا صارت يقينًا أعنى أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته، فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه"(٤).

ونُقِل عن أعيان القوم في تفسير المراقبة أقوالا غير هذه، لكنَّ معناها ومؤداها واحد، ولعل التعريف اللغوي الأول للمراقبة -وهو الملاحظة- ألصق بالتعريف الاصطلاحي من التعريف اللغوي الثاني -وهو الخشية والخوف-، وقد يُقال إنه يصح جعل الخشية والخوف آثارًا للمراقبة أو نتيجة لها، وسنفصِّل هذا الأمر عند الكلام على الآثار والتطبيقات.

---

(١) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القُشَيْري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام توفي سنة ٤٦٥هـ. من كتبه: «التيسير في التفسير»، و«لطائف الإشارات»، و«الرسالة القشيرية». [راجع: طبقات ابن السبكي (١٥٣/٥)، والأعلام، للزركلي (٤ / ٥٧)].

(٢) الرسالة القشيرية، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، والدكتور/ محمود بن الشريف، ١/ ٣٢٩. ويُراجع: تعريف الإمام الهروي في «منازل السائرين»، ص: ٣٨..

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للحافظ المُنَاوي، ص: ٣٠٢.

(٤) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ٤/ ٣٩٨.

ثانيًا: المراقبة في النصوص الشرعية:

دلت النصوص الشرعية على أهمية قيمة المراقبة، فهذه القيمة ذات أهمية كبيرة في طريق الإيمان، لأن من عرف أن الله يراقبه ومطلع عليه إزداد إيماناً ويقيناً بمعية الله معه، والنصوص القرآنية في ذلك كثيرة منها:

وقد بيَّن القرآن الكريم أهمية المراقبة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١).

أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القِفَار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾(٢)، وقال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾(٣)، فلا إله غيره ولا رب سواه(٤).

ومن الآيات أيضاً الدالة على مراقبة الله تعالى لنا، وأنه سبحانه مطلع العباد يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾(٥).

ومنى كونه رقيبًا: أي راقبًا أو مراقبًا، والمراد: أنه تعالى حافظ ومطلع على كل شيء، فاحذروا تجاوز حدوده سبحانه وتخطي حلاله إلى حرامه عز وجل، والمعاني التي ذكرها أكثر المفسرون تدور حول أن المراقبة هي حال كونه سبحانه حافظًا عالمًا محيطًا بكل شيء قادرًا عليه؛ لأن الحفظ لا يحصل إلا بهذه الصفات من العلم والقدرة والإحاطة وغيرها من الصفات التي تدل على كمال السطوة وعظيم القدرة(٦).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٥.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٤) يُراجع: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/ ٩ بتصرف.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

(٦) يُراجع: روح المعاني، للعلامة الآلوسي، ٢٢/ ٦٧. ومعه: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٠/ ٣٠٤. وأيضًا: مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي، ٢٥/ ١٩٢.

ومراقبة الله تعالى من عظيم الإيمان وكمال الإحسان، وقد أجاب النبي ﷺ على من سأله عن ماهية الإحسان بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»(١).

وقوله ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» إشارة إلى مقام المكاشفة، وتلك أعلى درجات العبادة؛ لأننا لو قدَّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيء مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، وقوله ﷺ: «فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ» نزول عن المكاشفة إلى مقام المراقبة، أي إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية المعنوية التي هي المكاشفة فاعبده وأنت بحيث تستشعر بأنه يراك(٢).

وفي بيان عظيم فضل هذا الحديث الشريف يقول عنه الإمام النووي رحمه الله تعالى: "ومقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من تلبسه بشيء من النقائص احترامًا لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعًا عليه في سره وعلانيته! قال القاضي عياض رحمه الله: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه"(٣).

ثالثًا: الآثار والتطبيقات والفوائد:

القيمة المستخلصة هنا هي: (المراقبة)، وهي مستنبطة من اسمه تعالى: (الرقيب، والسميع، والبصير، والعليم، والخبير)، وغيرها. وهذه القيمة لها الكثير من الفوائد والآثار التي إذا ما استشعرها الفرد المسلم وجعلها جزءًا من حياته عادت بالنفع عليه على غيره.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري، في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم: (٥٠)، ١/ ٢٧. ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم: (٨)، ١/ ٣٦.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للدكتور/ موسى شاهين لاشين، ١/ ٣١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ١/ ١٥٨.

فالمراقبة سبيل إصلاح الأفراد والمجتمعات؛ فالشخصية التي تتربى وتنمو على المراقبة، وهذا النهج المثالي إنما هي نموذج للشخصية الربانية التي أرادها الإسلام لتتحمل دور الإصلاح ونشر رسالة الحق والعدل بين الناس، ولو أن خلقًا كخلق المراقبة لله ساد مجتمعًا من المجتمعات أو لو أن المجتمع الإسلامي قد تذكر وعاد إلى التشبث به لأضحى مجتمعًا على درجة من المثالية لا يتسنى لأي مجتمع أن يتطاول إليها أو يبلغ مبلغها، ولا غرابة في ذلك؛ فمجتمع هذا شانه لا مكان فيه للرذيلة ولا للانحراف، الكل يراقب ربه في السر والعلانية فينعكس ذلك على سلوك الجميع والعلاقات القائمة بينهم(١).

والعلاقة وثيقة بين قيمة المراقبة وبين أسماء الله الحسنى، ويظهر هذا بجلاء في كلام العلماء.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في «المقصد الأسنى» عند شرح اسمه تعالى (الرقيب): "وصف العبد بالمراقبة إنما يُحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه، وذلك بأن يعلم أن الله تعالى رقيبه وشاهده في كل حال، ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة، فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري، فهذه مراقبته"(٢).

وقال الإمام ابن القيم: "المراقبة هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة. والله أعلم"(٣).

فإذا علم العبد أن الله عليم بكل شيء حتى بخطرات الضمائر، ووساوس الخواطر، قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٤)، وإذا علم أنه سبحانه سميع بصير مطلع عليه فلا يغيب عن نظره سبحانه طرفة عين: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ

---

(١) يُنظر: التصوف الإسلامي بين الأصالة والتبعية، للدكتور/ حسن محرم الحويني، ص: ١٤٩، ١٥٠ بتصرف.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ص: ١٠٥ بتصرف.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ٢/ ٦٦.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٣.

أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾(١)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾(٣)، وقال: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٤) ويعلم كذلك أن الله حفيظ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾(٥)، وإذا علم أنه سبحانه الشهيد، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾(٦)، فمن علم ذلك كله استشعر قربه، وأُورِث قلبُه مراقبةَ الله سبحانه وتعالى، واستحيا منه، وكفَّ عن معصيته، وعامل خلقه معاملة حسنة، "ولم يفن عمره في البطالة، ولم يمحق في الغفلات أوقاته، بل يصل في طاعة ربه ليله ونهاره وجهه بكده في إحساسه واختلاف أنفاسه، ومن راقب الله تعالى في سره وجهره واتقاه في أمره ونهيه أوصله ذلك بإذن الله إلى الموافقة في سبل المعاملة، ومن المقامات إلى علم القلب باطلاع الرب حتى لا يرى إلا هو"(٧).

ويُبيِّن الإمام ابن الجوزي حقيقة قربه تعالى من عباده وعلاقة هذا بالمراقبة فيقول: "الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه. فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له، فقلوب الجهال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفُّوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفوا عن الانبساط"(٨).

والمراقبة لها الكثير من الثمار النافعة تتجلى من خلال بيان درجات المراقبة فكل درجة يتعلق بها من الفوائد الكثير والكثير، منها: الفوز بالجنة والنجاة من النار، وأن المراقبة دليل على صلاح العبد

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.
(٤) سورة غافر، الآية: ١٩.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٢١.
(٦) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٧) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام القرطبي، ١/ ٤٠٥، ٤٠٦. ط/ دار الصحابة بطنطا. ويُراجع معه: حاشية العلامة الجمل على تفسير الجلالين، ٢/ ٦٩٨.
(٨) صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، ص: ٢٣١.

وتقواه، وهى سبيل للنجاة من كل كرب وهم وغم كما في حديث الثلاثة الذين في الغار[١]، وهى تثمر محبة الله تعالى ورضاه،ومن ثم فالمراقبة كلمة تبعث في النفس معان جليلة وتحقق غايات سامية ومقاصد نبيلة.

المراقبة أصل كل خير:

والمراقبة من أشرف المقامات التي يوقف عليها العبد، ولذا يقول عنها الإمام القشيري إنها أصل كل خير[٢]، فبالمراقبة يَشْكُر العبد على النِّعَم، ويعترف بالإساءة، ويرجو العفو عن الزلل، والمراقبة تثمر في قلب العبد الخشية لاطلاع الله عليه فتظهر آثاره على الفعل.

درجات المراقبة:

يَتَأَكَّدُ هذا بما سطَّره صاحب المنازل في بيان درجات المراقبة، فقد جعل المراقبة **ثلاث درجات**[٣]، **أولها:** دوام ملاحظة العبد لربه مع تعظيمه إياه، وحبه له حبًّا يجره إلى القرب منه، فينتج عن ذلك ما يلقيه سبحانه وتعالى في قلب العبد من آثار العبادة من الحلاوة والأنس واللذة التي ينالها كل من اقترب من جناب الجلال سبحانه، فيحمله هذا على الخير ويزجره عن الشر.

وهذه الدرجة من المراقبة هي درجة أقل درجات المراقبة بالنسبة لما بعدها من الدرجات، ولا يصل العبد إليها إلا بعلمه أن الله عليم سميع بصير شهيد حفيظ.

وثاني الدرجات: مراقبة الإنسان نظر الحق، وهي توجب صيانة الباطن والظاهر. فصيانة الظاهر: بحفظ الحركات الظاهرة. وصيانة الباطن: بحفظ الخواطر والإرادات والحركات الباطنة، التي منها رفض معارضة أمره وخبره. فيتجرد الباطن من كل شهوة وإرادة تعارض أمره، ومن كل إرادة تعارض إرادته. ومن كل شبهة تعارض خبره. ومن كل محبة تزاحم محبته، فلا يعترض على أوامره

---

(١) هذا الحديث المشهور بتمامه في الصحيحين؛ أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي، حديث رقم: (٢١٠٢)، ٢/ ٧٧١. وأخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، حديث رقم: (٢٧٤٣)، ٤/ ٢٠٩٩.

(٢) الرسالة القشيرية، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، والدكتور/ محمود بن الشريف، ١/ ٣٢٩.

(٣) تُراجع شروح منازل السائرين لشيخ الإسلام الهروي: مدارج السالكين للإمام ابن القيم، ٢/ ٦٦: ٧٢. وشرح العفيف التلمساني، ١/ ١٦٩: ١٧٣. أعده للنشر: عبد الحفيظ منصور، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، دار التركي للنشر، ١٩٨٩م. وشرح اللخمي، ص: ٦١، ٦٢. حققه وقدَّم له: الأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٤م.

ومجريات الأحداث، وواردات الأحوال، بل يسلم الأمر كله لله، وكذلك بتركه الشعور بمقام المراقبة حال تلبسه فيه، فلا ينظر إلى نفسه حال الحضور والمشاهدة؛ لأن ذلك حجاب عن الحق.

وثالث الدرجات والمراتب وهي أخصها: ملاحظة الأزل في شهوده، بأن لا يجعل المريدُ زمانًا مُستقبَلًا وآخر ماضيًا، فيشهد الحق كما كان قبل خلق الأكوان فلا يستشعر زمنًا، بل الوقت كله عنده واحد لا ماض فيه ولا مُستقبَل، وذلك له مدخل في التسليم بالقَدَر، وهو سر التوحيد[١].

هذا ما قاله الأئمة والعلماء في بيان درجات المراقبة، ولكن كيف يكون للمراقبة أثر في حياتنا وواقعنا؟

أولا: مراقبة الإنسان نفسه وأحواله تجعله أكثر تنظيمًا وفاعلية في حياته؛ فلا يضيع وقته فيما لا نفع من ورائه، ويحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويبتعد عن اللغو وخوارم المروءة.

ثانيًا: مراقبة الإنسان ربه تجعله يتقن عمله، ويأتي به على أحسن وجه من غير أن يكون عليه رقيب من البشر؛ فالله تعالى مطلعٌ عليه عالمٌ بحاله.

ثالثًا: للمراقبة أثر على المجتمع والأمة؛ وذلك بأن يعتبر كل فرد نفسه رقيبًا وحارسًا على ما استرعاه الله تعالى، أمينًا على ثروات البلاد والعباد محافظًا عليها، لا يتصرف فيها إلا بالحق والعدل، فإذا تحقق هذا عاد النفع على الجميع.

***

(١) يُراجع شروح «منازل السائرين» السابقة، ومعها: شرح الفركاوي، ص: ٣٢، ٣٣. حققه وقدَّم له: الأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٣م.

الفصل الثالث
في بناء منظومة القيم
من خلال ما تم استنباطه من القيم
من أسماء الله الحسنى

هذا الفصل ينهض على ثلاثة محاور أساسية، مترابطة متكاملة، وهي:

١- بيان نماذج من العلاقات البينية بين القيم المستنبطة.

٢- الكلام عن كليات الأخلاق وفروعها.

٣- الجمال والكمال والجلال هي روابط بناء المنظومة.

هذا إجمال وفيما يلي التفصيل..

المحور الأول: بيان نماذج من العلاقات البينية بين القيم المستنبطة

في الفصل السابق تم استنباط إحدى وعشرين قيمة من أسماء الله الحسنى، وتعرضت لها بالشرح والبيان، وهذا ليس على سبيل الحصر، بل هو من باب ذكر النماذج وضرب الأمثلة، فهناك قيم أخرى كثيرة تستنبط من أسماء الله تعالى إلا أن المقام يضيق بذكرها، والاقتصار على العدد المذكور من باب الاكتفاء بما يحصل به بيان الفكرة وتوضيحها.

والقيم في بحثي هذا ليست قِيمًا مفردة، بل هي منظومة متشابكة وبينها مجموعة من العلاقات البينية، بحيث لا يُكْتَفَي بذكر القيمة بمفردها بل يُتَعَدى إلى ذكر العناصر التي تتحقق بها القيمة، فيُنْتَهي بذلك إلى ما يُسمى بالبناء المنظومي للقيم من خلال أسماء الله الحسنى، وفيما يلي عرض لنماذج أراها مهمة في بيان هذه العلاقات بين القيم المستنبطة حتى يزداد الأمر بذلك وضوحًا.

١/ (الرحمة والستر)

أول هذه العلاقات تتمثل في العلاقة بين قيمة الرحمة وقيمة الستر، وأري أن قيمة الرحمة تمثل المظلة التي تنطوي تحتها قيمة الستر، فما الستر إلا تجلٍّ من تجليت الرحمة، فبدون الرحمة لا يتصور الستر، فالستر فيه رحمة بالناس، والذي فضح ولم يستر لم يرحم.

تتأكد هذا العلاقة بما جاء في السنة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»(١).

جاء في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر: "في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين. وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ومن التعزير إن لم يوجب حدًّا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك"(٢).

فأَفْهَم هذا أنه سبحانه لَمَّا رحم ستر، ولما ستر عفا، وهذا غاية في الرحمة والإحسان منه تعالى.

والناظر في القرآن الكريم يجد أن اسمه تعالى الرحيم قد اقترن في مواضع كثيرة باسمه الغفور، وهذا يُنبئ عن العلاقة الوثيقة بين الستر والرحمة.

والرحمة إحسان، والإحسان كما يكون إيصالا للعطاء يكون أيضًا بترك ما يَحصُل به الإضرار، والستر رحمة على هذا الوجه الثاني؛ فالستر مظهر من مظاهر الرحمة كما لا يخفى.

٢/ (الحكمة والنزاهة)

ومن القيم التي تظهر فيها العلاقات البينية: قيمتي الحكمة والنزاهة؛ فمن حكمة الإنسان أن يكون نزيهًا، مترفعًا عن نقائص الأمور طالبًا لمعاليها، وأيضًا أن يترفع عما في أيدي الناس، فمن فعل هذا كان متصفًا بالحكمة.

يتأكد هذا بما قاله الإمام الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٥٥﴾(٣) حيث بيَّن: "أن هؤلاء الناس من أهل الكمال، وقد عدَّ الحق سبحانه من خصالهم أنهم كانوا يعرضون عن اللغو، وهو الكلام العبث الذي

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم (٥٧٢١)، ٥/ ٢٢٥٤، ومسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم (٢٩٩٠)، ٤/ ٢٢٩١.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٨٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٥.

لا فائدة فيه، وهذا الخلق من مظاهر الحكمة؛ إذ لا ينبغي للعاقل أن يشغل سمعه ولبه بما لا جدوى له، وبالأولى يتنزه عن أن يصدر منه ذلك"(١).

وفي هذا إشارة إلى أن النزاهة بالترفع عن الأمور التافهات التي لا جدوى من ورائها سوى إضاعة الوقت يعدُّ مظهرًا من مظاهر الحكمة.

٣/ (الإبداع والمراقبة)

بين الإبداع والمراقبة علاقة وثيقة، فالعلم بأن الله تعالى رقيب على المرء مطلع على جميع أحواله يعدُّ دافعًا له فيما يبتكر من اختراعات، فتراه يُبدع فيما فيه الخير له ولغيره، ويبتعد عما فيه شر وإضرار، وهذا أهم ما يُميز النموذج المعرفي الإسلامي عن غيره؛ فهو ينطلق من الإيمان بوجود الإله الخالق القاهر، الذي يعلم السر وأخفى، وأن إليه المرجع والمنتهى؛ ليُحاسب الناس على ما قدموا في الحياة الدنيا، والجزاء من جنس العمل.

والناظر في الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة يجد أن علماء المسلمين قد فهموا هذا جيدًا ووضعوه نصب أعينهم؛ فقدموا للحضارة الإنسانية مجموعة كبيرة من الابتكارات والأفكار انتفع بها الناس، وما زال البشر ينتفعون بها حتى الآن، بل أخذوا في تطويرها ليحققوا أكبر قدر من الاستفادة منها.

والإبداع منضبط بمراقبة الله عز وجل، فهو عملية مركبة من العلم والأخلاق؛ فبالعلم تحصل المعرفة وإدراك المعلومات، وبالأخلاق -وخاصة خلق المراقبة لله عز وجل- ينضبط الإبداع، حتى يكون أحد الوسائل التي يتحقق بها مراد الله تعالى من خلقه في كونه من التعمير لا التدمير؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾(٢). أي: طلب منكم عمارتها.

٤/ (الإبداع والرحمة)

ومما ينضم إلى علاقة الإبداع بالمراقبة: علاقة الإبداع بالرحمة أيضًا؛ فقد مرَّ في بيان تطبيقات الرحمة: الرحمة بالإنسان والأكوان، وعليه فإن الإبداع لا بد ألا يخرج عن إطار الرحمة، متناغمًا معها؛ حتى يأتي بالنتائج المرجوة التي تحقق مصالح العباد، ويرضى عنها رب العباد، فالإبداع من غير

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٠/ ١٤٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

ملاحظة الرحمة يأتي بنتائج عكسية كالهدم والتدمير، وخير مثال على ذلك ما حدث من اختراعات في أسلحة الحروب ووسائلها، فبدلا من أن تستخدم في توليد الطاقة النافعة في الأغراض السلمية استخدمت في إبادة البشرية.

٥/ (العزة والسلام)

هناك علاقة قوية بين العزة والسلام، وأعني بالسلام هنا السلام الاجتماعي، والإشارة إلى هذه العلاقة تُفْهم من خلال ما جاء في السنة النبوية المطهرة؛ فعن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال رسول الله ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»(١).

وحاصل هذا: أن المتحلي بعزة النفس غالبًا ما يكون زاهدًا فيما في أيدي الناس، ولا يسألهم منه، فإن هو فعل هذا أحبه الناس؛ لسلامتهم من أذاه بالسؤال ونحوه، ومن ثَمَّ تذهب الشحناء والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويحل محلها الود والسلام، فيكون هذا الشخص متحققًا بحديث رسولنا الكريم ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٢).

٦/ (الصدق والحكمة)

العلاقة بين الصدق والحكمة ظاهرة، والحكمة: هي وضع الأشياء في مواضعها، وترك ما لا ينبغي، لذا نجد أن الشرع يَحُض أتباعه على سلوك مسالك الحكمة، ومن هذه المسالك: الصدق؛ فالصدق من الحكمة، فهو يهدي إلى البر، والبر: اسم جامع للخير كله، كما أن فيه النجاة أيضًا.

وإذا نظرنا إلى المواطن التي رخَّص الشرع فيها بالكذب إنما كان ذلك لمصلحة، ولأن الصدق في هذه المواطن يخلو عن الحكمة، بل ضدها هو الحاصل حينئذ؛ كالصدق مع الأعداء حال الحرب، فليس من الحكمة فعل الصدق في هذا الموطن.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، حديث رقم: (٤١٠٢)، ٢/ ١٣٧٣. قال الإمام النووي في «الأربعين النووية» (ص: ٩٦): "رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة".

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (١٠)، ١/ ١٣. ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم (٤٠)، ١/ ٦٥. واللفظ للبخاري.

٧/ (التكافل والبر والرحمة)

تظهر العلاقة بين التكافل والبر في أن التكافل نوع من أنواع التعاون على البر الذي أمرنا الله تعالى به في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[١].

والتكافل أيضا ينطوي تحت الرحمة؛ ومن ثم فهو صورة من صورها، وهذا ما يصوِّره حديث سيدنا رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[٢].

٨/ (الرضا والعزة)

تظهر علاقة قوية بين الرضا والعزة؛ فالمرء الذي في قلبه الرضا والتسليم بما قدره الله تعالى وقسمه له تراه عزيز النفس، فلا يسأل غير خالقه؛ لعلمه أن مقادير الأمور كلها بيد الله تعالى، وأن البشر ما هم إلا أداة لتنفيذ إرادة الله، ومن ثَمَّ يكون بهذا مُطَبِّقًا لقول رسول الله ﷺ للصحابي الجليل عبد الله ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: «.. إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[٣].

٩/ (التواضع والرحمة)

التواضع من قيم الرحمة، يظهر هذا بجلاء في الأمر بخفض الجناح ولين الجانب مع الوالدين والرفق بهما؛ قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٤]. فعدَّ سبحانه وتعالى التواضع من الرحمة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٢٥٨٦)، ٤/ ١٩٩٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ منه، حديث رقم: (٢٥١٦)، ٤/ ٦٦٧، وقال: " هذا حديث حسن صحيح ".

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

ويظهر هذا أيضًا مع عامة المسلمين؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]. أي: متوادُّون متعاطفون، لا يتكبر منهم أحد على أحد بل يتواضع كل للآخر، وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

١٠/ (الحلم والعفو)

الحلم مقدمة العفو، والعفو حلم وزيادة؛ فهو ترك المؤاخذة، أما الحلم فهو ترك المعاجلة بالمؤاخذة. فلا يُتصور عفو من غير حلم.

١١/ (التوكل والعزة)

تتمثل العلاقة بين التوكل والعزة في أن المُتوكل على ربه عز وجل تراه عزيز النفس لا يذلها لعرض زائل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

والمعنى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يَذِل من استجار به، ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه[4].

وجُعل قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ جوابًا للشرط باعتبار لازمه، وهو عزة المتوكل على الله وَإِلْفَائِهِ مُنْجِيًا مِنْ مَضِيقِ أمره[5].

فظهر من هذا أن التوكل على الله تعالى من سبل العزة.

***

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.

(٤) يُنظر: تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٣/ ٦٣.

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٠/ ٣٩.

المحور الثاني: الكلام عن كليات الأخلاق وفروعها

تكلم العلماء والمهتمون عن مسألة كليات الأخلاق وفروعها، أو أمهات الأخلاق وتداعياتها، وفيما يلي عرض موجز لبعض أقوالهم:

رأي ابن مسكويه[١] (المتوفى: ٤٢١هـ):

يرى ابن مسكويه في كتابه «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» أن كبرى الفضائل أربعة، هي: **العفة، والشجاعة، والسخاء، والعدالة،** ثم تندرج باقي الفضائل تحت هذه الأربعة الكبرى[٢].

رأي ابن حزم (المتوفى: ٤٥٦):

أما ابن حزم فيرى أن أصول الفضائل كلها أربعة، عنها تتركب كل فضيلة، وهي: **العدل، والفهم، والنجدة، والجود.** وأن أصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة، وهي أضداد الذي ذكرنا، وهي: الجور، والجهل، والجبن، والشح[٣].

رأي أبي حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ):

وذهب الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «ميزان العمل» إلى أن الأخلاق وإن كانت كثيرة إلا أنه يجمعها أربعة فضائل كبرى تندرج تحتها سائر الفضائل، وهي: **الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة؛** وذلك لأن القوى الموجودة في الإنسان ثلاثة، وهي: القوة العقلية، فيكون في مقابلتها الحكمة. والقوة الغضبية، فيكون في مقابلتها الشجاعة. والقوى الشهوانية فيكون في مقابلتها العفة. وأما العدالة فهي عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب[٤].

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن يعقوب مِسْكَوَيْه، أبو علي توفي سنة ٤٢١هـ. له تصانيف كثيرة، منها: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم»، و«تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، و«ترتيب السعادات» في الأخلاق، ورسالة في ماهية العدل. [راجع: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢/٤٩٣)، الأعلام للزركلي (١ / ٢١١)]

(٢) يُراجع: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، ص: ١٨ – ٣٨.

(٣) يُراجع: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، للإمام ابن حزم الظاهري، ص: ٦٠

(٤) يُراجع: ميزان العمل، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

رأي ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ):

أما الإمام ابن حجر في «الفتح» فقد جعل أمهات الأخلاق: **الشجاعة، والجود، والحكمة**، وذلك عند شرحه حديث أنس ﷺ: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس[١]، وذكر أن اقتصار أنس ﷺ على هذه الأوصاف الثلاث من جوامع الكلم؛ لأنها أمهات الأخلاق، فإن في كل إنسان ثلاث قوى؛ أحدها: الغضبية وكمالها الشجاعة. ثانيها: الشهوانية وكمالها الجود. ثالثها: العقلية وكمالها النطق بالحكمة[٢].

كلام الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة (المتوفى: ١٤٢٥هـ):

فصَّل الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة -من العلماء المعاصرين- الكلام عن كليات الأخلاق والفضائل ومفرداتها، وذلك بكلام طويل مُحَصَّلُه ما يلي:

إن أصول الأخلاق وكلياتها بعد الاستقراء والسبر تصل إلى تسعة أخلاق، وهي:

الحق، والرحمة، والمحبة، والدافع الاجتماعي، وقوة الإرادة، والصبر، وحب العطاء، وعلو الهمة، وسماحة النفس.

فيندرج تحت الحق: الإذعان له، والصدق، والعدل، والأمانة.

ويندرج تحت الرحمة: بر الوالدين والإحسان إليهما، وصلة الرحم، وإكرام اليتيم، وإكرام الجار، وحسن معاملة النساء، والشفاعة الحسنة، والعفو والصفح والمغفرة.

ويندرج تحت المحبة: حب الله، وحب رسوله، وحب المسلم لإخوانه.

ويندرج تحت الدافع الاجتماعي: التآخي في الله، والتعاون على البر والتقوى، والستر، وصيانة المرافق العامة.

ويندرج تحت قوة الإرادة: الجد والحزم والنظام، والتفاؤل بالخير، وملك النفس عند الغضب.

ويندرج تحت الصبر: الصبر عند المصائب، والحلم، والرفق، وكتمان السر وحفظه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، حديث رقم: (٥٦٨٦)، ٥/ ٢٢٤٤.

(٢) يُراجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٥٧.

ويندرج تحت حب العطاء: الصدقة، والتهادي، والإيثار.

ويندرج تحت علو الهمة: الجد في العمل وعدم الكسل، والسعي لكسب الرزق، والحياء، والترفع عن النقائص والتطلع إلى الكمال، واشتغال الإنسان بما يعنيه، والزهد في الدنيا.

ويندرج تحت سماحة النفس: طلاقة الوجه والبِشْر، ومبادرة الناس بالتحية، وحسن المصاحبة، وعدم التشدد في الأمور[١].

وبالنظر إلى ما سبق بشيء من التدقيق والتحليل يتبيَّن ما يلي:

١) أنَّ الجميع -عدا الإمام ابن حجر- عدُّوا «العدل» من أمهات الفضائل، وعبَّر عنه الشيخ عبد الرحمن حبنكة بـ «الحق».

٢) أنَّ الجميع -عدا الإمام الغزالي- عدُّوا «الجود» أو «السخاء» من أمهات الفضائل، وعبَّر عنه الشيخ عبد الرحمن حبنكة بـ «حب العطاء».

٣) أنَّ الجميع -عدا الشيخ عبد الرحمن حبنكة- عدّوا «الشجاعة» من أمهات الفضائل، وعبَّر عنها الإمام ابن حزم بمعنى قريب، وهو «النجدة».

٤) أنَّ الغزالي وابن حجر قد عدَّا «الحكمة» من أمهات الفضائل، وقريب من هذا يُفْهَم من كلام الشيخ عبد الرحمن حبنكة في «علو الهمة».

٥) أنَّ ابن مسكويه والغزالي انفردا بِعَدِّ «العفة» من أمهات الأخلاق، كما انفرد ابن حزم بعدِّ «الفهم» منها.

٦) أنَّ كلام الشيخ عبد الرحمن حبنكة أوسع وبه تفصيلات أكثر، لكن من الممكن بشيء من التأمل رد بعض هذه الفضائل التسعة -التي ذكرها- إلى بعض.

٧) أنَّ الكلام عن أمهات الأخلاق والفضائل من الأمور التي اجتهد العلماء في تحديدها، وكلها اجتهادات مقبولة معتبرة؛ لاعتمادها على الاستقراء لا الحصر، هذا بالإضافة إلى التذوق الشخصي

(١) للتوسع والاستزادة يُراجع: الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ/ عبد الرحمن حسن حبنكة، ١/ ٥٠٨: ٧٠٨، ٢/ ٥: ٥٧٧.

لكل عالم، فهناك من توسع فذكر الكثير، وهناك من ضَيَّق فاقتصر على القليل؛ وذلك باعتبار أن غيره يندرج تحته.

٨) بقي التنبيه على أن: الشيخ عبد الرحمن حبنكة قد أفرد «العفة» و«الشجاعة» بالذكر والشرح تحت عنوان منفصل عن كليات الفضائل والأخلاق، وسمّاه: «ظواهر خلقية لأكثر من أساس خلقي»[١]، فلم يجعلهما من أسس الأخلاق وكلياتها وإنما من ظواهرها.

إذا تقدَّم هذا الذي ذكرته عن أمهات الأخلاق والفضائل وكلياتها، أقول: إن بحثي هذا الخاص بالقيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى فيه فكرة قريبة من ذلك، وهي ما يمكن لي أن أُطلق عليها: أمهات القيم وتداعياتها.

أقول: بقليل من التأمل رأيت أن أمهات القيم التي تم استنباطها من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم -وهي على سبيل النماذج لا الحصر- ما يلي:

الرحمة، والحكمة، والقوة. ثم يندرج تحتها باقي القيم.

وبيان ذلك: بعضه قد مرَّ في بيان العلاقات البينية بين القيم المستنبطة، وأَزِيدُ الأمرَ إيضاحًا فأقول:

يندرج تحت الرحمة من القيم ما يلي: الرفق، والستر، والبر، والتكافل، والود، والتواضع، والحلم، والعفو.

ويندرج تحت الحكمة من القيم ما يلي: الصدق، والنزاهة، والإبداع، والمراقبة، والتوكل، والرضا، والشكر، والسلام.

ويندرج تحت القوة من القيم ما يلي: العزة، والنصرة.

وهذا ما توصلت إليه وانقدح في ذهني بعد بذل الوسع في التأمل والاستقراء، وأسال الله تعالى التوفيق والسداد. وعليه فلا يفوتني التنبيه على أنه: لا يعكر على ما تَوَصَّلْتُ إليه ما قد يراه غيري من روابط أخرى للمنظومة؛ إذ الأمر إنما هو من باب اختلاف وجهات النظر لاختلاف المداخل والاعتبارات، وهو ما يعبر عنه أيضًا بأنه من اختلاف التنوع لا التضاد، والله أعلم.

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ٥٨١: ٦٠٨.

المحور الثالث: الجمال والكمال والجلال هي روابط بناء المنظومة

لا بد أولا من بيان المراد بالمنظومة، فأقول: النظم هو التأليف؛ يقول ابن منظور: "النَّظْمُ: التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْمًا ونِظامًا، ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ"(١). ومنه المنظومة للقصيدة من الشعر، وتستخدم كلمة المنظومة في العلوم الاجتماعية والإنسانية ويقصد بها: العلاقات التي تربط بين أجزاء أو مكونات أو عناصر أمر كلي بحيث تُظْهِر هذه العلاقات جهات الترابط بين المكونات، وتعتمد في عملها على بعضها، وسوف أحاول بعد بيان العلاقات البينية بين القيم المستنبطة من أسماء الله الحسني أن أُبَيِّن المنظومة الجامعة بين القيم المستنبطة من أسمائه تعالى الحسنى.

أقول: بعد ما تقدَّم من استنباط القيم من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، وذكر العلاقات البينية بين هذه القيم، وجعل بعضها كليات وأمهات والأخرى فروع وتداعيات، يأتي الكلام عن بيان روابط بناء المنظومة القيمية التي أسعى إلى إنشائها من خلال القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم.

إن بناء المنظومة يعني استخلاصَ معنى أو عدة معان من القيم المستنبطة تندرج تحتها جميع القيم، فهذه فكرة أبعد من فكرة الكليات والفروع؛ فالكليات والفروع إنما هي من خلال القيم نفسها، أما فكرة المنظومة فهي معنى أو عدة معان ذات علاقة بالقيم تستخلص منها، ويصح اندراج القيم كلها تحتها.

وروابط بناء المنظومة في بحثي هذا عبارة عن معان ثلاثة، ألا وهي: **الجمال، والكمال والجلال.**

وقد عَرَّفت معاجم اللغة الجمال بأنه: الحُسْن، وهو ضد القُبْح(٢)، كما عَرَّفت الكمال بأنه: تمام الشيء، وخلوه من النقص(٣)، وعَرَّفت أيضًا الجلال، وأنه بمعنى العَظَمَة(٤).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (نظم)، ١٢/ ٥٧٨.

(٢) تُراجع مادة (جمل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/ ٤٨١. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ١٢٦.

(٣) تُراجع مادة (كمل) في: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥/ ١٣٩. ولسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٥٩٨.

(٤) يُراجع: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: (جلَّ)، ١/ ٤١٧. ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (جلل)، ١١/ ١١٦.

أما كتب المصطلحات والتعريفات فعندما تعرضت لبيان هذه المعاني الثلاثة غلب عليها تفسيرها في جانب الخالق ﷻ؛ فنرى مثلا الحافظ المُنَاوي يذكر أن: الجمال تجليه لنا برحمته، الجلال: احتجاب الحق عنا بعزته، وله من الصفات ما يتعلق بالقهر والغضب(١).

ويرى التهانوي(٢) في «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» أن: الجمال الحقيقي صفة أزلية لله تعالى شاهده في ذاته أولا مشاهدة علمية، ثم هي مشاهدة عينيه فيما يُرى في صنعته. وتجلي الجمال الإلهي في الإنسان عن معاني أوصافه تعالى العلى وأسمائه الحسنى هذا على العموم. أما على الخصوص؛ فصفة الرحمة وصفة العلم وصفة اللطف والنعم وصفة الجود والرزَّاقية والخلَّاقية وصفة النفع وأمثال ذلك فكلها صفات جمال. ثم صفات مشتركة لها وجه إلى الجمال ووجه إلى الجلال كاسم الربّ؛ فإنه باعتبار التربية والإنشاء اسم جمال، وباعتبار الربوبية والقدرة اسم جلال، ومثله اسم الله واسم الرحمن، بخلاف اسمه الرحيم فإنه اسم جمال(٣).

وفكرة الجمال والكمال والجلال في حقه سبحانه وتعالى نراها سارية في أقوال العلماء والمفسرين قديمًا وحديثًا، فنرى من العبارات الجارية في كتاباتهم: أن الله تعالى موصوف بجميع صفات الجمال والكمال والجلال.

وممن وضحت عبارتهم في هذا فضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره، حيث قال: "إن الحقَّ سبحانه له صفاتُ جلال، وصفات كمال وجمال. يَهَبُ بصفات الكمال والجمال العطايا، ويهَبُ بصفات الجلال البَلايا؛ فهو غفّار، وهو قهار، وهو عَفو، وهو مُنْتِقم.

وعلينا أن نجعلَ بيننا وبين صفات الجلال وقاية؛ وأن نجعل بيننا وبين صفات الجمال قُرْبى؛ والطريق أن نتبعَ منهجه؛ فلا ندخل النار التي هي جُنْد من جنود الله"(٤).

---

(١) يُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للحافظ المُنَاوي، ص: ١٢٨ بتصرف.

(٢) هو: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التَّهَانَوي له من المؤلفات: «كشاف اصطلاحات الفنون» فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨هـ، و«سبق الغايات في نسق الآيات». [راجع: معجم المطبوعات، ليوسف سركيس (٢/٦٤٥)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (٤/٣٥٣)، والأعلام، للزركلي (٦/٢٩٥)].

(٣) يُنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، ١/ ٥٧٠ بتصرف.

(٤) تفسير الشعراوي (الخواطر الإيمانية)، ١٢/ ٧٧١٠. نشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

وأسماء الله تعالى باعتبار الجمال والكمال والجلال ثلاثة أقسام:

"القسم الأول: الجمال؛ ومنه: الرحمن، والرحيم، والعفو، والغفور، والرءوف، وغيرها..

والقسم الثاني: الكمال؛ ومنه: الأول والآخر، والظاهر والباطن، وغيرها..

والقسم الثالث: الجلال؛ ومنه: المهيمن، والعزيز، والمتكبر، والقهار، وغيرها..

وتختلف علاقة الإنسان بكل قسم من هذه الأقسام؛ فعلاقته بالجمال: التخلق، وعلاقته بالكمال: التصديق بأن الله تعالى متصف بكل كمال، وعلاقته بالجلال: التعلق؛ فقد نُهينا عن التكبر والانتقام"(١).

قلت: وأحيانًا يصح استخلاص معنى من الكمال يتخلق به الإنسان؛ وذلك كـ: «الحكمة» من اسمه تعالى (الحكيم)، و«النزاهة» من اسمه تعالى (القدوس) -كما مرَّ في هذا البحث-، وأيضًا إذا كان لا يصح التخلق بما في الجلال من معان، وكنا قد نهينا عن التكبر والانتقام، إلا أنه يصح التخلق بما يصلح من ضد هذه المعاني، فنستخلص معنى «التواضع» مثلا من اسمه (المتكبر) ثم نتخلق به، وقد مرَّ هذا أيضًا.

وإذا تقرر هذا، أقول: إن بناء منظومة القيم المستنبطة من أسماء الله الحسنى -في هذا البحث- تتسق مع موارد استنباطها، بحيث إن روابط هذه المنظومة تكون عبارة عن المعاني الثلاثة التي أشار إليها العلماء في صفات الله تعالى وأسمائه، وهذه المعاني هي: الجمال، والكمال، والجلال.

وعليه: فيندرج تحت الجمال: قيمة الرحمة وفروعها -كما في المحور الثاني في هذا الفصل-، ويندرج تحت الكمال: قيمة الحكمة وفروعها -كما مرَّ-، ويندرج تحت الجلال: قيمة القوة وفروعها -كما سبق-، والله تعالى أعلم.

***

(١) يُنظر: الجلال والكمال في أسماء الله الحسنى، زينب عباس ذكي. جمع: إبراهيم أحمد خليل ص: ٨، ٩ بتصرف.

الخاتِمة
وتضم: النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأله تعالى حسن الخاتمة في الأمور كلها، وبعد هذه الرحلة مع أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، وبيان القيم العظيمة المستفادة منها، **أصل في ختام بحثي هذا إلى مجموعة من النتائج، والتي من أهمها:**

أولا: أن أسماء الله الحسنى لها مكانة عظمى وأهمية قصوى بصفة عامة، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة؛ فبفهمها مع التدبر في معانيها تُفْتَح آفاقٌ جديدة لفهم كتاب ربنا جلَّ وعلا.

ثانيًا: أن أسماء الله الحسنى غير محصورة في عدد معين.

ثالثًا: أن الروايات التي ورد فيها سرد أسماء الله الحسنى المشتهرة وتعيينها لا يصح رفعها، وقد تكون من اجتهاد الرواة، لكن لا بأس باعتماد أيٍّ منها، خاصة وأن الأمة قد تلقتها بالقبول على مر العصور، بل جرى عمل العلماء والمتصدرين لشرح أسماء الله الحسنى غالبًا بالسير على ما في هذه الروايات من أسماء حتى مع مراعاة الترتيب الوارد فيها.

رابعًا: أن المختار في هذا البحث: جواز الإطلاق على الله تعالى سواء من باب التسمية أو الوصف كل ما يدل على الكمال، ولا يوهم نقصًا، ولا يكون على سبيل المشاكلة، وأن ترد مادته؛ فالتوقيف معناه هنا: الاكتفاء بورود المادة ولا يُشترط ورود الصيغة، وعلى هذا يُفهم فعل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وأيضًا صنيع الأئمة والعلماء في تناولهم لمسألة أسماء الله الحسنى.

خامسًا: أن أسماء الله تعالى منها ما هو مفرد كالرحمن والرحيم، ومنها ما هو مضاف ومركب، ومثاله: ذو الجلال والإكرام، ومنها ما هو متقابل مثل: الأول والآخر، ومنها ما هو مقترن كاقتران الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات الكريمات، وأمثلته كثيرة، منها: الغفور الرحيم، واللطيف الخبير، والعليم الحكيم.

سادسًا: أن هناك مجموعة كبيرة من القيم تُستفاد من أسماء الله الحسنى من خلال فهم معانيها والتفكر في آثارها، وهذه القيم تُشَكِّل منهاجًا للحياة في تعامل الإنسان مع نفسه، ومع خالقه، ومع الآخرين، ومع الكون كله؛ فإن لها تطبيقات مختلفة في مجالات شتى، وبهذا آمل أن يكون في هذه

الدراسة تأصيلا لفهم القرآن الكريم ودراسته من زوايا جديدة ومختلفة لتجلية هدايات هذا الكتاب الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.

سابعًا: أن هذه الدراسة تهدف إلى أن تكون لبنة من لبنات مشروع حضاري كبير ينبغي أن يهتم به الباحثون المسلمون، وهو يهدف إلى العودة إلى القرآن الكريم لاستنباط مبادئ العلوم منه، خاصة ما يتعلق بجانب الأخلاق والقيم؛ فكثير من الباحثين يعتمدون في العلوم الحديثة كعلم النفس والاجتماع والتربية والأخلاق وغيرها النظريات الغربية، وفي هذا خلل كبير؛ إذ إن هذه النظريات نشأت على فرض عدم وجود إله، والباحثون المسلمون عندما يأخذون هذه النظريات ويحاولون تطبيقها في البيئة الإسلامية يحصل من ذلك خلل كبير، وإصلاح هذا الخلل يبدأ بالعودة مرة أخرى إلى القرآن الكريم واستنباط العلوم والمبادئ والقيم منه، وهذا ما يمكن تسميته بـ"إسلامية المعرفة".

وبناءً على ما سبق فإني أوصي بما يلي:

١- الاهتمام بفكرة القيم الأخلاقية في القرآن الكريم بصفة عامة، والمستفادة من أسماء الله الحسنى بصفة خاصة؛ باعتبارها المصدر الأعلى لاستنباط القيم.

٢- استمرار البحث والدراسة في هذا الموضوع، واستكمال ما بدأته، وتمديد هذه الفكرة، وجعلها في هيئة موسوعية، من خلال استنباط قيم أخرى من أسماء الله الحسنى إضافة إلى ما تضمنته الدراسة، ثم تصنيفها باعتبارات مختلفة؛ كقيم مالية واقتصادية، وأخرى سياسية، وقيم أسرية واجتماعية، وقيم تربوية، وغير ذلك، كل ذلك مع إيجاد تطبيقات عملية لهذه القيم، وبيان العلاقات البينية فيما بينها.

ثم هنا اعتذار ودعاء:

أقول: هذا ما يسَّر الله تعالى تحصيله على حسب الإمكان، والحمد لله الكريم المنان، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وما كان هذا إلا بتوفيقه سبحانه وتعالى وإعانته.

اللّٰهم إني أستغفرك لِمَا تعلمه مني من التجرؤ على اقتحام هذا الباب، مع قلة بضاعتي، وكثرة إضاعتي، وأسألك يا ربي أن تَمُنَّ عليَّ بتوبة تمحو بها عني كل خطيئة، وأن تختم لي بخاتمة السعادة، وأن ترزقني الحسنى وزيادة، وأن تشمل في ذلك أباءنا وأمهاتنا، وجميع أهلنا، ومشايخنا، وإخواننا، وكلَّ مَنْ له حقٌ علينا، وأتمثل في هذا المقام بقول الشاعر:

أَسـيرُ خَلْـفَ رِكَـابِ النُّجْـبِ ذَا عَـرَجٍ ... مُـؤمِّلا جَـبْرَ مَـا لا قَيْـتُ مِـنْ عِـوَجِ
فــإنْ لَحِقْــتُ بِهِــم بَعْــدَمَا سَــبَقُوا ... فَكَـمْ لِـرَبِّ الـسَّمَا في النَّـاس مِـنْ فَـرَجِ
وإنْ ظَلَلْــتُ بِقَفْــرِ الأرضِ مُنْقَطِعًــا ... فَـمَا عــلى عَــرَجٍ في ذَاك مِــنْ حَــرَجِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

قائمة مراجع الرسالة

- **القرآن الكريم**

كتب التفسير

١- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر بن العربي راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط/٣: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/١: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٨هـ.

٤- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

٥- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د/ زكريا عبد المجيد النوقي، د/ أحمد النجولي الجمل، تقريظ: الأستاذ الدكتور/ عبد الحي الفرماوي، ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٦- تفسير الشعراوي (الخواطر الإيمانية)، للإمام الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، نشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٧- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/٢: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨- التفسير القرآني للقرآن، للأستاذ عبد الكريم الخطيب، ط: دار الفكر العربي - القاهرة.

٩- تفسير المراغي، للأستاذ/ أحمد بن مصطفى المراغي، ط/١: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

١٠- تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١١- تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي، ط: دار الفكر – بيروت.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ/ أحمد محمد شاكر، ط/١: مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/٢: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٤- دراسات في تفسير القرآن الكريم، فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة، النشر: كتاب جامعي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام الآلوسي، ط: إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

١٦- زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ.

١٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ط/١: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٠- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجَمل على الجلالين)، للعلامة سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المعروف بالجَمل، ط/١: المطبعة الشرفية بمصر، ١٣٠٣هـ.

٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط/٣: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٣- اللباب في علوم الكتاب، لسراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤- محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، ط/١: دار الكلم الطيب - بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للإمام البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٨- مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور/ حكمت بن بشير بن ياسين - أستاذ التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ط/١: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

٣١- النكت والعيون، للإمام الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

كتب علوم القرآن والقراءات

١- الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٣- حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، ط/٢: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤- لباب النقول في أسباب النزول، للإمام جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ/ أحمد عبد الشافي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/٣: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦- هداية الرحمن في علوم القرآن، للدكتور/ حسن عبد الحميد وتد، ط: مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.

كتب الحديث الشريف وعلومه

١- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، للضياء المقدسي، تحقيق: الدكتور/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط/٣: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- الأدب المفرد، للإمام البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/٣: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م.

٣- الأذكار، للإمام النووي، ط/١: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. (طبعة أخرى): الأذكار، للإمام النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤- الأربعون النووية، للإمام النووي، بعناية: قصي محمد نورس الحلاق، وأنور بن أبي بكر الشيخي، ط/١: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن المُلَقِّن الشافعي، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، ط/١: دار العاصمة - الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، ط/٣: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، للحافظ أبي الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، ط/١: دار طيبة، الرياض: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري أبي العلا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- الترغيب والترهيب، للإمام المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٧هـ.

١١- تغليق التعليق على صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط/١: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان - الأردن، ١٤٠٥هـ.

١٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو عاصم حسن عباس قطب، ط/١: مؤسسة قرطبة – مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٤- التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، ط/٣: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، وبشير عيون. ط/١، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.

١٦- جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط/٧: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ط/٤: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٨- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ط/٤: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩- سبل السلام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط: دار الحديث – القاهرة.

٢٠- سنن ابن ماجه، للإمام: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، بتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر – بيروت.

٢١- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الفكر.

٢٢- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٣- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤- سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٥- السنن الكبرى، للإمام النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦- شرح الزرقاني على الموطإ، للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط/١: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٧- شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، المعروف بابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٨- شعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان أبي حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/٢: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٠- صحيح ابن خزيمة، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣١- صحيح الإمام البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق وترقيم: د/ مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط/٣: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢- صحيح الإمام مسلم. تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣- طرح التثريب شرح التقريب، للإمام زين الدين العراقي، ط: دار إحياء الكتب العربية.

٣٤- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، تحقيق: جمال مرعشلي، ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين العيني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٦- عمل اليوم الليلة، للإمام النسائي، تحقيق: الدكتور/ فاروق حمادة، ط/٢: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٤١٥هـ.

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٩- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، ط/١: دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤٠- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان الصديقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤١- فوائد تمام الرازي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط/١: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٢هـ.

٤٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمُنَاوِي، ط: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٦هـ.

٤٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للإمام إسماعيل بن محمد العجلوني، ط: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، ١٣٥١هـ.

٤٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للإمام علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، المشهور بـ: المتقي الهندي في كتابه، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، ط/٥: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري، ط/١: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٤٧- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ومعه: تعليقات الحافظ الذهبي في كتابه: «التلخيص».

٤٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: مؤسسة قرطبة - القاهرة. (طبعة أخرى): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ/ أحمد محمد شاكر، والأستاذ/ حمزة الزين، ط/١: دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٩- مسند البزار المنشور باسم «البحر الزخار»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط/١: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥٠- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للإمام البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، ط/٢: دار العربية – بيروت، ١٤٠٣هـ.

٥١- معالم السنن، للإمام الخطابي، ط/١: المطبعة العلمية – حلب، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

٥٢- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

٥٣- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط/٢: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٤- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للحافظ/ زين الدين العراقي، ط/١: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ط/٢: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٦- موطأ الإمام مالك، رواية: يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - مصر.

٥٧- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط: دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

٥٨- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للإمام جمال الدين الزيلعي، ط: دار الحديث بالقاهرة.

كتب التوحيد والعقائد والفِرَق

١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور/ محمد يوسف موسى، والأستاذ/ علي عبد المنعم عبد الحميد، ط: مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٢- أسماء الله الحسنى، للشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية سابقًا، وعضو هيئة كبار العلماء، ط/٥: دار المعارف بمصر.

٣- الأسماء والصفات، للإمام البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط/١: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ضبطه وشرح مادته اللغوية: د/ محمد حسن جبل، خرَّج أحاديثه: طارق أحمد محمد، أشرف عليه: مجدي فتحي السيد، ط/١: دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. (طبعة أخرى): الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، تحقيق: الشيخ/ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، ط/١: المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥- أصول الدين، للإمام عبد القاهر البغدادي، ط/١: مطبعة الدولة، استانبول، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، تحقيق: على سامي النشار، ط: دار الكتب العلمية - بيروت].

٧- الآمدي وآراؤه الكلامية، للأستاذ الدكتور/ حسن الشافعي، ط: دار السلام للطباعة والنشر.

٨- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، للشيخ محمد بن إبراهيم الوزير، ط. دار الكتب العلمية.

٩- الباقلاني وآراؤه الكلامية، للدكتور/ محمد رمضان عبد الله، (رسالة دكتوراه مطبوعة)، ط: مطبعة الأمة، بغداد – العراق، ١٩٨٦م.

١٠- التحقيق التام في على الكلام، للشيخ محمد الحسيني الظواهري، ط/١: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.

١١- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط: دار الثقافة العربية، دمشق: ١٩٧٤م.

١٢- التوحيد، لابن منده، تحقيق: د. محمد عبد الله الوهيبي، د. موسى عبد العزيز الغصن، ط/١: دار الهدى النبوي - مصر، دار الفضيلة - السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٣- حاشية الشيخ الصاوي على شرح الخريدة للإمام الدردير في علم التوحيد، ط: الحلبي بمصر، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

١٤- حاشية العلامة الشيخ محمد السباعي على شرح الخريدة لأبي البركات الإمام أحمد الدردير، ط/١: المطبعة العامرة المليجية بمصر، ١٣٣١هـ.

١٥- حاشية العلامة محمد الأمير المالكي على شرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد، ط/ الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

١٦- شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط/٣: دار الثقافة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٧- شرح المقاصد في علم الكلام، للإمام: سعد الدين مسعود التفتازاني، ط/١: دار المعارف النعمانية – باكستان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٨- شرح المواقف، للإمام: عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط/١: دار الجيل، لبنان – بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٩- شرح جوهرة التوحيد، للإمام البيجوري، بتعليقات الأستاذ/ حسين عبد الرحيم مكي، ط/١: مكتبة صبيح بمصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م. (نسخة أخرى): بتعليقات: الشيخ/ محمد صالح الغرسي التركي.

٢٠- عقيدتنا، للأستاذ الدكتور/ محمد ربيع جوهري، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة بجامعة الأزهر وعميدها السابق، ط/٢، النشر: كتاب جامعي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢١- غاية المرام في علم الكلام، للإمام سيف الدين الآمدي، تحقيق: الدكتور/ حسن الشافعي، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

٢٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، ٢/ ١٢٤. ط: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٢٣- الفيض الأسنى على الأسماء الحسنى، للشيخ يوسف إبراهيم عبد الله بقوى المالكي السوداني، ط: صبيح بالأزهر بمصر.

٢٤- القول المفيد شرح الرسالة المسماة: وسيلة العبيد في علم التوحيد، لعلامة زمانه الشيخ: محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية سابقًا، ط/ المطبعة الخيرية، ١٣٢٦هـ.

٢٥- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام الفخر الرازي، ط/١: المطبعة الشرفية بمصر، ١٣٢٣هـ.

٢٦- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط: مكتبة القرآن، القاهرة.

٢٧- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط: مؤسسة الحلبي.

٢٨- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط/١: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٩- نظرات في أسماء الله الحسنى، للدكتور/ جيب الله حسن أحمد، أستاذ العقيدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) بالقاهرة. جامعة الأزهر، ط: مطبعة الحسين الإسلامية، الأزهر، مصر: ٢٠٠١م.

٣٠- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور/ محمد الحمود النجدي، ط: مكتبة الإمام الذهبي - الكويت.

٣١- ولله الأسماء الحسنى، للدكتور/ يوسف المرعشلي، ط/١: دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

كتب التصوف والأخلاق والتزكية

١- الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى، جمع وترتيب: رياض أدهمي، ط/١: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمّان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ط: دار المعرفة - بيروت.

٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، ط/٥: دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، للإمام ابن حزم الظاهري، ط/٢: دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥- أدب الدنيا والدين، للإمام الماوردي، ط: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٦- الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني، لصفوان محمود حنوف، ط/١: دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧- التصوف الإسلامي بين الأصالة والتبعية، للأستاذ الدكتور/ حسن محرم الحويني، ط: مطبعة رشوان، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، ط/١: مكتبة الثقافة الدينية.

٩- تهذيب الأخلاق، للجاحظ، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ط/١: دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٠- الجمال والجلال والكمال في أسماء الحسنى، للأستاذة: زينب عباس ذكي، جمع وإعداد: إبراهيم أحمد خليل.

١١- خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، ط/١: دار الريان للتراث بالقاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٢- الرسالة القشيرية، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، والدكتور/ محمود بن الشريف، ط: دار المعارف، القاهرة.

١٣- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، للإمام عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٤- شرح منازل السائرين، للَّخمي، حققه وقدَّم له: الأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٤م.

١٥- شرح منازل السائرين، للعفيف التلمساني، أعده للنشر: عبد الحفيظ منصور، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، دار التركي للنشر، ١٩٨٩م.

١٦- شرح منازل السائرين، للفركاوي، حققه وقدَّم له: الأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٣م.

١٧- صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط/١: دار القلم – دمشق، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط/٣: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٩- منازل السائرين، للإمام الهروي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٠- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ١/٧٧. ط/٤: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

٢١- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٢- ميزان العمل، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، ط/١: دار المعارف بمصر.

كتب المعاجم واللغة والبلاغة

١- أساس البلاغة، للزمخشري، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر – القاهرة.

٢- اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، ط/٢: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات كمال الدين الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط/٤: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، تحقيق: محمد على النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، حققه: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

٦- التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط/١: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ٢٠٠١م.

٨- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ط/١: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩- جمهرة اللغة للأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط/١: دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م.

١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للأستاذ: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور/ يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

١١- الخصائص، لابن جني، ط/٤: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٢- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط/١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣- شرح المفصل، لابن يعيش، ط: إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

١٤- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط/٤: دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر. (طبعة أخرى): معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط/١: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قُمّ)، ١٤١٢هـ.

١٦- القاموس المحيط، للفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط/٨: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٧- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

١٨- الكلّيات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٩- لسان العرب، لابن منظور، ط/٣: دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٠- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢١- مختار الصحاح، لابن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/٥: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٢- المخصص لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط/١: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الحديث بالقاهرة.

٢٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط/٤: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٥- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٦- المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح المُطَرِّزِىّ، ط: دار الكتاب العربي.

٢٧- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط: دار الخلود للتراث بالقاهرة.

٢٨- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: الدكتور/ عبد الله الخالدي. ط/١: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م.

٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

كتب التراجم والرجال والتاريخ والسير

١- أزهار الرياض في أخبار عياض، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

٢- الاستيعاب، لابن عبد البر، ط/١: دار الجيل - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣- أسد الغابة، لابن الأثير، ط. دار الفكر- بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

٥- الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي، ط/١٥: دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢م.

٦- إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٧- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، ط. دار المعرفة – بيروت.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، ط. المكتبة العصرية- لبنان.

١٠- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، ط/١: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١١- تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، للإمام عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، ط/٢: دار الفكر – بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢- تاريخ بغداد، للإمام الخطيب البغدادي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، ط/١: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٤- تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط/١: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوَّامة، ط/١: دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط/١: دائرة المعارف النظامية- الهند، ١٣٢٦هـ.

١٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، ط/١: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٩- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ط/١: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.

٢٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر القرشي، ط: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

٢١- حسن المحاضرة، للسيوطي، ط/١: عيسى الحلبي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٢- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، ط. دار صادر- بيروت

٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، ط/٢: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٥- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ط/١: مكتبة العبيكان- الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٦- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لابن حميد النجدي الحنبلي، ط/١: مكتبة الإمام أحمد، ١٩٨٩م.

٢٧- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط/٣: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٨- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للشيخ/ محمد مخلوف، ط: المكتبة السلفية، ١٣٤٩هـ.

٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط/١: دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، ط. دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣١- طبقات ابن السبكي «طبقات الشافعية الكبرى»، ط/٢: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

٣٢- طبقات الحفاظ، للسيوطي، ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٣- طبقات الحنابلة، لأبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. دار المعرفة- بيروت.

٣٤- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ط/١: عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٥- طبقات الشافعيين، لابن كثير، ط: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٦- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٧- طبقات المفسرين، للأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط/١: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٨- طبقات المفسِّرين، للسيوطي، ط/١: مكتبة وهبة - القاهرة، ١٣٩٦هـ.

٣٩- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحَجَوي، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٠- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، ط/٢: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٢هـ.

٤١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوَّامة، وأحمد محمد نمر الخطيب، ط/١: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤٢- الكنز الثمين لعظماء المصريين، لفرج سليمان فؤاد، ط: مطبعة الاعتماد بمصر، ١٩١٧م.

٤٣- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي، ط/١: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٤- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لابن فهد، ط/١: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٥- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام ابن حبان، أبي حاتم البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط/١: دار الوعي - حلب، ١٣٩٦هـ.

٤٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي، ط/١: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٧- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية العلمية، لعمر رضا كحالة، ط: مكتبة المثنى - بيروت/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، ط/١: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط/١: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

٥٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بَرْدي، ط. دار الكتب المصرية.

٥١- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين العَيْدَرُوس، ط/١: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٣- الوافي بالوفيات، للصفدي، ط. دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

كتب متنوعة وموسوعات

١- أبجد العلوم، للشيخ صديق حسن خان القنوجي ، ط/١: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢- الإبداع العلمي، دراسة تأصيلية تكشف أسس التفوق في مجال العلم ومقوماته ووسائل تحصيله، للدكتور/ أحمد بن علي القرني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/١: دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ١٤٢٨هـ.

٣- ابن حجر العسقلاني.. مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، للدكتور/ شاكر محمود عبد العليم، ط/١: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤- الأسماء الحسنى المزدوجه في القرآن الكريم، د/ عاطف المليجي، ط/ ١: عالم الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.

٥- أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام، عبد العظيم إبراهيم فرج، ط/٢: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دون نشر.

٦- البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين الزركشي، ط/١: دار الكتبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧- بدائع الفوائد، للإمام ابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكه المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨- بَرِيقَة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، للشيخ محمد مصطفى الخادمى الحنفي، ط: مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.

٩- بيان للناس، حول كتاب أسماء الله الحسنى للدكتور/ محمود عبد الرازق الرضواني، تأليف: الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر، ط: مكتبة الإيمان بمصر.

١٠- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، للإمام: ابن حجر الهيتمي، بحواشي الشرواني والعبادي، روجعت وصححت هذه النسخة على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، ط: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

١١- تشنيف المسامع بجمع الجوامع للإمام تاج الدين السبكي، تأليف: الإمام بدر الدين الزركشي، دراسة وتحقيق: الدكتور/ سعيد عبد العزيز، والدكتور/ عبد الله ربيع، ط/٢: مؤسسة قرطبة، والمكتبة المكيّة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٢- تقريب الوصول إلى علم الأصول، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور/ عبد الله محمد الجبوري، ط/١: دار النفائس- الأردن، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣- التكافل الاجتماعي، لفضيلة الشيخ/ محمد أبو زهرة، ط: مؤسسة دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٤- الجانب العاطفي من الإسلام، للشيخ محمد الغزالي، ط/١: دار الدعوة بالأسكندرية – مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٥- حاشية البجيرمي على شرح المنهج للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، ط: الحلبي بمصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

١٦- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، للشيخ/ عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٩٩٨م.

١٧- الدر المنظم في الاسم الأعظم (مخطوطة بالمكتبة الأزهرية)، للإمام جلال الدين السيوطي، عدد صفحاتها: ثلاث صفحات.

١٨- الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط: دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٩- الرد علي من أخلد إلي الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، للإمام السيوطي، ط/ مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، مصر.

٢٠- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: الدكتور/ إحسان عباس، ط/٢: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٨٧م.

٢١- زاد المهاجر إلى ربه للإمام ابن القيم، تحقيق: د/ محمد جميل غازي، ط: مكتبة المدني – جدة.

٢٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر، للإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي، ط/١: دار الفكر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣- الشخصية: مفهومها. سلوكها. علاقتها بالتعلم، للدكتور/ توما جورج خوري، ط/١: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٤- شرح البسملة والحمدلة، للإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: ربيع أحمد خلف، وجمال السيد رفاعي، محمد أبو مسلم عبد الخالق، ط/١: مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٥- شرح الكوكب المنير، للإمام محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، ط/٢: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٦- الطريق إلى التراث، "مقدمات معرفية ومداخل منهجية"، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة –مفتي الديار المصرية–، نشر: نهضة مصر. طبعة/١: أكتوبر ٢٠٠٤م.

٢٧- علم النفس الاجتماعي، للدكتور/ فؤاد البهي السيد، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٨- علم النفس العام، للدكتور/ عبد الرحمن العيسوي، ط: دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية، ٢٠٠٠م.

٢٩- الفضيلة والفضائل في الإسلام، للدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الخامسة عشرة، الكتاب الأول، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٠- فن تربية الأولاد في الإسلام، لمحمد سعيد مرسي، ط/١: دار النشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

٣١- القيم الإسلامية والتربية، للدكتور/ علي خليل مصطفى أبو العينين، ط: مكتبة إبراهيم الحلبي –المدينة المنورة –١٤٠٨هـ.

٣٢- الكافي في فقه الإمام أحمد، للإمام موفق الدين ابن قدامة الحنبلي، ط/١: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٣- مجموع الفتاوى، للإمام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٤- المُحَلَّى بالآثار، للإمام ابن حزم الظاهري، ط: دار الفكر –بيروت.

٣٥- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط/٢: دار صادر - بيروت، ١٩٩٥م.

٣٦- مفتاح دار السعادة، للإمام ابن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٧- موارد الظمآن لدروس الزمان، للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان، الطبعة الثلاثون: ١٤٢٤هـ.

٣٨- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط/١: مطابع دار الصفوة، مصر، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءًا.

٣٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق:محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط/١: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٠- نهاية السول شرح منهاج الوصول، للإمام: جمال الدين الإسنوي، ط/١: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

رسائل وأبحاث ومقالات

١/ (الرسائل)

- البر في القرآن الكريم، دراسة موضوعية (رسالة ماجستير)، للباحثة: هناء عبد الله سليمان، كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى.

- العام عند الأصوليين: دراسة تطبيقية قانونية في ضوء المقاصد الشرعية (رسالة ماجستير)، للباحث: فضيلة الشيخ/ أحمد ممدوح سعد الشافعي، قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق - جامعة الإسكندرية، عام ٢٠١١م، بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد كمال الدين إمام.

٢/ (الأبحاث)

١- اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة "حصرها، معانيها، مناسباتها"، إعداد الدكتور: سليمان بن قاسم العِيد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية.

٢- تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية، للأستاذ الدكتور/ أحمد داود أغلو -وزير الخارجية التركي حاليًّا، وأستاذ العلاقات الدولية بجامعة بيكنت في استانبول/ تركيا، دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة البوسفور في استانبول سنة ١٩٩٠م. قدم هذا البحث باللغة الإنجليزية للمشاركة في الحلقة الدراسية عن النظام المعرفي التي عقدت في الأردن في يونيو سنة ١٩٩٨م، وقامت مجلة "إسلامية المعرفة" التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بترجمته ونشره في عددها الثاني والعشرين في خريف عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣- مفهوم النظام المعرفي الإسلامي، للأستاذ الدكتور/ نصر محمد عارف -أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة وأستاذ زائر بجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بفرجينيا- مصدره: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من موقع بلاغ دوت كوم:
http://www.balagh.com/oldsite2/islam/151evygl.htm

٤- نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، للشيخ محمد الغزالي، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقدة في مكة المكرمة في المدة من ١١ - ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ.

٣/ (المقالات)

١- بناء المنظومة الأخلاقية: خلق التوكل، بقلم: فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة، مفتي الديار المصرية. منشور بجريدة المساء القاهرية، عدد رقم: ١٩٩٦٥، يوم الأربعاء، بتاريخ: ٢٨ ديسمبر ٢٠١١م.

٢- توليد العلوم فرض علي المسلمين (١-٣)، بقلم: فضيلة الدكتور/ علي جمعه، مفتي الديار المصرية، نُشر بجريدة الأهرام القاهرية، يوم السبت الموافق ١٧ من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ، ٥ يونيو ٢٠٠٤م، للسنة: ١٢٧، العدد: ٤٢٩١٥.

٣- النموذج المعرفي الإسلامي وتجديد الخطاب الديني، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة - مفتي الديار المصرية- ثلاث مقالات نشرت في جريدة الأهرام: بتواريخ/ ١٠ أبريل ٢٠٠٤م/ و٢٤ أبريل ٢٠٠٤م/ ٨ مايو ٢٠٠٤م.

***

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	**الصفحة**

❊ ❊ ❊